جمهورية السودان - أم درمان
جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
كلية الدراسات العليا والبحث العلمي
قسم علوم الشريعة

# تيسير المنان تفسير القرآن لأحمد بن عبد القادر الكوكباني (ت: ١٢٨٠ هـ) المجتزأ منه مقدمة التفسير في علوم القرآن مع تفسير الفاتحة و ١٤٢ آية من سورة البقرة

دراسة وتحقيق
الطالب : غسان عبد السلام الواعي الشيخ حمدون

بإشراف
فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الله محمد خير أحمد
أستاذ التفسير في جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

المجلد الأول

قدمت هذه الرسالة لنيل درجة العالمية العالية الدكتوراه في تخصص علوم القرآن والتفسير.
١٤١٧هـ ١٩٩٦م


بسم الله الرحمن الرحيم

# رموز ومصطلحات التحقيق

| | |
|---|---|
| أ | = نسخة بخط المؤلف |
| ب | = نسخة الجامع الكبير ( بصنعاء ) |
| آهـ | = انتهى |
| ح | = أن المفهرس له في الفهارس ،هو مما كتب الباحث |
| ص | = صفحة |
| ط | = طبعة أو مطبوع للكتاب |
| م ( و قبلها رقم ) نحو ١٥٠ م | = سنة ( ١٥٠ ) للميلاد |
| هـ ( و قبلها رقم ) نحو ١٥٠هـ | = سنة ( ١٥٠ ) للهجرة |
| ﴿ ﴾ | = للآيات القرآنية المفسرة |
| [ ] | = لبيان اختلاف النسخة ب عن النسخة أ و هي المثبتة في المتن أو لبيان أن هذا حاشية للمؤلف مع كلمة هامش. |
| ( ) وفيها رقم نحو (٥) | = قوس أسود كبير قبل الآية لتبيان رقمها. |
| ( / ) و فيها أرقام نحو ( ٣ / ٢ / ٩٥٢ ) | = الرقم الأول : الجزء في المرجع ، والرقم الثاني : صفحة ، والرقم الثالث هو رقم المثبت بالمرجع. |

**لم أجد الحديث :**

إذا ذكر هذا في التعليق على الحديث فالمراد أن الباحث لم يجده في الكتب التسعة ، إضافة إلى البعث و النشور للبيهقي و تفسير ابن جرير الطبري و الدر المنثور في التفسير المأثور والجامع الصغير وجامع المسانيد و السنن لابن كثير و سنن الدارقطني و سنن سعيد بن منصور و صحيح ابن خزيمة وعمل اليوم والليلة للنسائي والكامل للضعفاء وكشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي ومجمع البحرين في زوائد المعجمين للهيثمي و مجمع الزوائد و منبع الفوائد للهيثمي ومستدرك الحاكم ، هذا فضلاً عن الكتب التي جمعت الأحاديث أو فهرست لها وهي تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث و موسوعة أطراف الحديث وفضلاً عن ذلك التفتيش والبحث عن الحديث في مظانه .

**لم أجده : " للقول في التفسير " .**

وإذا كانت هذه العبارة " لم أجده" قول في التفسير فالمراد أن الباحث لم يجده بعد المراجعة في الكتب التالية :

**التفاسير: تفسير الآلوسي و البحر المحيط و البغوي و البيضاوي مع حاشية الشيخ زاده عليه** وابن أبي حاتم ( للقسم المطبوع ) و الخازن و الطبري وعبد الرزاق و ابن عطية و الكشاف مع حاشيتيه للجرجاني وابن المنير وابن كثير والنهر الماذ.

وكتب أحكام القرآن: للجصاص و السايس و ابن العربي و تفسير القرطبي .

وكتب معاني القرآن لأبي عبيدة والفراء والأخفش والزجاج و كتب أخرى إذا احتمل أن يكون القول واردا بها .

**لم أقف على قائله : " للشعر " .**

المراد أن الباحث لم يجد قائل البيت من الشعر في المراجع التالية :

أدب الكاتب لابن قتيبة والأصمعيات والإنصاف للأنباري والبيان والتبيين للجاحظ وتاج العروس و تاريخ الطبري وحماسة أبي تمام وجمهرة أشعار العرب وخزانة الأدب وشرح ابن عقيل وعليه منحة الجليل لمحمد محيي الدين عبد الحميد و شرح شواهد المغني للسيوطي وصحاح اللغة

للجوهري و العقد الفريد و كتاب سيبويه و الكامل للمبرد ولسان العرب ومجالس ثعلب والمعاني الكبير لابن قتيبة والمفصل وشرحه الإيضاح لابن الحاجب و المفضليات و كتب التفسير ومعاني القرآن السابقة و إذا احتمل أن يكون قائل البيت في مصادر أخرى رجعت إليها .

**شرح مختصرات المراجع:**

**الأعلام:** الأعـــــــــلام لخيـــــــر الديـــــن الزركلـــــــــــي .

- تفسير الألوسي : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني .
- تفسير البغوي : معالم التنزيل في التفسير و التأويل .
- تفسير البيضاوي : أنوار التنزيل و أسرار التأويل .
- تفسير الخازن : لباب التأويل في معاني التنزيل .
- تفسير الرازي : التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب .
- تفسير الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن .
- تفسير ابن كثير : تفسير القرآن العظيم .
- تفسير القرطبي : الجامع لأحكام القرآن .
- الدر المنثور : الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي .
- فتح الباري : فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر .
- الكشاف : الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري .

بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدمة

## أولاً : توطئة

الحمد لله رب العالمين الذي أنزل كتابه الكريم بالروح الأمين على قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين ليكون هدى للمتقين .

أحمدك ربي حمداً كما ينبغي لجلال وجهك و عظيم سلطانك ، أحمدك ربي أن أرشدتني لخدمة كتابك الكريم و دينك الحنيف .

والصلاة والسلام على سيدنا وقدوتنا محمد وعلى آله أهل ودي الطاهرين وعلى صحابته الكرام الغرّ الميامين ومن سار على دربهم من العلماء العاملين المخلصين وعلى الدعاة الذين ذابت أجسادهم صبراً و مصابرة ليتيروا طريق الهدى للعالمين ، وعلى حُماة الإسلام الذين ضربوا المثل الأعلى فداء وبسالةً لهذا الدين في قرننا العشرين ، ومن سار على دربهم إلى يوم الدين اللهم آمين .

أما بعد :

لمّا كان علم القرآن أشرف العلوم و كان أشرف علوم القرآن علم التفسير ، فقد اخترت علوم القرآن والتفسير مجالاً لتخصصي ، و ذلك طلباً لمعالي الأمور و خير العلوم . وذلك كي أُشرف بخدمة كتاب الله تعالى وأتابع السير في ذلك فمن تفسير " من نسمات القرآن "إلى " نفحات على نسمات القرآن" ولأخرج أخيراً تفسيراً عظيماً كاد أن يندثر وهذا التفسير هو « **تيسير المنان تفسير القرآن** ».

لمؤلفه أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر الكوكباني .

و كان نصيب الباحث في هذا التفسير دراسة و تحقيق فضائل القرآن و علومه في مقدمة المؤلف وتفسيره للجزء الأول من القرآن الكريم ، و يشمل تفسير سورة الفاتحة و ١٤٢ آية من سورة البقرة .

و إنني لأدعو الله سبحانه أن يجعل عملي هذا موفقاً مسدداً و أن يرزقني الإخلاص و العمل بما فيه و ينفع المسلمين به ، اللهم آمين .

## ثانياً : أهمية الموضوع و سبب الاختيار :

ويتضح ذلك بالأمور التالية :

١- خير العلوم هي علوم القرآن و تفسيره .

٢- طلبا لبركة العمر وسعادة الحياة بالعيش مع القرآن فتلك نعمة لا يدرك كنهها إلا من عاشها .

٣- العمل على إحياء التراث الإسلامي عامة و اليمني خاصة طالما أن اليمن في القسم الشمالي منها تحتوي على مكتبة تراث ضخمة لم يسرق الاستعمار الأوروبي منها إلا القليل ، إذ لم يطأ أرضها، فبقي التراث بكراً غضاً وفيراً .

٤- لكي يستقي الباحث العلوم الغزيرة في التفسير وخاصة بما اتضح في تفسير " تيسير المنان " من التفسير المأثور واعتناء نادر باللغة عامة والنحو خاصة لتفسير آيات الكتاب الكريم .

ولا أدعي أني قد بلغت في رسالتي هذه الكمال و إنما بذلت ما في وسعي ، ابتداءً كتابتي للمخطوط وما تطلب ذلك من مقارنة بين النسختين ، النسخة الأولى بخط المؤلف والنسخة الثانية ودراسة ما كتب المؤلف و تخريج شواهده و كل ما يدخل في خدمة النص مما هو معروف في صنعة التحقيق .

و بعد هذا الجهد الذي حاولت فيه بلوغ الغاية أفتقر دائما إلى نصيحة العلماء المختصين طلبا لما هو أتقن و أفضل .

## ثالثاً : خطة البحث :

القسم الأول : الدراسة عن المؤلف و مقدمته و تفسيره للجزء الأول من القرآن الكريم وفيه أربعة فصول :

**الفصل الأول :** عصر الكوكباني - ويشمل مبحثين :

- المبحث الأول : الحالة السياسية .
- المبحث الثاني : الحالة العلمية .

**الفصل الثاني :** حياة المؤلف ويشمل :

- المبحث الأول : نسبه و ولادته و أسرته و نشأته .

- المبحث الثاني : شيوخه و معاصروه و تلاميذه .
- المبحث الثالث : مؤلفاته و آثاره العلمية في الشعر و النثر .
- المبحث الرابع :تحقيق اسم الكتاب ونسبته إلى صاحبه .

**الفصل الثالث :** منهجه و طريقته في التفسير .

- المبحث الأول : جمعه بين الرواية و الدراية .
- المبحث الثاني : تناوله لفضائل القرآن و لمواضيع علوم القرآن و القراءات ويشمل:

أولاً : فضائل القرآن .

ثانياً : نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف .

ثالثاً : القراءات .

رابعاً : أسباب النزول .

خامساً : الناسخ و المنسوخ .

سادساً : الحروف المقطعة في أوائل السور .

- المبحث الثالث : اهتمامه باللغة ، نحواً و صرفاً و بلاغة .
- المبحث الرابع : اهتمامه بالمسائل العقدية و الأحكام الفقهية .

**الفصل الرابع :** القيمة العلمية و الفنية للكتاب .

- المبحث الأول : مصادره و مراجعه في الرواية و الدراية .
- المبحث الثاني : قلة الإسرائيليات في تفسيره .
- المبحث الثالث : ما يؤخذ على الكتاب .

أ-في الرواية .

ب-في الاعتزال .

ج-ما يؤخذ عليه في القراءات .

د-ما يؤخذ عليه في اللغة .

- المبحث الرابع : أهمية الموضوع و سبب الإختيار .
- المبحث الخامس : وصف المخطوطتين .

القسم الثاني: التحقيق ومنهجه

الفصل الاول – منهج الباحث في التحقيق.

الفصل الثاني – ؟؟ في التحقيق.

و يحتوي على تحقيق المخطوط في مقدمة المؤلف عن علوم القرآن و تفسير سورة الفاتحة والبقرة حتى الآية ( ١٤٢ ) منها .

الخاتمة : و فيها تلخيص لموضوع البحث مع أهم النتائج والتوصيات .

رابعاً –

## شكر وتقدير

عرفاناً بالجميل أتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذي الفاضل

الدكتور / عبدالله محمد خير احمد حفظه الله ورعاه

لما ميزني من عناية نادرة ، وأعطاني من غزير توجيهه العلمي ماقوم به هذا البحث ، ولما أعارني من كنـوز مكتبتـه الخاصـة لإثـراء رسـالتي ، ولما أعطاني من دروس عملية في أخوة الإسلام الصادقة .

كما أتقد بالشكر والثناء إلى :

* فضيلة الأستاذ الدكتور /

* وفضيلة الأستاذ الدكتور /

اللذين تفضلا بقراءة هذه الرسالة وإثرائها بتوجيهاتهما الرشيدة وعلومهما الغزيرة فجزاهم الله خيراً .

* كما أتقدم بالشكر الجزيل لجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية على حسن النظام وطيب المعاملة .

* وأتقدم بالشكر أيضاً إلى السودان المسلم حفظه الله وسائر أهلـه ذخـراً للإسلام لما فتح من أبواب العلم والمعرفة أمام المسلمين .

## اعتراف بالفضل ودعاء

إلى أستاذي الذي علمني القرآن قرة عيني العلامة المجاهد :

**الشيخ محمد الحامد**

* إلى أمي الحنون فائقة عبدالقادر السمان التي طال فراقها للأوطان ولأستاذتها أم هاشم الصيادي رحمها الله تعالى .

* إلى أبي عبدالسلام ... الذي وقع أجره على الله فتوفاه الله في الإمارات العربية المتحدة .

* إلى خالي عدنان عبدالقادر السمان الذي لقنني على صغر مقارعة الجاهلية الحديثة بمقاصد آيات سورة البقرة .

* إلى أخي عبدالمجيد الذي كان عوناً وأنساً لوالديه وإخوته في غربتهم .

إلى هؤلاء الخمسة ثم إلى أسرتي وأحبتي حماة الإسلام أقدم :

خالص التضرع بالدعاء لله الكريم أن يجعل كل ماكتبت في صحائفهم يوم يقوم الناس لرب العالمين ، وأن يجمعنا بهم في الفردوس الأعلى وحسن أولئك رفيقاً .

غسان حمدون

حماة - صنعاء

# القسم الاول

## الفصل الأول

## عصر الكوكباني

### المبحث الأول :

الحالة السياسية في اليمن وتشمل.

أولاً – أقسام اليمن الإدارية والجغرافية[1] :

وقد كانت تنقسم اليمن في عصر الكوكباني إلى أربعة أقسام كبيرة هي :

(١) تهامة .

(٢) منطقة الجبال و السهول الشرقية .

(٣) حضرموت .

(٤) الربع الخالي .

ثانياً – إسلام اليمانيين :

كان رسول اللهﷺ يتطلع إلى إيمان أهل اليمن و يدعو الله بذلك ، فعن زيد بن ثابت ﷺ : أن النبي ﷺ نظر قبل اليمن ، فقال : ( اللهم أقبل بقلوبهم و بارك لنا في صاعنا و مدنا ) رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب[2] و رواه أحمد بمسنده بنحوه مطولا[3] .

بعث النبي ﷺ خالداً و علياً إلى اليمن ، فعن البراء ﷺ قال : بعثنا رسول اللهﷺ مع خالد بن الوليد إلى اليمن ، قال : ثم بعث عليا بعد ذلك مكانه فقال : مر أصحاب خالد من شاء منهم أن

---

(١) انظر كتاب المقتطف من تاريخ اليمن تأليف القاضي عبد الله عبد الكريم الجرافي اليمني ( صفحة ٤ )– ط دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي و شركاه مصر سنة ١٣٧٠ هـ ، ١٩٥١ م – .

(٢) سنن الترمذي في تحفة الأحوذي ( ١٠ / ٣٠٠ / ٤٩١ )

(٣) مسند أحمد ( ٦ / ٣٣٦ / ٢١١٠٠ ) – ط دار إحياء التراث –

يعقب[1] معك فليعقب و من شاء فليقبل ، فكنت فيمن عقّب معه ، قال : فغنمت أواق ذات عدد. – رواه البخاري[2] .

زاد الإسماعيلي[3] : فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا فصلى بنا علي و صففنا صفا واحدا ثم تقدم بين أيدينا فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت همدان جميعا فكتب علي إلى رسول الله ﷺ فلما قرأ الكتاب خر ساجدا ثم رفع رأسه و قال : السلام على همدان[4] .

و تتابع دخول أهل اليمن في الإسلام و جاؤوا إلى النبي ﷺ بقلوبهم فاستجاب الله دعوته ﷺ ، فعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: (( أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا ، الإيمان يمان والحكمة يمانية ، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل ، والسكينة والوقار في أهل الغنم )) رواه الشيخان [5] والترمذي [6] .

**حكام اليمن في عهد الإمام الكوكباني :**

تعتبر اليمن مؤنل آل بيت رسول الله ﷺ قديماً و حديثا ، و كان منهم الإمام زيد بن علي الذي اتخذ من اليمن أرضاً لدعوته و انتشار مذهبه، و كان حكام اليمن على مر العصور يغلب عليهم أن يكونوا من آل بيت رسول ﷺ .

---

[1] أن يعقب : أن يرجع معك إلى اليمن بعد أن رجع منه خالد .

[2] رواه البخاري في صحيحة ( ٥ / ١٢٩ / رقم ٤٣٤٩ ) – ط دار الفكر – .

[3] هو محمد بن إسماعيل بن بهران النيسابوري المعروف بالإسماعيلي ( أبو بكر ) محدث ، حافظ ، رحال ، حدث و جمع و صنف و توفى في ذي الحجة سنة ٢٩٥ هـ ، من تصانيفه كتب الصحابة ، قال الحاكم : هو أحد أركان الحديث بنيسابور كثرة و رحلة و اشتهارا – انظر معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ط مؤسسة الرسالة . ( ٣ / ١٣٦ ) و تهذيب سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي – ط مؤسسة الرسالة ( ٢ / ٨ ).

[4] السيرة النبوية لأحمد زيني دحلان رحمه الله ( ٢ / ٣٤٦ ) – ط دار إحياء التراث –

[5] رواه البخاري في صحيحه ( ٥ / ١٤٣ / ٤٣٨٨)
رواه مسلم (٧٤/١) بنحوه .

[6] سنن الترمذي في تحفة الأحوذي ( ١٠ / ٣٠١ / ٤١٩٢ ) مختصرا .

و منهم الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد مؤسس الدولة القاسميةسنة ( ١٠٠٦ ) هـ و كان في أولاده الملك و الرياسة باليمن[١] حتى سقوطها نهائيا عام ١٩٧٠ م .

رابعا : المظاهر البارزة للحالة السياسية باليمن :

أ-إن الحكم يكاد ينحصر في حياة الإمام الكوكباني بالقاسميين أحفاد الإمام المنصور بالله القاسم.

ب-كثرة القلاقل و الخروج على الحاكم الذي يسمونه الإمام، و أهم هذه القلاقل ،هو قطع الطرق ففي عام ١٩٢٥ تم سيطرة خولان على بعض الطرق، و جعلوها تحت سيطرة سالم شديق وبني ظبيان فنهبوا حتى وزيره[٢] . و مثل ذلك كثير في زمن الإمام الكوكباني رحمه الله، فتعتبر الطرق مشكلة تحتاج إلى حزم شديد من الحاكم حتى يسيطر عليها ، أما الخروج على الإمام فقد حدث في عهود متعددة ، و هذه عدة أمثلة على ذلك :

حكم المهدي عبد الله بن المتوكل من عام ١٢٣١ إلى عام ١٢٥١ و بايعه العلماء عند توليه والرؤساء وأعيان البلاد و قد وزع الأموال على الفقراء و الأرامل و المعسرين ، وكسا الجنود ، وكانت أيامه أيام راحة ورخاء ، أقام الشريعة الإسلامية عدة سنين وكان باسلاً مقداماً غزا قبائل أرحب في بلاده، و أسر أعيانها و أتى بهم مكبلين بالأغلال عندما اعتدوا على الطرق[٣] ، و مع ذلك فقد خرج عليه الإمام الهادي أحمد بن علي السراج الهادي ، و التفت حوله طائفةو أحاطت القبائل الثائرة بصنعاء إلا أنهاما لبثت أن تفرقت عندما أرسلت الأموال لرؤسائها[٤] .

و الإمام المتوكل محمد بن يحيى تولى الحكم عام ١٢٥٩ هـ و ثار عليه أهل صنعاء و قتلوه بعد ذلك. و في هذه السنة خرج المنصور بالله أحمد بن هاشم من بلاد صعدة و جمع بعض رجال القبائل و وصل بهم إلى مدينة عمران على مقربة من صنعاء فخرج علي بن المهدي لقتاله إلى صنعاء ولكنه انهزم شر هزيمة .

---

[١] انظر المقتطف من تاريخ اليمن ( صفحة ٢٤ ) و البدر الطالع ( ٢ / ٤٩ ) .

[٢] انظر المقتطف من تاريخ اليمن ( صفحة ١٩٣ )

[٣] المقتطف من تاريخ اليمن ( صفحة ١٩٤ )

[٤] المقتطف من تاريخ اليمن ( صفحة ١٩٤)

ج-دخل الأتراك إلى صنعاء بجندهم و خرجوا منها بعد قلاقل كثيرة على أن يعودوا للحديدة و يبقوا في تهامة .

د-في سنة ١٢٥٥ هـ احتل الإنجليز مدينة عدن بعد أن تدخلوا أولا في سنة ١٢٤٥ هـ و نزلوا فيها بحجة إنزال الفحم و كانوا يرغبون في إنشاء مستودع للفحم في نصف الطريق ما بين الهند وبريطانيا ويكون في البحر الأحمر ، لتتزود منه بواخرهم بالوقود[١] ، و تعللوا بعد ذلك في أن بعض اللصوص قد سطوا على إحدى بواخرهم في ميناء عدن ، و أرادوا دخول عدن فكانت معركة حامية الوطيس و احتلوا قسماً من عدن [٢] ثم توسعوا إلى عدن و غيرها في وسط معارك دامية .

**المبحث الثاني:**

الحالة العلمية في عصره :

يعتبر عصر الإمام الكوكباني عصراً ذهبياً من الناحية الفكرية في حياة اليمن ، و ذلك للإضاءة العلمية الحرة الطليقة التي نشرها القاضي محمد بن علي الشوكاني الذي ولد عام ١١٧٣ هـ وتوفى عام ١٢٥٠ هـ[٣] ، فقد ألغى أمرا اسمه التعصب الذميم لمذهب الزيدية أو غيرهم في حياة اليمن ونشر الرأي السليم باتباع الدليل الشرعي أينما كان سواء في العقيدة أو في فروع الفقه ، فلم يأخذ بالاعتزال الذي كان يعتنقه كثير من زيدية اليمن كما خالف أقوالهم في كثير من فروع الفقه .

كان للإمام الشوكاني رحمه الله كثير من التلامذة الذين نشروا علمه في أنحاء اليمن دعاة على منهج أهل السنة و الجماعة و ألف لذلك كتباً كثيرة انتشرت في داخل اليمن وخارجها منها في التفسير " فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدرايةمن علم التفسير " الذي تناقله العلماء بالقبول و الثقة . وفي الحديث " نيل الأوطار و شرح منتقى الأخبار " و له كتاب " تحفة الذاكرين " و " الدرر البهية و شرحها الدرر المضية " و " إرشاد الفحول في علم الأصول " الذي يعتبر مرجعا فريدا في علم الأصول المقارن في كل المذاهب الفقهية .لقد جعل هذا العالم العظيم الحالة العلمية في اليمن سامية ، ولا شك

---

(١) (٢) كتاب بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى ملك اليمن من ملك و إمام ، تأليف القاضي حسين بن أحمد العرشي صفحة ( ١٧٦ - ١٧٧ ) - ط- دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان -

(٣) نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر ( ٢ / ٢٩٧ - ٣٠٢ ) - ط- دار العودة بيروت العودة بيروت ، تاليف محمد بن محمد زبارة الصنعاني.

أن الإمام الكوكباني قد استفاد من هذا السمو الذي أتاح له أن ينطلق دون تعصب مذهبي و معوقات له من أصحاب التقليد الذميم .

وكان الإمام عبد القادر بن محمد الكوكباني وأحد أجداد الإمام الكوكباني وأحد شيوخ الإمام الشوكاني الذين تلقى عنهم العلم[1] لكن وافته المنية قبل أن يأخذ عنه الإمام الكوكباني شيئا و توفى عام ١٢٠٧ هـ.

لقد كان الإمام الشوكاني يعبد ربه في خوف و رجاء فيقول بعد كل الذي قدم للأمة الإسلامية :

فكـرت فـي علمـي و فـي أعمـالي ... و نظـرت فـي قولـي و فـي أفعـالي
فوجـدت مـا أخشـاه منهـا فـوق مـا ... أرجـو فطـاحت عنـد ذا آمـالي
و رجعـت نحـو الرحمـة العظمـى إلـى ... مـا أرتجـي مـن فضـل ذي الأفضـال
فغـدا الرجـا و الخـوف يعتلجـان فـي ... صـدري و هـذا منتهـى أحوالـي[2]

---

[1] نيل الوطر ( ٢ / ٢٩٧ )

[2] المرجع نفسه ( ٢ / ٣٠٢ ) ، و انظر ديوان الشوكاني في أسلاك الجوهر تحقيق و دراسة حسين بن عبد الله العمري ( صفحة ٣٠١ ) – ط دار الفكر سورية دمشق ١٩٨٦م-.

الفصل الثاني

# حياة المؤلف و عصره

## المبحث الأول :

نسبه و ولادته و أسرته و نشأته :

**نسبه** : هو أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن الحسين بن عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب بن علي بن شمس الدين بن الإمام المتوكل على الله شرف الدين بن شمس الدين بن الإمام المهدي أحمد بن يحيى .

هذا هو الاسم الذي كتبه المؤلف رحمه الله تعالى بخط يده في النسخة ( أ ) و ما نقل عنه في النسخة ( ب ) .

**ولادته** : ولد المؤلف رحمه الله في عام ١٢٣٥ هـ تقريباً في مدينة كوكبان من بلاد اليمن .

**أسرته** : تنتمي أسرة المؤلف رحمه الله تعالى نسباً إلى رسول الله ﷺ و اشتهر منها على مر الأيام علماء أفذاذ منهم الإمام الشيخ عبد القادر بن محمد الكوكباني رحمه الله ولقد سار الشوكاني على نهج هذا الشيخ بالاجتهاد الحر بعيداً عن التعصب المذهبي و قد قال عنه :

" هو شيخنا الإمام المحدث الحافظ المسند المجتهد المطلق "[1] .

و بوجود هذه الأسرة الطيبة في مدينة كوكبان أصبحت مونل العلماء و مجمعهم لما لمع فيها من نجوم علمية منها عبد القادر هذا و ابنه إبراهيم الذي أبدع في العلوم حتى ألف بعض الكتب منها " إبانة المقال في حكم التأديب بالمال " و " فتح المنان في بيان حكم الختان " و غير ذلك من الكتب[2] .

**نشأته** : و لقد سار أحمد بن عبد القادر على نهج جده و أفراد أسرته في تلقي العلم الشرعي و خدمة الإسلام .

---

[1] البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للإمام محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ ( ١ / ٣٦٠ ) – ط دار المعرفة بيروت –

[2] نيل الوطر ( صفحة ١١ – ١٢ )

## المبحث الثاني

شيوخه و معاصروه و تلامذته:

**أولاً شيوخه :**

قال الإمام الكوكباني رحمه الله تعالى في الصفحة العاشرة من مخطوطه عند تفسير البسملة:

ما أحسن ما أملاني شيخنا السيد الأجلّ صارم الدين إبراهيم بن محمد زبيبة رحمه الله تعالى:

أفي الحق أن يعطى ثلاثون شاعرا ... ويحرم من دون الرضا شاعر مثلي

كما سامحوا عمرواً بواو مزيدة ... وضيق بسم الله في ألف الوصلي

فهذا هو الشيخ الوحيد الذي صرح بتلمذته عليه و هو من علماء اليمن الأجلاء المشهورين .

قال محمد بن محمد زبارة عنه : " السيد العلامة الأديب الأريب الذكي إبراهيم بن محمد بن عبد الهادي الحيداني المعروف بزبيبة الحسني الكوكباني ، مولده في شهر جمادى الأخرة سنة ١١٨٣ هـ بكوكبان ، و بها نشأ فأخذ عن السيد العلامة إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد ، وعن غيره من علماء عصره في النحو و الصرف و المنطق فاستفاد و طالع الدواوين الشعرية و الكتب الأدبية و التاريخية و اشتغل بنظم الشعر و النثر و مطارحة الأدباء و البلغاء بعصره فمهر في ذلك ، و كان له حسنُ محاضرة و ذكاءٌ و ألمعيةٌ و نقد و حافظة . و كان نزوله مع السيد عبد الله بن أحمد بن محمد الكوكباني الآتي ذكره إلى الشريف محمود بن محمد الحسني إلى تهامة في سنة ١٢٢٩هـ فدرس هنالك في فنون من العلم ، و حضر دروس الشريف الحسن بن خالد الحازمي و كان يعظمه كثيرا لما كان عليه صاحب الترجمة من جودة الفهم و حسن البراعة و التحقيق وسعة الصدر و التدقيق .

ومن شعره قوله :

وغادة قد برقعت وجهها ... و أبدت الساق لعشاقها

فحركت ساكن أشواقهم ... و قامت الحرب على ساقها

و كتب المترجم له إلى السيد إبراهيم بن عبد الله الحوثي ملغزا بقوله :

يا صارم الإسلام يا خير من ... رقا سماء المجد و الفخر

مـــا مضمـــر جُـــر بحـــرف و لـــم  يجـــز عليـــه العطـــف بـــالجر
ســـواءأعـــدت الحـــرف أم لـــم تعـــد  فمـــا ســـوى الرفـــع بهـــا يجـــري

فأجاب السيد إبراهيم الحوثي رحمه الله بقوله :

يـــا واحـــدا فـــي العصـــر يـــا ســـاحر  الأليـــــاب بـــــالمنظوم و النـــــثر
أتـــى نظـــام منـــك فـــي ضمـــنه  مخـــايل الســـحر بـــلا نكـــر
و خـــذ جوابـــا فـــي المثـــال الـــذي  ألغزتـــه كلـــفتـــه فكـــري
لـــولاك و المنظـــوم إذ جـــاءنـــي  لـــم يـــبرز المضمـــر فـــي شعـــري

ومن شعر صاحب الترجمة يرثي الأستاذ عبد القادر بن أحمد :

خطـــب يـــذال[1] لـــه مصـــون الأدمـــع  و تشـــب منـــه جـــذوة فـــي الأضلـــع
كـــادت لموقعـــه تزلـــزل روعـــة  لهجومـــه شـــمُّ الجبـــال الخشـــع
خـــبر يصـــك مســـامعاً مـــن ذي النهـــى  و يثـــير أحـــزان الفـــؤاد الموجـــع

و من شعر المترجم له رثاء للسيد شرف الدين بن أحمد أمير كوكبان في سنة ١٢٤١ هـ :

رزءٌ أتـــى و مـــن الأحـــزان أشـــجاها  و صدمـــة عـــم كـــل النـــاس بلواهـــا

وكانت وفاة صاحب الترجمة ليلة عيد الفطر سنة ١٢٥٩ هـ بكوكبان عن ست و سبعين سنة من مولده رحمه الله تعالى و إيانا و المؤمنين آمين[2] .

**ثانياً معاصروه:**

أ-أهم العلماء الذين عاصرهم الإمام الكوكباني هو القاضي محمد علي الشوكاني الذي ملأ اليمن علما و دعوة و إرشادا و قد ولد سنة ١١٧٣ هـ و مات سنة ١٢٥٠ هـ كما مر معنا .

ب-القاضي أحمد بن عبد الرحمن المجاهد الصنعاني ، ولد رحمه الله في سنة ١٢٢٤ هـ في مدينة صنعاء و أخذ العلم عن والده وعن غيره من العلماء في علوم الآلة و الحديث في الأمهات الستة و وطأ مالك وفي التفسير كذلك و مؤلفاته"كتاب نيل المنى في شرح أسماء الله الحسنى" و

---

[1] ذال الشيء : هان - انظر القاموس المحيط ( صفحة ١٢٩٥ ) مادة ( ذيل )

له مؤلف في أصول الدين و مقدمة في علم التفسير سماها" فتح الله الواحد "توفي رحمه الله سنة ١٢٨١ هـ[١]

ج-القاضي أحمد بن محمد بن علي الشوكاني الذي ولد عام ١٢٢٩ هـ و كان له اشتغال بمؤلفات والده الإمام الشوكاني و نفع الله الناس بعلمه و تولى قضاء صنعاء ، له مؤلفات منها " كشف الريبة في الزجر عن الغيبة " و " السموط الذهبية " توفى رحمه الله تعالى في عام ١٢٨٠ هـ[٢]

د-السيد الحسن بن عبد الرحمن الكوكباني ، كان علامة و مؤرخا ، يتصل نسبه بالإمام الكوكباني فيرجعان إلى جد واحد هو عبد القادر بن الناصر ، أخذ العلم عن الأستاذ عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر ، في سنة ١٢٠٨ هـ حج و اتصل في مكة بالسيد الإمام إبراهيم بن محمد بن إسماعيل الأمير وحفظ عنه وصايا ، و روى عنه قضايا ، و حفظ الأشعار و قد ترجم له مؤلف " نفحات العنبر " فقال في أثناء الترجمة :" نشأ متخلقاً بأخلاق أهله من الكرم و اللطافة وحسن الخلق وشرف النفس والإقبال على قراءة العلوم والمذاكرة في الفنون .... "[٣] وله مؤلفات في التاريخ والأدب ، كانت وفاته رحمه الله في سنة ١٢٦٥ هـ بكوكبان [٤] .

**ثالثاً : تلامذته :**

لا أعلم تلامذة للإمام الكوكباني لا في كتاب و لا مشافهة كما علمت من أحفاده و أقاربه كحمود شرف الدين و غيره .

**المبحث الثالث :**

مؤلفاته و آثاره العلمية في الشعر و النثر :

**أولاً : الشعر :**

---

[٢] نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر ( ١ /٣٩ - ٤١ )

[١] نيل الوطر ( صفحة ١١١ - ١١٣ )

[٢] نيل الوطر (١ / ٢١٥ - ٢٢٣ )

[٣] نفحات العنبر مخطوط لم أستطع الوصول إليه و فيه ترجمة أعلام من اليمن .

[٤] نيل الوطر ( صفحة ٣٢٩ - ٣٣٦ )

يتمتع الإمام الكوكباني رحمه الله بنفحة شعرية طيبة نجدها في آثاره ، و أهم هذه الأشعار هي ما كان في الثناء على الله سبحانه و تعالى فيقول رحمه الله :

يـا لطيـف الصنـع يـا رب العبـادْ فـرج الهـم فقـد ضـاق الفـؤادْ

مـن معينـي مـن عليـه الاعتمـاد مـن لتفريـج المضيقـات الشـدادْ

مـن غمـر بـالجود خلقـه ثـم زاد و حبـاهم كـل مطلبهـم و جـاد [1]

ومن شعره رحمه الله تعالى في شكر الله وطلب معونته :

لك الشكر يا من جل عن غاية الشكر و لـو أربـى عـلى الـرمـل و الـقطـر

لك الشكر يا باري البرية كلها و رازقها الأرزاق من حيث لا تدري

لك الشكر و الحمد الذي أنت أهله مليا على الحالين في العسر و اليسر

إلهي قسا قلبي و ضاقت مذاهبي و أوبقني جهلي و أثقلني وزري[2]

و نجد الإمام الكوكباني رحمه الله يحمد الله سبحانه و تعالى حمداً يتقرب فيه إليه لكي يشفيه من سقمه ، فقال رحمه الله تعالى مخاطباً ربه سبحانه:

لك الحمد حمدا دائماً و لـك الـشكـر لك الحمد حمداً لا يطاق لـه حـصـر

لـك الحمد مـا غنـى المطـوق آمنـاً بغصـن رطيـب لا يروعـه الـصقـر

لك الحمد ربي كلما هبت الصبا فمالت غصون البان و ابتسم الزهر

لـك الحمد حمداً يملأ الأرض و السما و ما فيهما ما دامت الأنجم الزهر

لك الحمد يا ذا الجود و العز و البقا لك الحمد يا من اسمه الصمد الوتر

لـك الحمد يا من ليس يعلم قدره سواه و يا من لا يغيره الدهر

لـك الحمد يا من لا يخيب راجيا دعا خائفاً من أن يلم به عسر

لـك الحمد يا محي العظام رميمة و يا شافيا أيوب إذ مسه الضر

و يا كاشف السقم الذي قد أصابني لك الحمد حمدا دائما و لك الشكر

---

[1] هذه الأبيات مما أخذناه من ذرية المؤلف و أقاربه مع مخطوط الأصل على أنها من شعره .

[2] المصدر السابق نفسه .

و صلّ إلهي كل يوم و ليلة  على أحمد المختار ما طلع الفجر[1]

والإمام الكوكباني رحمه الله يحس بالأنس بربه سبحانه و لذيذ مخاطبته إن جفاه الناس أو اقتربوا منه فالأمر عنده سواء لأنه يحيا مع الله جل جلاله .

قال رحمه الله تعالى في قصيدة له :

لا أبالي و لا أخاف و أخشى  إن جفاني جميع أهلي و صحبي

إنني واثق بربي تعالى  وهو عوني سبحانه و حسبي

حسبي الله لا أخاف سوى الله  ولا أرتجي سوى الله ربي

حسبي الله من يجيب دعائي  حين أدعوه ضارعاً و ألبّي

حسبي الله لست أخشى عدوا  هي نعم السلاح لي يوم حربي

حسبي الله إن ساءني سوء دهري  وسقاني من مشرب غير عذب

حسبي الله سلوتي وسروري  وهي راحي حقاً و راحة قلبي[2]

والإمام الكوكباني رحمه الله تعالى مولع القلب حباً بالرسول ﷺ و هو كثير الصلاة عليه وينصح كل مؤمن بذلك فقال :

إن الصلاة على الدليل الهادي  فيها الدواء لداء كل فؤاد

إن شئت أن تكفى همومك كلها  و تنال في دنياك كل مراد

فاجعل صلاتك كلها يا صاحبي  لرسول رب العالمين و نادي

إلى أن يقول رحمه الله تعالى :

ثم الصلاة عليك يا نور الهدى  بعد الظلام فأنت أنت الهادي

صلى عليك الله أنت النعمة  العظمى و أنت الروح للأجساد

صلى عليك الله لولا أنت ما  ظهر الورى في حيز الإيجاد

---

[1] المصدر من ذرية المؤلف رحمه الله مما احتفظوا به من شعر الإمام الكوكباني .

[2] ذرية المؤلف رحمه الله .

صلـــى عليـــك اللـــه لـــولا أنـــت مـــا  طلعـت شمـــس بـصبـــح بـــــاد

صلـــى عليـــك اللـــه لـــولا أنـــت مـــا  دارت عـــلـــى فلـــك و لا إرصـــاد

صلـــى عليـــك اللـــه أنـــت نصيرنـــا  و شفيعنـــا المقـــبول عنـــد جـــواد

صلـــى عليـــك اللـــه أنـــت إمامنـــا  و أمامنـــا إن آن يـــوم تنـــاد[1]

و الإمام الكوكباني رحمه الله كان داعية للخير آمرا بالمعروف و ناهيا عن المنكر ، و قد ساءه رحمه الله ما يستخدم في بعض الأفراح من منكرات فنصح و أحسن النصيحة فكان مما قال[2] :

كـم قـضـــايا تـحـــار منهـــا العقـــول  و رزايـا تـكـــل مـنـهـــا النصـــول

منـكـــرات بـــرزن فـي زي غـــــادا  ت حـســـان لـنـــا إلـيهن ميـــول

مـــا طلـــبنا الوصـــال منهـــن إلا  و اتـفـقـنـــا و مـــا هـنـــاك عـذول

قد نهانـا الكتـاب و الـسـنـة الـبـيـــ  ـضـاء عنها و بـان فـيـــها السبيـــل

فسـمعناها و قـلـنـــا سمعنـــا  و أطعنـا هـذا الـصـحـيـــح الـــدليل

و لقينـــا المـــجال ثـــم أبحنـــا  منكـرات منـهـــا الـــغنا و الطبـــول

و المزامـــير و الرقـــص مـــع التحـــ  ـــتاح و الـمـــحجرات ثـم الخمـــول

و أبحنـــا لكل أنثـــى تـمـد الـــطـــر  ف للمشـــتهي و لا تـعـويـــــل

يتفرجن مـــن رؤوس الـــعـــوالـــي  و يتـــبرجن مـــا هنـــاك عـــدول

ثـم لا بـــأس إن أردن اجـتـمـاعـــا  بمشـــوق هـــو الكليـــم الـخليـــل

و كـشـفـنـا عـن الـحـيـــاء قـنـاعا  فاتـفـقـنـــا الـســـراج و الـقـنديل

---

[1] المصدر نفسه ذرية المؤلف.

[2] هذا جزء من قصيدة طويلة في اثنتين و ثلاثين بيتا للإمام الكوكباني من كتاب نيل الوطر (صفحة ١٠٦-١٠٧).

وهذا الذي نقلناه هو بعض شعر الكوكباني لا كله لذلك لا نعجب إذا قال عنه زبارة : " كان صاحب الترجمة عالما فاضلا شاعرا بليغا أديبا أريبا لطيفا ظريفا ، كاتب عدة من أدباء عصره بكثير من قصائده الهزلية [1] .

**ثانياً النثر :**

لا نعلم للإمام الكوكباني أي كتابات نثرية اللهم إلا تفسيره ، فهو الكتاب الوحيد الذي جاء في النثر ، و بهذا يكون الإمام الكوكباني لم يترك لنا فيما وصلنا إليه إلا مجموعته الشعرية وتفسيره ولا بد لنا من الكلام عن تفسيره في المبحث التالي :

**المبحث الرابع :**

تحقيق اسم الكتاب و نسبته إلى صاحبه :

أولاً : اسم الكتاب : هو تيسير المنان تفسير القرآن

وأما كلمة المنان فهو اسم من أسماء الله الحسنى ، فقد جاء معناه في لسان العرب كما يلي : " قال أبو بكر [2] و في أسماء الله تعالى الحنان المنان أي الذي ينعم غير فاخر بالإنعام . و قال في موضع آخر في شرح المنان ، قال : معناه المعطي ابتداء ، و لله المنة على عباده ، ولامنة لأحد منهم عليه ، تعالى الله علوا كبيرا . و قال ابن الأثير [3] : هو المنعم المعطي من المن في كلامهم

---

[1] كتاب نيل الوطر ( صفحة ١٠٥ )

[2] هو أبو بكر محمد بن أبي محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري النحوي صاحب التصانيف في النحو والأدب ، كان علاّمة وقته في الآداب و أكثر الناس حفظا لها ، و كان صدوقا ثقة دينا خيرا من أهل السنة صنف كتبا كثيرة منها " غريب الحديث " قيل أنه ٤٥ ألف ورقة ولد رحمه الله سنة ٢٧١ هـ و توفى سنة ٣٢٨ هـ - أ هـ وفيات الأعيان ( ٤ / ٣٤١ - ٣٤٢ - ) أغلب الظن أن هذا هو أبو بكر الذي عنى ابن المنظور ، و الله أعلم "

[3] هو أبو السعادات المبارك ابن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني ، المعروف بابن الأثير الجزري ، الملقب مجد الدين وله مصنفات بديعة ورسائل وسيعة منها " جامع الأصول في أحاديث الرسول " و " النهاية في غريب الحديث و " الشافي في شرح مسند الإمام الشافعي " و كانت ولادته في جزيرة ابني عمرو سنة ٥٤٤ هـ ثم انتقل إلى الموصل و كانت وفاته بها سنة ٦٠٦ هـ - رحمه الله تعالى - وفيات الأعيان ( ٤ / ١٤١ ) .

بمعنى الإحسان إلى من لا يستثيبه ولا يطلب الجزاء عليه . والمنان : من أبنية المبالغة كالوهّاب [1] .

و قد وردت كلمة مادة المن في مواطن من القرآن الكريم قال الله تعالى : ( لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم ... )[2]

و قال الله تعالى : ( و لقد منّا عليك مرة أخرى )[3]

و قال الله تعالى : ( و نريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض و نجعلهم أئمة و نجعلهم الوارثين )[4] .

و في مسند أحمد[5] عن أنس بن مالك : " أن النبي ﷺ سمع رجلا يقول : اللهم إني اسألك أن لك الحمد ، لا إله إلا أنت وحدك ، لا شريك لك ، المنان ، بديع السموات و الأرض ، ذا الجلال والإكرام ، فقال النبي ﷺ :" لقد سأل الله باسم الله الأعظم ، الذي إذا دعي به أجاب ، و إذا سئل به أعطى " و روى أبو داود و ابن ماجه [6] بنحوه و زاد ابو داود في الدعاء " يا حي يا قيوم "[7] .

فالإمام الكوكباني رحمه الله بعد أن استخار الله سبحانه و تعالى كما جاء في مقدمته أحبّ أن يعترف بالفضل لله سبحانه و تعالى وحده في هذا التفسير ، لا لنفسه فاعتبره تيسير المنان أي المعطي ابتداء ، أو تيسير المنعم المعطي لهذا التفسير الذي لا يطلب الثواب من غيره وعلى هذا كان الفضل و المنه له سبحانه وحده و كان هذا أول كلمتين دونهما الإمام في تفسيره.

**ثانياً** : نسبة الكتاب إلى صاحبه :جاء نسبه في مقدمة التفسير رحمه الله و هو :" أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن الحسين بن عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب بن علي بن شمس الدين بن الإمام المتوكل على الله شرف الدين بن شمس الدين بن الإمام المهدي أحمد بن يحيى "

---

[1] لسان العرب باختصار ( ١٣ / ١٩٧ - ١٩٨ ) مادة كلمة منن - ط دار إحياء التراث - و جاء في قول ابن الأثير مختصراً انظر النهاية في غريب الحديث والاثر لابن الأثير - ط دار الفكر بيروت -١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

[2] الآية ١٦٤ من سورة آل عمران .

[3] الآية ٣٧ من سورة طه .

[4] الآية ٥ من سورة القصص .

[5] مسند أحمد ( ٣ / ٥٦٨ / رقم ١١٧٩٥ )

[6] سنن ابن ماجه ( ٢ / ١٢٦٨ / رقم ٣٨٥٨ )

و قد أرفقت الصفحة الأولى و الثانيـة من النسـخة ( أ ) بخـط المؤلـف والصفحـة الأولـى و الثانيـة مـن النسخة ( ب ) و أشرتُ إلى نسبه بسهم ليكون الأمر جليا واضحا في نسب الرجل وأسرته التـي ينتمـي إليها رحمه الله تعالى و صحة نسبة الكتاب أليه .

ولقد ذكر المؤلف في آخر كل مجلد المخطوط(أ)انه قد خطه بيده وتشابه الخط بين هـذا وبيـن خـط المخطوط أ دليل على ان الذي خط الاثنين واحد.

اما النسخة ب فهي في المكتبة الغربية [1] لجامع صنعاء الكبير وفي فهـرس هـذه المكتبـة [2] بقسـم التفسير برقم (٢٣).

---

[٧] سنن أبي داود ( ٢ / ٨٠ / رقم ١٤٩٥ )

[1] وهي تابعة لدائرة حكومية وهي الهيئة العامة للآثار ودور الكتب بصنعاء.

[2] وهو اعداد احمد عيسوي : عضو فني بادارة المكتبات بالكويت ، ومحمد سعيد المليح: عضو فني بادارة المكتبات بالكويت . طُبع باشراف منشأة المعارف بالاسكندرية.

الفصل الثالث

# منهجه و طريقته في التفسير

## المبحث الأول

جمعه بين الرواية و الدراية:

إن الإمام الكوكباني رحمه الله بحث موضوع التفسير بالمأثور و بالرأي الجائز و أجاز التفسير بالرأي ففي فصل وعيد من قال بالقرآن برأيه : حذر أولاً من تفسير القرآن على أساس الرأي ثم قال : " و ذلك فيمن قال من قبل نفسه شيئاً من غير علم ، و أما التأويل وهو صرف الآية إلى المعنى المحتمل موافق لما قبلها و بعدها غير مخالف للكتاب و السنة من طريق الاستئناف فقد رخص فيه لأهل العلم ، و قد يفتح الله على المتدبر و المتذكر من التأويل و المعاني ، مالا يفتح على غيره[1]" أهـ. يأخذ الإمام الكوكباني من التفسير بالرأي الجائز ما لا يخالف التفسير المأثور مع حرصه على المأثور، وعلى أرض الواقع نشاهد أن الإمام الكوكباني قد التزم في تفسيره فأخذ بتفسير الرواية و الدراية .

أولاً التفسير بالرواية :

و ينقسم الى أقسام :

أ- تفسير القرآن بالقرآن و هو أرقى أقسام التفسير قال ابن كثير في مقدمة تفسيره : " فإن قال قائل فما أحسن طرق التفسير ؟ فالجواب أن أصح الطريق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فانه قد بسط في موضع آخر " - أ هـ [2] ولم يترك الإمام الكوكباني ذلك بل اعتمد على تفسير القرآن بالقرآن ، و لهذا أمثلة كثيرة في تفسيره رحمه الله تعالى .

المثال الأول : عند تفسير قوله تعالى ( اهدنا الصراط المستقيم ) - الآية ٥ من سورة الفاتحة - ذكر عدة آيات لتوضيحها و تفسيرها منها قوله تعالى:

---

(1) انظر صفحة ( ١٠٨-١٠٩ ) من الرسالة .

(2) تفسير ابن كثير ( ١ / ٤ ) - ط دار الفكر -

( وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم )[1] وقوله تعالى ( إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم )[2] .

المثال الثاني : قال الكوكباني رحمه الله تعالى في نفس الآية ( اهدنا الصراط المستقيم ) : فإن قلت : ما معنى طلب الهداية و هم مهتدون ؟

قلت : معناه طلب زيادة الهدى كقوله تعالى ( و الذين اهتدوا زادهم هدى ) [3] .

ب – تفسير القرآن بالحديث :

إذا أعيا المفسر أن يجد تفسير القرآن بالقرآن فسّره بالحديث الشريف لقوله تعالى : " و نزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم و لعلهم يتفكرون " الآية ٤٤ من سورة النحل لذلك أكثر الإمام الكوكباني رحمه الله من تفسير القرآن بالحديث فتكاد لا تجد حديثاً في تفسير القرآن إلا أثبته . وإليك بعض الأمثلة في ذلك :

المثال الأول : عن عدي بن حاتم قال : قال رسول اللهﷺ : " إن المغضوب عليهم هم اليهود ، والضالين هم النصارى " رواه أحمد[4] و الترمذي و حسنه[5] و ابن حبان في صحيحه[6] .

المثال الثاني : و في تفسير قوله تعالى عن بني إسرائيل إذ قال الله لهم : " ادخلوا الباب سجدا و قولوا حطة نغفر لكم خطاياكم و سنزيد المحسنين ، فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل

---

[1] الآية ٥٢ من سورة الشورى .

[2] الآية ٩ من سورة الإسراء انظر صفحة ( ١٨٢ ) من الرسالة .

[3] الآية ١٧ من سورة محمد ، انظر صفحة ( ١٨٣ ) من الرسالة .

[4] في الفتح الرباني ( ١٧ / ٦٨ ) بنحوه قال عبد الرحمن البنا رحمه الله و ابنه : " هذا طرف من حديث طويل ...و هو حديث حسن " – أهـ من مختصر شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني – ط إحياء التراث العربي بيروت –

[5] سنن الترمذي في تحفة الأحوذي ( ٨ / ٢٣٣ ) بنحوه مطولاً .

[6] رواه ابن حبان في صحيحه في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ( ١٦ / ٧٢٠٦ )تحقيق شعيب .أرنووط .– ط مؤسسة الرسالة بيروت – و انظر الرسالة صفحة ( ١٩٧ )

لهم "[1] أورد الإمام الكوكباني في تفسيرها حديثا شريفاً عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : " قيل لبني إسرائيل ( ادخلوا الباب سجدا و قولوا حطة ) فدخلوا يزحفون على أستاههم ، فبدلوا و قالوا :" حطة حبة في شعرة " رواه البخاري مرفوعا [2]

ورواه النسائي موقوفا[3] .

المثال الثالث : قال الله تعالى مخاطباً بني إسرائيل ( و ظللنا عليكم الغمام و أنزلنا عليكم المن والسلوى )[4] و في تفسير المن أورد الإمام الكوكباني حديثاً عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ:" الكمأة من المن و ماؤها شفاء للعين " رواه غير واحد من أهل الحديث .

رواه البخاري[5] و مسلم[6] و النسائي[7] و رواه الترمذي و قال حسن صحيح[8] – أ هـ –

والكَمْء : فطر من الفصيلة الكمئية ، و هي أرضية تنتفخ حاملات أبواغها فتجنى و تؤكل مطبوخة ، ويختلف حجمها بحسب الأنواع ( ج ) أكمؤ ، و كمأة ، أو الكمأة اسم للجمع ، أو هي للواحد والكمْء للجمع ، أو هي تكون واحدة و جمعاً – أ هـ المعجم الوسيط (٢ / ٧٩٧) .

جـ – تفسير القرآن بأقوال الصحابة :

إذا لم يجد المفسر تفسير الآية في القرآن و لا في السنة رجع في ذلك إلى أقوال الصحابة ، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن و الأحوال التي اختصوا بها ، و لما لهم من العلم الصحيح و العمل

---

[1] الآيتان ٥٨ – ٥٩ من سورة البقرة .

[2] صحيح البخاري في فتح الباري ( ٨ / ١٤ )

[3] في تفسيره ( ١ / ١٧٠ ) – ط مكتبة السنة القاهرة – و انظر صفحة ( ٥٠٨ ) من الرسالة .

[4] الآية ٥٧ من سورة البقرة .

[5] في صحيحه في فتح الباري ( ٨ / ١٤ ).

[6] في صحيحه ( ١ / ١٦١٩ ).

[7] في تفسيره ( ١ / ١٦٨ / رقم ٨ ) بنحوه .

[8] سنن الترمذي في تحفة الأحوذي ( ٦ / ١٩٦ – ١٩٧ / رقم ٢١٤٧ ) انظر الرسالة صفحة ( ٥٠٠ ) رواه ابن ماجه ( ٢ / ١١٤٣ / رقم ٣٤٥٤ ) مع زيادة .

الصالح لا سيما العلماء و الكبراء منهم [1] لذلك كثيرا ما يعتمد الإمام الكوكباني على الصحابة في التفسير و أكثر ما يكون ذلك عن علي بن أبي طالب و عبد الله بن العباس و عبد الله بن مسعود وغيرهم رضوان الله عليهم.

المثال الأول : عند تفسير الآية الأولى من سورة الفاتحة ( الحمد لله رب العالمين ) قال الإمام الكوكباني : عن ابن عباس قال : قال عمر لأمير المؤمنين عليّ قد علمنا سبحان الله و لا إله إلا الله فما الحمد لله ؟ فقال علي كرم الله وجهه : كلمة رضيها الله لنفسه ) رواه ابن أبي حاتم[2] .

المثال الثاني : عند تفسير قوله تعالى ( و ادخلوا الباب سجداً )[3] قال المفسر رحمه الله : قال العوفي في تفسيره عن ابن عباس أنه كان يقول في قوله تعالى ( و ادخلوا الباب سجداً ) أي ركعاً[4] . و قال السدي عن عبد الله بن مسعود قيل لهم ادخلوا الباب سجداً فدخلوه مقنعي رؤوسهم خلاف ما أمروا به[5] .

المثال الثالث : كثيراً ما ينقل المفسرون عن تفسير الطبري بالسند إلى عبد الله بن عباس أو عبد الله ابن مسعود ففي تفسير قوله تعالى ( و يمدهم )[6] قال : قال السدي عن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن عبد الله بن مسعود و ناس من الصحابة قالوا : ( يمدهم ) " يملي لهم "[7] .

د – تفسير القرآن بأقوال التابعين :

إذا لم يجد المفسر تفسير الآية في المصادر السابقة رجع إلى أقوال التابعين الأفذاذ ، لكن أقوالهم ليست حجة لكونهم تابعين ، و ليست ملزمة لنا على هذا الأساس قال شعبة بن الحجاج و غيره :

---

[1] تفسير ابن كثير ( ١ / ٤ ) .

[2] تفسير ابن أبي حاتم ( ١ / ١٤-١٥/رقم ١٢ ) وانظر الرسالة صفحة (١٥٦).

[3] الآية ٥٨ من سورة البقرة .

[4] انظر الرسالة صفحة ( ٥٠٥ ) و الكشاف ( ١ / ٧٠ ) و زاد " و تواضعا " و أكمل ابن كثير القول بتمامه ( ١ / ٩٩ ) بنحوه .

[5] انظر الرسالة صفحة (٥٠٥ ) و انظر تفسير ابن كثير ( ١ / ٩٩ ) .

[6] الآية ١٥ من سورة البقرة .

[7] تفسير ابن جرير الطبري ( ١ / ٣٠٦ - ٣٠٧ ) – ط دار المعارف القاهرة – وانظر الرسالة صفحة (٣٦٥).

" أقوال التابعين في الفروع ليست حجة فكيف تكون حجة في التفسير ؟ "[1] لكنه يستأنس بأقوالهم ويحتج بأدلة اللغة الصحيحة التي يعتمدون عليها و لم يترك الإمام الكوكباني أقوال التابعين في التفسير بل أوضحها و إليك الأمثلة :

المثال الأول : و في تفسير قوله تعالى ( .... إلا على الخاشعين )[2] قال المفسر : قال مجاهد : " المؤمنون حقا "[3] ، و قال أبو العالية: " الخاشعين الخائفين "[4] ، و قال مقاتل بن حيان " المتواضعين "[5] ، و قال الضحاك : " .... الخاضعين لطاعته ، الخائفين سطوته ، المصدقين بوعده ووعيده "[6] .

المثال الثاني: في تفسير قوله تعالى ( و يقيمون الصلاة )[7] قال المفسر : قال قتادة : " إقامة الصلاة المحافظة على مواقيتها و وضوئها و ركوعها و سجودها "[8] ، و قال مقاتل بن حيان : " إقامتها المحافظة على مواقيتها و إسباغ الطهور بها و تمام ركوعها و سجودها و قراءة القرآن فيها والتشهد و الصلاة على النبي ﷺ "[9] .

ثانياً : التفسير بالدراية ( بالرأي ) :

لا بد للمفسر من علم اللغة العربية لأنه به يمكن تفسير غريب القرآن و شرح الآيات ، و ذلك إذا لم يجد تفسير الآية بالقرآن و الحديث و أقوال الصحابة رضوان الله عليهم قال مجاهد : " لا يحل لأحد يؤمن بالله و اليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب " و لقد كان الإمام الكوكباني على علم واسع بلغة العرب لذلك أتقن تفسير الدراية وإليك الأمثلة :

---

[1] تفسير ابن كثير ( ١ / ٦ )
[2] الآية ٤٥ من سورة البقرة .و انظر الرسالة صفحة ( ٤٧٩-٤٨٠ )
[3] تفسير ابن كثير ( ١ / ٨٩ )
[4] المرجع السابق .
[5] المرجع السابق .
[6] المرجع السابق .
[7] الآية ٣ من سورة البقرة . انظر الرسالة صفحة (٢٤٩ )
[8] انظر تفسير ابن كثير ( ١ / ٤٤ )
[9] تفسير ابن كثير ( ١ / ٤٤ ).

المثال الأول : ففي تفسير قوله تعالى :( .... رب العالمين ) [1] قال المفسر :الرب المالك ، يقال :

لمالك الدار : رب الدار ، و يقال : رب الشيء إذا ملكه ، و منه قول عبد المطلب : " أنا رب إبلي و للرب بيت يمنعه "[2] ، و يكون بمعنى التربية و الإصلاح يقال فلان الصدقةَ يربيها ؛ إن أتمها و أصلحها[3] .

المثال الثاني : ففي تفسير قوله تعالى : ( ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة)[4] قال المفسر رحمه الله : و قرئ غشاوة بالنصب .... و النصب إما على تقدير و جعل على أبصارهم غشاوة على طريقة.

علفتها تبناً و ماء بارداً[5] .

المثال الثالث : في تفسير قوله تعالى : ( فلا تجعلوا لله أنداداً و أنتم تعلمون )[6] قال المفسر رحمه الله : و الأنداد جمع ند و الند المثل ، قال جار الله :و لا يقال إلا للمثل المخالف المناوئ[7] قال جرير :

أتيماً تجعلون إلي ندا  و ما رأيتم لذي حسب نديد[8]

---

[1] الآية ١ من سورة الفاتحة .

[2] انظر الرسالة صفحة (  ) و انظر تاريخ الإسلام لحسن إبراهيم حسن ( ١ / ٥٠ )- ط دار الأندلس بيروت -.

[3] انظر الرسالة صفحة ( ١٥٩ )

[4] الآية ٧ من سورة البقرة . انظر الرسالة صفحة (٢٨٠).

[5] هذا شطر من بيت أورده الطبري في تفسيره ( ١ / ٢٦٤ ) و هو بتمامه : علفتها تبناً و ماء بارداً. // حتى شتت همالة عيناها.و ذكره الفراء في معاني القرآن ( ١ / ١٤ ) – ط عالم الكتب بيروت – و ذكره صاحب اللسان عند مادة " زجج " ( ٦ / ٢٠ ) – ط دار إحياء التراث العربي ببيروت ١٩٨٨م – .

[6] الآية ٢٢ من سورة البقرة . انظر الرسالة صفحة (٣٦٣).

[7] الكشاف ( ١ / ٢٣٧ ) و انظر الرسالة صفحة (٣٦٤).

[8] جاء البيت في ديوان جرير كما يلي :

أتيما تجعلون إلي ندا و هل تيم لذي حسب نديد .النديد الشبيه يقال فلان ند فلان إذا كان شبيها به – أ هـ شرح ديوان جرير ( صفحة ٦٤ ) تأليف محمد إسماعيل عبد الله الصاوي – ط منشورات دار الحياة بيروت -.

المبحث الثاني:

تناوله لفضائل القرآن و لمواضيع علوم القرآن و القراءات :

أولا : فضائل القرآن :

لقد استهل فضائل القرآن بحديث عن عثمان بن عفان عن النبي ﷺ قال : " خيركم من تعلم القرآن و علمه " رواه البخاري[1] و مسلم و أبو داود[2] و الترمذي[3] و غيرهم[4] .

و من خلال تحقيق الحديث الشريف تبيّن أن مسلماً لم يروه بينما رواه الأخرون ممن ذكر الإمام الكوكباني إذ لم أعثر على الحديث في صحيح مسلم .

و أورد الإمام رحمه الله أحاديث أخرى صحيحة و أطال مرغباً بتلاوة القرآن و مدارسته ثم أورد حديثاً عن الحارث الأعور قال : مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على علي فقلت : يا أمير المؤمنين ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث ؟ قال : أو قد فعلوا !! قلت: نعم . قال : أما إني قد سمعت رسول الله ﷺ يقول : " ألا إنها ستكون فتنة فقلت : فبم المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم و خبر ما بعدكم و حكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، و من ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، و هو الذكر الحكيم ، و هو الصراط المستقيم ، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ، و لا تلبس به الألسنة ، و لا يشبع منه العلماء ، و لا يخلق عن كثرة الرد ، و لا تنقضي عجائبه ، هو الذي لن تنتهي الجن إذ سمعته حتى قالوا : إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدي إلى الرشد فآمنّا به . من قال به صدق ، و من عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، و من دعي إليه هدي إلى صراط مستقيم . خذها إليك يا

---

[1] صحيح البخاري في فتح الباري ( ٨ / ٦٩١ )

[2] في سننه ( ٢ / ٧١ / ١٤٥٢ )

[3] سنن الترمذي في تحفة الأحوذي ( ٨ / ١٧٩ / ٣٠٧١ ) و قال عنه هذا حديث حسن صحيح .

[4] كما رواه ابن ماجه في سننه بلفظين ( أفضلكم .... ) و بلفظ ( خيركم ... ) و تتمة الحديث لم تختلف في اللفظين . انظر الرسالة صفحة (٨٥).

أعور)).ثم قال الإمام الكوكباني رواه أحمد[1] و الدارمي[2] و غيرهما [3] من طريق الحارث الأعور و رواه البغوي[4] في صدر تفسيره و قال : قال الترمذي : هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه و إسناده مجهول[5] [6] .

ثم وضح صاحب تحفة الأحوذي أن إسناده مجهول لجهالة أبي مختار الطائي و ابن أخ الحارث الأعور – أي في السند – و علق صاحب تحفة الأحوذي على قوله [7] " و في حديث الحارث مقال قائلاً : ( قال الحافظ في ترجمته كذبه الشعبي في رأيه و رمي بالرفض ، و في حديثه ضعف ) [8] أهـ.

و من خلال تحقيقنا الطويل للحديث تبين أن للحديث طريق آخر ليس فيها مجهول ، كما لم يذكر الإمام الكوكباني أن في حديث الحارث مقال كما ذكر الترمذي في تعليقه على الحديث . وبعد تحقيق طويل في هذا الحديث تبين أن نص الحديث كلام حسن صحيح موقوف على علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه، و القول باعتبار الحديث موقوف ذهب إليه ابن كثير في كتابه فضائل القرآن و قد وهم من رفعه و قد أوضحنا قول ابن كثير مفصلاً في أثناء تحقيق الحديث .

ثم ذكر الإمام الكوكباني في مقدمته فصلاً في الترهيب من نسيان القرآن بعد تعلمه و أورد حديثا لم يصح عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " عُرضت عليّ أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد ، و عُرضت عليّ ذنوب أمتي فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو

---

[1] الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد الشيباني مختصراً وقال به الإمام أحمدعبد الرحمن البنا في بلوغ الأماني كقول الترمذي كما يمر بعد .

[2] في سننه ( ٢ / ٤٣٥ ) بنحوه .

[3] كما سيمر في سنن الترمذي و البغوي في تفسيره .

[4] تفسير البغوي ( ١ / ١٥ – ١٦ ) ط – دار الفكر – بيروت.

[5] سنن الترمذي بتحفة الأحوذي ( ٨ / ١٧٥ – ١٧٨ / ٣٠٧٠ )في سنن الترمذي زيادة و في حديث الحارث مقال .

[6] انظر الرسالة قسم التحقيق صفحة ٨٧-٩٨)

[7] أي قول الترمذي في التعليق على الحديث مما لم يأتي به الكوكباني.

[8] تحفة الأحوذي ( ٨ / ١٧٥ – ١٧٨ )

آية أوتيها الرجل ثم نسيها " ، ثم قال رواه أبو داود[1] و الترمذي[2] وابن ماجه[3] و ابن خزيمة في صحيحه[4] ...

و في سند أبي داود " المطلب بن عبد الله بن حنْطب " وهو الذي أخذ الحديث عن أنس رضي الله عنه و جاء في سنن الترمذي بنفس الاسم لكنه جاء في صحيح ابن خزيمة بلفظ المطلب بن حنْطب فنسبه إلى جده . قال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه و ذاكرت به محمد بن إسماعيل – الإمام البخاري – فلم يعرفه و استغربه . قال محمد و لا أعرف للمطلب بن عبد الله بن حنطب سماع من أحد من أصحاب النبي ﷺ إلا قوله حدثني من شهد خطبة النبي ﷺ و سمعت عبد الله بن عبد الرحمن يقول لا نعرف للمطلب سماعاً من أحد من أصحاب النبي ﷺ ، قال عبد الله : أنكر عليّ بن المدينيّ أن يكون المطلب سمع من أنس – أ هـ – فهذا الحديث ظاهر الضعف في إسناده و مع ذلك فقد أورده الإمام الكوكباني و لم يشر إلى ضعفه ، رحمه الله تعالى .

ثم ذكر رحمه الله تعالى فصلاً في تعاهد القرآن و تحسين الصوت به و ذكر حديث أبي موسى الأشعري الصحيح و غير ذلك في الأمر .

ثانياً : نزول القرآن على سبعة أحرف :

لقد ثبت بالنصوص كما سترى نزول القرآن على سبعة أحرف و لكن ماهي هذه الأحرف ، لقد عقد الإمام الكوكباني فصلاً في ذلك و أورد حديثاً عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها ، و كان رسول الله ﷺ أقرأنيها ، فكدت أن أعْجل عليه ، ثم أمهلته حتى انصرف ، ثم لببتُهُ بردائه فجئت به رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتنيها فقال رسول الله ﷺ " هكذا أنزلت " ثم قال لي " إقرأ " فقرأت فقال :" هكذا أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه

---

[1] في سننه ( ١ / ١٢٣ / ٤٦١ ).

[2] سنن الترمذي في تحفة الأحوذي ( ٨ / ١٨٧ ، ١٨٨ / ٣٠٨٣ ).

[3] لم أجده في سنن ابن ماجه لكنه جاء في الترغيب والترهيب للمنذري ( ٢ / ٦٠١ ) و منقول عن تفسير ابن ماجه الذي لم نعثر عليه .

[4] ( ٢ / ٢٧١ / ١٢٩٧ )

" رواه مسلم[1] و زاد من طريق أخرى : فكدت أن أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلّم . ثم أورد ثلاثة أحاديث صحيحة عن الإمام مسلم في الأحرف السبعة ، ثم أورد رحمه الله تعالى عدة أقوال في ماهية الحروف السبعة ، ثم أورد عدة أقوال في الأمر فقال :

( قال النووي رحمه الله تعالى قال العلماء : سبب إنزاله على سبعة أحرف التحقيق و التسهيل و لهذا قال ﷺ : " هون على أمتي " و اختلف العلماء في المراد بسبعة أحرف . قال القاضي عياض :قيل هو توسيعه و تسهيله لم يقصد به الحصر . قال : و قال الأكثرون هو حصر للعدد في سبعة ، ثم قيل هي سبعة في المعاني ، كالوعد و الوعيد و المحكم و المتشابه و الحلال ← و الحرام ، و القصص و الأمثال و الأمر و النهي . ثم اختلف هؤلاء في تعيين السبعة منها . وقال آخرون هي في صورة التلاوة و كيفية النطق بكلماتها من إظهار و إدغام و تفخيم وتحقيق و إمالة و مد و قصر ، لأن العرب كانت مختلفة اللغات في هذه الوجوه ، فيسر الله تعالى عليهم ليقرأ كل إنسان بما وافق لغته و يسْهُلْ على لسانه ، و قال الآخرون : هي الألفاظ والحروف و إليه أشار ابن شهاب بما رواه عنه مسلم في الكتاب حيث قال : قال ابن شهاب : بلغني إن تلك السبعة الأحرف الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال و لا حرام ، ثم اختلف هؤلاء فقيل : سبع قراءات و قال أبو عبيد : سبع لغات للعرب، يمنها و معدها ، و هي أفصح اللغات و أعلاها و قيل بل السبعة كلها لمضر وحدها . و هي متفرقة في القرآن ، غير مجتمعة في كلمة واحدة . و قيل : بل هي مجتمعة في بعض الكلمات . كقوله تعالى : ( و عبد الطاغوت ) ( يرتع و يلعب ) أو ( باعد بين أسفارنا ) و ( بعذاب بئيس ) و غير ذلك )[2]

و قال أخيراً الإمام الكوكباني: " والله سبحانه و تعالى أعلم " و لم يرجح أحد هذه الأقوال .

و للترجيح بين هذه الأقوال نرجع للدكتور حسن ضياء الدين العتر إذ ألف كتاباً تحت عنوان " الأحرف السبعة و منزلة القراءة منها ".

لقد بين الدكتور حسن ضياء الدين العتر أقوال العلماء في الموضوع ثم رجح أخيرا أن الأحرف السبعة هي لغات سبع للعرب فقال :

---

[1] صحيح مسلم في شرح النووي ( ١ / ٩٩ ) بنحوه .

[2] أهـ من شرح صحيح مسلم للنووي (١/ ٩٩ ، ١٠٠) وانظر الى الرسالة صفحة (١٠٦-١٠٧).

إن المتأمل للأحاديث و دلالتها يتبين له أن الرسول ﷺ إنما أراد من الحرف اللغة ، فالقرآن منزل علىلغات سبع هي أفصح اللغات و أوسعها انتشارا في الغالبية العظمىمن العرب آنئذ .

دل على ذلك حديث عمر و هشام ، فإنهما اختلفا في تلاوة سورة واحدة هي سورة الفرقان، و كذا كل حديث ورد بطريق صحيح و نص على أكثر من قراءة للكلمة الواحدة ، فإنما هو دليل على أن ذلك مراعاة للغات العربية ، مما يؤكد أن المراد بالأحرف اللغات .

و قال أبو عبيد القاسم بن سلام : نزل القرآن على سبع لغات من لغات العرب .

و روى الأزهري عن أبي العباس إنه سئل عن قوله على سبعة أحرف ؟ فقال : ما هي إلا لغات . قال الأزهري : فأبو العباس النحوي و هو واحد عصره قد ارتضى ما ذهب إليه أبو عبيد و استصوبه ، و قد وقفت لدى إعداد هذا الكتاب للنشر على أقوال علماء كثيرين يرجحون هذا المذهب . أذكر منهم الإمام عبد الرحمن بن الجوزي ( ت ٥٩٧ هـ ) إذ قال : " إن المراد بالحديث أنزل القرآن على سبع لغات ، و هذا هو القول الصحيح ، و ما قبله لا يثبت عند السبك ، و هذا اختيار ثعلب و ابن جرير " و قال الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الأجري ( ت ٣٦٠ هـ ) : " و معنى نزل القرآن على سبعة أحرف يعني على سبع لغات .... " و قد ذهب إلى هذا القول ابن الأثير في النهاية .

و قال أديب عصرنا مصطفى صادق الرافعي رحمه الله : و ما كان العرب يفهمون من معنى الحرف إلا اللغة [1] أ هـ باختصار .

ثم إن الدكتور حسن ضياء الدين لم يرجح لغات على لغات لقبائل العرب فقال :" إن جميع الأقوال في تحديد اللغات السبع لا تستند إلى دليل شرعي مسلّم بصحته فلا يوجد أثر ثابت عن رسول الله ﷺ بهذا الشأن فالرسول الكريم لم يعين هذه اللغات التي نزل القرآن عليها لأن أمر التلاوة ما دام مقيدا بالسماع و التلقي فلا فائدة من العلم بهذه اللغات بخصوصها ، فإنا لم نعط الاختيارفي القراءة بها على وفق ماكان من استعمال اللغات ، و لكن الأمر المعول عليه هو ما نقل إلينا وتلقيناه من الرسول ﷺ و الذي تلقاه من جبريل ملك الوحي عليه السلام .

فاللغات السبع التي نزل القرآن العظيم عليها هي أفصح و أشهر لغات العرب ، و هذا مقتضى حكمة الله بتيسير قراءة القرآن على العرب مع استمرار الإعجاز البياني بفصاحة و بلاغة كافة قرائه

---

[1] كتاب الأحرف السبعة لحسن ضياء الدين العتر صفحة ( ١٧٧ / ١٧٨ ).

المنزلة . و قد وقفنا الإمام العلامة عبد الرحمن بن الجوزي على ذلك ، في كتابه الذي نشر أخيرا بتحقيقنا ، إذ قال : " ألا إن أقواما قالوا : هي سبع لغات متفرقة لجميع العرب في القرآن و كل حرف منها لقبيلة مشهورة ثم قال : " و الذي نراه أن التعيين من اللغات على شيء بعينه لا يصح لنا سنده و لا يثبت عند جهابذة النقل طريقه " .

بل نقول : "نزل القرآن على سبع لغات فصيحة من لغات العرب [1] " .

و لكن الدكتور حسن ضياء الدين العتر أخيرا يؤكد أنه نزل على لغة قريش و لغات أخرى لم يحددها و يبين الحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف كذلك فقال : " و لما كانت لغات القبائل العربية متفاوتة في الفصاحة و كان أفصحها إطلاقاً لغة قريش ، قوم رسول الله ﷺ ، نزل القرآن بلسانهم أولاً ، و كان طبيعياً أن يصعب على كثير من أبناء القبائل الأخرى قراءة القرآن بلسان قريش ، لأنهم ألفوا غيرها ، إذ استحكمت فيهم لغات قبائلهم ، و قد يتعذر بعض ألفاظ القرآن على عامتهم في كثير من الأحيان لأنهم أميون ، و ماتزال فيهم بقية من العصبية للقبيلة و لموروثاتها ، فلو كُلفوا الخروج عن عاداتهم في صور نطقهم و أساليب كلامهم لكابدوا في ذلك حرجاً و مشقة لا مثيل لهما ، لذلك قضت الحكمة الإلهية بإنزال القرآن على سبعة أحرف ، فقرأوا القرآن بلغاتهم بيسر وسهولة " [2] .

ثالثاً : القراءات :

القراءة في الاصطلاح العلمي : مذهب من مذاهب النطق في القرآن يذهب به إمام من الأئمة القراء مذهباً يخالف أحياناً غيره[3] . وهنالك قراءات عشر ثبتت بالتواتر إلى رسول الله ﷺ وأصحابه ، هذه القراءات أخذوها بالتلقي بسندهم إلى الصحابة ثم إلى رسول الله ﷺ . ولاختلاف هذه القراءات لا بد للمفسر منها ليوضح اختلاف معناها أو اختلاف لفظها أو إعرابها و لم يترك الإمام الكوكباني ذلك بل يذكر رحمه الله تعالى قراءات متواترة للآيات كما يذكر قراءات شاذة قد يشير إلى شذوذها و أنها مرجوحة .

---

[1] الأحرف السبعة صفحة ١٩٤.

[2] الأحرف السبعة صفحة ٣٦٢.

[3] مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ( صفحة ١٧٠ ) .

المثال الأول : عند قوله تعالى " مالك يوم الدين "[1] يقول الإمام الكوكباني رحمه الله : " قرأ عاصم و الكسائي ويعقوب الحضرمي مالك بالمد ، و قرأ الباقون ملك بالقصر " .

و القراءتان صحيحتان ثابتتان ثم قال رحمه الله تعالى : " و قرأ أبو عمرو في رواية عنه شاذة ملْك بسكون اللام ، وهي لغة بكر بن وائل و هو من تخفيف المكسور كفخذ و كتف ".

المثال الثاني : فعند قوله تعالى : " يذبحون أبناءكم "[2] يقول : " و قرأ الجمهور بالتشديد و هي أرجح من قراءة ابن محيصن يذْبحون بالتخفيف لأن في التشديد تكرير الفعل " .

المثال الثالث : عند تفسيره لقوله تعالى : " ما ننْسَخْ من آية "[3] قال : " قرأ الجمهور بفتح النون و السين في نسخ و ابن عامر ننْسخ[4] بضم النون و كسر السين من أنسخ ، و فيها قولان : أحدهما لأبي علي أن الهمزة لوجود الشيء ، بمعنى ما صيغ منه كأحمدت الرجل أي وجدته محموداً فالمعنى ما يجده منسوخا . و الثاني : لجار الله أن الهمزة للتعدية إلا أن جار الله قدره بنسخها و هو أن يأمر جبريل عليه السلام بأن يجعلها منسوخة أي يعلم نسخها فيكون المفعول الأول عنده جبريل "

رابعاً : أسباب النزول :

إن الصحابة في واقع حياتهم مع النبي ﷺ قد يقع بينهم حادث يحتاج إلى بيان أو يلتبس عليهم أمر فيسألون رسول الله ﷺ عنه فينزل القرآن بشأن ذلك و هذا يعرف بسبب النزول . و معرفة سبب النزول خير معين على فهم المراد من الآية ، و الإمام الكوكباني يكاد لا يترك سببا لنزول آية إلا ويذكره ليعطي به إضاءة توضح معنى الآية من خلال الحياة العملية للرسول ﷺ و صحابته الكرام رضوان الله عليهم .

المثال الأول : قال في تفسير الآية ( إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها .. )[5] الآية

---

(1) الآية ٣ من سورة الفاتحة . انظر الرسالة صفحة (١٦٥).

(2) الآية ٤٩ من سورة البقرة . انظر الرسالة صفحة ( ٤٨٦-٤٨٧ ).

(3) الآية ١٠٦ من سورة البقرة . انظر الرسالة صفحة ( ٦٦٢-٦٦٣ ) .

(4) ذكرنا في التحقيق أن الحافظ أبا بكر النيسابوري قال عن هذه رواية أنها لابن ذكوان و هو أحد راويي ابن عامر – انظر الغاية في القراءات العشر ( صفحة ١٠٥ ) و انظر الرسالة صفحة ( ٦٦٢ ).

(5) الآية ٢٦ من سورة البقرة ، و انظر الرسالة صفحة ( ٤٩٧ ).

قال رحمه الله : قال السدي في تفسيره عن ابن عباس وعن ابن مسعود وعن ناسٍ من الصحابة " لما ضرب الله تعالى هذين المثلين ، يعني قوله ( مثلهم كمثل الذي استوقد نارا )[1] و قوله ( أو كصيب من السماء )[2] الآيات الثلاث قال المنافقون : الله أعلى و أجل من أن يضرب هذه الأمثال وأنزل الله هذه الآية إلى قوله ( هم الخاسرون ) .

ثم يوضح كما جاء قولا يتناسب مع سبب النزول فيقول : و تحتمل الآية أن يكون مجيئه على سبيل المشاكلة فإن الكفار كما قالوا : أما يستحي رب محمد أن يضرب مثلاً بالذباب و العنكبوت ، طابق السؤال الجواب فقال تعالى( إن الله لا يستحيي أن يضرب ... ) أي لا يترك أن يضرب مثلاً ما و هو فن من الكلام بديع "[3] و ذكر سبباً للنزول في ذلك قبل فقال : " قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة لما ذكر الله العنكبوت و الذباب قال المشركون ما بال العنكبوت و الذباب يذكران و عابوا ذكره فأنزل الله هذه الآية "[4] .

المثال الثاني:في قوله تعالى( يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا و قولوا انظرنا و اسمعوا...)[5]

الآية ذكر سبب النزول فقال رحمه الله تعالى: " روى أبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس قال :

" راعنا " بلسان اليهود : السب القبيح و كان اليهود يقولون ذلك لرسول الله ﷺ سراً فلما سمعوا أصحابه يقولون ذلك لرسول الله ﷺ أعلنوا بها فكانوا يقولون ذلك و يضحكون فيما بينهم فأنزل الله تعالى الآية " وهكذا ذكر الإمام الكوكباني رحمه الله تعالى سبباً للنزول شاملاً في المؤمنين واليهود وأعطى إضاءة لتفسير الآية بعد ذلك في واجب المؤمنين تجاه فعل اليهود الحاقدين على رسول الله ﷺ

---

[1] الآية ١٧ من سورة البقرة .

[2] الآية ١٩ و ٢٠ من سورة البقرة .

[3] انظر الرسالة صفحة ( ٣٩٧ . ٣٩٩ )

[4] انظر الرسالة صفحة ( ٣٩٧ . ٣٩٨ )

[5] الآية ١٠٤ من سورة البقرة . انظر الرسالة صفحة (٦٤٧)

خامسا : الناسخ و المنسوخ :

لا بد للمفسر من العلم بالناسخ و المنسوخ ، ومن فقد هذا ربما أفتى من خلال التفسير بحكم المنسوخ فيضل و يُضلّ – عافانا الله .أما والإمام الكوكباني رحمه الله تعالى فهو كثير العناية بالناسخ والمنسوخ في تفسير كتاب الله تعال .

المثال الأول : عند قوله تعالى ( ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا و اصفحوا حتى يأتي الله بأمره )[1] يقول : قال ابن عباس رضي الله عنهما : و أبو جعفر محمد بن علي عليهما السلام و قتادة و الربيع بن أنس و السدي أنها منسوخة بآية السيف و قيل ليست منسوخة و المراد بالصفح الإعراض عنهم و الصبر على أذاهم حتى يأتي الله بأمره من نصر المؤمنين و إظهار دينه ، إذ الأمر غير مطلق ( إن الله على كل شيء قدير ) فيقدر على الانتقام منهم . و قال الزجاج هو قادر أن يدعوهم إلى دينه بما أحب بما هو عنده الأبلغ في الحكمة ، فكأنه يقول فيأمر بالصفح تارة و بالعقاب أخرى على حسب المصلحة والله أعلم – أ هـ –

المثال الثاني : و أهم مما مضى أن الإمام الكوكباني رحمه الله يفسر هذه الآية من سورة البقرة ( ما ننسخ من آية أو ننسها ... )[2] الآية فيتعرض لموضوع النسخ بشكل شامل و هذا بعضه فيقول : النسخ لغة الإزالة و الرفع إما ببدل .. و إما بغير بدل .

و يقول [3] : ينقسم المنسوخ في القرآن إلى ستة وجوه :

الأول : ما رفع رسمه من غير بدل منه ، و بقي حكمه مجمعاً عليه نحو آية الرجم ، قال عمر بن الخطاب و الله لقد قرأنا على عهد رسول الله ﷺ ( لا ترغبوا عن آبائكم فإن ذلك كفر بكم الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله و الله عزيز حكيم ) و قد رجم ﷺ المحصنين " متفق عليه .

---

[1] الآية ١٠٩ من سورة البقرة ، و انظر الرسالة صفحة ( ٦٧١ )

[2] الآية ١٠٦ من سورة البقرة ، و انظر الرسالة صفحة (٦٥٧ )

[3] انظر الرسالة صفحة (٦٥٤).

الثاني : ما رفع حكمه بحكم آية أخرى و بقي رسمه و كلاهما ثابت اللفظ و الخط في المصحف المجمع عليه و هذا هو الأكثر في المنسوخ كآيتي عدة الوفاة . قال بعض العلماء إن هذا في ثلاثة وستين سورة .

الثالث : ما رفع حكمه و رسمه و زال حفظه من القلوب و إنما علم ذلك من أخبار الآحاد كما روي عن أبي موسى الأشعري أنه قال : نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت . و يذكر بعد ذلك الإمام الكوكباني عدة روايات في هذا الأمر .

الرابع : ما رفع حكمه و رسمه و لم يزل حفظه في القلوب فلذلك وقع الاختلاف في العمل بالناسخ و هذا أيضاً إنما علم من أخبار الآحاد نحو حديث مسلم عن عائشة رضي الله عنها : " كان فيما أنزل الله عشر رضعات معلومات فنسخت بخمس معلومات " فحكم عشر رضعات غير معمول به إجماعاً ، و إنما الخلاف في التحريم برضعة واحدة على نص القرآن في قوله تعالى ( أخواتكم من الرضاعة )[1] أو بخمس رضعات على قول عائشة رضي الله عنها أنها نسخت العشر وأنها كانت مما يتلى .

الخامس : ما افترض العمل به لعلة ثم ترك العمل به لزوال العلة الموجبة و بقي اللفظ و الخط نحو قوله تعالى ( و إن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار )[2] الآية . و قوله تعالى ( و آتوهم ما أنفقوا )[3] كل ذلك أمروا به بسبب المهادنة التي كانت بينه ﷺ و بين مشركي قريش ثم زال ذلك الغرض بزوال العلة و هي الهدنة .

السادس : ما حصل من مفهوم الخطاب بقرآن متلوّ و نسخ ، و بقي المفهوم منه متلوّا نحو قوله تعالى ( لا تقربوا الصلاة و أنتم سكارى )[4] و فهم من هذا أن السكر جائز إذا لم يقرب به الصلاة فنسخ ذلك المفهوم بقوله تعالى ( فهل أنتم منتهون )[5] فحرم الخمر و السكر من الخمر و بقي اللفظ المفهوم منه متلوّا و الله سبحانه و تعالى أعلم – أ هـ –

---

[1] الآية ٢٣ من سورة النساء .

[2] الآية ١١ من سورة الممتحنة .

[3] الآية ١٠ من سورة الممتحنة .

[4] الآية ٤٣ من سورة النساء .

[5] الآية ٩١ من سورة المائدة .

و الإمام الكوكباني بعد ذلك يوضح أن القرآن ينسخ بالقرآن و الذين خالفوا في ذلك قولهم مردود عليهم بأدلة وضحها و بينها .

و وضح أن القرآن ينسخ بالمتواتر من السنة خلافا للشافعي رحمه الله تعالى و يوضح أدلة الطرفين في ذلك [1] .

و وضح أنه يجوز أن ينسخ الأخف بالأثقل و الأثقل بالأخف فالأثقل بمضاعفة الأجر – أي يكون بذلك خيراً – و رفع الدرجات و امتثال الأمر و الأخف للرحمة و الرأفة تعالى الله الكريم.

سادساً : الحروف المقطعة في أوائل السور :

ذهب المفسرون إلى أقوال كثيرة في هذه الحروف فاختصرها الإمام الكوكباني إلى ستة أقوال مع أدلتها [1] و هي كما يلي :

الأول : قال الكوكباني : قال الشعبي و جماعة (ألم ) و سائر حروف التهجي في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه ، و هي أسرار القرآن فنحن نؤمن بظاهرها ، و نكل العلم إلى الله تعالى ، و فائدة ذكرها طلب الإيمان بها[2] ..

الثاني : قال الكوكباني رحمه الله : " و قال جماعة : هي معلومة المعاني ، عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى (ألم ) قال أنا الله أعلم ، و في قوله( ألمص ):أنا الله أفصل و في قوله : ( ألر ) أنا الله أرى رواه ابن أبي حاتم و غيره من طريق أبي الضحى عن ابن عباس "[3] إلى أن يقول رحمه الله تعالى :" و روى الحاكم و غيره عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ( كهيعص ) فقال :

الكاف من كريم ، و الهاء من هادي ، و الياء من حكيم ، و العين من عليم ، و الصاد من صادق "[4] إلى أن يقول رحمه الله : "و هذه الأقوال كلها راجعة إلى قول واحد ، هو أنها حروف

---

[1] انظر الرسالة صفحة ( ٢٠٦ )

[2] انظر الرسالة صفحة (٢٠٦-٢١٤ )

[3] انظر الرسالة صفحة ( ٢٠٧)

[4] انظر الرسالة صفحة ( ٢٠٨ )

مقطعة ، كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه تعالى . والاكتفاء ببعض الكلمة معهود في العربية . قال الشاعر :

قلت لها قفي فقالت لي قاف

أي وقفت . و قال – أي الشاعر – :

بالخير خيرات و إن شرا فا و لا أريد الشر إلا إن تا

و أراد إن شراً فشر و إلا إن تشاء[1] .

و قال : – أي الشاعر – :

ناداهم إلا الجموا ألا تا قالوا جميعاً كلهم ألا فا

أراد ألا تركبون ألا فاركبوا و هذا قول اختاره الزجاج ، و قال : العرب تنطق بالحرف الواحد تدل به على الكلمة[2] .

الثالث : و هو متفرع عن الثاني إذ قال الكوكباني رحمه الله تعالى : " و قيل : إنها الاسم الأعظم إلا أنا لا نعرف تأليفه منها كذا نقله ابن عطية ، و روى ابن جرير بسند صحيح عن ابن مسعود قال : هي اسم الله الأعظم "[3] و قد حققت سند هذا الخبر بعد أن أخذته من تفسير الطبري فوجدته سنداً صحيحاً كما قال الإمام الكوكباني رحمه الله ، و عقبت على هذا الخبر سنده و تحقيقه في موطنه في تفسير الحروف المقطعة في أول تفسير البقرة .

الرابع : قال الكوكباني رحمه الله تعالى : " و قيل هي أسماء القرآن كالفرقان و الذكر . رواه عبد الرزاق عن قتادة "[4] .

الخامس : قال رحمه الله : " و قيل هي أسماء للسور ، نقله الماوردي و غيره عن زيد بن أسلم

---

(1) انظر الرسالة صفحة ( ١١ )

(2) انظر الرسالة صفحة ( ١٢ )

(3) انظر الرسالة صفحة ( ١٤ )

(4) انظر الرسالة صفحة ( ١٤ )

ونسبه جار الله في الكشاف إلى الأكثر ... »[1] .

السادس : و هو المقدمة التي ساقها الإمام رحمه الله قبل ذكر الأقوال و فيها ما يستأنس به فقال : " افتتحت السور بطائفة منها إيقاظا لمن تحدّي بالقرآن ، و تنبيها على أن المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم ، فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم و قوة فصاحتهم عن الإتيان بما يدانيه ، و لتكون أول ما يقرع الأسماع مستقلا بنوع من الإعجاز ، فإن النطق بأسماء الحروف مختص بمن خط و درس ، فأما الأمي الذي لم يخط الكتاب فمستبعد مستغرب ، خارق للعادة و إنما ذلك حاصل له من جهة الوحي ،و شاهد بصحة نبوته ﷺ " -أ هـ -

و الحاصل أن الإمام رحمه الله كأنه قوّى القول السادس إذ جعله بالمقدمة كما أنه قوّى القول الثالث إذ ذكر أن سنده صحيح ، و هو كذلك كما أوضحنا و الله أعلم .

المبحث الثالث : اهتمامه باللغة ، نحواً و صرفاً و بلاغة :

أولاً النحو :

لا بد للمفسر من العلم الواسع بالنحو لأن المعنى يختلف باختلاف الإعراب و الأمام الكوكباني رحمه الله شديد الاهتمام بالنحو لأنه كثيراً ما يستند عليه في تفسير الآية :

المثال الأول : قال الإمام رحمه الله تعالى عند تفسير قوله تعالى : ( ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق و أنتم تعلمون )[2] قال :" و لا تلبسوا الحق الذي تغيرون بالباطل الذي تكتمونه فالحق بيانهم ، و الباطل كتمانهم ، و تكتموا مجزوم عطفاً على تلبسوا ، و المعنى النهي عن كل من الفعلين ويجوز أن يكون منصوبا على إضمار أن و الواو بمعنى الجمع . أي ولا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل ، و كتمان الحق ، كقولك : لا تأكل السمك و تشرب اللبن و قوله :

لا تنه عن خلق و تأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

و في النصب نظر ، و يعضده قراءة ابن مسعود ، و تكتمون و خرجت على أنها حال بمعنى كاتمين . و قوله تعالى ( و أنتم تعلمون ) جملة حالية ، و جوّز ابن عطية أن تكون معطوفة على ما

---

[1] انظر الرسالة صفحة ( ٤١٧ )

[2] الآية ٤٢ من سورة البقرة ، انظر الرسالة صفحة (٤٧٠-٤٧١ )

قبلها من جملة النهي ، و هذا على مذهب سيبويه و من تبعه في جواز عطف الخبر على الطلب وبالعكس ، و مفعول تعلمون محذوف اقتصارا . أو قيل : اختصارا - أهـ -

المثال الثاني : عندَ تفسير الكوكباني لقوله تعالى :( ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم و تخرجون فريقاً منكم من ديارهم )[1] يقول رحمه الله تعالى :" و أنتم مبتدأ و هؤلاء خبره على معنى بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك : أنت ذاك الرجل الذي فعل كذا ، و تقتلون حال ، والعامل فيها اسم الإشارة أو بيان لهذه الجملة ، و قيل أنتم مبتدأ و تقتلون خبره ، و هؤلاء منادى محذوف منه حرف النداء معرض بين المبتدأ و الخبر ، و لا يجوز حذف حرف النداء مع اسم الإشارة عند البصريين ، وأجازه الكوفيون استشهاداً بهذه الآية ، و ذهب ابن كيسان إلى أنتم مبتدأ ، و تقتلون الخبر و هؤلاء منصوب على الاختصاص أي أعني هؤلاء توكيد و الخبر هو الجملة ، و قيل بمعنى الذين و الجملة صلة و المجموع هو الخبر " - أهـ -

و لو قرأنا هذا التفسير فإنا لا نجد آية إلا و قد لحقها الإعراب في الأهم منها بما يلزم للتفسير .

ثانياً : الصرف :

في علم الصرف تعرف الأبنية و الصيغ التي لا بد منها للمفسر و إلا فسر كثيراً من الآيات على غير وجهها ، و الإمام الكوكباني رحمه الله تعالىملماً بعلم الصرف و خاصة في تفسير آيات الله تعالى كما يلي :

المثال الأول : إن الإمام رحمه الله في كلمة اسم عند تفسير البسملة في أول تفسير الفاتحة قال [2] :" و اشتقاقه عند البصريين من السمو ، وهو العلو ، لأنه يسمو بمسماه إلى الأذهان . وأصله سموّ ، حذفت الواو ، وعوضت منها الهمزة في أوله ، فقيل اسم . وعند الكوفيين من السمة ، وهي العلامة . وأصله عندهم وسمٌ ، فحذفت الواو ، و عوضت بهمزة مكانها . و هو غير مطرد ، ورُجّح الأول بأسماء وسميّ و سمّيْت ، و لو كان على ما قاله الكوفيون لقيل : أوسام في التكسير ، ووُسيْم في التصغير ، و وسمْتُ في الإخبار عنه " - أ هـ -.

وهكذا فإن الإمام رحمه الله تعالى قد رجح قول البصريين عن دليل في الصرف .

---

[1] الآية ٨٥ من سورة البقرة ، انظر الرسالة صفحة ( ٥٧٧ )

[2] انظر الرسالة صفحة ( ١٣٠ )

المثال الثاني : ففي تفسيره لقوله تعالى :( أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى )[1] عرج الكوكباني على الصرف و ذلك بقوله رحمه الله :" قوله ( اشتروا ) أصله اشتريوا فقلبت الياء ألفا . ثم حذفت لئلا يلتقي ساكنان و بقيت الفتحة دالة على الألف المحذوفة . و لا ترجع الألف و إن تحركت الواو لأن حركتها عارضة ، و قيل سكنت الياء لثقل الضمة عليها ، ثم حذفت فرارا من التقاء الساكنين ، و ضمت الواو فرقا بينهما و بين الأصلية لو استطعنا . و قيل ضمت لأن الضمة هنا أخف من الكسرة ، لأنها من جنس الواو ، و قيل لأنها حركة الياء المحذوفة ، و قيل لأنها ضمير فاعل ، فضمت كالتاء في قمت . و قرأ يحيى بن يعمر بكسر الواو ، على أن أصل التقاء الساكنين و الله سبحانه وتعالى أعلم " – أهـ –

المثال الثالث : عند تفسير الإمام رحمه الله لقوله تعالى :( إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة )[2] قال في ( يستحيي ) وقرأ الجمهور بياءين و هي لغة الحجاز ، و ابن كثير في رواية ( يستحي ) بياء واحدة[3] ، و هي لغة تميم ، و الأكثر على أن المحذوف من يائه الأولى ، و هي عين الكلمة و قيل الثانية ، و هي لام الكلمة ، ثم نقلت حركة الياء الباقية إلى فاء الكلمة فصارت وزنه يستفل على أن المحذوف عينه أو يستفع على أن المحذوف لامه " – أ هـ –

ثالثاً : البلاغة :

والإمام رحمه الله تعالى كثيراً ما يشيد ببلاغة القرآن ليثبت إعجازه اللغوي و الأمثلة على ذلك كثيرة منها :

المثال الأول : ففي تفسير الفاتحة فسر ( الحمد لله رب العالمين ... )[4] إلى أن وصل إلى قوله تعالى :( إياك نعبد و إياك نستعين )[5] قال الإمام رحمه الله تعالى : " فإن قلت : لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب و مقتضى الظاهر إياه نعبد و إياه نستعين ؟ قلت : هذا يسمى الالتفات في علم

---

[1] الآية ١٦ من سورة البقرة : انظر الرسالة صفحة ( ٣٢٠ )

[2] الآية ٢٦ من سورة البقرة : انظر الرسالة صفحة ( ٤٠٠ )

[3] و هي رواية ابن محيصن و هي قراءة شاذة. انظر كتاب القراءات الشاذة لعبد الفتاح القاضي(ص ٢٨ )

[4] الآية ١ من سورة الفاتحة .

[5] الآية ٤ من سورة الفاتحة . انظر الرسالة صفحة ( ١٦٩-١٧٠ )

المعاني و البيان و هو أنواع من التكلم إلى الخطاب مثل قوله تعالى : ( و مالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون )[1] و مقتضى الظاهر و إليه أرجع . و مثال الالتفات من التكلم إلى الغيبة ( إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك )[2] و مقتضى الظاهر فصلّ لنا و مثال الالتفات من الخطاب إلى التكلم قول علقمة بن عبده :

طحا بك قلب في الحسان طروب بُعيد الشباب عصر جاء مشيبُ

تكلفني ليلى و قد شط وليُها و عاد عواد بيننا و خطوبُ

- أ هـ -

المثال الثاني : بعد تفسيره لقوله تعالى : ( ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين ) - الآية (١ - ٢ ) من سورة البقرة - قال [3] رحمه الله تعالى :

" و الذي هو راسخ عرفاً في البلاغة أن يقال : إنها أربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة . و لذلك لم يدخل العاطف بينها . فقوله تعالى :( ألم ) جملة برأسها ، أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها ، دلت على أن المتحدّى به هو المؤلّف من جنس ما يركبون منه كلامهم ، و ذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي ، بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال و " لا ريب فيه " جملة ثالثة تشهد على كماله و نفي الريب فيه ، لأنه لا كمال أعلى مما للحق و اليقين . و هدى للمتقين مما يقدر له مبتدأ جملة رابعةً . يقرر كونه يقيناً لا يحوم الشك حوله ، و حقاً لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه . أو تستتبع كل واحد منها ما تليها استتباع الدليل للمدلول ، و بيان ذلك أنه لما نبه تعالى أولاً على إعجاز المتحدى به ، من حيث إنه من جنس كلامهم ، و قد عجزوا عن معارضته ، استُنْتج منه أنه الكتاب البالغ حد الكمال و استلزم ذلك أنه لا يتشبث الريب بأطرافه ، و ما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين ثم لا تَخلُ كل واحدة منها ، بعد أن رتبت هذا الترتيب الأنيق و نظمت هذا النظم البديع ... "- أ هـ -

---

[1] الآية ٢٢ من سورة يس .

[2] الآية ١ - ٢ من سورة الكوثر .

[3] انظر الرسالة صفحة ( ٢٢٩-٢٣٠ )

المثال الثالث : عند تفسير قوله تعالى : ( فما ربحت تجارتهم ) [1] قال الإمام رحمه الله تعالى في بلاغة الآية [2] :" ترشيح للاستعارة الواقعة في قوله تعالى : ( الذين اشتروا الضلالة بالهدى ) فإنه لما استعار الاشتراء رشحه بذكر ما يلائمه و يشاكله و هو الربح و التجارة و نحوه :

و لما رأيت النسر عز ابن دايـة  و عشش في وكريه جاش له صدري

- أ هـ -

ثم شرح البيت رحمه الله و وجه الاستعارة فيه .

المبحث الرابع :

اهتمامه بالمسائل العقدية و الأحكام الفقهية :

أولاً : اهتمامه بالمسائل العقدية :

إن العقيدة الإسلامية هي الأساس المتين الذي يبنى عليه الإحساس بتكاليف الإسلام في نفس المؤمن لذلك اعتنى بها الإسلام و لقد حاول الإمام الكوكباني أن يبين دقائقها فمن ذلك مايلي:

المثال الأول :فعند تفسيره لقوله تعالى ( إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم .... )[3] قال في الكفر :" الكفر الجحود و أصله الستر و التغطية و سمي الليل كافراً لأنه يستر الأشياء و يغطيها بظلمته و في الشرع إنكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول ﷺ به " - أ هـ -

المثال الثاني : وعند تفسير قوله تعالى :( و من الناس من يقول آمنا با لله و باليوم الآخر و ما هم بمؤمنين ) [4] قال الإمام رحمه الله في المنافقين :" ... ثم ثلث الذين آمنوا بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم ، و هم أخبث الكفرة و أبغضهم إلى الله ، لأنهم خلطوا بالكفر تمويهاً و تدليساً ، و بالشرك استهزاء و خداعاً ، و لذلك طول سبحانه وتعالى في بيان خبثهم و جهلهم و استهزائهم ، ... " - أ هـ باختصار -

---

[1] الآية ١٦ من سورة البقرة.

[2] انظر الرسالة صفحة (٣٢٠).

[3] الآية ٦ من سورة البقرة . انظر الرسالة صفحة (٢٦٥)

[4] الآية ٨ من سورة البقرة . انظر الرسالة صفحة ( ٢٨٢ )

المثال الثالث : عند تفسير قوله تعالى في المنافقين : ( يخادعون الله و الذين آمنوا .. ) [1] نزه الله تعالى عن أن يخدع سبحانه أو ينخدع ، أورد في ذلك عدة تفاسير أهمها " أن يكون على حسب معتقدهم و ظنهم ، أن الله عز و جل ممن يصح خداعه كقوله تعالى :( و انظر إلى إلهك )[2] يعني على زعمك و ظنك ، لأن من كان ادعائه الإيمان بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله و لا بصفاته " و قال أيضاً " قد ترد المفاعلة لا على معنى المشاركة كقولهم : قاتله الله و عافاه الله و عاقبت اللص وطارقت النعل . و الفعل متى غولب فيه فاعله جاء أبلغ و أحكم منه ، إذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبال لزيادة قوة الداعي إليه ، و يعضده قراءة أبو حيوة ( يخدعون الله و الذين آمنوا ) . " و قال أيضاً رحمه الله :" أن يكون من قولهم أعجبني زيد و كرمه ، فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله ". و هكذا فالإمام الكوكباني يدأب دائماً على تنزيه الله تعالى عما لا يليق به سبحانه في كل آية يفسرها بعيداً عن تشبيهه بخلقه سبحانه .

ثانياً : الأحكام الفقهية :" و البعد عن التعصب المذهبي فيها "

الاختلاف الفقهي لا بد منه بين الفقهاء إلى يوم الدين انعكاساً عما كان بين الصحابة من خلاف فقهي ، ثم الخلاف في تقويم الرجال الذين رووا عن رسول الله ﷺ و صحابته ، و لكن الذميم في الأمر هو التعصب لرأي فقهي واحد مع ذم أقوال الفقهاء الآخرين دون النظر إلى الأدلة الشرعية ، و لم يكن الإمام الكوكباني من أصحاب التعصب الفقهي الذميم ، بل كان يبين أقوال الفقهاء مع أدلتهم كل حسب وجهة نظره إلى الأدلة الشرعية و الأمثلة على ذلك ما يلي :

المثال الأول : ففي تفسير البسملة يوضح خلافاً كبيراً بين الفقهاء و القراء في البسملة نفسها في أوائل السور باعتبارها قرآنية أم لا فيقول [3] :" لا خلاف بين الأمة في إثبات البسملة في أوائل السُور خطّاً في المصحف إلا في أول سورة التوبة . و إنما الخلاف في كونها قرآناً ، فعن جمهور السلف والشافعية و ابن كثير قارئ مكة و قالون – أثبت قراء المدينة – و عاصم والكسائي من قراء الكوفة

---

[1] الآية ٩ من سورة البقرة . انظر الرسالة صفحة ( ٢٨٦-٢٨٧ )

[2] الآية ٦٧ من سورة طـه .

[3] انظر الرسالة صفحة ( ١١٩-١٢٠ )

أنها آية من الفاتحة ، و من كل سورة غير براءة و لذلك يجهرون بها في الصلاة ، و هو إجماع أهل البيت عليهم السلام .

و عن بعض السلف كأبي بن كعب و أنس و غيرهما و مالك و أبي حنيفة و الثوري و الأوزاعي ليست آية من الفاتحة ، و لا من غيرها من السور ، لذلك لا يجهر بها عندهم في الصلاة [1] .

و عن ابن المسيب و محمد بن كعب إثباتها آية من الفاتحة و النفي عن غيرها[2] .

و عن أحمد بن حنبل و داود و فخر الدين الرازي من الحنفية أنها آية مستقلة أنزلت لتفصل بين كل سورة[3] .

دليل الجمهور أحاديث كثيرة منها ما روى أبو هريرة أنه ﷺ قال : " فاتحة الكتاب سبع آيات : أولاهن بسم الله الرحمن الرحيم " . و قول أم سلمة رضي الله عنها :" قرأ رسول الله ﷺ فاتحة الكتاب ، و عدّ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية " و من أجلها اختلف في أنها آية برأسها أو بما بعدها . و في رواية للشافعي عن أم سلمة أنها قالت : قرأ رسول الله ﷺ فاتحة الكتاب ، فعدّ بسم الله الرحمن الرحيم آية ، الحمد لله رب العالمين آية ، الرحمن الرحيم آية ، ملك يوم الدين آية ، إياك نعبد و إياك نستعين آية ، اهدنا الصراط المستقيم آية ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم و لا الضالين آية و أما من قال : إن البسملة ليست آية من الفاتحة ، عد صراط الذين أنعمت عليهم آية ، و الإجماع على أن ما بين الدفتين كلام الله ، و الوفاق على إثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن حتى لم تكتب آمين [4] " – أ هـ –

المثال الثاني : وعند تفسير الإمام رحمه الله تعالى لقوله عز و جل :( و من أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه و سعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين ... ) [5] وضح رحمه الله حكم دخول الكفار المساجد فقال [6] :

---

[1] انظر الرسالة صفحة (١٢٢-١٢٣).

[2] انظر الرسالة صفحة (١٢٥).

[3] الأفضل أن يقول : لتفصل بين السور فإن جملته غير معبرة عن المراد وانظر الرسالة صفحة (١٢٥).

[4] انظر الرسالة صفحة (١٢٥- ١٢٦).

[5] الآية ١١٤ من سورة البقرة .

[6] انظر الرسالة صفحة (٦٨٤-٦٨٥).

" على أنه يمنع جميع الكفار من جميع مساجد الله ،و هذا مذهب الهادي عليه السلام و الناصر و مالك لأن المعنى ما كان الحق و الواجب إلا ذلك لولا ظلمهم و المعنى النهي كقوله تعالى : ( و ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله )[1] و قال المؤيد و أبو حنيفة يجوز دخولهم و عدم المنع لهم لأنه ﷺ ربط مشركا في المسجد ، و كان أبو سفيان يدخل المسجد و هو كافر و أنزل ﷺ وفد ثقيف في المسجد ، و أجيب بأن هذا حكاية فعل ، و لعل ذلك كان للضرورة و قبل نزول الآية . و قال الشافعي يمنعون من المسجد الحرام و من الحرم دون غيره و الله أعلم " – أ هـ –

و هكذا نشاهد الإمام الكوكباني يعرض دائما الأحكام الفقهية بدليلها دون تعصب مذهبي مع العلم أن زمانه كان فيه تعصب مذهبي من بعض الزيدية . و لقد عانى الإمام محمد بن علي الشوكاني كما هو معلوم كثيراً في عصره من هذه الناحية[2] علماً أنه توفى سنة ١٢٥٠ هـ و قد عاصر الإمام الكوكباني الإمام الشوكاني كما علمنا سابقاً .

المثال الثالث : وعند تفسير الإمام الكوكباني رحمه الله تعالى لقوله عز و جل :( و إذ جعلنا البيت مثابة للناس و أمناً )[3] كان مما يقول عندها :" فإن قلت لو حل دم إنسان لقصاص أو ردة فالتجأ إلى الحرم هل يقتل فيه ؟ قلت : لا يقتل فيه عند أئمتنا – يعني الزيدية – و أبي حنيفة لصريح الآية في أمان من دخله . و قال الشافعي إنه يستوفى في الحرم ما وجب عليه لقوله تعالى في سورة البقرة ( واقتلوهم حيث ثقفتموهم )[4] – قلنا هذا محمول على غير الحرم جمعاً بين الأدلة ، فإن ارتكب ما يوجب القتل في الحرم فقال الشيخ أبو جعفر يجوز استيفاؤه فيه لأنه هتك الحرمة ، و قال الهادي يستوفى في خارج مكة قيل أراد بمكة الحرم و قيل مدينة مكة " – أ هـ –

---

[1] الآية ٥٣ من سورة الأحزاب .

[2] انظر التفسير و المفسرون للذهبي ( ٢ / ٢٨٥ ) – ط دار الكتب الحديثة – مصر –

[3] الآية ١٢٥ من سورة البقرة، وانظر الرسالة صفحة ( ٧١٩–٧٢٠ )

[4] الآية ١٩١ من سورة البقرة و الآية ٩١ من سورة النساء .

## الفصل الرابع

# القيمة العلمية و الفنية للكتاب

المبحث الأول : مصادره و مراجعه في تفسيري الرواية و الدراية :

لقد حاول الإمام الكوكباني رحمه الله أن يجمع محاسن كتب التفسير بالرواية و كتب التفسير بالدراية .

أولاً : كتب التفسير بالرواية :-

أ- تفسير ابن كثير : المسمى تفسير القرآن العظيم لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير البصري ثم الدمشقي الفقيه الشافعي الذي ولد سنة ٧٠٠ هـ أو بعدها بقليل و توفي في شعبان سنة ٧٧٤ هـ و رجوعه إلى تفسير ابن كثير كان كثيراً فهو المصدر الأول للتفسير المأثور في المرحلة الأولى من تأليفه لتفسيره ولكن مع رجوعه الكثير كما لاحظت لهذا التفسير قليل ما يذكر اسمه كمرجع .

ب – تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل في التفسير و التأويل : لمؤلفه أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفرّاء البغوي ، الفقيه الشافعي المحدث المفسر و قد توفي رحمه الله في سنة ٥١٠ هـ و قد جاوز الثمانين من العمر ، و بالإضافة إلى التفسير المأثور كان ينقل عنه قليلاً من الإسرائيليات و يذكر اسم البغوي في المراجع أحيانا و خاصة في الحديث و في فضائل القرآن .

جـ – الدُر المنثور في التفسير المأثور ، لمؤلفه جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ، السيوطي الشافعي صاحب المؤلفات الكثيرة النافعة القيمة الذي ولد سنة ٨٤٩ هـ و توفي رحمه الله سنة ٩١١ هـ .لقد لاحظت أن الإمام رحمه الله تعالى – قد كتب على هامش تفسيره ما أخذه من تفسير الدر المنثور في التفسير المأثور . و أخبرني ورثة المؤلف أنه بعد أن كتب تفسيره ذهب إلى الحجاز ، فحج ثم رجع بكتاب بعد حجه ونقل لهامش تفسيره ملاحظات يكتب في نهايتها ( صح أصل ) ، و قد تبين لي صحة هذا الخبر و علمت من خلال أسماء المفسرين للمأثور على الهامش أنه رجع من الحج بكتاب الدر المنثور في التفسير المأثور . لقد اتسع تفسير الكوكباني رحمه الله تعالى برجوعه إلى هذا الكتاب القيم لكن احتاج الأمر إلى تحقيق أوسع لأن الإمام السيوطي رحمه الله تعالى لم ينقل الآثار

الصحيحة فقط في التفسير و لم يتحرّ ذلك و لم يذكر السند لأنه رأى قصور أكثر الهمم و رغبة الناس في الاقتصار على متون الأحاديث والآثار عامة دون الإسناد و تطويله[1] و مع ذلك فقد حاول الإمام الكوكباني أن يميل إلى الأخبار الصحيحة فيكتبها .

و من أهم التفاسير الكثيرة التي ذكرها الكوكباني في أخذه من الدر المنثور تفسير جامع البيان من تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري الذي ولد سنة ٢١٤ هـ و توفي سنة ٣١٠ هـ .

و لما اعتبر الإمام الكوكباني أن الهامش هو من تفسير الدر المنثور في التفسير المأثور فقد اكتفى أن يقول في نهاية التعليق ( صح أصل ) ليشير إلى الدر المنثور الأصل الذي نقل عنه رحمه الله تعالى .

د – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لمؤلفه أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المغربي الغرناطي . و قد ولد رحمه الله تعالى سنة ٤٨١ هـ . و توفي سنة ٥٨٦ هـ و قليلاً ما يذكر اسم هذا المفسر ، و كثيراً ما يأخذ منه دون أن يعزو إليه إذ لاحظت ذلك من خلال التوافق في التفسير دون العزو .

ثانياً : كتب التفسير بالدراية :

أما كتب التفسير بالرأي الجائز التي نقل منها المؤلف رحمه الله تعالى فهي كما يلي :

أ – البحر المحيط : تأليف أثير الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان الأندلسي الغرناطي الشهير بأبي حيّان ولد رحمه الله تعالى سنة ٦٥٤ هـ و توفي سنة ٧٤٥ هـ .

كان قليلاً ما يرجع إلى هذا التفسير في المأثور و كثيراً ما يرجع إليه في اللغة و أكثر ما يرجع إليه في النحو والقراءات ، إذ البحر المحيط هو الموسوعة النحوية للقرآن الكريم و قد بنيت هذه الموسوعة على إطلاع واسع لابي حيان في النحو والقراءات .

وقد عرفت أنه قد أخذ من البحر المحيط بالتوافق الكثير بين ما ذكره الإمام الكوكباني وبين ما ذكره أبو حيان في تفسيره و ينقل عن تفسير أبي حيان أقوال الزجاج و الفراء و سيبويه في معاني و إعراب القرآن الكريم .

---

[1] انظر مقدمة تفسير الدر المنثور في التفسير المأثور .

و مع ذلك فهو لا يعزو للبحر المحيط أبدا . و إن كان يتوسع أحيانا في الإعراب و النحو عما جاء في البحر المحيط لأبي حيان . و ما قلناه في تفسير البحر المحيط نقوله في تفسير النهر الماد من البحر المحيط لأبي حيّان نفسه في رجوع الكوكباني له في النحو و الإعراب .

ب – مفاتيح الغيب : لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين التميمي البكري الطبرستاني الرازي الذي ولد سنة ٥٤٤ هـ و توفي سنة ٦٠٦ هـ رحمه الله تعالى .

لقد كان قليلاً ما يرجع إليه لكن مع العزو إذا أخذ عنه ، و الذي لاحظته أنه ينقل أقوال الرازي من تفسير ابن كثير و هذا للتوافق الكثير في ذلك و الله أعلم .

ثالثاً : تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل و أسرار التأويل : تأليف قاضي القضاة ناصر الدين أبي الخير ، عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشافعي . توفي رحمه الله سنة ٦٩١ هـ وكان يأخذ عن الإمام البيضاوي تحقيقاته النافعة في اللغة و بعض أقواله في القراءات و يأخذ من بعض الحواشي على تفسير البيضاوي بعض التحقيقات اللغوية والنحوية وخاصة من حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي .

و لا يعزو الإمام رحمه الله تعالى إلى تفسير البيضاوي إلا قليلاً فيقول :" قال قاضي القضاة " .

ثالثاً : و للمؤلف رحمه الله تعالى مراجع أخرى كثيرة أهمها :

أ – تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل : و هو لأبي القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الإمام الحنفي المعتزلي الملقب بجار الله المعروف بالإمام الزمخشري نسبة إلى قريته التي ولد فيها سنة ٤٦٧ هـ و توفي رحمه الله في سنة ٥٣٨ هـ و يعتبر تفسير الكشاف مصدراً أساسياً عند الإمام الكوكباني في تفسيره و خاصة في الاعتزال و في القضايا اللغوية و البلاغية و النحوية و بعض الأقوال المأثورة و بعض القراءات و خاصة القراءات الشاذة .

والعزو عند الإمام الكوكباني لتفسير الكشاف كثير جدا بلفظ " قال جار الله " و لكنه لا يذكر اسمه دائما ، و لا حظت هذا من التوافق الكثير المتكرر في القراءات الشاذة . كما لاحظت من خلال التوافق رجوع الإمام الكوكباني إلى حاشية السيد الشريف علي بن محمد بن علي السيد زين الدين أبي الحسن الحسيني الجرجاني المشهور باسم حاشية الجرجاني على الكشاف ، ومع أنّ هذه الحاشية تعتبر أهم

الحسيني الجرجاني المشهور باسم حاشية الجرجاني على الكشاف ، ومع أنّ هذه الحاشية تعتبر أهم الحواشي على الكشاف في الرد على اعتزاليات الزمخشري إلا أنه لم يأخذ من هذه الردود شيئا ، و لم يذكر اسم الإمام الجرجاني في حال التوافق مع حاشيته و مع النقل من تفسير الكشاف للزمخشري و مع هذا فإن الإمام الكوكباني لم يذهب إلى كل آراء صاحب الكشاف في الاعتزال و إن ذكرها .

ب – إملاء ما منّ به الرحمن من وجه الإعراب و القراءات في جميع القرآن لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العُكبري الذي ولد سنة ٥٣٨ هـ و توفي سنة ٦١٦ هـ . يأخذ الإمام الكوكباني من هذا الكتاب الكثير في إعراب القرآن بعد قوله " قال أبو البقاء " أحيانا .

كما أنه كثيرا ما يقول : قال المبرد و الخليل و أبو بكر بن السراج و الأخفش دون أن يذكر المصادر التي نقل منها و هي في غالبها من البحر المحيط و إملاء ما منّ به الرحمن .

جـ – معجم الصحاح : لمؤلفه إسماعيل بن حماد الجوهري أبي نصر رحمه الله تعالى توفي سنة ٣٩٣ هـ . كثيرا ما يرجع الإمام الكوكباني إلى أقوال الجوهري في اللغة مع العزو بقوله " قال الجوهري " و هناك مراجع أخرى قليلة جدا يرجع إليها الإمام الكوكباني تعرف في مواطنها من هذا التفسير .

والحق يقال إن الإمام الكوكباني رحمه الله حاول أن يجمع من كل بستان زهورا لا زهرة فكاد أن يكون تفسيره جامعا للتفاسير بشكل فريد لم يسبق لمثله .

ولا بد أخيرا من القول إن الإمام الكوكباني كثير الخوف من الله تعالى في تفسيره وهذا واضح عنده لما تكلم عن التفسير بالرأي في مقدمته لهذا التفسير ومع اطلاعه الوافر والغزير

في التفسير ووسائله فإنه حاول أن ينقل من كتب التفسير ما اقتنع بأنه الصواب و لم يبين رأياً خاصا في التفسير انفرد به عمن سبقه من المفسرين .

**المبحث الثاني : قلة الإسرائيليات في تفسيره :**

قليلا ما يرجع الكوكباني إلى الإسرائيليات في تفسيره ، اكتفاء بالمأثور ، و إذا وجد فيها ما يخالف الشرع أشار إلى ضعفها و من ذلك ما عرضه في إسرائيلية مطولة في تفسير قوله تعالى : ( و ما أنزل على الملكين ببابل هاروت و ماروت )[1] في أمر الملكين هاروت وماروت كما قال قتادة [2] : " فما مر عليهما شهر حتى فتنا بالزهرة و كانت من أجمل النساء " و فيما روي عن أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه – و هو من هذا بريء[3] – في قوله فيهما[4] : " ... فشربا الخمر ، فأخذت منهما ، فواقعا المرأة فلما فرغا رآهما إنسان فخشيا أن يخبر عنهما فقتلاه فمسخ الله الزهرة كوكباً ... " بعد أن أورد هذه الأخبار في إسرائيليات مطولة قال الإمام رحمه الله تعالى[5] : " قال بعض المحققين و ما يروى في قصتهما من تركيب الشهوة فيهما فتعرضا لامرأة يقال لها الزهرة فحملتهما على المعاصي و الشرك كما سبق فمحكي عن اليهود ... "

و ذلك أن الملائكة كما هو معلوم لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون ؛ فلا يصح نسبة ذلك إليهم و قتادة و علي كرم الله وجهه بريئان مما نسب إليهما و الله أعلم .

---

[1] الآية ١٠٢ من سورة البقرة .

[2] انظر الرسالة صفحة ( ٦٣٦ )

[3] من كلام الباحث.

[4] انظر الرسالة صفحة (٦٣٦)

[5] انظر الرسالة صفحة ( ٦٣٧ )

**المبحث الثالث : ما يؤخذ على الكتاب :**

**(أ) في الرواية :**

يذكر الإمام الكوكباني أحاديث و أخباراً عن الصحابة و التابعين فيها الصحيح و الحسن و الضعيف ، و لم يشر أغلب الأحيان إلى درجة الحديث و الخبر . و لكن أهم ما يمتاز به الإمام الكوكباني أنه إذا أشار إل أنى السند الصحيح كان كما قال بعد التحقيق و الدراسة ، مما يدل على أنه على علم غزير في نقد الرجال .

فمثلاً ذكر خبراً في الحروف المقطعة عامة عند تفسير ( ألم ) فقال[1]: " روى ابن جرير بسند صحيح عن ابن مسعود قال : هي اسم الله الأعظم " و قد حققت الخبر في مكانه بدراسة كل رجل في سنده فوجدت أن سند الخبر صحيح و رجاله ثقات .

لكنه لم يخرج كل حديث و خبر بحيث يبين صحته من ضعفه فيورد الخبر مرة مرفوعاً في نظر بعض المحققين و يكون موقوفاً بعد التحقيق ، من ذلك حديثه في فضائل القرآن قبل الدخول في التفسير يقول[2] : " عن الحارث الأعور قال : مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على علي فقلت : يا أمير المؤمنين ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث ؟ قال : أو قد فعلوا !! قلت نعم . قال : أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : " ألا إنها ستكون فتنة فقلت : فبم المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم و حكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، و هو الذكر الحكيم ، و هو

---

[1] انظر الرسالة صفحة (٢١٢ )

[2] انظر الرسالة صفحة ( ٨٧-٨٨ )

الصراط المستقيم ، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ، و لا تلبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، و لا تنقضي عجائبه ، هو الذي لن تنتهي الجن إذ سمعته حتى قالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنّا به . من قال به صدق ، و من عمل به أجر ، و من حكم به عدل ، ومن دعي إليه هدي إلى صراط مستقيم . خذها إليك يا أعور "، ثم قال الإمام الكوكباني رواه أحمد والدارمي وغيرهما من طريق الحارث الأعور ورواه البغوي في صدر تفسيره وقال : قال الترمذي : هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه واسناده مجهول " - أ هـ

ومن خلال تحقيق السند و المتن للحديث في موطنه تبين ما يلي :

١) أشار الكوكباني إلى قول الترمذي لا نعرفه إلا من هذا الوجه و إسناده مجهول . و من خلال التحقيق تبين أن له طريق آخر يرفع الجهالة .

٢) والحارث الأعور التابعي المعروف لم يعطه حقه من حيث التجريح و التعديل .

٣) وأخيرا من خلال التحقيق الطويل تبين أن الحديث موقوف على علي ﷺ عنه وكرم الله وجهه في كلام ابن كثير في كتاب فضائل القرآن و إن كنت أعتبر أنه في بعض أفراده له حكم المرفوع كقوله في القرآن " لا تنقضي عجائبه " فهذا لا يدرك بالرأي .

**(ب) ما يؤخذ عليه في الاعتزال :**

إن الإمام رحمه الله تعالى يعتمد في تفسيره على الكشاف للزمخشري بشكل كبير ، وهو مشهور باعتزاله . وهذا ما ألزمني أن أكون على إطلاع دائم على تعليقات العلماء على المعتزلة وحواشيهم على الكشاف ، وأفضل ما رأيت في ذلك حاشية الجرجاني فكما أن الظل

لا يترك صاحبه عندما يكون في الضحّ ؛ فكذلك الإمام الجرجاني يلاحق الزمخشري في الكشاف في كل اعتزال و يرد عليه في وضوح وجلاء . ونقاط الاعتزال في تفسير الكوكباني متعددة رددت عليها في موطنها و من أهمها أن الإمام الكوكباني فسر قول الله تعالى ( ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ... ) الآية – ٧ – من سورة البقرة .

وعرض سبعة وجوه لتفسير الآية كلها تفيد أن الختم على القلوب ليس من الله تعالى ويحاول التأويل بأقوال [١] و يقول أخيراً [٢] : " و هذا على قاعدة المعتزلة و أما على قاعدة الأشعرية فلا قبيح بالنسبة إليه تعالى بل الأفعال كلها بالقياس إليه سواء ، و لا يتصور في أفعاله تعالى ظلم لأن الكل منه و به و إليه ، فله تعالى أن يتصرف في الأشياء كما يشاء ، وإنما يوصف بالقبيح و الظلم و نظائرها أفعال العباد ، باعتبار تسببهم لها و قيامها بهم ، لا باعتبار إيجاد الله إياها فيهم ، كما هو محقق في الكتب الكلامية " – أ هـ – و الحق أقول إنه عرض رأي المعتزلة و أهل السنة و لكن فصل أقوالا كثيرة تتمشى مع مذهب المعتزلة و آرائهم و الله تعالى أعلم .و لقد بيّنت رأي أهل السنة و الجماعة في الرد على المعتزلة عند تفسير هذه الآية .

**ثالثاً : ما يؤخذ عليه في معنى الإيمان :**

فمن المعروف أن كمال الإيمان يكون بالتصديق بالقلب و الإقرار باللسان و العمل بالأركان. و بالتصديق بالقلب يكون المرء مؤمنا و مع ذلك يقول الكوكباني رحمه الله تعالى[٣]:

---

(١) انظر الرسالة صفحة ( ٢٧٢-٢٧٣ )

(٢) انظر الرسالة صفحة (٢٧٢ )

(٣) انظر الرسالة صفحة ( ٢٣٦ )

" والخلاف في التحقيق إنما هو التصديق بقلبه إذا لم يجتمع إلى تصديق العمل بموجب الإيمان هل يسمى مؤمناً أم لا ؟ و المختار أنه لا يسمى به " و قد أوردت الأدلة في موطن هذا القول في أن التصديق بالقلب بإذعان هو الإيمان و إن كمال الإيمان لا يتناقض مع كون المصدق مؤمنا . و قد قدم الإمام هذا القول عند تفسير قوله تعالى : ( الذين يؤمنون بالغيب ... ) الآية – ٣ – من سورة البقرة .

**(جـ) ما يؤخذ عليه في القراءات الشاذة :**

إن الإمام رحمه الله يعرض القراءات ، و لا يشير أحياناً الى كونها من القراءات المتواترة أو الشاذة ، علماً أن المتواترة هي القرآن لأنها ثبتت بالتواتر ، و هي التي تكتب في المصحف لأنها موافقة لمصحف الإمام و موافقة كذلك للغة العربية من وجه من الوجوه ، أما القراءة الشاذة فهي ليست قرآناً عند العلماء ، و إنما هي كما سميت شاذة لا يقرأ فيها في الصلاة و لا تكتب في المصحف الشريف لأنها سقطت منها أحد صفات القراءات المعتمدة و هي التواتر وموافقة الرسم العثماني وموافقة العربية من وجه من الوجوه .

فالإمام رحمه الله تعالى لا يوضح أن هذه القراءة شاذة بعد ذكرها فمثلاً عند قوله تعالى : ( الذي جعل لكم الأرض فراشاً و السماء بناء ) الآية ٢٢ من سورة البقرة – قال رحمه الله[1] : " و قرأ يزيد الشامي ( الذي جعل لكم الأرض بساطا ) و قرأ طلحة ( مهادا و السماء بناء ) يعني قبة مضروبة عليكم " .

(د) ما يؤخذ عليه في اللغة :

---

[1] انظر الرسالة صفحة ( ٣٥٩ )

يعتبر أهل اللغة أن الشعر الذي يستشهد به في اللغة والصرف والنحو هو شعر الطبقات الثلاثة :

الأولى :طبقة الشعراء الجاهليين .

الثانية :طبقة الشعراء المخضرمين " الذين شهدوا الجاهلية و الإسلام "

الثالثة :طبقة الشعراء الإسلاميين وهم الذين شهدوا الإسلام حتى وفاة بشار بن برد سنة ١٩٧ هـ أو إبراهيم بن الهرمة .

يقول عبد القادر البغدادي في كتابه خزانة الأدب ( ١ / ٥ ):

قال الأندلسي[١] في شرح بديعية رفيقه ابن جابر[٢] : " علوم الأدب ستة : اللغة و الصرف و النحو ، والمعاني والبيان و البديع ؛ والثلاثة الأول لا يستشهد عليها إلا بكلام العرب ، دون الثلاثة الأخيرة فإنه يستشهد فيها بكلام غيرهم من المولّدين ، لأنها راجعة إلى المعاني ، ولا فرق في ذلك بين العرب و غيرهم ، إذ هو أمر راجع إلى العقل ، و لذلك قُبل من أهل هذا الفن

---

[١] هو أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني الغرناطي ثم البيري ، أبو جعفر الأندلسي : أديب ، له نظم .ولد سنة ٧٠٠ هـ ، و رافق ابن جابر الأندلسي " الأعمى " في رحلته إلى المشرق سنة ٧٣٨ هـ فعرفا" بالأعمى والبصير " و أقام بحلب نحو ٣٠ سنة ، و مات قبل ابن جابر و رثاه هذا . قال ابن حجر و السيوطي : كان عارفاً بالنحو ، كثير التواليف في العربية و غيرها ، من كتبه شرح " بديعية " رفيقه ابن جابر توفى أبو جعفر سنة ٧٧٩ هـ – أ هـ من الأعلام ( ١ / ٢٧٤ ) – ط دار العلم للملايين –

[٢] هو أحمد بن محمد بن علي بن جابر الأندلسي الهوّاري المالكي ، أبو عبد الله ، شمس الدين : شاعر ، عالم بالعربية ، أعمى . من أهل المرية . صحبه إلى الديار المصرية أحمد بن يوسف الغرناطي الرعيني فكان ابن جابر يؤلف و ينظم ، و الرعيني يكتب ثم دخلا الشام ، فأقاما بدمشق قليلاً ، و تحولا إلى حلب سنة ٧٤٣ هـ ، و سكن البيرة ، ثم تزوج ابن جابر فافترقا . من كتب ابن جابر " شرح ألفية ابن مالك – مخطوط " في مكتبة عبيد في دمشق ، و في المكتبة الظاهرية رقم ( ١٦٣٨ ) ، و له بديعيته على طريقة الصفي الحلّي ، سماها " الحلة السيرا في مدح خير الورى " و تسمى " بديعية العميان – مطبوع "و " شرحها – مخطوط " ولد ابن جابر سنة ٦٩٨ هـ و توفي سنة ٧٨٠ هـ . – أ هـ من الأعلام ( ٥ / ٢٣٨ ) .

الاستشهاد بكلام البحتري و أبي تمام ، و أبي الطيب و هلم جرّا " – أهـ – . و أقول : الكلام الذي يستشهد به نوعان : شعر وغيره :

فقائل الأول قد قسمه العلماء على طبقات أربع :

(الطبقة الأولى ) : الشعراء الجاهليون : ، و هم قبل الإسلام ، كامرئ القيس و الأعشى .

(الطبقة الثانية ) : المخضرمون ، و هم الذين أدركوا الجاهلية و الإسلام ، كلبيد وحسّان .

(الطبقة الثالثة ) : المتقدمون ، و يقال لهم الإسلاميون ، و هم الذين كانوا في صدر الإسلام ، كجرير و الفرزدق .

(الطبقة الرابعة ) : المولّدون ، و يقال لهم المحدثون ، و هم من بعدهم إلى زماننا ، كبشّار بن بُرد وأبي نُواس .

فالطبقتان ( الأوليان ) يستشهد بشعرهما إجماعاً . و أما ( الثالثة) فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامها .

و أما ( الرابعة ) فالصحيح أنه لا يستشهد بكلامها مطلقاً ؛ و قيل يستشهد بكلام من يوثق به منهم ، و اختاره الزمخشري ، و تبعه الشارح المحقق فإنه استشهد بشعر أبي تمّام في عدة مواضع من هذا الشرح .

واستشهد الزمخشري أيضاً في تفسير أوائل البقرة من الكشاف ببيت من شعره " [1] .

واعترض عليه بأن قبول الرواية مبني على الضبط و الوثوق ، و اعتبار القول مبنى على

---

[1] من خزانة الأدب باختصار لعبد القادر البغدادي ( ١ / ٥ – ٧ ) و سيمر معنا بعد قليل في المثال الأول قول الزمخشري و الرد عليه .

معرفة أوضاع اللغة العربية و الإحاطة بقوانينها ، و من البيّن أن إتقان الرواية لا يستلزم إتقان الدراية .

و في الاقتراح [1] لجلال الدين السيوطي : " أجمعوا على أنه لا يُحتجُّ بكلام المولّدين والمحدثين في اللغة والعربية . و في الكشّاف ما يقتضي تخصيص ذلك بغير أئمة اللغة ورواتها ، فانه استشهد على مسألة بقول حبيب بن أوس"[2] و قال السيوطي : " و أول الشعراء المحدثين بشّار بن برد ، و قد احتج سيبويه في كتابه ببعض شعره تقرباً إليه ، لأنه كان هجاه لتركه الاحتجاج بشعره ذكره المرزباني[3] وغيره . و نقل ثعلب[4] عن الأصمعي[5] أنه قال :

---

[1] انظر كتاب الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي رحمه الله – ط مطبعة السعادة ( صفحة ٧٠ ) .

[2] هو أبو تمام الطائي .

[3] هو محمد بن عمران بن موسى ، أبو عبد الله المرزباني : إخباري مؤرخ أديب . أصله من خراسان . ومولده و وفاته ببغداد . له كتب عجيبة ، أتى على وصفها ابن النديم ، منها " المفيد " في الشعر و الشعراء ومذاهبهم ، نحو خمسة آلاف ورقة ، و " الأزمنة " و " المونق " في تاريخ الشعراء ، " و" معجم الشعراء " و " المستنير " في أخبار الشعراء المحدثين ، أولهم بشار و آخرهم ابن المعتز و غير ذلك من الكتب . ولد سنة ٢٩٧ هـ و توفي سنة ٣٨٤ هـ – أ هـ من الأعلام ( ٦ / ٣١٩ ).

[4] هو ثعلب النحوي أبو العباس أحمد بن يحيى بن سيار النحوي الشيباني بالولاء المعروف بثعلب ، كان إمام النحويين في النحو و اللغة و كان ثقة حجة صالحاً مشهوراً بالحفظ و صدق اللهجة و المعرفة بالعربيةو رواية الشعر القديم . من تصانيفه كتاب " الفصيح " و " المصون " و " اختلاف النحويين " و " معاني القرآن " و " إعراب القرآن " و " حد النحو " ولد سنة ( ٢٠٠ ) هـ و توفي في سنة ( ٢٩١ ) هـ ببغداد . – أ هـ من وفيات الأعيان ( ١ / ١٠٢ ) .

[5] هو أبو سعيد عبد الله بن قريب بن علي بن أصمع ، و هو صاحب لغة و نحو ، و إمام في الأخبار والنوادر والملح و الغرائب . و هو من أهل البصرة ، و قدم بغداد في أيام هارون الرشيد . كان رحمه الله شديد الاحتراز في تفسير الكتاب و السنة ، فإذا سئل عن شيء منهما يقول : العرب تقول معنى هذا كذا ، و لا أعلم المراد منه في الكتاب والسنة. له كتب كثيرة منها" الهمز " و " المقصور و الممدود " و " فعل و أفعل " و " الاشتقاق " و " معاني الشعر " و " المصادر " . ولد سنة ١٢٢ هـ و توفي سنة ٢١٦ هـ – من وفيات الأعيان ( ٣ / ١٧٠ ).

ختم الشعر بإبراهيم بن هرْمة وهو آخر الحجج[1] " أهـ . من خلال كل ذلك نفهم أنـه لا يحتـج بشعر أبي تمام و المتنبي و مع ذلك فقد احتج بأشعارهما الإمام الكوكباني رحمه الله .

المثال الأول : عند تفسيره لقولـه تعـالى : ( و إذا أظلم عليهم قـاموا ) – الآيـة ٢٠ مـن سورة البقرة – يقول[2] رحمه الله تعالى :

" قال جار الله : و أظلم يحتمل أن يكون غير متعدّ و هو الظـاهر ، و أن يكون متعديـا منقولاً من ظلم الليل و يشهد له قراءة ابن قطيب ( أُظلم ) على ما لم يسمّ فاعله وقال أبو تمام :

همـــا أظلمـــا حـــاليّ ثُمّـــتَ أجليـــا ظلاميهمـا عـن وجـه أمـرد أشـيب[3]

قال : وهو و إن كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علمـاء العربيـة فيجعل مـا يقوله بمنزلة ما يرويه ، ألا ترى إلى قول العلمـاء ، الدليل عليـه بيْت الحماسـة فيقنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه " قال البغدادي رادّا على هذا بقوله :" و اعترض عليه بأن قبول الرواية مبني على الضبط والوثوق ، و اعتبار القول مبني على معرفة أوضاع اللغة العربية و الإحاطة بقوانينها ، ومن البيّن أن إتقان الرواية لا يستلزم إتقان الدراية " [4] .

أقول لقد فرق النبي ﷺ بين الرواية و الدراية في الحديث الذي رواه زيد بن ثابت ﷺ قـال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :" نضّر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، و رب حامل فقه ليس بفقيه " رواه الترمذي و ابن ماجـه فـي حديث أطول في سننه ( ٢ / ١٠١٥ / رقم ٣٠٥٦ ) قال الترمذي حديث زيد بن ثـابت حديـث

---

[1] الاقتراح ( صفحة ٧٠ )

[2] انظر الرسالة صفحة (٣٤٧).

[3] انظر ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي بتحقيق محمد عبده عزام – ط دار المعارف بمصر ١٩٧٢ م –

[4] خزانة الأدب ( ١ / ٧ ) .

حسن – سنن الترمذي في تحفة الأحوذي ( ٧ / ٣٤٧ / رقم ٧٩٤ ) . فإتقان أبي تمام لرواية أبيات الحماسة لأصحابها لا يستلزم أنه مثلهم في الدراية بالاحتجاج بشعره .

المثال الثاني : عند تفسيره لقوله تعالى ( و إذ فرقنا بكم البحر ) الآية ٥٠ من سورة البقرة – قال[١] رحمه الله تعالى : " و الباء في بكم سببية أي فرقنا بسببكم و سبب إنجائكم ، و يجوز أن تكون باء الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم كقوله:

..... ..... تدوس بنا الجماجم و الترايبا

هذا شطر بيت للمتنبي أتى به كشاهد في النحو و تمام البيت مع ما قبله :

كأن خيولنا كانت قديما تُسقّى في قحوفهم الحليبا

فمرت غير نافرة عليهم تدوس بنا الجماجم و الترايبا[٢]

**المبحث الرابع : أهمية الموضوع و سبب الاختيار :**

تأتي أهمية هذا الكتاب و سبب اختياره من كون مصنفه جمعه جمعاً من كثير من كتب التفسير التي اشتهرت بالتفسير المأثور أو اللغة أو القراءات أو الفقه .

وحاول أن يأخذ أحسن ما فيها لأنه يستند إلى فهم واسع لعلوم القرآن و مصادر التفسير ومناهج المفسرين وما يواكب ذلك من علم راسخ باللغة من نحو وصرف وبلاغة ثم ما يتحلى به من سعة علم بالحديث والفقه والقراءات .

---

[١] انظر الرسالة صفحة (٤٨٨- ٤٨٩)

[٢] ديوان المتنبي ( ١ / ٢٦٥ ) بشرح عبد الرحمن البرقوقي – ط دار الكتاب العربي بيروت –

أما في اللغة العربية فنجده يفصل تفصيلات دقيقة في الإعراب ، و يذكر مذاهب النحويين وينسب الأقوال لأصحابها ، فنجده مثلا يذكر مذهب الجمهور أو ابن السراج أو الجوهري أو الأخفش أو الخليل أو الزجاج أو غيرهم . وكثيرا ما يستشهد بأبيات من الشعر العربي و في الغالب ينسبها لأصحابها . وفي البلاغة والبيان يتعرض للمسائل البيانية و النكت البلاغية .

و في علم الحديث له رسوخ قدم و هو في الغالب يذكر راوي الحديث من الصحابة ثم يذكر الحديث ثم يعقب بذكر من رواه من علماء الحديث فيعزو كل حديث لمصدره ، و في كثير من الأحيان يذكر درجة الحديث فيقول مثلا : رواه أحمد بن حنبل و ابن أبي الدنيا والطبراني في الكبير والحاكم واللفظ له وقال صحيح على شرط مسلم ، ويقول مثلا : رواه الطبراني في الأوسط والصغير بإسناد لا بأس به و رواه في الكبير بنحوه وزاد في أوله قال ابن عمر .. وفي الفقه له فيه اليد الطولى ، فنجده يعرض لأقوال الفقهاء و مذاهبهم بدقة و تفصيل ، فينسب الأقوال لأصحابها من علماء الصحابة أو التابعين أو من بعدهم ، وكذلك ينسبها لأصحابها من المذاهب الفقهية . وقد يذكر الخلاف داخل المذهب الواحد و يستشهد لذلك بالأحاديث و الأدلة و يرجح ما أوصله إليه الدليل بعيدا عن التعصب لأي مذهب . ويعرض أيضا القراءات القرآنية بدقة وتفصيل لا تكاد توجد في تفسير آخر و هو ينسب القراءات المتواترة لأصحابها وكثيرا ما يذكر الشاذ منها بلفظ قرئ .

وفي العقيدة هو متأثر بالزمخشري في كثير من اعتزالياته و يذكر آراء أهل السنة والجماعة بجانب ذلك في بعض الأحيان .

**المبحث الخامس .**

**وصف المخطوطتين :**

تبرز القيمة الفنية للكتاب أن مؤلفه رحمه الله كتبه بيده بخط نسخي جيد مع أنه يبلغ حجم هذا المخطوط حوالي ( ١٥٠٠ ) لوحة ، ثلاثة آلاف صفحة ، و هو يتألف من ثلاثة أجزاء – أي مجلدات – في كل جزء تفسير عشرة أجزاء من القرآن الكريم .

و الجزء الموكل الي تحقيقه من هذا التفسير هو مقدمة للمفسر في علوم القرآن و فضائله ثم الجزء الأول من القرآن الكريم و يشمل الفاتحة و ( ١٤٢ ) آية من سورة البقرة .

و قد اعتمدت في هذا التحقيق على نسختين مخطوطتين وهما كما يلي : الأولى : و رمزت لها بـ ( أ ) .

و هي النسخة التي كتبها المؤلف رحمه الله تعالى بخط يده كما أشار في نهاية المجلد الأول و كما أخبر ورثة المؤلف الذين عندهم المخطوط .

و قد انتهى من كتابة الجزء الأول من التفسير بتاريخ . ( ) و ذلك كما أشار في آخر صفحة من الجزء الأول من التفسير .

و هي بخط نسخي جيد عدد لوحاتها ( ١٥٠٠ ) لوحة و المقرر للتحقيق منها ( ٦٦ ) لوحة تأتي في ( ١٣١ ) صفحة .

سعة الصفحة : الطول ( ٣٣ ) سم ، العرض ( ٢٣ ) سم أما طول المكتوب في داخل الصفحة فهو ( ٢٧ ) سم و عرضه ( ١٧ ) سم و بهذا يبقى فراغ حول المكتوب أنزل فيه المؤلف رحمه الله حاشيته بخط يده ، عدد الأسطر ( ٤٢ ) سطرا في كل صفحة .

الخط واضح و لم يغب عنا فيه من كلام المؤلف شيئا اللهم إلا كلمة واحدة لم تقرأ أشرنا إليها في موطنها في التحقيق .

يبدأ المؤلف مخطوطه كما يلي ( بسم الله الرحمن الرحيم و به نستعين الحمد لله الذي عم بالإحسان و خص هذه الأمة بأشرف الأديان الذي أنزل القرآن بأفصح لسان على نبيه المصطفى من عدنان و جعله أجل معجزة له و أعظم برهان ) .

و انتهى القسم المقرر للتحقيق للمؤلف عن تفسير الآية ( ١٤٢ ) من سورة البقرة بقوله ( ..... فإنه من كفر بنبي واحد فقد كفر بسائر الرسل ، و لا سيما من كفر بسيد الأنبياء و خاتم المرسلين ورسول رب العالمين ، إلى جميع الإنس و الجن من سائر المكلفين ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله و سائر أنبياء الله أجمعين . و قيل الخطاب فيما سبق لهم وفي هذه الأمة لنا تحذير عن الأقتداء بهم و قيل المراد بالأمة في الأول الأنبياء و في الثاني أسلاف اليهود والنصارى فعلى هذين القولين ليس بتكرير يرد الله سبحانه أعلم )

وقد اخترت هذه النسخة لتكون نسخة الأصل الذي أكتبه و أحققه و تقارن عليه النسخة الثانية .

وهذه النسخة الثانية : رمزت لها بالرمز ( ب ) و هي موجودة في صنعاء في المكتبة الغربية للجامع الكبير وقد شملت على التفسير كاملا و هي بخط نسخي جيد عدد لوحاتها المقررة للتحقيق ( ٤٥ ) لوحة تأتي في ( ٩٩ ) صفحة .

سعة الصفحة : الطول ( ٣٠ ) سم ، و العرض ( ٢١ ) سم ، أما طول المكتوب فهو ( ٢٥ ) سم في داخل الصفحة و عرضه ( ١٤ ) سم و يبقى فراغ حول المكتوب نقل إليه الخطاط الحاشية .

عدد الأسطر ( ٤٧ ) سطرا في كل صفحة .

الخط واضح و لم يغب عنا فيه إلا كلمة واحدة قد أشرنا إليها عند وصف المخطوط ( أ ) .

وقد جاء في نهاية المجلد الثالث من التفسير أنه ( نقل ) بعناية سيد العلامة العز محمد بن الحسن بن المتوكل حفظه الله بقلم الحقير لطف الله عبد الله عثمان من المحويت في عصر مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين يحيى بن المنصور بالله محمد يحيى رضوان الله عليهم أجمعين .

منقول على نسخة المؤلف نفعنا الله بمعانيه و وفقنا الله لما يرضيه و جنبنا معاصيه والحمد لله رب العالمين .

فهو إذن بخط لطف الله عبد الله عثمان تحت إشراف العلامة محمد بن الحسن بن المتوكل وهو منقول من نسخة المؤلف نفسها .

و قد أشار في نهاية المجلد الثالث أنه انتهى من نقله على نسخة المؤلف في شهر محرم عام ١٣٥٣ هـ .

و قد جاء في نهاية المجلد الثالث و الأخير من كلام الإمام الكوكباني في هذا المخطوط ( اللهم هب لي خاتمة الخير و قني مصارع السوء و تجاوز عن ( ..... ) - الكلمة غير واضحة - يوم التناد و لا تفضحني على رؤوس الأشهاد و حلني و جميع أهلي و صحبي دار المقامة من فضلك بواسع طولك و سابغ نوالك إنك أنت الجواد الكريم الرؤوف الرحيم تقبل منا إنك أنت السميع العليم ) .

## القسم الثاني : التحقيق ومنهجة

### الفصل الاول : منهج الباحث في التحقيق

إن التراث العلمي في المكتبات الإسلامية هو خير ما تركه الماضون ، و هو أمانة في أعناقنا ، و أشد ما تكون هذه الأمانة مطلوبة من المحقق ليخرج الكتاب الذي يحققه إلى الناس كما أراد له أصحابه من غير زيادة و لا نقصان إلا إذا اقتضى الأمر ذلك لضرورة كالخطأ في كتابة آية وعلى المحقق أن يشير في مثل هذا الموضع .

وعلى المحقق أن يزيد الأمور في الكتاب الذي يحققه وضوحا و دراسة وترجيحا وتوثيقا و يبين الخطأ الذي فيه و يبين وجه الصواب .

ولقد كانت خطواتي في التحقيق من أجل ذلك تتمثل فيما يلي :

أولا : كتابة النص من النسخة ( أ ) و هي بخط المؤلف ثم ضبط النص المكتوب على المخطوط ( أ ) و أراعي في كتابتي للمخطوط القواعد الإملائية المعاصرة و إن خالف المخطوط .

ثانيا : أقوم بمقابلة ما كتبته من المخطوط ( أ ) على المخطوط ( ب ) وإذا خالف المخطوط ( ب ) المخطوط ( أ ) في أي كلمة أشرت إلى ذلك.

ثالثا : إثبات الفروق بين النسخة ( أ ) و النسخة ( ب ) بوضع الرقم بعد الكلمة مباشرة في المتن وأضع الكلمة ضمن قوسين بهذا الشكل [ ] سواء بالمتن أم بالهامش .

رابعاً : أضع الآيـات القرآنيـة المفسرة بين أقواس زخرفـة بهذا الشكل ﴿ ﴾ لمرة واحدة أما الآيات الأخرى فأضعها بين أقواس عادية .

خامسا : طباعة الآيات المفسرة بحرف أسود بخلاف الآيات الأخرى فإنها تكون بحرف عادي .

سادساً : إثبات رقم الآية المفسرة في أولها في أول السطر ( ) ولا أرقم بقية الآية.

سابعاً : تخريج القراءات القرآنية من كتب القراءات المعتمدة و كتب التفسير التي اشتهرت بالقراءات مع الإشارة إلى الشاذة منها لتفترق عن المتواترة .

ثامناً : إكمال العديد من القراء للقراءات القرآنية المتواترة الذين غفل المصنف عن إيرادهم بعض الأحيان .

تاسعاً : دراسة المواضيع التي طرحها المصنف في علوم القرآن و فضائله في مقدمته وفي أماكن مختلفة من تفسيره .

عاشراً : أُثبّتُ الأحاديث النبوية الشريفة بين أقواس عادية أو صغيرة .

الحادي عشر : أُخرج كل حديث ذكره المصنف من الكتب الستة . و أذكر المجلد الذي جاء فيه ثم الصفحة ثم رقم الحديث إن وجد .

الثاني عشر : أُحقق كل حديث شريف ذكره المصنف من خلال أقوال علماء الحديث ونقاده إذا وجدت ذلك وإلا أحقق سند الحديث بدراسة رجاله جرحا و تعديلا .

الثالث عشر : أرد كل حديث إلى مصدره من الكتب الستة مع ذكر رقم المجلد و الصفحة ورقم الحديث إن وجد .

الرابع عشر : إذا لم يبين المصنف مصدر الحديث رجعت إلى مظانه في كتب الحديث لأجد له مرجعا أرجعه إليه للمجلد و الصفحة و الرقم .

الخامس عشر : رد الآثار الواردة في التفسير إلى مصادرها .

السادس عشر : توثيق الأقوال التي ذكرها المصنف و ردها إلى مواضعها المذكورة أو إلى مظانها . مع ذكر رقم المجلد و الصفحة .

السابع عشر : الرد على أقوال المصنف إن بدت لي أنها خاطئة أو مرجوحة من خلال أقوال علماء آخرين أظهرتهم الأدلة .

الثامن عشر : إذا لم يرجح المصنف بعض الأقوال على بعض أقوم بالترجيح لما يلزم .

التاسع عشر : ترجمة الأعلام الواردة في النص و ذلك حين ذكرها في أول مرة .

العشرون : أقوم بضبط الآيات المستشهد بها فإن وجدت خطأ في الآيات القرآنية فإني لا أثبته ولا أثبت إلا الصواب وإذا احتملت الكتابة قراءة قرآنية متواترة أبقيتها على حالها ولا أغير لقراءة أخرى .

الحادي والعشرون : أنسب الأشعار إلى قائلها و أذكر مصادرها و أرد البيت إلى مكانه من ديوان الشاعر إن كان له ديوان .

الثاني و العشرون : أشرح الغامض من العبارات و الغريب من المفردات .

الثالث و العشرون : التعريف بالمراجع عند ورودها لأول مرة . ثم التعريف مفصلا في قائمة المراجع واذا اختلفت الطبعة للمرجع الواحد فان الباحث ينص على ذلك عند اختلاف الطبعة.

الرابع و العشرون : أضع الفهارس في نهاية التحقيق كما يلي :

أ-فهرس الآيات القرآنية.

ب-فهرست الأحاديث الشريفة

ج-فهرس الأعلام .

د-فهرس الشواهد الشعرية.

ه-فهرس المراجع .

و-فهرس الموضوعات .

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي علم بالاحسان
وخص هذه الامة باشرف الاديان الذي انزل القران بافصح لسان على نبيه المصطفى
من عدنان وجعله اجل معجزة له واعظم برهان والهم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان
وبلغاء قحطان وصانه عن التحريف والزيادة والنقصان فانشأ كتابا ساطع التبيان قاطع البرهان
معجزا باقيا دون كل معجز على وجه كل زمان دايرا من بين سايرالكتب على كل لسان في كل مكان
احمده وهو أهل الحمد والحمد لله ملأ الميزان واشكره والشكر لديه من اسباب المزيد ومبلغ
الرضوان واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ذو العزة والجبروت والسلطان
شهادة كافلة لي عنده باعلى درجات اولي الايمان في دار المقامة من فضله فهو اهل الطول والامتنان
واشهد ان محمدا عبده ورسوله المختص بالايات البينات كالبيان صلى الله عليه وعلى اله وصحبه صلاة
وسلاما بدوام ملوان وبقيان في كل زمان امّا بعد فيقول العبد الفقير الى ربه المستجير
من ذنبه احمد ابن عبد القادر ابن احمد ابن عبد القادر ابن محمد ابن الحسين ابن عبد القادر ابن الناصر
ابن عبد الرب ابن علي ابن شمس الدين ابن الامام المتوكل على الله شرف الدين ابن شمس الدين ابن الامام
المهدي احمد ابن يحيى هداه الله سوا الطريق وادافه حلاوة التحقيق ان اجل العلوم مقدارا
وارفعها شرفا ومنارا تفسير كتاب الله المبين فان عليه مدار الدين وهو حبل الله المتين والذكر
الحكيم والصراط المستقيم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى
في غيره اضله الله من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به اجر امر الله تعالى فيه وزجر
وبشر وانذر وذكر المواعظ لينتفكر وقص من احوال الماضين ليعتبر وضرب فيه الامثال لينتبه من
رقد على ايات التوحيد ليتفكر ولاستبيل لمعرفة هذه المقاصد منه الا بدرايه تفسيره واعلامه
ومعرفه اسباب نزوله واحكامه ومتشابهه ومحكمه وخاصه وعامه ومجمله ومبينه
والوقوف على ناسخه ومنسوخه ثم هو كلام معجز لانهاية لاستيار علومه ولطالما احببت
نفسي بان اصنف في هذا الفن كتابا جامعا بين الرواية والدراية فاستخرت الله وهو ولي الطول
والامتنان في وضع كتاب في هذا الشان وسميته تيسير المنان تفسير القران
جعله الله تعالى لي ولوالدي وجميع اهلي وصحبي موجبا للرضوان والفوز ان شا الله تعالى في دار الجنان
ونفع به على ممر الازمان انه هو الرحيم الرحمن فها انا الان اشرع وعلى الله سبحانه اتمام وهو
نعم المستعان فصل في فضايل القران وتعلمه وتعليمه عن عثمان ابن عفان عن النبي صلى الله عليه
والهوسلم قال خيركم من تعلم القران وعلمه رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي وغيرهم وعن عبد الله
ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه والهوسلم من قراحرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر
امثالها لا اقول الم حرف ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف رواه الترمذي وقال حديث
حسن صحيح غريب وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه والهوسلم قال ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله
يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملايكة
وذكرهم الله فيمن عنده رواه مسلم وابو داود وغيرهما وعن البرا قال كان رجل يقرا سورة الكهف
وعنده فرس مربوط بشطنين فتغشته سحابة فجعلت تدور وتدنو وجعل فرسه ينفر منها
فلما اصبح اتى النبي صلى الله عليه واله وسلم فذكر ذلك له فقال تلك السكينة نزلت للقران رواه مسلم
وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان اسيد ابن حضير رضي الله عنه بينما هو ليلة في مربده اذ
جالت فرسه فقرا ثم جالت اخرى فقرا ثم جالت ايضا قال اسيد فخشيت ان تطا يحيى فقمت اليه
فاذا مثل الظله فوق راسي فيها امثال السرج عرجت في الجو حتى ما اراها قال فغدوت الى رسول الله
صلى الله عليه والهوسلم فقلت يا رسول الله بينما انا البارحة من جوف الليل اقرا في مربدي اذ جالت
فرسي فقال رسول الله صلى الله عليه والهوسلم اقرا ابن حضير قال فقرات ثم جالت ايضا فقال رسول الله صلى الله عليه
والهوسلم اقرا ابن حضير قال فقرات ثم جالت ايضا فقال رسول الله صلى الله عليه والهوسلم اقرا ابن حضير قال فانصرفت

وكان

ام يقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى
قرا ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالتاء فيكون ام منقطعة معادلة للهمزة في الجاحونني بمعنى اي
الامرين تاتون المحاجة وحكم الله ام ادعا اليهود به والنصرانية على الانبياء والمراد بالاستفهام عنهما انكار
هما معا او منقطعة بمعنى بل اتقولون والهمزة للانكار ايضا وقرا الباقون بالياء فهي حينئذ منقطعة
ولا يجوز فيها الاتصال ويكون قوله المحاجونني حطا بالليهود وقوله ام يقولون ليس حطابا لهم فيكون منقطعا
عما قبله ويكون حطابا مع غيرهم على وجه الاستيناف اضرابا عن حطابهم الى الاخبار عنهم بانهم يقولون
ذلك قل يا محمد انتم اعلم ام الله وقد نفى الامرين عن ابرهيم بقوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا
ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين واجتج سبحانه عليه بقوله وما انزلت التوراة والانجيل
الا من بعده ولان الانبياء المعطوفين عليه اتباعه في الدين ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله
يعني شهادته تعالى لابراهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا احد اظلم من اهل
الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او مثلوا كتمانها هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله تعالى
لمحمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة في كتبهم قال الحسن كانوا يقرؤون في كتاب الله الذي انا هم ان الدين الاسلام
وان محمدا رسول الله وان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا برآء من اليهودية
والنصرانية فشهد الله بذلك وافتروا به على انفسهم لله وكتموا شهادة الله عندهم من ذلك
وما الله بغافل عما يعملون وعيد لهم اي ان علمه محيط بعملكم وسيجزيكم عليه وقرئ يعملون بالياء
تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسالون عما كانوا يعملون
تكرير للمبالغة في التعذير والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالاباء والاتكال عليهم
والمعنى ليس يغني عنكم انتسابكم اليهم من غير متابعة منكم لهم ولا تضروا بحرد النسبة اليهم حتى تكونوا
مثلهم منقادين لاوامر الله واتباع رسله الذين يقتفون اثرهم ومنذرين فانه من كفر بنبي واحد
فقد كفر بسائر الرسل ولا سيما من كفر بسيد الانبياء وخاتم المرسلين وبرسولهم الى العالمين
الى جميع الانس والجن من سائر المكلفين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وسائر انبياء الله
اجمعين وصل الخطاب فيما سبق لهم وفي هذه الآية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وصل المراد
بالامة في الاول الانبياء وفي الثاني اسلاف اليهود والنصارى وعلى هذين القولين ليس
بتكرير والله سبحانه وتعالى اعلم سيقول السفهاء من الناس الذين خفت احلامهم
جمع سفيه يريد المنكرين لتحويل القبلة من المنافقين واليهود والمشركين عابوا ذلك على المسلمين
وقالوا ما شكوا امكنه فالواقد تحير محمد وتردد في امره واشتاق الى مولده وقبلته وقد توجه نحو قبلتكم وهو راجع
الى دينكم فنزلت عن ابن عباس والبراء بن عازب والحسن وقيل هم اليهود عن ابن عباس ومجاهد وقيل هم المنافقون
عن السدي وقيل الكل لعمومه وان قيل ما الفائدة في الاخبار به قبل وقوعه قيل الفائدة ان مقاساة
المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه ابعد من الاضطراب اذا وطن لما يغلب منه من توطين النفس وان اعتداد
الجواب قبل الحاجة اليه اقطع للخصم وارد لكيده ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا
عليها يعني بيت المقدس والقبلة في الاصل الحال التي عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان
المتوجه نحوه في الصلوة قل لله المشرق والمغرب ملكا وخلقا لا يختص به مكان دون
مكان فله الحكم والامر يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو ما تقتضيه الحكمة وتقضيه
المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى فيما شاء كلا في امتثال اوامر
الله تعالى بحيث ما وجهنا توجهنا فالطاعة وامتثال امره تعالى ولو وجهنا وكل يوم مرات الى جهات

سين
وروى
محمد ابن جعفر بن
جرير عن ضمادة
في قوله ومن اظلم
ممن كتم شهادة
عنده من الله
قال اولئك اهل
الكتاب يعلمون
هم الاسلام
هم يعلمون انه
حق من الله والحمد
لليهود ج به والنصارى
وكتموا محمدا وهم
يعلمون ان محمدا
رسول الله ثم اصل

منه

أخر صفحة من المجتزأ من المخطوط أ للتحقيق



آخر صفحة من المجلد الأول من المخطوط أ

الجزء الاول من تفسير القرآن المسما
تيسير المنان بتفسير القرآن تأليف العلامة الوصي الكبير
احمد عبد القادر احمد عبد القادر رضي حسن صاحب كوكبان
وجعله في ثلاثة مجلدات كاملة مشتمل على عبارات التفسير
ويوضح كل مشكل غريب بعبارة واضحة وهي
الاول الى آخر التوبة
بمعانيه وعلمنا
معانيه والعمل به

تفسير ٣

صفحة الغلاف من المخطوط ب

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله الذي تم بالاحسان وخص
هذه الامة باشرف الاديان • الذي انزل القرآن بافصح لسان • على نبيه المصطفى من عدنان • وجعله
اجل معجزة له واعظم برهان • والهم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان • وبلغاء قحطان • وصانه
عن التحريف والزيادة والنقصان • انشأه كتابا ساطع البيان • قاطع البرهان • معجزا باقيا دون كل
معجز على توجه كل زمان • وايرا من بين سائر الكتب على كل لسان • وكل مكان • احمده وهو اهل الحمد
والحمد لله ملأ الميزان • واشكره والشكر لديه من اسباب المزيد • مبلغ الرضوان • واشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له ذو العزة والجبروت والسلطان شهادة كافلة لقائلها باعلا درجات
اولي الايمان • في دار المقامة من فضله فهو اهل الطول والامتنان • واشهد ان محمدا عبده ورسوله المخصص
بالايات البينات كل البيان • صلى الله عليه وعلى اله وصحبه صلاة وسلاما يدومان ما دام الملوان • ويبقيان
في كل زمان • اما بعد فيقول العبد الفقير الى ربه المستجير من ذنبه احمد بن عبد القادر ابن احمد عيسى
القادري ابن محمد ابن الحسين ابن عبد القادر ابن الناصر ابن عبد الرب ابن علي ابن شمس الدين ابن ابن الامام المهدي
عز الله شرف الدين ابن شمس الدين ابن الامام المهدي احمد ابن محمد هداه الله سواء الطريق وافاده حلاوة
التحقيق مات اجل العلوم مقدارا واوفرها شرفا ومنارا اتفسير بالله المبين وفاء عليه وبالدين
وهو جبل الله المتين • اما كان شيخ شيوخنا مسند المحدثين صدر المدرسين بالجزيرة من قرية من ضواحي صنعاء اليمن
ومن اتبع الهدى ويفرع افضل الائمة من قال بالحق ومن حكم بالعدل ومن عمل به اجره الله تعالى فيه اجرة
وبشره الله سبحانه وتعالى وذكر المواعظ ليتذكر وقص عن احوال الماضين ليعتبر وضرب فيه الامثال ليتدبر وتدارك
ايات التوحيد ليتفكر • ولا سبيل لمعرفة هذه المقاصد منذ الاوائل تفسيره والاحاطة بمعرفة اسباب
نزوله واحكامه ومتشابهه ومحكمه وخاصه وعامه ومجمله ومبينه • والوقوف على ناسخه ومنسوخه
ثم هو كلام معجز لاحاية لاسرار علومه • ولطال ما احدث نفسي مات اصنف في هذا الفن كتابا جامعا
بين الرواية والدراية فاستخرت الله وهو ذو الطول والامتنان • في وضع كتاب في هذا الشان وسميته
تيسير المنان تفسير القرآن جعله الله تعالى لي ولوالدي وجميع اهلي وبعلي موجبا لنيل
الرضوان • والفوز بالجنان انشاء الله تعالى في دار الجنان • ونفع به على ممر الازمان انه هو الرحيم الرحمن
الاله الخالق المعبود على الدوام سبحانه القائم وهو يقوم المستحقات وصلى الله على افضل القرآن وتعلمه وتعليمه عن عثمان رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه رواه البخاري وابو داود والترمذي
وغيرهم وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة
والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف رواه الترمذي وقال
حديث حسن صحيح غريب • وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله
يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله
فيمن عنده رواه مسلم وابو داود وغيرهما وعن البراء قال كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط
بشطنين فتغشته سحابة فجعلت تدنو وتدنو وجعل فرسه ينفر منها فلما اصبح اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم
فذكر ذلك له فقال تلك السكينة نزلت للقرآن رواه مسلم وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه

أخر صفحة من المجتزأ من المخطوط ب للتحقيق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ ١ ﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ ٢ ﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ ٣ ﴾

مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿ ٤ ﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿ ٥ ﴾

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿ ٦ ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ

عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴿ ٧ ﴾

# الفصل الثاني

# التحقيق

**ويحتوي على تحقيق المخطوط من مقدمة المؤلف إلى آخر تفسيره للجزء الأول من القرآن الكريم**

بسم الله الرحمن الرحيم

و به نستعين ... الحمد لله الذي عم بالإحسان ، و خص هذه الأمة بأشرف الأديان ؛ الذي أنزل القرآن بأفصح لسان ، على نبيه المصطفى من عدنان. و جعله أجلّ معجزة له و أعظم برهان ، و أفحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان و بلغاء قحطان ، و صانه عن التحريف و الزيادة و النقصان . أنشأه[1] كتابا ساطع البيان ، قاطع البرهان ، معجزا باقيا دون كل معجز على وجه كل زمان ، دائرا من بين سائر الكتب على كل لسان في كل مكان . أحمده و هو أهل الحمد ، و الحمد لله ملأ الميزان . و أشكره و الشكر لديه من أسباب المزيد و مبلغ الرضوان ، و أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، ذو العزة و الجبروت والسلطان ، شهادة كافلة لي عنده بأعلى درجات أولي الإيمان في دار المقامة من فضله ، فهو أهل الطّول والامتنان .

و أشهد أن محمداً عبده و رسوله ، المختص بالآيات البينات كل البيان ، صلى الله عليه وعلى آله و صحبه صلاةً و سلاماً يدومان ما دام الملوان[2] ، و يبقيان في كل زمان :

---

(1) جاء في القاموس المحيط : و أنشأ يحكي : جعل ، و – منه : خرج ، و – الناقة : لقحت ، و – داراً : بدأ بناءها و – الله ( تعالى ) السحاب : رفعه القاموس ( ٦٩ ) – ط دار الرسالة بيروت –و في مادة جعل يقول : جعله ، كمنعه ، جعلاً ، و يُضم ، و جعالة ، و يكسر ، و اجتعله : صنعه ، و – الشيء جعلاً : وضعه ، وجعل يفعل كذا : أقبل و أخذ ، و يكون بمعنى سمّى و منه : ( و جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ) – الزخرف : ١٩ – وبمعنى التبين : ( إنا جعلناه قرآناً عربياً ) الزخرف : ٣ – و بمعنى الخلق : ( و جعل الظلمات و النور ) – الأنعام : ١ – و بمعنى التشريف : ( جعلناكم أمة وسطاً ) – البقرة : ١٤٣ – ( جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً ) المائدة ٩٧ – و بمعنى التبديل : ( فجعلنا عاليها سافلها ) – هود : ٨٢ – و بمعنى الحكم الشرعي : جعل الله الصلوات المفروضات خمساً، و بمعنى التحكم البدعي:( الذين جعلوا القرآن عضين) – الحجر : ٩١ – أ هـ – القاموس المحيط ( صفحة ١٢٦٢ – ١٢٦٣ ) تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي المتوفى سنة ٨١٧ هـ –ط مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

والذي أراه مناسباً أن أحسن الظن بشيخنا أحمد عبد القادر الكوكباني رحمه الله فأختار من الأقوال ما يبرئه ، ويناسب سياق النص فتكون أنشأه بمعنى جعله و جعله بمعنى بيّنه من التبيين لقوله تعالى : ( إنا جعلناه قرآنا عربياً ) أو بمعنى شرّفه لقوله تعالى :( جعلناكم أمة وسطاً ) و لقوله جل شأنه ( جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً ) و لا أختار له أنشأه بمعنى صنعه لذلك لا أرى لزاماً علي أن أرد على فكرة خلق القرآن الخاطئة و الله أعلم بالنيات .

(2) قال صاحب القاموس : الملوان : الليل و النهار أو طرفاهما – أ هـ مادة (ملا ) صفحة ١٧٢١ .

أما بعد : فيقول العبد الفقير إلى ربه المستجير من ذنبه، أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن الحسين بن عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب بن علي بن شمس الدين ابن الإمام المتوكل على الله شرف الدين بن شمس الدين بن الإمام المهدي أحمد بن يحيى ، هداه الله [ سواء ][1] الطريق ، و أذاقه حلاوة التحقيق ، [ إن ][2] أجلّ العلوم مقدارا، وأرفعها شرفا و منارا ، تفسير كتاب الله المبين ؛ فإنّ عليه مدار الدين ، و هو حبل الله المتين ، والذكر الحكيم ، والصراط المستقيم ، هو الفصل ليس بالهزل . من تركه من جبار قصمه الله ، ومن اتبع الهدى في غيره أضله الله ، من قال به صدق ، و من حكم به عدل ، ومن عمل به أجر. أمر الله تعالى فيه وزجر، وبشّر وأنذر ، و ذكر المواعظ ليُتذكّر ، وقص عن أحوال الماضين ليُعتبر ، و ضرب فيه الأمثال ليُتدبر ، و دل على آيات التوحيد ليُتفكر . و لا سبيل لمعرفة هذه المقاصد منه إلاّ بدراية تفسيره و إعلامه ، و معرفة أسباب نزوله و أحكامه ، ومتشابهه ومحكمه ، و خاصّه و عامه ، و مجمله و مبينه ، و الوقوف على ناسخه ومنسوخه ، ثم هو كلام معجز لا نهاية [ لأسْرار ][3] علومه . و لطالما أحدث نفسي بأن أصنف في هذا الفن كتابا جامعا بين الرواية و الدراية ، فاستخرت الله و هو ذو الطول و الامتنان في وضع كتاب في هذا الشأن و سميته " تيسير المنان تفسير القرآن " جعله الله لي و لوالديّ و جميع أهلي وصحبي موجبا إن شاء الله للرضوان ، [ والفوز ][4] إن شاء الله تعالى في دار الجنان ، ونفع به على ممرّ الأزمان ، إنه هو الرحيم الرحمن . فها أنا الآن أشرع – وعلى الله سبحانه التمام وهو نعم المستعان.

---

[1] في النسخة ( ب ) الموجودة في مكتبة جامع الكبير الغربية بخط الناسخ محمد محسن المتوكل رحمه الله تعالى في [ سر ] أما في النسخة ( أ ) و هي بخط المؤلف رحمه الله تعالى وعند أحد ورثته [ سوا ] أي سواء .

[2] في النسخة ( ب ) [ من ] و النسخة ( أ ) بخط المؤلف [ إن ] و هو الصواب و الموافق للحق فإن القرآن خير ما يتعلمه المؤمن .

[3] في النسخة ( ب ) [ الأنوار ] .

[4] في النسخة ( ب ) [ و القرب ] .

## ( فصل في فضائل القرآن و تعلُّمه و تعليمه )

عن عثمان بن عفان عن النبي ﷺ قال : " خيركم من تعلم القرآن و علمه " رواه البخاري [1] و مسلم[2] و أبو داود[3] و الترمذي[4] و غيرهم[5] . وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : " من قرأ حرفا من كتاب الله ، فله به حسنة و الحسنة بعشر أمثالها . لا أقول : ألم حرف . و لكن:ألف حرف،و لام حرف، و ميم حرف". رواه الترمذي و قال : حديث حسن صحيح غريب[6] .

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : " ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ، و يتدارسونه بينهم ، إلاّ نزلت عليهم السكينة ، و غشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، و ذكرهم الله فيمن عنده ." رواه مسلم[7] و أبو داود[8] وغيرهما[9] .

وعن البراء قال : " كان رجلٌ يقرأ سورة الكهف ، وعنده فرس

---

[1] صحيح البخاري في فتح الباري ( ٨ / ٦٩١ / ٥٠٢٧ ) طبعة المكتبة السلفية بالقاهرة ١٤٠٨ هـ .

[2] لم أعثر عليه في صحيح مسلم و لم يذكر في تحفة الأشراف أن قد رواه ( ٧ / ٢٥٧ / ٩٨١٣ ) و تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف هي للإمام يوسف بن الزكي المزي المتوفى سنة ٧٤٢ هـ نشرته الدار القيمة بالهند ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م . و بهامش هذه الطبعة حاشية لابن حجر العسقلاني رحمه الله اسمها النكت الظراف على الأطراف و لم يذكر رواه مسلم .

[3] سنن ابي داود ( ٢ / ٧١ / ١٤٥٢ ) ط دار الجيل بيروت – ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

[4] سنن الترمذي في تحفة الأحوذي ( ٨ / ١٧٩ / ٣٠٧١ ) و قال عنه هذا حديث حسن صحيح . و هذا الكتاب شرح سنن الترمذي رحمه الله و هو للإمام أبي العلا محمد بن عبد الرحمن المباركفراوي طبعة دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م .

[5] و رواه ابن ماجه في سننه بلفظين ( أفضلكم ... ) و بلفظ ( خيركم ... ) و تتمة الحديث لم تختلف فهي كما قرر الكوكباني – و كتاب سنن ابن ماجه طبعة فيصل عيسى البابي الحلبي بمطبعة دار إحياء الكتب العربية – القاهرة .

[6] سنن الترمذي في تحفة الأحوذي ( ٨ / ١٨٢ / ٣٠٧٥ ).

[7] رواه مسلم ( ٤ / ٢٠٧٤ ) – طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي الطبعة الثانية – ١٩٧٢ م .

[8] كما في سننه ( ١ / ٧١ / رقم ١٤٥٥ ) .

مربوط بشطنين[1] ، فتغشته سحابة ، فجعلت تدور و تدنو ، و جعل فرسه ينفر منها ، فلما أصبح أتى النبي ﷺ ؛ فذكر ذلك له ، فقال : " تلك السكينة تنزلت للقرآن " رواه مسلم[2] . وعن أبي سعيد الخدري ﷺ حدثه أن أسيد بن حضير ﷺ [3] ، بينما هو ليلة يقرأ في مربده[4] إذ جالت فرسه فقرأ ، ثم جالت أخرى فقرأ ، ثم جالت أيضا قال أسيد : فخشيت [ أن تطأ يحيى ][5] فقمت إليه ، فإذا مثل الظلّة فوق رأسي فيها أمثال السرج ، عرجت في الجو حتى ما أراها قال فغدوت على رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربدي إذ جالت فرسي فقال رسول اللهﷺ : اقرأ ابن حضير قال : فقرأت ثم جالت أيضا ثم قال رسول الله ﷺ : اقرأ ابن حضير . قال : فقرأت ثم جالت أيضاً فقال رسول الله ﷺ : اقرأ ابن حضير قال : فانصرفت و كان يحيى قريباً منها خشيت أن تطأه فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجوّ حتى ما أراها فقال رسول الله ﷺ " تلك الملائكة كانت تستمع لك و لو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم " رواه البخاري[6] ومسلم واللفظ

---

[2] رواه ابن ماجه في حديث في سننه ( ١ / ٨٢ / رقم ٢٢٥ ) .

[1] ( بشطنين ) هو بفتح الشين المعجمة و الطاء و هما تثنية شطن و هو الحبل الطويل المضطرب – أ هـ شرح صحيح مسلم للنووي رحمه الله تعالى .( ٦ / ٨١ ) – قال في القاموس : الشَطَن ، محركة : الحبل الطويل، ج : أشطان – صحاح اللغة للجوهري باختصار ( ٥ / ٢١٤٤ ) ط دار العلم للملايين .

[2] صحيح مسلم في شرح صحيح مسلم ( ٦ / ٨١ ، ٨٢ ) للنووي رحمه الله – المطبعة المصرية بالأزهر الطبعة الأولى ١٣٤٧ هـ- ١٩٢٩ م و رواه البخاري بنحوه – صحيح البخاري في فتح الباري ( ٨ / ٦٧٣ / رقم ٥٠١١ ).

[3] أسيد بن حضير : بن سماك بن عتيك الأوسي ، أبو يحيى صحابي ، مقدماً في قبيلته ( الأوس ) من أهل المدينة . و كان يسمى الكامل شهد العقبة الثانية . و كان أحد النقباء الإثني عشر و شهد أحداً فجرح سبع جراحات و ثبت مع رسول الله ﷺ حين انكشف الناس عنه و شهد الخندق و المشاهد كلها و في الحديث : " نعم الرجل أسيد بن حضير " توفي بالمدينة سنة ٢٠ هـ – أ هـ – الإصابة ( ١ / ٧٥٠ ) ط – مكتبة الكليات الأزهرية .

[4] قوله " في مربده " : قال ابن حجر العسقلاني في الفتح " أي في المكان الذي فيه التمر " أ هـ ( ٨ / ٦٨٠ ) في قوله " بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة " .

[5] في النسخة ( أ ) تطأ يحيى و في النسخة ( ب ) تطأني و الصحيح ما جاء في نسخة الأصل كما في نص الحديث في صحيح مسلم كما سيأتي.

[6] في صحيحه في فتح الباري ( ٨ / ٦٧٩ / ٥٠١٨ ).

له[1] و رواه الحاكم بنحوه باختصار [2] و قال فيه [ فالتفت ] [3] فإذا أمثال المصابيح مدلات بين السماء و الأرض فقال : يا رسول الله[4] ما استطعت أن أمضي فقال : تلك الملائكة نزلت لقراءة القرآن أما إنك لو مضيت لرأيت العجائب . و قال صحيح على شرط مسلم .

و عن أبي ذر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ " إنكم لا ترجعون إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه يعني القرآن " رواه الحاكم و صححه[5] .

وعن الحارث الأعور قال : مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على علي فقلت : يا أمير المؤمنين ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث ؟ قال : أو قد فعلوا !! قلت نعم . قال : أما إني قد سمعت رسول الله ﷺ يقول : " ألا إنها ستكون فتنة فقلت : فبم المخرج منها يا رسول الله قال : كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم و خبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله . هو حبل الله المتين ، و هو الذكر الحكيم ، و هو الصراط المستقيم ، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ، و لا تلتبس به الألسنة ، و لا يشبع منه العلماء ، و لا يخلق عن كثرة الرد ، و لا تنقضي عجائبه ، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته ، حتى قالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ، من قال به صدق ، و من عمل به أجر ، و من

---

[1] صحيح مسلم في شرح صحيح مسلم للنووي ( ٦ / ٨٣ ).

[2] في المستدرك ( ١ / ٥٥٣ - ٥٥٤ ) باختصار و برواية عبد الرحمن بن كعب عن مالك عن أسيد ابن حضير و برواية عبد الرحمن بن كعب عن أسيد بن حضير و برواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أسيد بن حضير أنه قال : بينا أنا أقرأ الليلة سورة البقرة فلما انتهيت إلى آخرها سمعت وجبة من خلفي ظننت أن فرسي تطلق فقال اقرأ أبا عتيك [ و التفت ] - فإذا أمثال المصابيح مدلات بين السماء و الأرض فقال : يا رسول الله [ و الله ] ما استطعت أن أمضي قال : فقال : تلك الملائكة نزلت لقراءة القرآن أما إنك لو مضيت لرأيت العجائب - أ هـ من مستدرك الحاكم ( ١ / ٥٥٣ - ٥٥٤ ) و قد كتبت هذه الرواية لاختلافها في كلمتين عما ذكره الكوكباني أشرت إليهما - و هذا الكتاب هو المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري رحمه الله - الناشر دار الكتاب العربي - بيروت و بذيله التلخيص للحافظ الذهبي .

[3] في النسخة ( أ ) و ( ب ) [ فالتفت ] و في مستدرك الحاكم [ و التفت ] و هو الصحيح لموافقته لرواية الحاكم الذي هو الأصل الذي يُنقل عنه .

[4] ذكر في مستدرك الحاكم في الكتاب لفظ [ و الله ] بعد كلمة يا رسول الله .

[5] ( ١ / ٥٥٥ ) و قال هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه و قال الذهبي عنه في التلخيص : " صحيح " .

حكم به عدل ، و من دعا إليه هـدي إلـى صـراط مستقيم خذها إليك يـا أعـور " رواه أحمـد[1] والدارمي[2] و غيرهما[3] من طريـق الحـارث الأعـور ، ورواه البغـوي[4] فـي صـدر تفسيره ، و قال : قال الترمذي : هذا حديث لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه ، وإسناده مجهول [5] .

---

[1] الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ( الجزء ١٨ / ٢ – ٣ ) باختصار و هـذا الكتاب مع مختصر شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني هو للإمام أحمد عبد الرحمن البنا رحمه الله تعالى – دار إحياء التراث العربي بيروت .

[2] في السنن ( ٢ / ٤٣٥ ) بنحوه .

[3] كما سيمر في سنن الترمذي و البغوي في تفسيره .

[4] تفسير البغوي ( ١ / ١٥ – ١٦ ) و اسم تفسيره معالم التنزيل فـي التفسير و التأويل تـأليف أبـي محمـد الحسين بن مسعود الفراء البغوي طبعة دار الفكر – بيروت ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .و الإمـام البغـوي هـو الحسين بن مسعود بن محمد الفرّاء أو إبن الفراء أبو محمد و يلقب بمحيي السنة ، البغوي فقيه محدث مفسر توفى سنة ٥١٦ هـ – أهـ الأعلام ( ٢ / ٢٥٩ )

[5] قال الترمذي في سننه ما نصه : " هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيّات ، و إسناده مجهول و في حديث الحارث مقال . و جاء في تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي : " و إسناده مجهول " لجهالة أبي مختار الطائي و ابن أخ الحارث الأعور . ( و في حديث الحارث مقال ) قـال الحـافظ فـي ترجمتـه كذبه الشعبي في رأيه و رمي بـالرفض ، و فـي حديثه ضعف . أ هـ تحفة الأحـوذي ( ٨ / ١٧٥ – ١٧٨ / ٣٠٧٠ ) و مما قال الذهبي رحمه الله :" روى المغيرة عن الشعبي : حدثني الحارث الأعور و كان كذابـاً قـال ابن المديني : كذاب و قال ابن معين ضعيف و قال عباس ، عن ابن معين ليس به بأس و قال عثمـان الدارمـي : سألت يحيى ابن معين عن الحـارث الأعور فقـال : ثقة . قـال عثمـان :ليس يتـابع يحيـى علـى هـذا وحديث الحارث في السنن الأربعة و النسائي مع تعنته في الرجال ، فقد احتج به و قوّى أمره ، و الجمهور على توهيـن أمره مع روايتهم لحديثه في الأبواب ، فهذا الشعبي يكذبه ، ثم يروي عنه ، و الظاهر أنّه كان يكذبـه فـي لهجتـه وحكاياته و أما في الحديث النبوي فلا و كان من أوعية العلم " – أ هـ باختصار من كتاب ميزان الاعتدال فـي نقد الرجال لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ رحمه الله و الكتاب طبعـة دار إحياء الكتب العربية – ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٣ م .

و أما بخصوص حمزة الزيات فقد قال ابن كثير في كتابه فضـائل القرآن " قلت " لم ينفرد بروايتـه حمـزة بـن حبيب الزيات بل قد رواه محمد بن اسحق عن محمد بن كعب القرظي عـن الحـارث الأعـور فبرئ حمـزة مـن عهدته . على أنه و إن كان ضعيف الحديث فإنه إمام في القراءة . و الحديث مشهور من رواية الحارث الأعور و قد تكلموا فيه بل قد كذبه بعضهم من جهة رأيه و اعتقاده . و أما أنه تعمّد الكذب في الحديث فلا والله أعلم و قصارى هذا الحديث أنه من كلام أمير المؤمنين علي ﷺ . و قد وهم بعضهم في رفعه ، و هو كـلامٌ حسـن صحيح . على أنه قد روي له شاهد عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ . و هذا الحديث= = غريب مـن الوجه الذي روي فيه . و سنده ثنا أبو اليقظـان ثنا عمـار بـن محمـد الثوري أو غيره عن إسحاق الهجري عن أبـي

وعن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ ، قال : " إن هذا القرآن مأدبة الله ، فاقبلوا مأدبته ما استطعتم . إن هذا القرآن حبل الله و النور المبين ، و الشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه ، لا يزيغ فيستعتب ، و لا يعوج فيقوم ، و لا تنقضي عجائبه و لا يخلق من كثرة الرد اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات ، أما إني لا أقول : ألم حرف و لكن ألف حرف و لام حرف وميم حرف . " رواه الحاكم[1] ، ورواه السيد الإمام أبو طالب[2] في أماليه[3] .

و عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " إن لله أهلين من الناس ، قالوا : من هم يا رسول الله قال : أهل القرآن هم أهل الله و خاصته . " رواه النسائي[4] و ابن ماجه[5] و الحاكم كلهم

---

الأحوص عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ . و رواه محمد بن فضيل عن أبي إسحاق الهجري . واسمه إبراهيم بن مسلم و هو أحد التابعين ، و لكن تكلموا فيه كثيراً ، و قال أبو حاتم الرازي : ليّنٌ ليس بالقويّ . و قال أبو الفتح الأزديّ : رفّاع ، كثير الوهم " قلت " فيحتمل – و الله أعلم – أن يكون وهم في رفع هذا الحديث و هو من كلام ابن مسعود ، و لكن له شاهد من وجه آخر و الله أعلم – أ هـ من كلام فضائل القرآن باختصار .

و بناء على هذا التحقيق نقول الحديث بطريقيه كلامٌ حسنٌ صحيح لعليّ ﷺ و كرّم وجهه و لعبد الله ابن مسعود و معناه مقبول عند علماء الإسلام ، و لكن أجزاء من هذا الحديث لا تدرك بالرأي فلها حكم المرفوع إلى النبي ﷺ مثل قوله : " لا تنقضي عجائبه " فبهذا يحمل في طياته دلالة على اعجاز القران الكريم لكل وقت وحين و لا يعلم الغيب إلا الله تعالى و رسوله بوحي منه تعالى .

[1] رواه الحاكم لكنه قال في نهاية الحديث : " لا أقول ألم حرف و لكن ألف و لام و ميم " و قال هذا حديث صحيح الإسناد – أ هـ مستدرك الحاكم ( ١ / ٥٥٥ ) لكن الذهبي في التلخيص ضعفه وقال: في سنده إبراهيم ابن مسلم الهجري .

[2] ( ٣٤٠ – ٤٢٤ هـ ) يحيى بن الحسين أبو طالب الهاروني العلوي الطالبي من أئمة الزيدية يقال له الناطق بالحق . بويع بعد وفاة أخيه المؤيد بالله ( أحمد بن الحسين ) سنة ٤٢١ هـ و قام بتصحيح مذهب الهادي يحيى بن الحسين و توفى بآمل . له تصانيف منها " الإفادة في تاريخ الأئمة السادة خ " صغير رأيته في الفاتكان (١١٥٩ عربي ) و جوامع الأدلة – خ " في أصول الفقه ، و " التحرير – خ " الجزء الثاني ، فقه ، و " جوامع النصوص – خ " و في مخطوطات حضرموت – خ : من كتبه " المجزئ في أصول الفقه – خ " بحضرموت ، و " تيسير المطالب من أمالي الإمام أبي طالب – خ " في السير و الأخبار و الفضائل . أ هـ من الأعلام – باختصار ( ٨ / ١٤١ )

[3] انظر تيسير المطالب في أمالي السيد أبي طالب ( صفحة ١٣٧ ) – ط دار الحياة بيروت – .

[4] في السنن الكبرى كما في تحفة الأشراف ( ١ / ٩٨ ) .

[5] في سننه ( ١ / ٧٨ / ٢١٥ ) عن عبد الرحمن بن بديل عن أبيه بنحوه.

عن ابن مهدي قال : حدثنا عبد الرحمن بن زيد[1] عن أبيه ،عن أنس . وقال الحاكم : يُروى من ثلاثة أوجه ، وعن أنس هذا أجودها[2] . قال عبد العظيم المنذري[3] : وهو إسناد صحيح[4] .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله أوصني قال : " عليك بتقوى الله فإنه رأس الأمر كله ، قلت يا رسول الله زدني قال : عليك بتلاوة القرآن فانه نور لك في الأرض ، وذخر لك في السماء ". رواه ابن حبان في صحيحه ، في حديث طويل[5] .

وعن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : " مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن ؛ كمثل الأترجة ريحها طيب ، و طعمها طيب . و مثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها و طعمها حلو . و مثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب و طعمها مرٌ و مثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح و طعمها مرٌ " وفي رواية : مثل الفاجر بدل المنافق . رواه البخاري[6] و مسلم[7] و النسائي[8] وابن ماجه[9] .

---

(1) في مستدرك الحاكم عبد الرحمن بن بديل عن أبيه عن أنس ( ١ / ٥٥٦ )

(2) مستدرك الحاكم ( ١ / ٥٥٦ )

(3) هو عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله ، أبو محمد ، زكي الدين المنذري : عالم بالحديث و العربية من الحفاظ المؤرخين . له " الترغيب و الترهيب " و " التكملة لوفيات النقلة " أجزاء منه ، و " أربعون حديثا "رسالة ، و " شرح التنبيه " و " مختصر صحيح مسلم " مطبوع في الهند مع شرحه لصديق حسن خان ، و " مختصر سنن أبي داود " أصله من الشام تولى مشيخة دار الحديث الكاملية ( بالقاهرة ) و انقطع بها نحو عشرين سنة عاكفاً على التصنيف و التخريج و الإفادة و التحديث مولده ( سنة ٥٨١ ) هـ و وفاته ( سنة ٦٥٦ هـ ) بمصر . الأعلام ( ٤ / ٣٠ ) و الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة ( ص ١٨١).

(4) من الترغيب و الترهيب للمنذري ( ٢ / ٥٩٣ )الناشر مكتبة الجمهورية العربية – ١٣٩٠ هـ – ١٩٧٠ م .

(5) في الإحسان ( ٢ / رقم ٣٦١ ) – ط مؤسسة الرسالة بيروت – و ابن حبان هو أبو حاتم بن حبان بن أحمد بن معاذ التميمي الدارمي البُستي ، نسبة إلى بست بلد كبير من بلاد الغور بطرف خراسان الشافعي أحد الحفاظ الكبار صاحب التصانيف العديدة المتوفي ببست سنة أربع و خمسين و ثلاثمائة وهو المسمى " بالتقاسيم و الأنواع " في خمس مجلدات و ترتيبه مخترع ، ليس على الأبواب و لا على المسانيد والكشف منه عسير جداً . أ هـ – الرسالة المستطرفة ( ص ٢٠ )

(6) في صحيحه في فتح الباري ( ٨ / ٦٨٣ / ٥٠٢٠ ) بنحوه .

(7) صحيح مسلم في شرح النووي ( ٦ / ٨٣ – ٨٤ )

(8) في سننه ( ٨ / ١٢٤ ، ١٢٥ )

(9) في سننه (٢١٤/٧٧/١)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ " الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة و الذي يقرأ القرآن [ و يتعتع ] فيه و هو عليه شاق له أجران " و في رواية " و الذي يقرأه و هو يشتد عليه له أجران " رواه البخاري[1] و مسلم و اللفظ له [2] و أبو داود[3] والترمذي[4] والنسائي[5] و ابن ماجه[6] .

وعن جابر عن النبي ﷺ ، قال : " القرآن شافع مشفع ، و ماحل مصدق ، من جعله إمامه قاده إلى الجنة ، و من جعله خلف ظهره ساقه إلى النار . " رواه ابن حبان[7] في صحيحه . قوله ماحل بكسر الحاء المهملة ، أي : ساع و قيل : خصم مجادل ، و قيل : الماحل الشاهد ، أي شاهد مصدق .

وعن أبي أمامة الباهلي[8] ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " اقرؤوا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه . " رواه مسلم[9] .

وعن عقبة بن عامر[10] ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " لو كان القرآن في إهاب ما

---

(1) في صحيحه في فتح الباري ( ٨ / ٥٦٠ / ٤٩٣٧ ) بنحوه .

(2) صحيح مسلم ( ١ / ٥٥٠ ).

(3) في سننه ( ٢ / ٧١ / ١٤٥٤ ).

(4) في سننه في تحفة الأحوذي ( ٨ / ١٧٤ / ٣٠٦٨ ) بنحوه وقال هذا حديث حسن صحيح.

(5) في السنن الكبرى انظر تحفة الأشراف ( ١١ / ٤٠٥ / ١٦١٠٢ )- ط مكتبة الجمهورية العربية بمصر .

(6) في سننه ( ٢ / ١٢٤٢ / ٣٧٧٩ ).

(7) في الإحسان ( ١ / ٣٣١ - ٣٣٢ ) ط مؤسسة الرسالة بيروت . قال الشيخ شعيب أرنؤوط تعليقاً إسناده جيد قال الهيثمي في مجمع الزوائد ( ١ / ١٧١ ) رجاله ثقات .

(8) هو صدي بن عجلان ، بن الحارث الباهلي ، أبو أمامة مشهور بكنيته ، قال ابن سعد : سكن الشام ، قال ابن حبان : كان مع علي بصفين ، و كان ممّن شهد بيعة الرضوان ، فقال يا رسول : أنا ممن بايعك تحت الشجرة ، قال : أنت مني و أنا منك ، و أخرج أبو يعلى ، من طريق رجاء بن حيوة ، عن أبي أمامة : أنشأ رسول الله ﷺ غزوا فأتيته فقلت : ادع الله لي بالشهادة ، فقال : اللهم سلّمهم و غنّمهم، - أ هـ الإصابة في تمييز الصحابة ( ٦ / ١٣٣ - ١٣٥ ) - ط مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة -.

(9) صحيح مسلم بشرح النووي ( ٦ / ٩٠ ) هذا حديث شريف تتمته " اقرؤوا الزهراوين البقرة و سورة آل عمران ، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أو كأنهما غيايتان ، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما . اقرؤوا سورة البقرة فإن أخذها بركة ، و تركها حسرة ، ولا يستطيعها البطلة " قال معاوية يعني ابن سلام أحد رواة الحديث :بلغني أن البطلة السحرة - أ هـ .

(10) هو عقبة بن عامر بن عبس الجهني الصحابي المشهور ، روى عن النبي ﷺ كثيرا ، و روى عنه جماعة من الصحابة و التابعين ، منهم ابن عباس ، و أبو أمامة ، و جُبير بن نُضير و بعجة بن عبد الله الجهني أبو إدريس الخولاني و خلق كثير من أهل مصر . قال أبو سعيد بن يونس : كان قارئا عالما بالفرائض ، والفقه ، فصيح اللسان،-

مسته النـار . " رواه البغوي[1] و غيره . قيل : و في إسناده ابن لهيعة[2] . و معنى هذا الحديث : من حمل القرآن و قرأه ؛ لم تمسه النار يوم القيامة .

و عن علي بن أبي طالب كرّمَ اللهُ وجهه قال : قال رسول الله ﷺ : " من قرأ القرآن فاستظهره ، فأحل حلاله و حرم حرامه ، أدخله الله به الجنة ، و شفعه في عشرة من أهل بيته ؛ كلهم قد وجبت لهم النار " . رواه ابن ماجه[3] و الترمذي . واللفظ له، و قال : حديث غريب[4] .

و عن عبد الله بن عمر[5] ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " الصيام و القرآن يشفعان للعبد ، يقول الصيام : رب إني منعته الطعام و الشراب بالنهار فشفعني فيه ، و يقول القرآن : رب إني منعته النوم بالليل فشفعني فيه ، فيشفعان . " رواه أحمد بن حنبل[6]

---

=شاعراً ، كاتباً . شهد صفين مع معاوية و أمره بعد ذلك على مصر مات في أول خلافة معاوية ، على الصحيح في سنة ثمان و خمسين – أ هـ الإصابة في تمييز الصحابة ( ٧ / ٢١ – ٢٢ ) – ط مكتبة الكليات الأزهرية

[1] في تفسيره ( ١ / ١٦ )، وقال البغوي في معنى ما قال الكوكباني .

[2] هو عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي ، و يقال الغافقي قاضي مصر و عالمها قال بعض المحدثين من كتب عنه قبل احتراق مكتبته مثل ابن المبارك و المقرى و عبد الله بن وهب و عبد الله بن سلمة القعبي فسماعهم صحيح قال عبد الله بن وهب عن هذا الحديث ما رفعه ابن لهيعة قط في أول عمره – أ هـ باختصار من ميزان الاعتدال ( ٢ / ٤٧٥ ).

[3] نص ابن ماجه للحديث : من قرأ القرآن و حفظه أدخله الله الجنة و شفّعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد استوجب النار " ( ١ / ٧٨ / ٢١٦ ).

[4] سنن الترمذي في تحفة الأحوذي ( ٨ / ١٧٤ ، ١٧٥ / ٣٠٦٩ ) و قال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، و ليس له إسناد صحيح ، و حفص بن سليمان أبو عمر بزاز كوفي يضعف في الحديث وقال الذهبي رحمه الله في ميزان الاعتدال : حفص بن سليمان [ الترمذي ، القزويني ] و هوحفص بن أبي داود ، أبو عمر الأسدي ، مولاهم الكوفي الغاضري صاحب القراءة و ابن امرأة عاصم . و يقال له حُفيص . روى عن شيخه في القراءة عاصم ، عن قيس بن مسلم ، و علقمة بن مرثد و محارب بن دثار و عدة . و أقرأ الناس مدة و كان ثبتاً في القراءة واهياً في الحديث ، لأنه كان لا يتقن الحديث ، و يتقن القرآن و يجوده و إلا فهو في نفسه صادق . ميزان الاعتدال باختصار ( ١ / ٥٥٨ / ٢١٢١ ).

[5] النسخة ( أ ) و ( ب ) عن عبد الله بن عمر ، و الصحيح عبد الله بن عمرو – بن العاص – كما ورد عند أحمد ( ٢ / ١٧٤ ) و المنذري في الترغيب ( ٢ / ٥٨٩ ) و الحاكم في المستدرك ( ١ / ٥٥٤ ).

[6] في مسنده ( ٢ / ١٧٤ ).

وابن أبي الدنيا[1] في كتاب الجوع ، و الطبراني في الكبير[2] و الحاكم ، و اللفظ لـه . و قـال : صحيح على شرط مسلم[3] .

وعن سهل بن معاذ الجهني عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ قال : " من قرأ القرآن و عمل بـه ، ألبس والداه تاجا يوم القيامة ، ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا ، فما ظنكم بالذي عمل به . " رواه أبو داود[4] و الحاكم[5] ،

وقال : صحيح الإسناد. و رواه البغوي [6] .

وعن بريدة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " من قرأ القرآن و تعلمه و عمـل بـه ، ألبس والداه يوم القيامة تاجا من نور ، ضوؤه مثل ضوء الشمس ، و يُكسى والداه حلتان لا تقوم بهما الدنيا ، فيقولان : بم كسينا هذا ؟ فيقال : بأخذ ولدكما القرآن . " رواه الحاكم ، و قال : صحيح على شرط مسلم [7] .

---

[1] الترغيب و الترهيب للمنذري ( ٢ / ٥٨٩ ).

[2] الترغيب و الترهيب للمنذري ( ٢ / ٥٨٩ ).

[3] في المستدرك ( ١ / ٥٥٤ ).

[4] في سننه ( ٢ / ٧١ / ١٤٥٣ ).

[5] في المستدرك ( ١ / ٥٦٧ ) بنحوه و أورده الذهبي في التحصيل تعليقاً ( ١ / ٥٦٨ ) و أورد في سنده زبان و قال عنه ليس بالقوي أما معاذ الجهني ﷺ فقد قال عنه ابن حجر العسقلاني : " معاذ بن أنس الجهني حليف الأنصار – قال أبو سعيد بن يونس صحابي كان بمصر و الشام و قد ذكر فيهما ، روى عن النبي ﷺ أحاديث و له رواية عن أبي الدرداء و كعب الأحبار ، روى عنه ابنه سهل بن معاذ وحده ، و ذكر أبو أحمد العسكري ما يدل على أنه بقي إلى خلافة عبد الملك بن مروان ، و كأنه أشار إلى ما أخرج البغوي من طريق فروة بن مجاهد عن سهل بن معاذ قال غزوت مع أبي الصائفة في زمن عبد الملك بن مروان و علينا عبد الله بن عبد الملك فقام أبي في الناس فذكر قصة فيها أنه غزا مع النبي ﷺ " – أ هـ الإصابة في تمييز الصحابة – ط دار الكتاب العربي بيروت – ( ٣ / ٤٠٦ / ٨٠٣٨ ).

[6] في تفسيره ( ١ / ٢٠ ).

[7] لكن ورد هذا الحديث في مستدرك الحاكم ( ١ / ٥٦٨ )و اختلف نص الحديث في ثلاثة مواضيع أشرت تحتها بخط فجاء كما يلي عند الحاكم عن عبد الله بن بريدة الأسلمي عن أبيه ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " من قرأ القرآن و تعلمه و عمل به ألبس يوم القيامة تاجاً من نور ضوؤه مثل ضوء الشمس و يكسى والديه حلتان لا يقوم بهما الدنيا فيقولان بما كسينا هذا فيقال بأخذ ولدكما القرآن " هذا الحديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه – أ هـ – قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى : " بريدة بن سفيان الأسلمي – تابعي مشهور مضعف عندهم ، قال ابن حبان : في التابعين . قيل إن له صحبة ، و ذكره عبدان لحديث أرسله ووهم فيه أيضا في بعض الأسماء، و ذلك أنه روي من طريق عبد الرحمن بن عبد الله عن الزهري عن بريدة =

و عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : " يجيء صاحب القرآن يوم القيامة ، فيقول القرآن : يا رب حلّه فيلبس تاج الكرامة ، ثم يقول : يا رب زده ، فيلبس حلة الكرامة ، ثم يقول: يا رب ارض عنه فيرضى عنه فيقال له : اقرأ و ارق ، و يزداد بكل آية حسنة " رواه الترمذي وحسنه[1] و ابن خزيمة[2] و الحاكم و قال : صحيح الإسناد[3] .

وعن عبد الله بن عمر و بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : " يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارق[4] ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها " رواه الترمذي[5] وأبو داود[6] و ابن ماجه[7] و ابن حبان في صحيحه[8] . و قال الترمذي : حديث حسن صحيح[9] . قال الخطابي[10] : جاء في الأثر أن عدد آي القرآن على قدر درج الجنة . فيقال

---

= بن سفيان الأسلمي أن رسول الله ﷺ بعث عاصم بن عدي و زيد بن الدثنة و خبيب بن عدي و مرثد بن أبي مرثد ، فذكر الحديث في قصة قتل عاصم و غيره . و وهم في قوله عاصم بن عدي ، و إنما هو عاصم بن ثابت ، و الحديث مخرج في الصحيحين من طرق عن الزهري عن عمرو بن أبي سفيان عن أبي هريرة على الصواب " – أ هـ الإصابة في تمييز الصحابة ( ١ / ١٨١ / ٨٠٦ ).

(١) سنن الترمذي في تحفة الأحوذي ( ٨ / ١٨٣ / ٣٠٣٦ ).

(٢) الترغيب و الترهيب للمنذري ( ٢ / ٥٨٥ / ١٥ ).

(٣) في المستدرك ( ١ / ٥٥٢ ) و في رواية الكوكباني زيادة .

(٤) جاء في تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي : ( وارق ) أمر من رقى يرقى أي اصعد إلى درجات الجنة ، يقال رقي الجبل و فيه و إليه رقياً و رقيّاً أي صعد – أ هـ باختصار – القاموس المحيط ( صفحة ١٦٦٤ ).

(٥) سنن الترمذي في تحفة الأحوذي ( ٨ / ١٨٦ ، ١٨٧ / ٣٠٨١ ).

(٦) في سننه ( ٢ / ٧٤ / ١٤٦٤ ).

(٧) في سننه عن أبي سعيد الخدري بنحوه ( ٢ / ١٢٤٢ / ٣٧٨٠ ) و قال في الزوائد : في إسناده عطية العوفي و هو ضعيف و ليس في إسناد الترمذي و لا أبي داود عطية العوفي هذا الذي جاء في سند ابن ماجه في رواية أبي سعيد الخدري ﷺ .

(٨) في الإحسان ( ٣ / رقم ٧٦٦ ) و قال بعد صاحب القرآن " يوم القيامة " – أ هـ .

(٩) في سننه في تحفة الأحوذي ( ٨ / ١٨٧ ).

(١٠) هو أبو سليمان الخطابي حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي كان فقيها أديبا محدثا ، له التصانيف البديعة منها " غريب الحديث " ، و " معالم السنن في شرح سنن أبي داود " ، و " أعلام السنن في شرح البخاري " و كتاب " إصلاح أغلاط المحدثين " و غير ذلك . و كانت وفاته سنة ٣٨٨هـ هـ بمدينة بست ، رحمه الله تعالى أ هـ – باختصار من كتاب وفيات الأعيان ( ٢ / ٢١٤ ) و هذا الكتاب اسمه وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ( ٦٠٨ – ٦٨١ ) هـ طبعة دار صادر بيروت .

للقارئ : ارق في الدرج على قدر ما كنت تقرأ[1] آي القرآن فمن استوفى قراءة جميع القرآن ، استولى على أقصى درج الجنة في الآخرة ، و من قرأ جزءا منه كان رقيه في الدرج على قدر ذلك ، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة [2] .

و عن ابن عمر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " ثلاثة لا يهولهم الفزع الأكبر ، و لا ينالهم الحساب ؛ هم على كثيب من المسك حتى يُفرغ من حساب الخلائق ؛ رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله ، و أمّ به قوما و هم به راضون ، و داع يدعو إلى الصلاة ابتغاء وجه الله تعالى ، وعبدٌ أحسن فيما بينه و بين ربّه ، و فيما بينه و بين مواليه . " رواه الطبراني في الأوسط والصغير بإسناد لا بأس به[3] ، و رواه في الكبير بنحوه ، و زاد في أوله . قال ابن عمر لو لم أسمعه من رسول الله إلاّ مرة و مرة و مرة حتى عدّ سبع مرات ، لما حدثت به[4] .

وعن أبي سعيد ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " يقول الرب تبارك و تعالى : من شغله القرآن عن ذكري و مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ، و فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه . " رواه الترمذي و قال : حديث حسن غريب[5] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " لا حسد إلاّ في اثنتين : رجل آتاه الله هذا الكتاب فقام به آناء الليل و النهار ، ورجل أعطاه الله مالاً فتصدق به آناء الليل والنهار "

رواه البخاري[6] و مسلم[7] . و الحسد قسمان : حقيقي و مجازي فالحقيقي تمني زوال النعمة عن صاحبها ، و هذا حرام بإجماع

---

[1] وردت في كتاب الترغيب و الترهيب " من آي القرآن " بإضافة " من " و لم ترد في النسخة ( أ ) و نسخة ( ب ).

[2] أ هـ من الترغيب و الترهيب ( ٢ / ٥٨٦ ) للمنذري .

[3] مجمع الزوائد ( ١ / ٣٢٧ ، ٣٢٨ ) و فيه – أي في إسناده – عبد الصمد بن عبد العزيز المقري ذكره ابن حبان في الثقات – أ هـ –.

[4] مجمع الزوائد ( ١ / ٣٢٧ ) و فيه – أي في إسناده – بحر بن كنده السقاء و هو ضعيف – أ هـ –.

[5] سنن الترمذي في تحفة الأحوذي ( ٨ / ١٩٦ ، ١٩٧ / ٣٠٩٤ ) و قد أشار في التحفة إلى ضعف الحديث لضعف بعض الرواة في سنده .

[6] في صحيحه في فتح الباري ( ٨ / ٦٩٠ / ٥٠٢٥ ) بنحوه .

[7] صحيح مسلم في شرح النووي ( ٨ / ٩٧ ) و اللفظ له إلا أنه روى : " فقام به آناء الليل و آناء النهار " .

الأمة[1] مع النصوص الصحيحة[2] . و المجازي : فهو الغبطة ، و هو أن يتمنى مثل النعمة التي على غيره من غير زوالها عن صاحبها . فإن كانت من أمور الدنيا كانت مباحة ، و إن كانت طاعة فهي مستحبة[3] . و الله سبحانه أعلم .

## فصل في الترهيب من نسيان القرآن بعد تعلمه و ما جاء فيمن ليس في جوفه منه شيء

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الذي ليس في جوفه شيءٌ من القرآن كالبيت الخراب " رواه الترمذي و الحاكم كلاهما من طريق قابوس ابن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس . و قال الحاكم : صحيح الإسناد[4] . و قال الترمذي : حديث حسن صحيح [5] .

و عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : إن أحقر[6] البيوت بيت ليس فيه شيء من كتاب الله . رواه الحاكم موقوفا و قال : و رفعه بعضهم[7] .

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (٨/٩٧) .

(٢) لقوله تعالى ( ومن شر حاسد إذاحسد ) (الآية ٥ من سورة الفلق) ولقوله تعالى :(( أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ) (٥٤ النساء ) وإنما كان مذموماً لأن فيه تسفيه الحق سبحانه ، وأنه أنعم على من لا يستحق – أنظر تفسير القرطبي (٢/٧١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( إياكم والحسد ، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ) ، أو قال ( العشب ) رواه أبو داود (٤/٢٧٨) .

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (٨/٩٨) .

(٤) مستدرك الحاكم (١/٥٥٤) بنحوه وقال ( الخرب )بدلاً من الخراب لكن الذهبي قال عن قابوس لين – الحصيل (١/٥٥٤) .

(٥) سنن الترمذي في تحفة الأحوذي (٨/١٨٦/٣٠٨٠) لكنه روى : ( كالبيت الخرب ) دون الألف بعد الراء .

(٦) لقد أخطأ المؤلف في نص الحديث حيث ورد عند الحاكم بلفظ ( إن أصفر البيوت بيت ليس فيه شيء من كتاب الله ) المستدرك (١/٥٦٦) .

(٧) مستدرك الحاكم (١/٥٦٦) .

و عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " عرضت علي أجور أمتي حتى القذاة[1] يخرجها الرجل من المسجد، و عرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها الرجل ثم نسيها . " رواه أبو داود[2] و الترمذي[3] و ابن ماجه[4] و ابن خزيمة في صحيحه[5] .

و عن سعد بن عبادة ﷺ قال : قال رسول الله : " ما من امرئ يقرأ القرآن ثم ينساه إلاّ لقي الله أجذم . " رواه أبو داود عن يزيد ابن أبي زياد عن عيسى بن فائد[6] عن سعد و يزيد ابن أبي زياد ، هذا هو الهاشمي . و عيسى بن فائد إنما روى عن من سمع سعد[7] . قال عبد

---

(1) القذاة : بالرفع أو الجر و هي بفتح القاف . قال الطيبي : القذاة هي ما يقع في العين من تراب أو تبن أو وسخ – أ هـ تحفة الأحوذي ( ٨ / ١٨٨ ) باختصار . و منه قول الخنساء في رثاء أخيها صخر :

قذى بعينك أم بالعين عوارُ  أم أذرفت إذ خلت من أهلها الدار

(2) في سننه ( ١ / ١٢٣ / ٤٦١ )

(3) قال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه و ذاكرت به محمد بن إسماعيل فلم يعرفه و استغربه . قال محمد و لا أعرف للمطلب بن عبد الله بن حنطب سماعاً من أحد من أصحاب النبي ﷺ إلا قوله حدثني و شهد خطبة النبي ﷺ – و سمعت عبد الله بن عبد الرحمن يقول لا نعرف للمطلب سماعاً من أحد من أصحاب النبي ﷺ قال عبد الله : و أنكر علي بن المديني أن يكون المطلب سمع من أنس – سنن الترمذي في تحفة الأحوذي ( ٨ / ١٨٧ ، ١٨٨ / ٣٠٨٣ ) و محمد بن إسماعيل هو الإمام البخاري رحمه الله تعالى انظر تحفة الأشراف ( ١ / ٤٠٧ ) و مما جاء في تحفة الأحوذي شرحاً للحديث الشريف " فلم أر ذنبا " أي يترتب على نسيان " أعظم من سورة " أي من ذنب سورة كائنة ( من القرآن ) قال القاري في المرقاة : فإن قلت هذا مناف لما مر في باب الكبائر ، قلت إن سلم أن أعظم و أكبر مترادفان ؛ فالوعيد على النسيان لأجل أن مدار هذه الشريعة على القرآن فنسيانه كالسعي في الإخلال بها ، فإن قلت النسيان لا يؤاخذ به ، قلت المراد تركها عمداً إلى أن يفضي إلى النسيان . و قيل المعنى أعظم من الذنوب الصغائر إن لم تكن عن استخفاف و قلة تعظيم ، كذا نقله ميرك عن الأزهار – أ هـ من التحفة ( ٨ / ١٨٨ )

(4) و لقد رجعت إلى سننه فلم أجده لكن جاء في الترغيب و الترهيب ( ٢ / ٦٠١ ) عن ابن ماجه و هو منقول عن تفسير ابن ماجه الذي لم أعثر عليه .

(5) ( ٢ / ٢٧١ / ١٢٩٧ )

(6) في النسخة ( ب ) قائد و الصحيح ما جاء في الأصل حسب رواية أبي داود في سننه و هو " فائد " .

(7) سنن أبي داود ( ١ / ١٢٣ )

الرحمن ابن أبي حاتم[1] و غيره قال الخطابي ، قال أبو عبيدة : الأجذم مقطوع اليد . و قال ابن قتيبه: الأجذم هنا المجذوم . و قال ابن الأعرابي : معناه أنه يلقى الله خالي اليدين من الخير . كني باليد عن ما تحويه اليد ، و قال آخرون : معناه لا حجة له[2] .

## فصل
## في الترغيب في تعاهد القرآن و تحسين الصوت به

عن أبي موسى الأشعري ، عن النبي ﷺ قال : " تعاهدوا [ هذا ] القرآن فو الذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الإبل في عُقُلها [3] . " رواه مسلم[4] .

و عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : " إنما مثل [ صاحب ] القرآن كمثل الإبل المُعقّلة[5] إن عاهد عليها أمسكها . و إن أطلقها ذهبت . " رواه البخاري[6] و مسلم[7] . و في رواية " و إذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل و النهار ذكره ، و إذا لم يقم به نسيه . "[8]

---

[1] هو أبو محمد عبد الرحمن ( ابن أبي حاتم ) محمد بن إدريس بن المنذر ابن داود بن مهران التميمي الحنظلي ، قيل نسبه إلى درب حنظلة بالري ، الرازي ، حافظ الري و ابن حافظها ، بحر العلم المتوفى ( سنة ٣٢٧ هـ ) و له مسند في ألف جزء و تفسير – انظر الرسالة المستطرفة للكتاني ( ص : ٧٢ ، ٧٦ ) ط دار البشائر الإسلامية بيروت ( ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٦م )

[2] الترغيب و الترهيب للمنذري ( ٢ / ٦٠٢ ) . و الأجذم : المقطوع اليد أو الذاهب الأنامل . قاموس المحيط ( ص ١٤٠٤ )

[3] في النسخة ( ب ) عقالها و الصحيح ما جاء في النسخة ( أ ) للموافقة لرواية مسلم .

[4] صحيح مسلم في شرح النووي ( ٦ / ٧٨ ) أضفت كلمة هذا في الحديث لثبوتها في الحديث بنص صحيح مسلم و لم يثبتها الكوكباني رحمه الله في النسختين ( أ ) و ( ب ) .

[5] جاءت في صحيح مسلم مُشكّلة " المُعقّلة " بضم الميم و فتح العين المهملة و تشديد القاف بالفتح و فتح اللام . ( ٦ / ٧٥ ). و كذلك هي في البخاري كما أوردها العسقلاني في شرحه و قال هي المشدودة انظر ( ٨ / ٦٩٦ ) .

[6] صحيح البخاري في فتح الباري ( ٨ / ٦٩٦ / ٥٠٣١ ) و البخاري أثبت كلمة صاحب قبل كلمة القرآن و كذلك كلمة الإبل في الحديث الشريف و هذا يسهل فهم الحديث .

[7] صحيح مسلم في شرح النووي ( ٦ / ٧٥ ) و أضفت كلمة صاحب الأولى إلى الحديث لوجوده في البخاري و مسلم علما أن الكوكباني رحمه الله لم يثبتها و هذا في النسختين ( أ ) و ( ب ) .

[8] صحيح مسلم بشرح النووي ( ٦ / ٧٦ )

و عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : " ما أذن الله لشيء كما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به . " رواه البخاري[1] و مسلم و اللفظ له[2] و أبو داود[3] و النسائي[4] . قوله : أذن بكسر الذال أي ما استمع الله لشيء من كلام الناس كما سمع[5] إلى من يتغنى بالقرآن أي يحسن به صوته .

---

(1) فتح الباري ( ٨ / ٦٨٥ / ٥٠٢٤ )

(2) صحيح مسلم في شرح النووي ( ٦ / ٧٩ ) لكن مسلم اللفظ عنده أتى هكذا " ... ما أذن لنبي ... " و في رواية " ... كأذنه لنبي ... " .

(3) في سننه ( ٢ / ٧٦ / ١٤٧٤ )

(4) في سننه ( ٢ / ١٨٠ )

(5) قال القرطبي : أصل الأذن بفتحتين أن المستمع يميل بأذنه إلى جهة من يسمعه ، و هذا المعنى في حق الله لا يراد به ظاهره ؛ و إنما هو على سبيل التوسع على ما جرى به عرف المخاطب ، و المراد به في حق الله تعالى إكرام القارئ و إجزال ثوابه ، لأن ذلك ثمرة الإصغاء – أ هـ فتح الباري ( ٨ / ٦٨٦ ) و الملاحظ أن الكوكباني رحمه الله مال إلى أن يضع كلمة " سمع " لا استمع " حرصاً منه على عدم التشبيه و حرصاً على التنزيه لله رب العالمين .

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى : قوله ﷺ : " ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن " هو بكسر الذال قال العلماء معنى أذن في اللغة الاستماع ، و منه قوله تعالى ( و أذنت لربها ) قالوا ولا يجوز أن تحمل هنا على الاستماع بمعنى الإصغاء فإنه يستحيل على الله تعالى . بل هو مجاز ومعناه الكناية عن تقريبه القارئ وإجزال ثوابه لأن سماع الله تعالى لا يختلف فوجب تأويله – أ هـ صحيح مسلم بشرح النووي ( ٦ / ٧٨ ) .

إلا أننا أشرنا إلى أن الكوكباني رحمه الله مال الى تفسير معنى كلمة استمع بمعنى سمع و هذا يؤيده اسم الله السميع الذي هو توقيفي من الكتاب و السنة فهو يسمع سبحانه تلاوة التالين للقرآن الكريم فيكشف بها كمالات تلاوة القرآن و صفاتها و هي موجودة و صادرة و هو يعلمها أزلاً سبحانه و مما قال أبو حامد الغزالي في إثبات صفة السمع لله رب العالمين : هو الذي لا يعزب عن إدراكه مسموع و إن خفي ، و يدرك دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء .... يسمع حمد الحامدين فيجازيهم ، و دعاء الداعين فيستجيب لهم . و يسمع بغير أصمخة و أذن كما يفعل بغير جارحه ، و يتكلم بغير لسان .. و سمعه منزه عن أن يتطرق إليه الحدثان . و مهما نزهت السمع عن تغيير يعتريه عند حدوث المسموعات ، و قدسته عن أن يسمع بأذن أو لالة و أداة – علمت أن السمع في حقه عبارة عن صفة يكشف بها كمال صفات المسموعات . ومن لم يدقق نظرا فيه وقع بالضرورة في محض التشبيه . فخذ منه حذرك ، و دقق فيه نظرك – أ هـ من كتاب المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ( صفحة – ٨٤ ) لأبي حامد الغزالي – ط مكتبة القرآن – ولا شك أن السمع من ثمرات الاستماع والى هذا التأويل بالثمرة ذهب المؤلف رحمه الله تعالى . و انظر لسان العرب ( ١٦ / ١٤٨ ) ط الدار المصرية للتأليف .

و ذهب سفيان بن عيينة[1] و غيره إلى أنه من الاستغناء[2] و هو مردود[3] .

و عن فضالة بن عبيد ، أن النبي ﷺ قال : " [ لله ][4] أشد أذنا [5] للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته . " رواه أحمد بن حنبل[6] و ابن ماجه[7] و ابن حبان في صحيحه[8] و الحاكم . و قال : صحيح على شرطهما[9] . قوله : أشد أذنا . الأذن : هو السماع[10] . قال عدي بن زيد[11] شعرا :

---

[1] هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي . أبو محمد : محدث الحرم المكي . من الموالي . ولد بالكوفة و سكن مكة و توفي بها ، كان حافظاً ثقة ، واسع العلم كبير القدر و حج سبعين سنة و كان أعور ولد سنة ( ١٠٧ هـ ) و توفي ( ١٩٨ هـ ) = ( ٧٢٥ - ٨١٤ م ) . و له " الجامع " في الحديث و كتابه في التفسير أ هـ من كتاب الأعلام - ( ٣ / ١٠٥ )

[2] ذكر البخاري نفسه ذلك في صحيحه فقال : قال سفيان : تفسيره يستغني به و قال ابن حجر العسقلاني. قوله ( عن سفيان ) هو بن عيينة - فتح الباري ( ٨ / ٧٨٥ ) .

[3] قال النووي : و قوله " يتغنى بالقرآن " معناه عند الشافعي و أصحابه و أكثر العلماء من الطوائف و أصحاب الفنون يحسن صوته به ، وعند سفيان بن عيينةيستغني به قيل به عن الناس ، و قيل عن غيره من الأحاديث و الكتب ، قال القاضي عياض القولان منقولان عن ابن عيينة قال : يقال تغنيت و تغانيت بمعنى استغنيت و قال الشافعي و موافقوه معناه تحزين القراءة و ترقيقها و استدلوا بالحديث الآخر " زينوا القرآن بأصواتكم " قال الهروي معناه يتغنى به يجهر به و أنكر أبو جعفر الطبري تفسير من قال يستغنى به و خطأه من حيث اللغة و المعنى و الخلاف جار في الحديث الأخر " ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن " و الصحيح أنه من تحسين الصوت و يؤيده الرواية الأخرى يتغنى بالقرآن يجهر به - أ هـ من شرح النووي (٦/٧٨-٧٩) .

[4] وردت في النسخة ( أ ) و ( ب ) بلفظ ( الله ) و هي في لفظ ابن ماجه ( لله ) فأثبتها في نص الحديث بالأصل للضرورة .

[5] هكذا جاءت في النسخة ( أ ) بفتح الهمزة و الذال .

[6] في مسنده ( ٦ / ١٩ - ٢٠ )

[7] في سننه ( ١ / ٤٢٥ / ١٣٤٠ )

[8] في الإحسان ( ٣ / رقم ٧٥٤ )

[9] مستدرك الحاكم ( ١ / ٥٧١ ) عند الحاكم " لله " و الكوكباني أورد الحديث [ الله ] .

[10] جاء في القاموس : أذن إليه ، و له ، كفرح : استمع معجبا ، أو عام ( القاموس المحيط / ١٥١٦ ) .

[11] قال الزركلي في الأعلام : عدي بن زيد بن حماد بن زيد العبادي التميمي : شاعر من دهاة الجاهليين ، كان قرويا من أهل الحيرة فصيحا يحسن العربية و الفارسية و الرمي بالنشاب و يلعب لعب العجم بالصوالجة على الخيل ، و هو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى ؛ اتخذه في خاصته ، و جعله ترجمانا بينه و بين=

أيها القلبُ تعلّل[1] بددن[2]  إنّ همّي في سماع و أذن[3]

و إنما حسّن تكرير المعنى في البيت ، لأن الأذن : هو السماع اختلاف اللفظ .

و للعرب مذهب في هذا معروف و مثله : و هندٌ أتى من دونها النأي و البعد[4] .

و عن البراء بن عازب ﷺ[5] قال : قال رسول الله ﷺ : " زينوا القرآن بأصواتكم . "

رواه أبو داود[6] و النسائي[7] و ابن ماجه[8] قال أبو سلمان الخطابي : معناه ؛ زينوا أصواتكم بالقرآن[9] هكذا فسره غير واحد من أئمة الحديث و زعموا أنه من باب المقلوب كما قالوا عرضت الناقة على الحوض أي عرضت الحوض على الناقة[10] .

---

= العرب و قال ابن قتيبة : كان يسكن الحيرة و يدخل الأرياف فتقل لسانه و علماء العربية لا يرون في شعره حجة و مات في نحو ٣٥ ق هـ - أ هـ ( ٤ / ٢٢٠ ).

(١) تعلل بالأمر : تشاغل أو تجزأ كاعتل- أ هـ قاموس ( ١٣٣٨ ).

(٢) الدّدن : محركة : اللهو ، و اللعب كالدد .. - أ هـ قاموس ( ص ١٥٤٣ ).

(٣) انظر لسان العرب ( ١٦ / ١٤٨ ) ط الدار المصرية للتأليف و الترجمة و ذكر البغدادي البيت في شرح شواهد المغني ( ٨ / ١٠٣ ) تحقيق عبد العزيز رباح و احمد يوسف الدقاق- ط دار المأمون للتراث - دمشق الطبعة الأولى ( ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ).

(٤) هذا شطر من بيت جاء في تاج العروس و نسبه للحطيئة ( ٢٠ / ٢١٢ ) مادة ( نأي ) ، و جاء في ديوان الحطيئة ( صفحة ٣٩ ) و صدره :

ألا حبذا هند و أرض بها هندٌ .....

(٥) هو البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي يكنى أبا عمارة و يقال أبا عمر - له و لابنه صحبة و روي عنه أنه غزا مع رسول الله ﷺ أربع عشرة غزوة و في رواية خمس عشرة إسناد صحيح وعنه قال سافرت مع رسول الله ﷺ ثمانية عشر سفراً . و قد روى عن النبي ﷺ جملة من الأحاديث و مات في إمارة مصعب بن الزبير و أرخه ابن حبان سنة اثنتين و سبعين . أ هـ بتصرف من الإصابة ( ١ / ١٤٦ - ١٤٧ / ٦١٨ ).

(٦) في سننه ( ٢ / ٧٥ / ١٤٦٨ ).

(٧) في سننه ( ٢ / ١٨٠ ).

(٨) في سننه ( ١ / ٤٢٦ / ١٣٤٢ ).

(٩) الترغيب و الترهيب ( ٢ / ٦١٠ ).

(١٠) قال الإمام السيوطي تعليقا على الحديث : قوله " زينوا القرآن بأصواتكم " أي بتحسين أصواتكم عند القراءة فإن الكلام الحسن يزيد حسنا وزينة بالصوت الحسن وهذا مشاهد . ولما رأى بعضهم أن القرآن أعظم=

وروي عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا ، و تغنوا به فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا . " رواه ابن ماجه[1] . و معناه : ليس على طريقتنا الكاملة .

و روي عن جابر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " إن من أحسن الناس صوتا بالقرآن ، الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله تعالى . "رواه ابن ماجه[2] أيضا .

عن ابن أبي مُليكة[3] قال : قال عبيد الله بن أبي يزيد : مرّ بنا أبو [ لبابة ][4] فاتبعناه حتى دخل بيته ، فدخلنا عليه ، فإذا رجل رث الهيئة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " ليس منا

---

=من أن يحسن بالصوت بل الصوت أحق أن يحسن بالقرآن قال : معناه " زينوا أصواتكم بالقرآن " هكذا فسره غير واحد من أئمة الحديث و زعموا أنه من باب القلب و قال شعبة – أحد الرواة في سند آخر للحديث – نهاني أيوب أن أحدث زينوا القرآن بأصواتكم ، و رواه مَعْمَر عن منصور عن طلحة " زينوا أصواتكم بالقرآن هو الصحيح و المعنى اشتغلوا بالقرآن و اتخذوه شعاراً و زينة – أ هـ شرح سنن النسائي ( ٢ / ١٧٩ ) و رواية الحديث الأولى صححها السيوطي أيضاً فقال عن الحديث "زينوا القرآن بأصواتكم " رواه عن البراء كل من أحمد وأبي داود و النسائي و ابن ماجه ، و ابن حبان في صحيحه ، و الحاكم في مستدركه و رواه أبو نصر السجزي في الإبانة عن أبي هريرة و رواه أبو نعيم في الحلية عن عائشة . حديث صحيح – أ هـ الجامع الصغير ( ٢ / ٣٢ / ٤٥٧٦ )

و لا تعارض بين الروايتين فالقرآن يزين الصوت و يباركه و الصوت الحسن يزيّن القرآن فتكون موعظته أبلغ تأثيراً في أعماق النفس و لا لزوم لفهم الحديث و المروي عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء عن رسول الله ﷺ " زينوا القرآن بأصواتكم " ، على أساس أنه من المقلوب – مع أن القلب معروف في كلام العرب – من صحة الرواية و من رواية الحاكم في مستدركه من غير طريق عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء ﷺ الذي تكلمنا عنه فقد روى زاذان أبو عمر عن البراء ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " زينوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً " – رواه الحاكم في مستدركه ( ١ / ٥٧٥ ) و قال عنه السيوطي رواه الحاكم في مستدركه عن البراء . حديث صحيح – ( ٢ / ٣٢ / ٤٥٧٧ )

[1] في سننه ( ١ / ٤٢٤ / ١٣٣٧ )

[2] في سننه ( ١ / ٤٢٥ / ١٣٣٩ )

[3] هو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مُليكة القرشي التميمي مكي ، و كان قاضيا على عهد ابن الزبير ، أبو بكر الأحول و يقال أبو محمد روى عن ابن عباس و ابن عمر و ابن الزبير و عائشة روى عنه ابن جريج و عبد الجبار بن الورد سمعت أبي يقول ذلك و ابنه عبد الرحمن و الليث بن سعد حدثنا عبد الرحمن قال سألت أبي و أبا زرعة عنه فقالا : مكي ثقة . أ هـ الجرح و التعديل للرازي ( ٥ / ٩٩ – ١٠٠ / ٤٦١ )

[4] أبو لبابة و هذه كنيته و هو رفاعة بن المنذر ﷺ – أ هـ من كتاب المغني في ضبط أسماء الرجال في الصحاح و غيرها للعلامة الفتني و هو كتاب مخطوط . قال ابن حجر رحمه الله : أبو لبابة بن عبد المنذر=

من لم يتغن بالقرآن . قال : فقلت لابن أبي مليكة يا أبا محمد أرأيت إن لم يكن حسن الصوت ؟ قال يحسنه ما استطاع " رواه أبو داود [1] .

## فصل

## في بيان أن الله تعالى أنزل القرآن على سبعة أحرف

عن عمر بن الخطاب ﷺ قال : سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها ، و كان رسول الله ﷺ أقرأنيها . فكدت أن أعجل عليه ، ثم أمهلته حتى انصرف ، ثم لببتُهُ بردائه فجئت به رسول الله ﷺ فقلت يا رسول : إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتنيها فقال رسول الله ﷺ : أرسلْه . اقرأ فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله ﷺ : " هكذا أنزلت " ثم قال لي " اقرأ " فقرأت فقال : " هكذا أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه . " رواه مسلم و زاد من طريق أخرى : فكدت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلّم[2] .

و عن ابن شهاب قال : حدثني عبد الله [3] بن عبد الله ابن عتبة أن ابن عباس حدثه أن رسول الله ﷺ قال : " أقرأني جبريل[4] على حرف فراجعته ، فلم أزل أستزيده فيزيدني ، حتى انتهى إلى سبعة أحرف . "

قال ابن شهاب : بلغني أن تلك الأحرف السبعة[5] إنما هي في الأمر الذي يكون واحدا لا يختلف في حلال و لا حرام . رواه مسلم عن حرملة بن يحيى عن ابن وهب عن يونس عن

---

الأنصاري قال موسى بن عقبة اسمه بشير بمعجمة وقيل بالمهملة أوله التحتانية ثانيه وقيل رفاعة وقيل مروان و قالوا كان أحد النقباء ليلة العقبة ، و يقال أن رفاعة و معشراً أخوان لأبي لبابة ، و كانت راية بني عمرو بن عوف يوم الفتح معه ، روى عنه والده السائب و عبد الرحمن و عبد الله بن عمر بن الخطاب و عبيد الله بن أبي يزيد و غيرهم . و يقال أنه مات في خلافة علي و يقال بعد مقتل عثمان و يقال عاش إلى بعد الخمسين . أ هـ بتصرف من الإصابة ( ٤ / ١٦٧ / ٩٨١ ) و هكذا جاءت في سنن أبي داود أبو لبابة ( ٢ / ٧٥ / ١٤٧١ ) فثبت خطأ ما في المخطوطين ( أ ) و( ب )

[1] في سننه ( ٢ / ٧٥ / ١٤٧١ ) و روى البخاري نحوه عن أبي هريرة . صحيح البخاري في فتح الباري ( ١٣ / ٥١٠ / ٧٥٢٧ )

[2] في صحيحه في شرح النووي ( ١ / ٩٨ - ١٠١ )

[3] في صحيح مسلم في شرح النووي عبيد الله ( ٦ / ١٠١ )

[4] في صحيح مسلم إضافة ( عليه السلام ) هنا ( ٦ / ١٠١ )

[5] جاءت في صحيح مسلم في شرح النووي ( السبعة أحرف ) ( ٦ / ١٠١ ) و ابن شهاب هو : أبو بكر =

ابن شهاب الخ[1] . قوله ﷺ : لم أزل أستزيده فيزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف . معناه : لم أزل أطلب منه أن يطلب من الله تعالى الزيادة في الأحرف للتوسعة و التخفيف[2] .

و عن أبيّ بن كعب ﷺ قال : " كنت في المسجد فدخل رجل يصلي ، فقرأ قراءة أنكرتها عليه . ثم دخل آخر فقرأ قراءة [ أنكرتها عليه . و دخل آخر فقرأ ][3] سوى قراءة صاحبه ، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله ﷺ فقلت : إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه و دخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه . فأمرهما [ النبي ][4] ﷺ فقرأ . فحسّن النبي ﷺ شأنهما فسقط في نفسي من التكذيب و لا إذ كنت في الجاهلية فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيني ، ضرب في صدري ففضت عرقا و كأنما أنظر إلى الله عز و جل فرقا فقال ﷺ لي : يا أُبي أُرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرف فرددت [ عليه ][5] أن هون على أمتي فرد إليّ الثانية اقرأه على حرفين فرددت إليه ، أن هون على أمتي فرد إليّ الثالثة اقرأه على سبعة أحرف ولك بكل ردة رددتُكها مسألة تسألنيها ، فقلت اللهم اغفر لأمتي اللهم اغفر لأمتي و أخرت الثالثة ليوم يرغب إليّ الخلق كلهم حتى إبراهيم عليه السلام . " رواه مسلم [6] .

قوله : فسقط في نفسي من التكذيب و لا إذ كنت في الجاهلية . معناه : فوسوس إلي الشيطان تكذيبا للنبوة بأشد مما كنت عليه في الجاهلية . لأنه كان في الجاهلية غافلا أو متشككا ،

---

= محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة الزهري أحد الفقهاء و المحدثين والأعلام التابعين بالمدينة . رأى عشرة من الصحابة رضوان الله عنهم ، و روى عنه جماعة من الأئمة : منهم مالك بن أنس و سفيان بن عيينه و سفيان الثوري . و الزُهري بضم الزاي و سكون الهاء و بعد الراء ، هذه النسبة إلى زهرة بن كلاب بن مرة و هي قبيلة كبيرة من قريش و منها آمنة أم الرسول ﷺ ، توفي ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة أربع و عشرين و مائة و هو ابن اثنتين و سبعين سنة.أ هـ بتصرف من وفيات الأعيان ( ٤ / ١٧٧ ، ١٧٨ )

[1] صحيح مسلم بشرح النووي ( ٦ / ١٠١ )

[2] و يسأل جبريل ربه سبحانه و تعالى فيزيده حتى انتهى إلى السبعة ( ٦ / ١٠١ )زيادة من شرح الإمام النووي على صحيح مسلم و هذه زيادة لا بد منها ، أوضح فيها الإمام النووي أن الزيادة كانت من الله تعالى لا من جبريل .

[3] ليس في صحيح مسلم هذه العبارة ( ٦ / ١٠١ )

[4] في صحيح مسلم [ رسول الله ]

[5] في صحيح مسلم [ إليه ]

[6] صحيح مسلم بشرح النووي ( ٦ / ١٠١ - ١٠٣ )

فوسوس له الشيطان الجزم بالتكذيب . و قال القاضي عياض[1] : قال المازري[2] : معنى هذا : أنه وقع في نفس أبي بن كعب ﷺ نزغة من الشيطان غير مستقرة ، ثم زالت في الحال ، حين ضرب النبي ﷺ بيده في صدره ، ففاض عرقا قال القاضي إنما ضربه ﷺ في صدره تثبيتا له حين رآه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم[3] .

وعنه ﷺ ، ان النبي ﷺ كان عند أضاة بني غفار ، قال : فأتاه جبريل عليه السلام ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف ، فقال أسأل الله معافاته و مغفرته و إن أمتي لاتطيق ذلك ، ثم أتاه الثانية ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين . فقال ﷺ : أسأل الله معافاته و مغفرته ، فإن أمتي لا تطيق ذلك . ثم جاءه الثالثة ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف ، فقال : أسأل الله معافاته و مغفرته و إن أمتي لاتطيق ذلك ، ثم جاءه الرابعة فقال : إن الله يأمرك أن تُقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا . " رواه مسلم[4] . قوله : عند أضاة بني غفار : هي بفتح الهمزة والضاد المعجمة ، مقصورة و هي الماء المستنقع ، كالغدير و جمعها : أضا ؛ كعصا [5] .

---

[1] هو القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض ... اليحصبي السّبتي ، كان إمام وقته في الحديث و علومه و النحو و اللغة و كلام العرب و أيامهم و أنسابهم ، و صنف التصانيف المفيدة ، منها : " الاكمال في شرح كتاب مسلم " كمل به " المعلم في شرح مسلم " للمازري و منها " مشارق الأنوار " في تفسير غريب الحديث المختص بصحيح البخاري و مسلم و الموطأ . دخل الأندلس طالباً للعلم فأخذ بقرطبة عن جماعة وجمع من الحديث كثيراً ، و استقضي ببلده مدة طويلة خمدت سيرته فيها ، ثم نقل عنها إلى قضاء غرناطه فلم يطل أمده فيها ، و كان مولد القاضي عياض بمدينة سبتة في النصف من شعبان سنة ست و سبعين و أربعمائة و توفي بمراكش يوم الجمعة سابع جمادي الآخرة سنة ٥٤٤ هـ وفيات الأعيان باختصار ( ٣ / ٤٨٣ - ٤٨٥ )

[2] المازري هو أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري الفقيه المالكي المحدث ، أحد الأعلام المشار إليهم في حفظ الحديث و الكلام عليه ، شرح صحيح مسلم شرحاً جيداً سماه " كتاب المعلم بفوائد كتاب مسلم " و عليه بنى القاضي عياض كتابه " الإكمال " و له كتاب " إيضاح المحصول في برهان الأصول " و له في الأدب كتب متعددة توفي سنة ٥٣٦ هـ و عمره ٨٣ سنة - أ هـ . وفيات الأعيان ( ٤ / ٣٠٧ ) ط - دار الثقافة بيروت .

[3] شرح صحيح مسلم للنووي ( ٦ / ١٠٢ )

[4] في صحيحه في شرح مسلم للنووي ( ٦ / ١٠٣ - ١٠٤ )

[5] شرح صحيح مسلم للنووي ( ٦ / ١٠٤ ) لكنه قال : " و جمعها أضا كحصاة و حصا " .

و عن ابن مسعود قال : " إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ، ما منها حرف الاّ وله ظهر و بطن ، و إن علي بن أبي طالب عنده منه الظاهر و الباطن . " رواه أبو نُعيْم في الحلية[1] .
قال النووي رحمه الله تعالى قال العلماء : سبب إنزاله على سبعة أحرف التخفيف و التسهيل .
و لهذا قال ﷺ : " هوّن على أمتي "[2] و اختلف العلماء في المراد بسبعة أحرف . قال القاضي عياض : قيل هو توسيعه و تسهيله[3] لم يقصد به الحصر . قال : و قال الأكثرون هو حصر

---

[1] أبو نعيم : هو أحمد بن عبد الله الحافظ أبو نعيم الأصبهاني . أحد الأعلام صدوق تُكلم فيه بلا حجة و لكن هذه عقوبة من الله لكلامه في ابن مندة بهوى قال الخطيب : رأيت لأبي نعيم أشياء يتساهل فيها منها أنه كان يطلق في الإجازة أخبرنا و لا يبين . و العمل على توثيقه . أ هـ . بتصرف ميزان الإعتدال للذهبي ( ١ / ١١١ / ٤٣٨ ) و انظر ( ١ / ٦٥ ) حلية الأولياء طبعة مكتبة الخانجي بمصر .
و قد ورد بلفظ : أُنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر و بطن و نهى أن يستلقي الرجل أحسبه قال في المسجد و يضع إحدى رجليه على الأخرى رواه البزار و أبو يعلى في الكبير و في رواية عنه لكل حرف منها بطن و ظهر ، الطبراني في الأوسط باختصار آخره و رجال أحدهما ثقات – أ هـ مجمع الزوائد للهيثمي ( ٧ / ١٥٢ ) .
و قال الشيخ محمد محمود شاكر في تعليقه على تفسير الطبري ( ١ / ٧٢ ) :
الظاهر : هو ما تعرفه العرب من كلامها و ما لا يعذر أحد بجهالته من حلال و حرام و الباطن : هو التفسير الذي يعلمه العلماء بالاستنباط و الفقه . أ هـ .
و أقول ليس للقرآن ظاهر و باطن كما تقوله الفرق الباطنية ممن ألهوا علياً بن أبي طالب و قالوا بتناسخ الأرواح و أباحوا ترك أركان الإسلام من صوم و صلاة و زكاة و حج ، فهؤلاء قالوا : للقرآن ظاهر يفهم على أساس العربية و السنة ، و نحن لسنا ملزمين بالأخذ بهما ، و باطن لا يعلمه إلا شيوخنا فهم مع هذا التفسير الباطن و إن خالف السنة و قواعد اللغة العربية مع أن الله سبحانه و تعالى يقول ( إنا أنزلناه قرآناً عربياً ) (٢: يوسف ) وللدكتور محمد حسين الذهبي أبحاث طيبة في المجلد الثاني من كتابه التفسير و المفسرون يوضح فيه انحرافات هؤلاء في تفسير القرآن الكريم ، و ليت شعري هل توضع قواعد اللغة و معاجمها إلا لفهم ما نص عليه بهذه اللغة فكان لفهم الباطنية للظاهر و الباطن من القرآن مجالاً واسعاً عندهم لضياع الدين بضياع أركان الإيمان و الإسلام ، و كانوا أشد كفراً من اليهود و النصارى ، إذ ادعوا أنهم آمنوا بالقرآن و لكن زوروا معانيه و مدلولاته بل و كل تفسيره فكانوا لا كتاب لهم من الله تعالى ، و من هؤلاء فرق باطنية لا زالت موجودة في العالم الإسلامي .
[2] شرح صحيح مسلم للنووي ( ٦ / ١٠٣ ) و أما قوله ﷺ " هوّن على أمتي " فقد مر معنا في حديث شريف رواه أبي بن كعب في صحيح مسلم ( ٦ / ١٠٢ )
[3] هذا بالنسبة ( أ ) و ( ب ) أما في نص النووي فهو في شرحه فهو ( توسعة و تسهيل ) و الصحيح الأخير لأنه قول المؤلف المنقول عنه .

للعدد في سبعة ، ثم قيل : هي سبعة في المعاني ، كالوعد و الوعيد و المحكم و المتشابه والحلال والحرام ، والقصص و الأمثال و الأمر و النهي . ثم اختلف هؤلاء في تعيين السبعة منها[1] . و قال آخرون هي في صورة[2] التلاوة و كيفية النطق بكلماتها من إظهار و إدغام وتفخيم و تحقيق [3] و إمالة و مد و قصر ، لأن العرب كانت مختلفة اللغات في هذه الوجوه ، فيسر الله تعالى عليهم ليقرأ كل إنسان بما يوافق لغته و ّ يسْهُلْ على لسانه . و قال الآخرون : هي الألفاظ و الحروف و إليه أشار ابن شهاب بما رواه عنه مسلم في الكتاب حيث قال : قال ابن شهاب : بلغني أن تلك السبعة أحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال و لا حرام[4] . ثم اختلف هؤلاء فقيل : سبع قراءات . و قال أبو عبيد [5] : سبع لغات للعرب ؛ طيئها و مَعَدُّها[6] . و هي أفصح اللغات و أعلاها و قيل : بل السبعة كلها لمضر وحدها . و هي متفرقة في القرآن ، غير مجتمعة في كلمة واحدة . و قيل : بل هي مجتمعة في بعض الكلمات : كقوله تعالى ( و عبد الطاغوت ) ( يرتع و يلعب ) ( و باعد بين أسفارنا ) و( بعذاب بئيس ) و غير ذلك [7] و الله سبحانه أعلم .

---

[1] ليست هذه الكلمة في شرح النووي .

[2] في شرح النووي أداء .

[3] في شرح النووي و ترقيق و هو المناسب لما قبله ( ٦ / ٩٩ )

[4] ذكر الكوكباني رحمه الله هنا قول ابن شهاب في صحيح مسلم مفصلاً لا إشارة كما ذهب إلى ذلك النووي في شرح صحيح مسلم ( ٦ / ١٠١ )

[5] هو القاسم بن سلاّم الهروي الأزدي الخزاعي ، بالولاء ، الخراساني البغدادي أبو عبيد من كبار العلماء بالحديث و الأدب و الفقه من أهل هراة . ولد و تعلم بها و رحل إلى بغداد فولي القضاء بطرسوس ثماني عشرة سنة ، و رحل إلى مصر سنة ٢١٣ والى بغداد ، من كتبه ( الغريب المصنف مطبوع ) في غريب الحديث ألفه في نحو أربعين سنة و هو أول مصنف في هذا الفن ( و الاجناس من كلام العرب – مخطوط ) و( المذكر و المؤنث ) و ( المقصود و الممدود ) في القرآن ولد سنة ١٥٧ و وافاه الأجل سنة ٢٢٤ هـ . أ هـ – باختصار الاعلام ( ٥ / ١٧٦ )

[6] في شرح النووي يمنها (٩٩/٦).

[7] او في شرح صحيح مسلم للامام النووي (٩٩/٦-١٠٠)

## فـــصـــل
## في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : " من قال فـي القرآن برأيـه فليتبـوأ مقعده من النار " رواه البغوي[1] .

وعنه رضي الله عنهما عن النبي ﷺ . قال : " من قال في القرآن بغير علـم فليتبـوأ مقعده من النار . " رواه البغوي[2] أيضا .

وعن جندب قال : قال رسول الله ﷺ " من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ . "

رواه البغوي و قال في آخره : غريب[3] . ثم قال رحمه الله تعالى : قد جاء الوعيد في حق من قال في القرآن برأيه ، و ذلك فيمن قال من قبل نفسه شيئاً من غير علم . و أمـا التـأويل و هـو

---

(1) في تفسيره ( ١ / ٣٥ ) طبعة دار المعرفة – بيروت . جاء في حديث رواه الترمذي – سنن الترمذي في تحفة الأحوذي ( ٨ / ٢٢٤ / رقم ٣١٢٣ ) و في الحديث عبد الأعلى بن عامر الثعلبي و سيمر معنا في الحديث التالي القول به .

(2) في تفسيره ( ١ / ٣٥ ) . و أخرجه الترمذي ( ٨ / ٢٢٤ / رقم ٣١٢٣ ) في سننه في تحفة الأحوذي و قال عنه : " هذا حديث حسن صحيح " . في الحديث عبد الأعلى ابن عامر الثعلبي و قد تكلموا فيه فمنهم من ضعفه و حسن له الترمذي و صحح له الحاكم – انظر جامع الأصول ( ٢ / ٦ / ٤٧٠ ) تعليق عبد القادر أرنؤوط عليه باختصار – ط دار الفكر بيروت ١٩٩٣ م – ١٤١٤ هـ و رواه النسائي في السنن الكبرى في تحفة الأشراف ( ٤ / ٤٢٣ / رقم ٥٥٤٣ ).

(3) في تفسيره ( ١ / ٣٥ )كما رواه الترمذي و قال عنه " هذا حديث غريب و قد تكلم بعض أهل الحديث في سهيل بن أبي حزم " أ هـ من سنن الترمذي في تحفة الأحوذي ( ٨ / ٢٢٥ ، ٢٢٧ ) و سهيل هذا جاء في سند الحديث لكن قال صاحب تحفة الأحوذي فيه : قال المنذري و قد تكلم فيه الإمام أحمد و البخاري و النسائي و غيرهم – أ هـ فالحديث ضعيف الإسناد لأن البخاري و غيره ضعفه . انظر جامع الأصول و التعليق عليه لعبد القادر أرنؤوط (٣/٢) و رواه النسائي في السنن الكبرى في تحفة الأشراف( ٢ / ٤٤٤ / رقم ٣٢٦٢ ) و رواه أبو داود في سننه ( ٣ / ٣١٩ / رقم ٣٦٥٢ ) .ومن سنده سهيل و الراوي هو جندب بن عبد الله البجلي كما جاء في تفسير البغوي و هو جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي ثم العلقي – أبو عبد الله و قد ينسب إلى جده فيقال جندب بن سفيان سكن الكوفة ثم البصرة قدمها مع مصعب بن الزبير و روى عنه أهل المصرين " قلت " و قد روى عنه من أهل الشام شهر بن حوشب فقال : حدثني جندب بن سفيان ، و في الطبراني من طريق الحسن قال : جلست إلى جندب في إمارة مصعب يعني ابن الزبير – أ هـ من الإصابة ( ١ / ٢٥٠ / ٦٢٢٣ ) .

صرف الآية إلى معنى محتمل موافق ما قبلها و بعدها غير مخالف للكتاب و السنة من طريق الاستنباط فقد رُخّص فيه لأهل العلم ، وقد يفتح الله على المتدبر و المتذكر من التأويل والمعاني ، ما لا يفتح على غيره انتهى[1] .

و قد ذكر فخر الدين الرازي[2] في تفسيره بعد ذكر كلام الشافعي[3] حيث قال : و قد ثبت في أصول الفقه ، أن المتقدمين إذا ذكروا وجها في تفسير الآية ، فذلك لا يمنع المتأخرين من استخراج وجه آخر في تفسيرها ، و لولا جواز ذلك لصارت الدقائق التي استنبطها المتأخرون في كلامه تعالى مردودة باطلة ، لا يقول ذلك إلا مقلد و فوق كل ذي علم عليم .[4]

---

[1] في تفسيره ( ١ / ٣٦ ) .

[2] فخر الدين الرازي هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الطبرستاني الأصل الرازي المولد ، الملقب فخر الدين ، المعروف بابن الخطيب ، الفقيه الشافعي ، فريد عصره و نسيج وحده ، فاق أهل زمانه في علم الكلام و المعقولات و علم الأوائل ، له التصانيف المفيدة في فنون عديدة منها تفسير القرآن ، و منها في علم الكلام " المطالب العالية " و " نهاية العقول " و كتاب " الأربعين " و في أصول الفقه " المحصول " و " المعالم " و في الحكمة " الملخص " و " شرح الإشارات " لابن سينا ، و" شرح عيون الحكمة " ، و " شرح أسماء الله الحسنى " و يقال إن له شرح " المفصل " في النحو و شرح " الوجيز " في الفقه للغزالي و شرح " سقط الزند " للمعري ، و له مختصر في الإعجاز و له غير ذلك الكثير من التصانيف التي انتشرت في البلاد .

و كان يعظ الناس و يكثر البكاء ، و كان يحضر مجلسه بمدينة هراة أرباب المذاهب و المقالات و يسألونه وهو يجيب بأحسن إجابة و رجع بسببه خلق كثير من الطائفة الكرامية و غير إلى مذهب أهل السنة . و كانت ولادته في ٢٥ / رمضان / ٥٤٤ هـ . و قيل ٥٤٣ هـ بالري و توفي سنة ٦٠٦ هـ بمدينة هراة رحمه الله تعالى – أ هـ باختصار من وفيات الأعيان لابن خلكان المتوفى سنة ٦١١ هـ ( ٤ / ٢٤٨ – ٢٥٢ ) طبعة دار الثقافة بيروت لبنان –

[3] هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن عباس بن عثمان بن شافع بن سائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف قرشي مطلبي شافعي يجتمع مع رسول الله ﷺ في عبد مناف المذكور ، وكان الشافعي كثير المناقب جم المفاخر منقطع القرين ، اجتمعت فيه من العلوم بكتاب الله و سنة رسوله ﷺ وكلام الصحابة رضي الله عنهم و آثارهم و اختلاف أقاويل العلماء و غير ذلك من معرفة كلام العرب واللغة العربية و الشعر . حتى قال أحمد بن حنبل رضي الله عنه ما عرفت ناسخ الحديث و منسوخه حتى جالست الشافعي .كان منقطع القرين في حياته فلما مضى لسبيله لم يُعتاض منه .

و مولده سنة خمسين و مائة . و كانت ولادته بمدينة غزة و حُمل من غزة إلى مكة و هو ابن سنتين وفيات الأعيان ( ٤ / ١٦٣ – ١٦٥ )

[4] لم أقف على هذا .

هـامش [ و قـد روى سـعيد بـن منصـور فـي سـننه[1] و ابـن المنـذر[2] و البيهقـي[3] فـي كتـاب الروايـةعن سـفيان قـال : ليـس فـي تفسـير القـرآن اختـلاف . إنمـا هـو كـلام جـامع ، يـراد منـه هذ و هـذا . و روى ابـن سـعد[4] فـي الطبقـات[5] ، و أبـو نعيـم في الحلية[6] ، عن أبي قلابة قال : أبو الدرداء لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهـا .

---

(١) سعيد بن منصور ( اتفق عليه الأئمة الستة ) بن شعبة الخراساني الحـافظ الثقـة ، صـاحب السـنن : سمع مالكاً وطبقته ، أحسن أحمد بن حنبل الثناء عليه وفخم أمره وقـال أبـو حـاتم مـن المتقنيـن الأثبـات وقال ابن خراش وغيره ، ثقة وأما يعقوب النسوي فقال : كان إذا رأي في خطابه خطأ لم يرجع عنه ، أ هـ ميزان الاعتدال (٣٢٧٧/١٥٩/٢) .

(٢) ابن المنـذر : هـو أبـو بكـر محمـد بـن إبراهيـم (بـن المنـذر ) النيسـابوري ، نزيـل مكـة ، صـاحب التصانيف التي لم يصنف مثلها ، ككتاب الإشراف وهو كتاب كبير ، وكتاب المبسوط وهـو أكبر منـه ، وكتاب الإجماع وهو صغير ، المتوفي بمكة سنة تسع أوعشر أو ست عشرة أو ثمـان عشـرة وثلاثمائـة وكان مجتهداً لا يقلد أحداً . أ هـ الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة للإمام محمد بـن جعفر الكتاني توفى سنة ١٣٤٥ هـ (ص ٢٧)

طبعة دار البشائر الإسلامية ١٩٨٦م .

(٣) البيهقي : هو الإمام الحافظ الكبير الشهير بشـيخ السـنة أبـي بكـر أحمـد بـن الحسـين بـن علـي بـن عبدالله بن موسى (البيهقي ) نسبه إلى بيهق قرى مجتمعه بنواحي نيسابور وعلى عشرين فرسخاً منهـا ، البخسروجردي ، الشافعي ، المتوفى بنيسابور سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ، وحمل تابوته إلى بيهق ودفن بخسروجرد وهي من قراها ، ومن تصانيفه السنن الصغرى وهي مجلدين ، والكبرى ويقـال لها كتاب السنن الكبير وهي عشر مجلدات وهما على ترتيب مختصر المزني لم يصنف في الإسـلام مثلهما والكبرى مستوعبة لأكثر أحاديـث الأحكـام ، أ هـ بتصـرف الرسـالة المسـتطرفة للكتـاني (ص ٣٣) .

(٤) ابن سعد : هو أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي مولاهـم البصـري الحـافظ نزيـل بغداد المعروف بكاتب الواقدي ، صحبه زماناً وكتب له فعرف به ، المتوفى ببغداد سنة ثلاثين أو خمس وثلاثين ومائتين له كتاب الطبقات جمع فيه الصحابة والتابعين فمن بعدهم إلى وقته فأجاد وأحسن في نحو من خمسة عشر مجلداً ، وله طبقات أخرى صغرى ثانية وثالثة والتاريخ ، أهـ بتصـرف الرسـالة المستطرفة (١٣٨- ١٣٩).

(٥) لم أجده في الطبقات .

(٦) وتمام لفظ الحديث عنده : ( إنك لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآ ن وجوهاً وإنك لا تفقه كـل الفقـه حتى تمقت الناس في جنب الله ، ثم ترجع إلىنفسك فتكون لها أشد مقتاً منك للناس ) حلية الأوليـاء (٢١١/١) .

و روى ابن سعد[1] أن عليا كرم الله وجهه و رضي عنه قال لابن عباس رضي الله عنهما " اذهب إليهم – يعني الخوارج – ولا تخاصمهم بالقرآن ، فانه ذو وجوه ولكن خاصمهم بالسنة . فقال له : أنا أعلم بكتاب الله منهم ، قال صدقت و لكن القرآن حمّال ذو وجوه . صح أصل ] .

## فصل
## في التعوذ[2]

التعوذ نافع[3] و ابن عامر[4] و الكسائي[5] أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم . ابن كثير[6] : أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم حمزة[7] : نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم .

---

(1) جاء في الإتقان في علوم القرآن بنحوه ( ١ / ١٨٥ ) ط دار المعرفة .

(2) ( فصل ) التعوذ لم يشر إليه بكلمة فصل .

(3) نافع هو أبو رُوَيم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نُعَيْم ، مولى جَعْوَنة من شُعوب الشَجعي ، المقرئ المدني أحد القراء السبعة ، كان إمام أهل المدينة و الذي صاروا إلى قراءته و رجعوا إلى اختياره ، و كان محتسباً فيه دُعابة ، قال ابن أبي أويس ، قال لي مالك ﷺ : قرأت على نافع و كان له راويان :ورش ، و قنبل ، توفي نافع سنة ٥٩ هـ بالمدينة المنورة – أ هـ من وفيات الأعيان باختصار ( ٥ / ٣٦٨ – ٣٦٩ ) .

(4) ابن عامر : هو عبد الله بن عامر الشامي اليحصبي قاضي دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك . و يكنى أبا عمران . و هو من التابعين . و توفي بدمشق سنة ١١٨ هـ و راويا ابن عامر هم هشام و ابن ذكوان – أهـ من البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة تأليف عبد الفتاح القاضي ( صفحة ٨ – ٩ ) .

(5) الكسائي : هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء الكوفي المعروف بالكسائي كان إماما في النحو و الفقه و القراءات و كان يؤدب الأمين بن هارون الرشيد و يعلمه الأدب . روى عن أبي بكر بن عياش وحمزة الزيات و ابن عيينة و غيرهم و توفي سنة ١٨٩ هـ بالري و كان قد خرج إليها بصحبة هارون الرشيد – أ هـ – باختصار من وفيات الأعيان لابن خلكان رحمهما الله تعالى ( ٣ / ٢٩٥ – ٢٩٦ ).

(6) ابن كثير المكي المقرئ هو : عبد الله ، أبو سعيد العطار الداري الفارسي الأصل إمام أهل مكة في القراءة ( ٤٥ – ١٢٠ هـ ) روى عن عبد الله بن الزبير و أبي أيوب الأنصاري و أنس بن مالك و غيرهم و أخذ من مجاهد بن جبر و عبد الله بن السائب و غيرهم و راوياه البزي و قنبل – أ هـ من مقدمة الأستاذ سعيد الأفغاني أستاذ النحو بجامعة دمشق على كتاب حجة القراءات لابن زنجلة طبعة مؤسسة الرسالة الثالثة ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م .

(7) حمزة الزيات : أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفي المعروف بالزيات ، كان أحد القراء السبعة ، و إنما قيل " الزيات " لأنه كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان و يجلب من حلوان الجبن=

أبو حاتم[1] : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم .عاصم[2] و أبو عمرو[3]: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . و صورته عند الهادي[4] ﷺ كأبي حاتم : أعوذ بالله السميع العليم من

---

= و الجوز للكوفة ، فعرف به . و توفي سنة ٧٦ هـ رحمه الله تعالى . و حلوان مدينة بسواد العراق – أ هـ وفيات الأعيان باختصار ( ٢ / ٢١٦ ) .

[1] هو أبو حاتم السجستاني سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد الجشميُّ السجستاني النحوي اللغوي المقرئ ، نزيل البصرة و عالمها ، كان إماماً في علوم الآداب ، وعنه أخذ علماء عصره كأبي بكر محمد بن دريد والمبرّد و غيرهما و كان صالحاً عفيفاً يتصدق كل يوم بدينار ، و يختم القرآن كل أسبوع و له نظم حسن وله من المصنفات كتاب " إعراب القرآن " و كتاب " ما يلحق فيه العامة " و كتاب " الطير " و كتاب " المذكر و المؤنث " و كتاب " القراءات " و كتاب " النحل و العسل " و غير ذلك و كانت وفاته سنة ٢٤٨ هـ و قيل ما يقارب ذلك و وفاته كانت بالبصرة – أ هـ من وفيات الأعيان باختصار ( ٢ / ٤٣٢ – ٤٣٣ )

[2] هو عاصم بن أبي النجود الكوفي أبو بكر توفي سنة ١٢٧ هـ شيخ الإقراء بالكوفة ، جمع بين الفصاحة و الإتقان و التحرير و التجويد ، أحسن الناس صوتاً بالقرآن قال أبو بكر بن عياش : لا أحصي ما سمعت أبا إسحاق السبيعي يقول : ما رأيت أحداً أقرأ للقرآن من عاصم قال راويه حفص قال لي عاصم : " ما كان من القراءة التي أقرأتك بها فهي القراءة التي قرأت بها على أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب ، و ما كان من القراءة التي أقرأتها أبا بكر بن عياش فهي القراءة التي كنت أعرضها على زر بن حبيش عن ابن مسعود " فراوياه هما حفص و شعبة – أ هـ من مقدمة سعيد الأفغاني على كتاب حجة القراءات صفحة ( ٥٧ – ٥٩ )

[3] هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار التميمي المازني البصري كان أحد القراء السبعة ، كان أعلم الناس بالقرآن الكريم و العربية و الشعر ، و هو في النحو في الطبقة الرابعة من علي بن أبي طالب ﷺ . و كان أبو عمرو رأساً في حياة الحسن البصري مقدماً في عصره ولد سنة سبعين و توفي سنة ٥٤ ١هـ و قيل ما يقارب ذلك و حكى أبو عمرو قال : طلب الحجاج بن يوسف الثقفي أبي ، فخرج منه هارباً إلى اليمن ، فإنا لنسير بصحراء باليمن إذ لحقنا لاحق ينشد :

ربما تكره النفوس من الأمـ ـر له فرجةٌ كحلّ العقال

قال فقال : أبي ما الخبر ؟ قال : مات الحجاج ، قال أبو عمرو : فأنا بقوله " له فرجة " أشد سروراً مني بموت الحجاج ، قال ، فقال أبي : اصرف ركابنا إلى البصرة . و لما حضرت الوفاة أبا العلاء كان يغشى عليه ويفيق ، فأفاق من غشية له ، فإذا ابنه بشر يبكي ، فقال : ما يبكيك و قد أتت علي أربع و ثمانون سنة ؟ – أهـ من وفيات الأعيان باختصار ( ٣ / ٤٦٦ – ٤٦٩ ) و راويا أبي عمرو هما الدوري و السوسي – البدور الزاهرة ( صفحة : ٨ )

[4] الإمام الهادي : ( ٢٢٠ – ٢٩٨ هـ ) يحيى بن الحسين بن القاسم الرّسي إمام زيدي ولد بالمدينة و حكم اليمن و ملك صنعاء سنة ٢٨٨ هـ و خطب له في مكة سبع سنين " أي دُعي له بها " .=

الشيطان الرجيم ، جمعا بين قوله تعالى : ( فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم . ) و بين قوله : ( فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ) [1] . قال أبو شامة[2] في شرح الشاطبية : و قد ذكر جماعة من المصنفين في علم القرآن أخبارا عن رسول الله ﷺ منها ؛ أن ابن مسعود ﷺ قرأ على رسول الله ﷺ ، فقال : أعوذ بالله السميع العليم . فقال : قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم[3] .

و عن جبير بن مطعم ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ يقول : " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " و كلا الحديثين ضعيف و الأول لا أصل له في كتب الحديث[4] و الثاني رواه أبو داود بغير هذا اللفظ و هو أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه و نفثه و همزه[5] .

---

= قاتل القرامطة و توفي في صعدة و دفن في جامعها له من المؤلفات " الأحكام في الحلال و الحرام " و " السنة و الأحكام " و " المنتخب " و " و الأمالي " – أ هـ – من كتاب الأعلام . ( ٨ / ١٤١ ) .

و لم أقف على قول الهادي .

[1] قوله تعالى:(و إماينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذبالله إنه هو السميع العليم)الأية ٣٦من سورفصلت و أما قوله تعالى: ( فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم )الأية ٩٨ من سورة النحل .

[2] أبو شامة : هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان ، الإمام العلامة ذو الفنون شهاب الدين أبو شامة المقدسي الأصل الدمشقي الشافعي الفقيه المقرئ النحوي ، ولد سنة ٥٩٦ هـ بدمشق و كانت وفاته سنة ٦٦٥ هـ و دفن بمقابر بن كيسان . صنف شرحاً في الشاطبية و ألف كتاب " شرح القصائد النبوية للسخاوي " في مجلد ، و " الروضتين في أخبار الدولتين : النورية و الصلاحية " و كتاب " الذيل " عليها ، و كتاب " ضوء القمر الساري إلى معرفة الباري " و كتاب " البسملة "الأكبر في مجلد و " مفردات القراء " و غير ذلك – أ هـ – من فوات الوفيات و الذيل عليها . ( ٢ / ٢٦٩ – ٢٧١ ) لمحمد بن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ – طبعة دار الصادر .و من غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري – ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م .

[3] لم أعثر على قوله .

[4] لم أعثر عليه في كتب الحديث و جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي النوفلي – و أمه أم حبيب بنت سعيد بن عبد الله بن أبي قيس من بني عامر بن لؤي كان من أكابر قريش و علماء النسب و قدم على النبي ﷺ في فداء أسارى بدر فسمعه يقرأ سورة " الطور " قال فكان ذلك أول ما دخل الإيمان في قلبي . روى ذلك البخاري في الصحيح . وقال له النبي ﷺ : " لو كان أبوك حياً وكلمني فيهم لوهبتهم له " . وأسلم جبير بين الحديبية والفتح وقيل في الفتح ، وروى عنه من الصحابة سليمان بن صرد وعبد الرحمن بن أزهر مات سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين . أ هـ باختصار من الاصابة لابن حجر ( ١ /٢٢٧ )

[5] تمام الحديث حدثنا عمرو بن مرزوق ، أخبرنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن عاصم العنزي ، عن ابن جبير بن مطعم ، عن أبيه انه راى رسول الله ﷺ يصلي صلاة ، قال عمرو : لا أدري أي صلاة هي ؟ فقال

ثم تعارض كل واحد منهما بما هو أصح منه . روى أبو داود و الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري قال : كان رسول الله ﷺ : إذا قام من الليل يقول : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان من همزه و نفخه و نفثه[1] .

قال الترمذي : و هو أشهر حديث في هذا الباب[2] .

( هامش ) [ و قد روى البخاري من طريق الأعمش عن عدي بن ثابت [ قال : قال ][3] سليمان بن صرد[4] استب رجلان عند النبي ﷺ ، و نحن عنده جلوس . فأحدهما يسبّ صاحبه مغضبا ، قد احمرّ وجهه ، فقال : رسول الله ﷺ : " إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد

---

= : " الله أكبر كبيراً ، الله أكبر كبيراً ، الله أكبر كبيراً ، و الحمد لله كثيراً ، و الحمد لله كثيراً ، و الحمد لله كثيراً ،و سبحان الله بكرة و أصيلاً " ثلاثاً " أعوذ بالله من الشيطان من نفخه و نفثه و همزه " قال : نفثه : الشعر ، و نفخه : الكبر ، و همزه : الموتة – أ هـ سنن أبي داود - ( ١ / ٢٠٠ – ٢٠١ / ٧٦٤ ) .

في سنده عاصم بن عمير العنزي لم يوثقه غير ابن حبان و باقي رجاله ثقات ، و لكن للحديث شواهد بمعناه يرتقي إلى درجة الصحة . انظر تعليق عبد القادر أرنؤوط على جامع الأصول ( ٤ / ١٨٦ ) –ط دار الفكر – و رواه الترمذي في سننه ( ٢ / رقم ٢٤٢ ) .

[1] تمام الحديث حدثنا عبد السلام بن مطهر ، ثنا جعفر ، عن علي [ بن علي ] الرفاعي عن أبي المتوكل الناجي ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل كبر ثم يقول : " سبحانك اللهم وبحمدك . و تبارك اسمك ، و تعالى جدك ، و لا إله غيرك " ثم يقول " لا إله إلا الله " ثلاثاً ، ثم يقول " الله أكبر كبيراً " ثلاثاً ، " أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه و نفخه و نفثه " ثم يقرأ ، قال أبو داود : و هذا الحديث يقولون هو عن علي بن علي عن الحسن ( مرسلاً ) الوهم من جعفر – أ هـ ( ١ / ٢٠٣ – ٢٠٤ / ٧٧٥ )

[2] رواية الترمذي بنحو رواية أبي داود في التعليق . انظر السنن للترمذي ( ١ / ١٥٣ – ١٥٤ / ٢٤٢ ).

و زاد أبو داود ثم يقول لا إله إلا الله ثلاثاً قال عبد القادر أرنؤوط و هو حديث حسن قال الترمذي :و حديث أبي سعيد أشهر حديث في هذا الباب ، قال : " و في الباب عن علي ، و عائشة ، و عبد الله بن مسعود ، ، وجابر ، و جبير بن مطعم ، وابن عمر "– أ هـ من التعليق على جامع الأصول ( ٤ / ٢٨٣ / رقم ٢٢١٧ )

[3] في النسخة (ب ) ذكر قال مرة واحدة .

[4] سليمان بن الصرد رضي الله عنه فهو سليمان بن الصرد بن أبي الجوّن بن ربيعة بن أهرم ، أبو المطرف الخزاعي . يقال اسمه يسار ، فغيّره النبي ﷺ ، شهد صفين مع علي ، ثم كاتب الحسين ، ثم تخلف عنه ، ثم قدم هو و المسيب بن نجية في آخرين ، فخرجوا في الطلب بدمه ، و هم أربعة آلاف ، فالتقاهم عبيد الله بن زياد بعين الورد ، بعسكر مروان ، فقتل سليمان و من معه في سنة ٦٥ هـ و كان لسليمان يوم قتل ( ٩٣ سنة ) و حمل رأسه إلى مروان – أ هـ الإصابة في معرفة الصحابة ( ٤ / ٢٥٠ ) – ط مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة .

لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقالوا للرجل : ألا تسمع ما يقول رسول الله ﷺ فقال : إني لست بمجنون . و قد رواه البخاري[1] أيضا مع مسلم[2] و أبو داود[3] و النسائي[4] من طرق متعددة عن الأعمش به . و قد روي أن جبريل عليه السلام أول ما نزل بالقرآن على رسول الله ﷺ . أمره بالاستعاذةكما قال الإمام أبو جعفر ابن جرير[5] : حدثنا أبو كريب حدثنا عثمان بن سعيد ثنا بشر بن عمارة ثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال : " أول ما نزل جبريلُ عليه السلام على محمد ﷺ قال : يا محمد استعذ قال[6] : أستعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال : قل بسم الله الرحمن الرحيم قال : اقرأ بسم ربك الذي خلق . قال عبد الله بن عباس : و هي أول سورة أنزلت [7] على محمد ﷺ بلسان جبريل[8] قال ابن كثير و هذا الأثر غريب و الله أعلم[9] صح أصل ] .

و في صحيح أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة[10] عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه كان يقول :" اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم و نفخه و همزه و نفثه[11] .

---

(1) صحيح البخاري في فتح الباري – بنحوه ( ٦ / ٣٨٨ / ٣٢٨٢ )طبعة دار الريان للتراث – القاهرة .

(2) في صحيحه بنحوه ( ٤ / ٢٠١٥ ) ط دار الفكر ١٩٨٣ م – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي بيروت ١٩٧٢ .

(3) في سننه ( ٤ / ٤٤٩ / ٤٧٨١ ) بنحوه .

(4) في عمل اليوم و الليلة ( صفحة ١٣٣ رقم ٣٩٥ ) بنحوه و لم يذكر قول الرجل " إني لست بمجنون " .

(5) محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، الإمام الجليل المفسر ، أبو جعفر صاحب التصانيف الباهرة مات سنة عشر وثلثمائة ، ثقة صادق فيه تشيع يسير و موالاة لا تضر ، بل إبن جرير من كبار أئمة الإسلام المعتمدين ، و ما ندعي عصمته من الخطأ . أ هـ باختصار من ميزان الاعتدال ( ٣ / ٤٩٨ – ٤٩٩ )

(6) الصحيح : قل ، أنظر تفسير الطبري ( ١ / ١١٣ )

(7) تمام عبارة ابن كثير " أنزلها الله " و كذلك في تفسير الطبري الذي نقل عنه ( ١ / ١١٣ )

(8) تفسير الطبري ( ١ / ١١٣ ) . ط دار المعارف ١٩٦٩ م .

(9) تمام عبارة ابن كثير رحمه الله :

وهذا الأثر غريب و إنما ذكرناه ليعرف فإن في إسناده ضعفاً و انقطاعاً و الله أعلم ( ١ / ١٥ )

(10) هو أبو عبد الله أبو بكر محمد بن إسحاق ( بن خزيمة ) بن مغيرة السلمي النيسابوري الشافعي ، شيخ ابن حبان المتوفى سنة احدى عشرة و ثلاثمائة ، و يعرف عند المحدثين بإمام الأئمة . أ هـ الرسالة المستطرفة ( صفحة – ٢٠ )

(11) صحيح ابن خزيمة ( ١ / ٢٤٠ / رقم ٤٧٢ ) – ط المكتب الإسلامي تحقيق محمد مصطفى الأعظمي ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م . قال ابن كثير في إسناده ضعف و هو أثر غريب . أ هـ ( ١ / ١٥ )

و التعوذ عندالقراءة سنة بالإجماع[1] و مذهب القراء و أكثر الفقهاء ، قبل القراءة ، و قيل بعد القراءة عن أصحاب الظاهر [2] [ و حكي قول ثالث و هو الإستعاذة أولا و آخرا جمعا بين

---

[1] انظر شرح الأزهار ( ١ / ٢٤٨ ) طبعة دار إحياء التراث مؤلف الكتاب عبد الله بن مفتاح و هو يماني زيدي . الصحيح أن الإجماع غير منعقد في هذه المسألة فقد جاء في تفسير ابن كثير( ١ / ١٥ ) ما نصه : وجمهور العلماء على أن الاستعاذة مستحبة ليست بمتحتمة يأثم تاركها . و حكى الرازي عن عطاء بن أبي رباح و جوبها في الصلاة و خارجها كلما أراد القراءة قال : و قال ابن سيرين : إذا تعوذ مرة واحدة في عمره فقد كفى في إسقاط الوجوب ، و احتج الرازي لعطاء بظاهر الآية : " فاستعذ " و هو أمر ظاهر الوجوب وبمواظبة النبي ﷺ عليها لأنها تدرأ شر الشيطان و مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب و لأن الإستعاذة أحوط وهو أحد مسالك الوجوب – أ هـ من تفسير ابن كثير – ( ١ / ١٥ )

و قال أستاذي الدكتور وهبي الزحيلي جزاه الله خيراً :

قال المالكية : يكره التعوذ و البسملة قبل الفاتحة و السورة ، لحديث أنس قال : " كان النبي ﷺ و أبو بكر وعمر يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين " متفق عليه و قال الحنفية : يتعوذ في الركعة الأولى فقط .

و قال الشافعية و الحنابلة : يسن التعوذ سراً في أول كل ركعة قبل القراءة ، بأن يقول : " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " وعن أحمد أنه يقول : " أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم " – أ هـ – الفقه الإسلامي و أدلته ( ١ / ٦٩٢ ) .

من هنا نرى أن الإجماع على سنة التعوذ سواء في القراءة عامة و كذلك في الصلاة خاصة غير منعقد كما ذهب إلى ذلك الكوكباني في تفسيره رحمه الله تعالى .

الحديث المروي عن أنس ﷺ جاء في فتح الباري ( ٢ / ٢٦٥ / ٧٤٣ ) بنحوه .

و جاء في صحيح مسلم بلفظ عن قتادة أنه كتب إليه يخبره عن أنس بن مالك أنه حدثه قال :" صليت خلف النبي ﷺ و أبي بكر و عمر و عثمان فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة و لا في آخرها " أ هـ من صحيح مسلم بشرح النووي ( ٤ / ١١١ ) .

[2] أساس المذهب الظاهري : العمل بظاهر القرآن و السنة ، ما دام لم يقم دليل على إرادة غير الظاهر ، ثم عند عدم النص ، يأخذ بالإجماع ، بشرط أن يكون إجماع علماء الأمة قاطبة ، و قد أخذ الظاهرية بإجماع الصحابة فقط ، فإن لم يوجد النص أو الإجماع أخذوا بالاستصحاب : و هو الإباحة الأصلية .

أما القياس و الرأي و الاستحسان و الذرائع و تعليل نصوص الأحكام بالاجتهاد ، فمرفوض ، و لا يعتبر دليلاً من أدلة الأحكام عندهم ، كما أنهم يرفضون التقليد – أ هـ من كتاب الفقه الإسلامي و أدلته لأستاذي الدكتور وهبة الزحيلي ( ١ / ٤١ ) .

و قالت طائفة من القراء و غيرهم يتعوذ بعد القراءة و اعتمدوا على ظاهر سياق الآية و لدفع الإعجاب بعد فراغ العبادة و ممن ذهب إلى ذلك حمزة و داود بن علي الأصبهاني الظاهري . انظر تفسير ابن كثير ( ١ / ١٤ )

الدليلين [1] نقله بعضهم[2] ] و اختلفوا في قراءته في الصلاة ، فقيل : يقرأ في الركعة الأولى و قيل في كل ركعة[3] و اختلفوا في الجهر به فالأكثر على أنه لا يجهر [4] به وعن بعضهم يجهر به[5] و أجمع الفقهاء على أن التعوذ بعد التكبير الاّ ما روي عن الهادي ﷺ أنه قبل التكبير [6] . ومعنى الإستعاذة طلب الإعاذة من الله سبحانه و تعالى ، و هي عصمته[7] . كالاستخارة والإستغاثة يقال : عذت بفلان ، و استعذت به ، لجأت إليه[8] . و الشيطان فعلان من شاط يشيط إذا هلك . أو : فيْعال[9] . من شطن أي بعد[10] ، كأنه بعد عن الخير . والرجيم

---

[1] تفسير ابن كثير ( ١ / ١٤ )

[2] هذه العبارة في النسخة ( أ ) و ليست موجودة في النسخة ( ب ) .

[3] قد أوضحنا هذا في التعليق رقم ( ١ ) في الصفحة الماضية .

[4] قد وضحنا رأي الشافعية و الحنابلة في الإسرار في التعليق رقم ( ١ ) ( صفحة ١١١ )
و قال بالإسرار بالتعوذ في الصلاة الحنفية أيضاً انظر كتاب ( الهداية شرح بداية المبتدئ ) ( ١ / ٤٨ ) من كتب الحنفية .

[5] في أحد أقوال الشافعي يجهر بالتعوذ و إن أسر فلا يضر – انظر تفسير ابن كثير ( ١ / ١٦ ) .

[6] انظر شرح الأزهار ( ١ / ٢٤٨ ) لابن مفتاح رحمه الله – ط شركة التمدن بمصر – ١٣٣٢ هـ – .

[7] العِصْمَة بالكسر : المنع و القلادة – قاموس ( صفحة / ١٤٦٩ ) و لا شك أن المقصود هنا المنع من الشرور من قبل الله سبحانه للمستعيذ . كان الأولى أن يقول حفظه سبحانه لأن العصمة ملكة خاصة بالأنبياء .

[8] العوْذ : الالتجاء ، كالعياذ و المعاذ و المعاذة و التعوذ و الاستعاذة أ هـ قاموس ( ص ٤٢٨ ) .
قال ابن كثير : و الاستعاذة هي الالتجاء إلى الله تعالى و الالتصاق بجنابه من شر كل ذي شرو العياذة تكون لدفع الشر و اللياذ يكون لطلب جلب الخير كما قال المتنبي :

يا مـن ألـوذ بـه فيما أؤمله ... و من أعـوذ بـه ممـن أحاذره
لا يجبر الناس عظماً أنت كاسـره ... و لا يهيضون عظماً أنت جابـره

انظر تفسير ابن كثير ( ١ / ١٦ ) .

[9] أي على وزن فيْعال . و يؤيده ما جاء في تفسير ابن جرير الطبري ( ١ / ١١٢ ).

[10] و قد ذهب ابن جرير رحمه الله تعالى إلى أنه مأخوذ من شطن أي بعد فكأن الشيطان على هذا التأويل – فيعال من شطن . و مما يدل على أن ذلك كذلك . قول أمية بن أبي الصلت :

أيما شاطن عصاه عكاه ... ثم يُلقى في السجن و الأكبال

و لو كان فعلان ، من شاط يشيط لقال أيما شائط ، و لكنه قال : أيما شاطن ، لأنه من " شطن يشْطُنْ فهو شاطن " . انظر تفسير الطبري ( ١ / ١١٢ ) .
قال أحمد شاكر و محمود شاكر في تعليقيما على البيت في نفس الصفحة : " عكاه في الحديد و الوثاق : شده شدا وثيقا و الأكبال جمع كبل : و هو القيد من الحديد " .

بمعنى المرجوم . فعيل بمعنى مفعول كجريح بمعنى مجروح ، و يقال : كف خضيب . أي : مخضوب . و المرجوم في اللغة الملعون . و الملعون المطرود . فإذا قيل : لعنه الله فالمعنى طرده و أبعده من رحمته .

## فصل في فضل سورة الفاتحة
## ( سورة الفاتحة )

و لها أسماء : فاتحة الكتاب لأن الله تعالى بها افتتح القرآن ، و أم القرآن ، و أم الكتاب لأنها أصل القرآن ؛ منها بدأ القرآن ، و أمُّ الشيء أصله ، و يقال : لمكة أمُّ القرى ، لأنها أصل البلاد ، دحيت الأرض من تحتها و قيل لأنها مقدمة و إمام لما يتلوها من السور . و السبع المثاني لأنها سبع آيات بالاتفاق ، إلا أن منهم من عد التسمية آية دون أنعمت عليهم ، و منهم من عكس و سُمّيت مثاني لأنها تثنى في الصلاة ، و تقرأ في كل ركعة . و قال مجاهد : سميت مثاني لأن الله تعالى استثناها لهذه الأمة فادخرها لهم [1] . و قيل : سميت مثاني لأنها نزلت مرتين . و سورة الكنز و الوافية و الكافية و سورة الحمد و الشافية و الشفاء ، لقوله ﷺ : " هي شفاء من كل داء ."[2] من للتبعيض و هي مكية على قول الأكثرين [3] ، و قال مجاهد :مدنية[4]

---

قال صاحب اللسان في كلمة شيطان : " و الدليل على أنه من شطن قول أمية بن أبي الصلت يذكر سليمان النبي ﷺ .... " و ذكر البيت – انظر لسان العرب ( ١٣ / ٢٣٨ – ٢٣٩ ) ط دار صادر مادة ( شطن ) .

[1] تفسير البغوي ( ١ / ٢٣ ) – ط دار الفكر – و عزا القول لمجاهد .

قال ابن عطية : و قيل سميت بذلك لأنها استثنيت بهذه الأمة فلم تنزل على أحد قبلها ذخراً لها . ولم يعزها لمجاهد المحرر الوجيز ( ١ / ١٠٠ ) . و كذا ذكره القرطبي و لم يعزه لمجاهد ( ١ / ١١٢ ) تفسير القرطبي.

[2] أخرج الدارمي في سننه ( ٢ / ٤٤٥ ) و البيهقي في شعب الإيمان بسند رجاله ثقات عن عبد الملك بن عمير قال : " قال رسول الله ﷺ فاتحة الكتاب شفاء من كل داء " – الدر المنثور ( ١ / ١٥ ) .

أخرج الثعلبي من طريق معاوية بن صالح عن أبي سليمان قال : مر أصحاب رسول الله ﷺ في بعض غزوهم على رجل قد صرع ، فقرأ بعضهم في أذنه بأم القرآن فبرأ . فقال رسول الله ﷺ : " هي أم القرآن ؛ و هي شفاء من كل داء " – الدر المنثور ( ١ / ١٥ )

[3] أسباب النزول للواحدي ( صفحة / ٢٩ ) .

[4] أسباب النزول للواحدي ( صفحة / ٣٠ ) . و أما مجاهد فهو : مجاهد بن جبر المقرئ المفسر أحد الأعلام الأثبات قال النباتي : ذكر مجاهد في الضعفاء لابن حبان البستي ، و لم يذكره أحد ممن ألف في الضعفاء .=

و قيل : نزلت مرتين مرة بمكة ، و مرة بالمدينة[1] تشريفا . و لذلك سميت : مثاني : و الأصح : أنها مكية لأن الله تعالى منّ على رسوله ﷺ بقوله : " و لقد آتيناك سبعاً من المثاني و القرآن العظيم "[2] . و المراد منها فاتحة الكتاب . وسورة الحجر مكية . فلم يكن يمنُّ عليه بها قبل نزولها ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾. لا خلاف بين الأمة في إثبات البسملة في أوائل السُّور – خطا بالمصحف – إلاّ في أول سورة التوبة[3] . و إنما الخلاف في كونها قرآنا . فعن جمهور السلف[4] و الشافعية[5] و ابن كثير قارئ مكة و قالون[6] – أثبت قراء المدينة –

---

= ومجاهد ثقة بلا مدافعة .و قال ابن خراش و غيره : أحاديث مجاهد عن علي مراسيل ، لم يسمع منه شيئاً – أ هـ من كتاب ميزان الاعتدال ( ٣ / ٤٣٩ – ٤٤٠ ) .

و يعتبر مجاهد من مدرسة التفسير في مكة المكرمة و قوامها على عبد الله بن عباس ﷺ لكن مجاهداً أقل أصحاب ابن عباس رواية عنه في التفسير ، و كان أوثقهم ، لهذا اعتمد على تفسيره الشافعي و البخاري وغيرهما ، و نجد البخاري ﷺ في كتاب التفسير من الجامع الصحيح ينقل لنا كثيراً عن مجاهد ، و هذه أكبر شهادة من البخاري على ثقته به و عدالته و سعة فهمه للقرآن الكريم . و كان مجاهد ﷺ يعطي عقله حرية واسعة في فهم بعض نصوص القرآن التي يبدو ظاهرها بعيداً عنده فيحولها إلى المجاز فيرى أن الذين مسخوا قردة من بني إسرائيل مسخت قلوبهم و لم يمسخوا قردة فقد أورد هذا ابن جرير عنه ، و رد عليه بأدلة واضحة قوية .

ولد مجاهد سنة ٢١ هـ في خلافة عمر ﷺ و كانت وفاته بمكة و هو ساجد سنة ١٠٤ هـ على الأشهر و عمره ٨٣ سنة – أهـ باختصار من كتاب التفسير و المفسرون ( ١ / ١٠٤ – ١٠٧ ) . للذهبي – ط دار الكتب الحديثة.

[1] روح المعاني للألوسي ( ١ / ٣٣ ) – ط دار الفكر ببيروت ١٩٧٨م.

[2] الآية ٨٧ من سورة الحجر .

[3] و هذا أمر معلوم من جميع مصاحف العالم الإسلامي قديمها و جديدها . و خاصة المصاحف المطابقة للرسم العثماني تماماً كمصحف الملك فؤاد في مصر و مصحف بخط عثمان طه الدمشقي هذا في السطور وأما في الصدور فقد قال عبد الفتاح القاضي : أجمع القراء العشرة على الإتيان بالبسملة عند الإبتداء بأول كل سورة . – أ هـ البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية و الدرة ( صفحة / ١٣ ) لكن هذا يستثنى منه سورة التوبة كما مر .

[4] و منهم سعيد بن جبير و الزهري و عطاء . من حاشية الجرجاني على الكشاف ( ١ / ٢٤ – ٢٥ ) .

[5] تفسير الرازي ( ١ / ١٩٤ ) و حاشية الشيخ زادة على البيضاوي ( ١ / ١٤ ) المطبعة العثمانية ١٩٨٤ م

[6] هو عيسى بن ميناء بن وردان بن عيسى المدني مولى الأنصار ، أبو موسى : أحد القراء المشهورين . من أهل المدينة مولده( سنة ١٢٠ هـ ) ووفاته ( سنة ٢٢٠ هـ ) انتهت إليه الرياسة في علوم العربية والقراءة =

وعاصم والكسائي – من قراء الكوفة [1] – أنها آية من الفاتحة ، ومن كل سورة غير براءة[2] و لذلك يجهرون بها في الصلاة [3] ، و هو إجماع أهل البيت عليهم السلام [4] .

( هامش ) [ و الحجة في ذلك أنها بعض الفاتحة فيُجهر بها ، روى النسائي في سننه[5] و ابن خزيمة[6] و ابن حبان في صحيحيهما[7] و الحاكم في مستدركه[8] عن أبي هريرة أنه صلى فجهر في قراءته بالبسملة ، و قال بعد أن فرغ : إني لأشبهكم صلاة برسول الله ﷺ . و صححه الدارقطني[9] و الخطيب[10] و البيهقي[11] و غيرهم[12] . و روى أبو

---

في زمانه بالحجاز . و كان أصم يُقرأ عليه القرآن و هو ينظر إلى شفتي القارئ ؛ فيرد عليه اللحن و الخطأ و " قالون " لقب دعاه به نافع القارئ لجودة قراءته ، و معناه بلغة الروم جيد ، – من الأعلام ( ٥ / ١١٠ ) .

[1] تفسير الرازي ( ١ / ١٩٦ ) و فتح القدير ( ١ / ١٧ ) . تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني – ط عالم الكتب.

[2] تفسيرا الخازن ( ١ / ١٦ ) طبعة دار الفكر بيروت ، تفسير الألوسي ( ١ / ٣٩ ) طبعة دار إحياء التراث العربي ١٩٨٥ م و الكشاف للزمخشري مع تعليق الجرجاني ( ١ /٢٤/ ٢٥ ) أجمع القراء السبع على ذلك – الإرشادات الجلية ( صفحة ٢٠ ) .

[3] الكشاف للزمخشري ومعه حاشية – الجرجاني – ط مصطفى البابي الحلبي ( ١ / ٢٥ ) .

[4] شرح الغاية ( ١ / ٤٣٥ ) مؤلفه الحسن بن القاسم – طبع في صنعاء من قبل وزارة التربية و التعليم .

[5] ورد في سنن النسائي ما يلي بهذا اللفظ : عن نعيم المُجمّر قال صليت وراء أبي هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بأم القرآن حتى إذا بلغ غير المغضوب عليهم و لا الضالين فقال آمين فقال الناس آمين ويقول كلما سجد الله أكبر و إذا قام من الجلوس في الاثنين قال : الله أكبر و إذا سلم قال:والذي نفسي بيده إني لأشبهكم صلاة برسول الله ﷺ – أ هـ من سنن النسائي ( ٢ / ١٣٤ ) بشرح جلال الدين السيوطي – ط دار الجيل .

[6] في صحيحه بنحوه ( ١ / ٢٥١ / ٤٩٩ ) و قال المحقق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي إسناده صحيح لولا أن ابن أبي هلال قد اختلط – و قد ذكر في السند – .

[7] في الإحسان ( ٥ / ١٧٦٦ ، ١٧٦٧ ، ١٧٩٧ ، ١٨٠١ ) .

[8] في المستدرك مختصراً ( ١ / ٢٣٢ ) و قال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه .

[9] في سننه ( ١ / ٣٠٥ – ٣٠٦ / ١٤ ) و قال المحقق أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي في تعليقه عليه . و رواته كلهم ثقات و قال في الخلافيات : و رواته كلهم ثقات مجمع على عدالتهم محتج بهم في الصحيح . أهـ باختصار ( ١ / ٣٠٥ – ٣٠٦ ) – ط دار المحاسن للطباعة – القاهرة. .

[10] تفسير ابن كثير ( ١ / ١٧ ) – ط دار الفكر بيروت ١٩٨١م –أبي الفداء إسماعيل الدمشقي.

[11] في السنن الكبرى ( ٢ / ٤٦ ) ط دار صادر بيروت .

[12] تفسير ابن كثير ( ١ / ١٧ ) .

داود[1] والترمذي[2] عن ابن عباس : " أن رسول الله ﷺ . كان يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم . و قد رواه الحاكم في مستدركه[3] عن ابن عباس قال : " كان رسول الله ﷺ ، يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم " ثم قال : صحيح . و في صحيح البخاري[4] عن أنس بن مالك " أنه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ ، فقال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله و يمد الرحمن و يمد الرحيم . و في مسند الإمام أحمد بن حنبل[5] و سنن أبي داود[6] و صحيح ابن خزيمة[7] و مستدرك الحاكم[8] عن أم سلمة أنها قالت : " كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . " و قال الدارقطني : إسناده صحيح[9] . ] صح أصل .

---

[1] رواه أبو داود في باب من جهر بالبسملة عن ابن عباس قال : كان النبي ﷺ لا يعرف فصل السورة حتى تنزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم و هذا لفظ ابن السرح ( ١ / ٢٠٧ / ٧٨٨ ) و لم أجد حديث أبي هريرة في سنن أبي داود .

[2] بنحوه في السنن ( ( ١ / ١٥٥ / ٢٤٥ ) قائلاً : و ليس اسناده بذاك .

[3] ( ١ / ٢٠٨ ) قال الحاكم : " هذا إسناد صحيح و ليس له علة و لم يخرجاه " و قال الذهبي عن ابن حسان الذي في السند : " و ابن حسان كذبه غير واحد " .
و جاء عند الدارقطني بنحوه ( ١ / ٣٠٤ ) و قال أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي عن رجل في السند : " عمر بن حفص ضعيف قال ابن الجوزي في التحقيق : أجمعوا على ترك حديثه " – أ هـ التعليق المغني على الدارقطني ( ١ / ٣٠٤ ).

[4] الذي في صحيح البخاري حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا همام عن قتادة . قال : " سئل أنس : كيف كانت قراءة النبي ﷺ ؟ فقال : كانت مدا . ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد ببسم الله ، و يمد بالرحمن ، و يمد بالرحيم " – أهـ – صحيح البخاري في فتح الباري ( ٨ / ٧٠٨ ) قال ابن حجر العسقلاني : و وقع عند أبي نعيم من طريق الحسن الحلواني عن عمرو بن عاصم شيخ البخاري فيه " يمد بسم الله و يمد الرحمن و يمد الرحيم" من غير موحدة في الثلاثة–أ هـ فتح الباري( ٨ / ٧٠٨ ) .

[5] في مسنده ( ٦ / ٣٠٢ ) و بدأ الحديث " كان يقطع قراءته آية آية و هو عن أم سلمة – أ هـ .

[6] لم أجده في سنن أبي داود .

[7] رواه ابن خزيمة بنحوه ( ١ / ٢٤٨ – ٢٤٩ / ٤٩٣ ) .

[8] ( ١ / ٢٣٢ ) بنحوه و قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه .

[9] بنحوه في السنن ( ١ / ٣١٢ / ٣٧ ) .

و عن بعض السلف كـأبي بـن كعـب[1] و أنـس[2] و غيرهمـا[3] و مـالك[4] وأبـي حنيفـة[5]

---

[1] هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمر بن مالك بن النجار الأنصـاري البخـاري أبـو المنذر و أبو الطفيل سيد القراء كان من أصحاب العقبة الثانية ، و شهد بدراً و المشاهد كلها قـال لـه النبـي ﷺ " ليهنك العلم أبا المنذر " و قال له " إن الله أمرني أن أقرأ عليك " و كان عمر يسميه سيد المسلمين فيقول اقرأ يا أبي و يروى ذلك عن النبي ﷺ أيضاً ، و أخرج الأئمة أحاديثه في صحاحهم و عده مسروق في الستة من أصحاب الفتيا و كان يسأله عن النـوازل و يتحـاكم إليـه فـي المعضـلات . مـات فـي خلافـة عثمـان ﷺ – أ هـ بتصرف من الإصابة في تمييز الصحابة ( ١ / ٣١ – ٣٢ ) .

[2] لم أعثر عليه . و أنس : هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم .... الأنصاري الخزرجي – خادم رسول الله ﷺ و أحد المكثرين من الرواية عنه ، صح عنه أنه قال : قدم النبي ﷺ المدينة و أنا ابن عشر سنين و أن أمه أم سليم أتت به النبي ﷺ لما قدم ، فقالت له : هذا أنس غلامك يخدمك فقبله و أن النبي ﷺ كناه أبا حمزة ببقلة كان يجتنيها ، و قد روى الطبراني بسنده عن حفصة عن أنس قال : قالت أم سليم : يا رسول الله ادع اللـه لأنس فقال : اللهم أكثر ماله و ولده و بارك له فيه . قال أنس : فلقد دفنت من صلبي سوى ولد ولدي مائـة وخمسة و عشرين و إن أرضي لتثمر في السنة مرتين وروى البخاري بسنده أن إسحاق بن عثمان قال : سـألت موسى بن أنس كم غزا أنس مع النبي ﷺ ؟ قال ثماني غزوات ، قال علي بن المديني كان آخـر الصحابـة موتـاً بالبصرة ،و كان عمره مائة سنة إلا سنة . أ هـ بتصرف من الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (٢٧٧/٨٤/١) – ط دار الكتاب العربي ببيروت–.

[3] لم أعثر عليه .

[4] ابن كثير ( ١ / ١٧ ) . تفسير القرطبي ( ١ / ٩٣ ) و الخازن ( ١ / ١٦ ) .

و مالك هو : الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر .... الأصبحي المدني إمـام دار الهجـرة و أحد الأئمة الأعلام أخذ القراءة عرضاً عن نافع بن أبي نعيم و سمع الزهري و نـافع مولـى ابـن عمـر ، رضـي الله عنهما ، و روى عنه الأوزاعي و يحيى بن سعيد ، و أخذ العلم عن ربيعة الرأي ، و كـان لا يركـب فـي المدينة مع ضعفه و كبر سنة ، و يقول : لا أركب في مدينة فيها جثة رسول الله ﷺ مدفونة . و كانت ولادتـه سنة خمس و تسعين للهجرة و توفي في شهر ربيع الأول سنة تسع و سبعين و مائة ﷺ . أهـ بتصرف من وفيات الأعيان لابن خلكان ( ٤ / ١٣٥ / ٥٥٠ )طبعة دار الثقافة بيروت – .

[5] ابن كثير ( ١ / ١٧ ) و الرازي ( ١ / ٢٠٣ ) و الخـازن ( ١ / ١٦ )و هـو قـول الحنفيـة . انظـر الفقـه الإسلامي و أدلته للزحيلي ( ١ / ٦٤٦ ).

و هو : أبو حنيفة النعمان بن ثابت الفقيه الكوفي ، كان خزازاً ببيع الخز ، وجده من أهل كابل و قيل غير ذلـك قال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة : " ذهب ثابت إلى علي بن أبي طالب ﷺ ، و هو صغير فدعا له بالبركـة فيه و في ذريته ، و نحن نرجو أن يكون الله قد استجاب ذلك لعلي فينا " ، رأى أبو حنيفة أنس بن مالك رضـي الله عنه و أخذ الفقه عن حماد بن أبي سليمان و سمع عطاء بن رباح و أبا إسحاق السبعي و محـارب بـن دثـار

والثوري[1] و الأوزاعي[2] أنها ليست آية من الفاتحة ، و لا من غيرها من السور ، و لذلك لا يجهر بها عندهم في الصلاة[3] . هامش [ واحتجوا بما في صحيح مسلم[4] عن عائشة قالت : " كان رسول ﷺ يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين " و بما في

---

= والهيثم بن حبيب الصواف و محمد بن المنكدر و نافعاً مولى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، و هشام بن عروة و سماك بن حرب ، و روى عنه عبيد الله بن مبارك و وكيع بن الجراح و القاضي أبو يوسف و محمد بن الحسن الشيباني و غيرهم . لم يرض أبو حنيفة أن يلي القضاء لأبي جعفر المنصور العباسي و لا القضاء في الكوفة في أيام مروان بن محمد الأموي ، و كان أبو حنيفة حسن الوجه حسن المجلس ، شديد الكرم حسن المواساة لإخوانه ، أحسن الناس منطقاً و أحلاهم نغمة ، و كانت ولادته سنة ٨٠ هـ على القول الأصح و توفي سنة ١٥٠ هـ على القول الأصح أيضاً و كانت وفاته ببغداد في السجن ليلي القضاء فلم يفعل ، هذا هو الصحيح ، و قيل إنه لم يمت بالسجن ، دفن رحمه الله بمقبرة الخيزران . أ هـ من وفيات الأعيان ( ٥ / ٤٠٥ - ٤١٥ ) باختصار .

[1] لكن الصحيح أن الثوري يرى أنها من الفاتحة . انظر تفسير الرازي ( ١ / ١٩٦ ) .

و الثوري : هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب .... الثوري الكوفي كان إماماً في علم الحديث و غيره من العلوم و أجمع الناس على دينه و ورعه و زهده و ثقته ، و قال البشر بن الحارث : كان سفيان الثوري كأن العلم بين عينيه ، يأخذ منه ما يريد ، و قال سفيان بن عيينة : ما رأيت رجلاً أعلم بالحلال والحرام من سفيان الثوري ، و قال عبد الله المبارك : لا نعلم على وجه الأرض أعلم من سفيان الثوري ، ويقال : كان عمر بن الخطاب ﷺ في زمانه رأس الناس ، و بعده عبد الله بن عباس ، و بعده الشعبي ، وبعده سفيان الثوري ، و مولده سنة خمس و تسعين للهجرة ، و توفي بالبصرة أول سنة إحدى و ستين و مائة متوارياً من السلطان و دفن عشاء رحمه الله تعالى ، و لم يعقب . أ هـ من وفيات الأعيان لابن خلكان بتصرف ( ٢ / ٣٩٠ ) .

[2] الكشاف ( ١ / ٢٥ ) . و الرازي ( ١ / ١٩٤ ) و الخازن ( ١ / ١٦ ) . و الأوزاعي : هو أبو عمرو عبد الرحمن بن يحمد الأوزاعي إمام أهل الشام ، لم يكن بالشام أعلم منه ، قيل أنه أجاب في سبعين ألف مسألة و كان يسكن بيروت . سمع من الزهري و عطاء و روى عنه الثوري و أخذ عنه عبد الله بن المبارك و جماعة كبيرة . و كانت ولادته ببعلبك سنة ٨٨ هـ و منشؤه بالبقاع و توفي سنة ١٥٧ هـ ببيروت ، ذكر الحافظ ابن عساكر في " تاريخ دمشق " أن الأوزاعي دخل الحمام ببيروت و كان لصاحب الحمام شغل ، فأغلق الحمام عليه و ذهب ، ثم جاء ففتح الباب فوجده ميتاً ، قد وضع يده اليمنى تحت خده و هو مستقبل القبلة . أ هـ وفيات الأعيان لابن خلكان ( ٣ / ١٢٧ - ١٢٨ ) باختصار .

[3] الكشاف ( ١ / ٢٥ ) و الرازي ( ١ / ١٩٤ ) و الخازن ( ١ / ١٦ ) .

[4] صحيح مسلم ( ١ / ٣٥٧ ) و هذا أول كلام عائشة رضي الله عنها في خبر مطول .

الصحيحين [1] عن أنس بن مالك قال : " صليت خلف النبي ﷺ و أبي بكر و عمر و عثمان فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين " . و لمسلم [2] لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة [3] .لما روى سعيد بن منصور في سننه [4] و البيهقي في شعب الإيمان [5] عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : فاتحة الكتاب شفاء من [كل سقم ] [6] و روى أبو الشيخ مثله من حديثه و حديث أبي هريرة مرفوعاً [7] و روى الدارمي [8] و البيهقي في شعب الإيمان بسند رجاله ثقات عن عبد الملك بن [ عيره ] [9] قال : قال رسول الله ﷺ : فاتحة الكتاب شفاء من كل داء . صح أصل ].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في فتح الباري (٢ / ٢٦٥ /٧٤٣ ) .

(٢) ورواه مسلم في صحيحه انظر صحيح مسلم بشرح النووي ( ٤ / ١١) .

وكذلك في سنن الترمذي (٢٤٦/١٥٥/١) وفي سنن النسائي (١٣٥/٢) .

(٣) لكن في سنن سعيد بن منصور (٥٣٥/١) بلفظ : ( فاتحة الكتاب شفاء من السم ) قال الدكتور سعد بن عبدالله آل حميد في تحقيقه لسنن سعيدبن منصور : سنده ضعيف جدا (٥٣٦/٢) .

(٤) لكن في شعب الإيمان كما قال صاحب كنز العمال (٤٦٣/١) مجيؤه بلفظ : ( شفاء من السم ) ، والدر المنثور (١٤/١).

(٥) الذي في الدر المنثور ( السم ) .

(٦) الذي في الدر المنثور (١٥/١) وأخرج أبو الشيخ بن حبان في كتاب الثواب من وجه آخر عن أبي سعيد وأبي هريرة مرفوعاً مثله – أ هـ فلم يذكر أنه أخرجه من وجه آخر – .

(٧) في سننه (٤٤٥/٢) – ط دار الكتب العلمية بيروت – وهو عن عبدالملك بن عمير .

(٨) رواه مرسلاً انظر كنز العمال لتقي الدين الهندي (٤٣٦/١) – ط دار إحياء التراث العربي لبنان (١٤١٠هـ –١٩٩٠م ) الطبعة الأولى – والدر المنثور (١٥/١) .

(٩) الذي في الدر المنثور ( عمير ) .

وعن ابن المسيب[1] و محمد بن كعب[2] إثباتها آية من الفاتحة و النفي عن غيرها[3] و عن أحمد بن حنبل[4] و داود[5] فخر الدين الرازي من الحنفية[6] أنها آية مستقلة أنزلت لتفصل بين كل سورة [7] . دليل الجمهور أحاديث كثيرة منها ما روى أبو هريرة أنه ﷺ قال: "فاتحة

---

[1] و ابن المسيّب : هو أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن ..... القرشي المدني أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، كان سيد التابعين من الطراز الأول جمع بين الحديث و الفقه و الزهد و العبادة و الورع ، سمع سعد بن أبي وقاص و أبا هريرة رضي الله عنهما . قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لرجل سأله عن مسألة : إئت ذاك فسله . يعني سعيدا ، ثم إرجع إلي فأخبرني ففعل ذلك و أخبره فقال : ألم أخبركم أنه أحد العلماء ؟ و كان قد لقي جماعة من الصحابة رضي الله عنهم و سمع منهم ، و له قصة في تزويج ابنته لأحد طلابه الفقراء لم يعرف التاريخ مثلها ، و كان قد خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد فأبى سعيد أن يزوجه ، فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه في يوم بارد و صبّ عليه الماء ، و كانت ولادته لسنتين مضتا من خلافة عمر ﷺ و كان في خلافة عثمان ﷺ رجلاً . و توفي بالمدينة في بضع و تسعين للهجرة و قيل غير ذلك و الله أعلم . أ هـ بتصرف من وفيات الأعيان لابن خلكان ( ٢ / ٣٧٨ ) .

[2] و محمد بن كعب : هو محمد بن كعب بن سليم بن أسد أبو حمزة القُرظي المدني و كان قد نزل الكوفة مدة ، ثقة عالم ولد سنة أربعين على الصحيح ، و وهم من قال ولد في عهد النبي ﷺ فقد قال البخاري:إن أباه كان ممن لم ينبت من سبي قريظة مات سنة عشرين و قيل قبل ذلك . أهـ انظر تقريب التهذيب لابن حجر ( ٥٠٤ / ٦٢٥٧ ) طـ دار الرشيد سوريا .

[3] لم أعثر عليه لهؤلاء لكن ذكر هذا القول الآلوسي في روح المعاني و أشار أن العلماء كلهم اتفقوا أنها من سورة النمل .

[4] ابن كثير ( ١ / ١٧ ) تفسير أبي السعود ( ١ / ٩ ) طـ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٩٩٠ م .
و أحمد بن حنبل : هو الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله .... الشيباني ، المروزي الأصل ، خرجت أمه من مرْو و هي حامل منه فولدته في بغداد في شهر ربيع الأول سنة ١٩٤ هـ و كان إمام المحدثين صنف كتاب " المسند " و جمع فيه من الأحاديث ما لم يتفق لغيره و قيل : إنه كان يحفظ ألف حديث و كان من أصحاب الإمام الشافعي رضي الله عنهما ، و خواصه و لم يزل مصاحبه . إلى أن ارتحل الشافعي إلى مصر و قال في حقه : خرجت من بغداد . ما خلفت بها أتقى و لا أفقه من ابن حنبل ، و دعي إلى القول بخلق القرآن أيام المعتصم و كان أميا لا يقرأ و لا يكتب ، فقال أحمد : أنا رجل علمت علما و أعلم فيه بهذا . فأحضر فقهاء و قضاة فانتظروه فلم يجب فضرب و حبس و هو مصر على الامتناع ، و كان ضربه في العشر الأخير من رمضان ، سنة عشرين و مائتين ، أخذ عنه الحديث جماعة من الأماثل ، منهم محمد بن إسماعيل البخاري ، و مسلم بن الحجاج النيسابوري و لم يكن في آخر عصره مثله في العلم و الورع ، و توفي ضحوة نهار يوم الجمعة ، لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين و مائتين ببغداد . أ هـ باختصار وفيات الأعيان ( ١ / ٦٣ - ٦٤ ) .

[5] ابن كثير ( ١ / ١٧ ) و الظاهر أنه داود الظاهري : و هو أبو سليمان داود بن علي بن خلف الأصبهاني الإمام المشهور المعروف بالظاهري ، كان زاهدا متقللا كثير الورع أخذ العلم عن إسحاق بن راهويه، و أبي ثور و غيرهما ، و كان من أكثر الناس تعصبا للإمام الشافعي ﷺ ، وصنف في فضائله و الثناء عليه كتابين ، و كان صاحب مذهب مستقل ، و تبعه جمع كثير يعرفون بالظاهرية ، قيل :انه كان يحضر مجلسه أربعمائة صاحب طيلسان أخضر ، و كان مولده بالكوفة سنة اثنتين و مائتين ، و نشأ ببغداد ، و توفي بها سنة سبعين و مائتين في ذي القعدة . أ هـ باختصار ، وفيات الأعيان ( ٢ / ٢٥٥ - ٢٥٧ ) .

[6] الصحيح أنه من الشافعية انظر وفيات الاعيان لابن خلكان ( ٤ / ٢٤٩ ) .

[7] الصحيح أن هذا قول متأخري الحنفية و ليس قول الرازي . انظر الكشاف ( ١ / ٢٥ ) .

الكتاب سبع آيات : أولاهن" بسم الله الرحمن الرحيم " [1] . و قول أم سلمة رضي الله عنها : " قرأ رسول الله ﷺ فاتحة الكتاب ، و عدّ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية "[2] و من أجلها أختلف في أنها آية برأسها أو بما بعدها . وفي رواية للشافعي[3] عن أم سلمة أنها قالت : قرأ رسول الله ﷺ فاتحة الكتاب ، فعدّ بسم الله الرحمن الرحيم آية ، الحمد لله رب العالمين آية ، الرحمن الرحيم آية ، ملك يوم الدين آية ، إياك نعبد و إياك نستعين آية ، اهدنا الصراط المستقيم آية ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم و لا الضالين آية[4] . و أما من قال إن البسملة ليست من الفاتحة ، عد صراط الذين أنعمت عليهم آية[5] ، و الإجماع على أن ما بين الدفتين كلام الله[6] ، و الوفاق على إثباتها في المصاحف ، مع المبالغة في تجريد القرآن ، حتى لم تكتب آمين[7] . و الباء متعلقة بمحذوف تقديره عند البصريين ابتدائي ثابت أو مستقر بسم الله ، أو أول كلامي بسم الله ، أو بسم الله أول كلامي ، فموضع المجرور عندهم رفْعٌ بالابتداء أو الخبر[8] . وعند الكوفيين تقديره بدأت . فموضع المجرور عندهم نصبٌ لأنه مفعول[9] ، و قدره جارُ الله[10] مؤخراً : بسم الله أقرأ أو أتلو على معنى

---

[1] تفسير الرازي ( ١ / ١٩٦ ) .

[2] روى الحاكم بنحوه ( ١ / ٢٣٢ ) و في سند الحاكم عمر بن هارون قال عنه الذهبي في التحصيل أجمعوا على ضعفه و قال النسائي متروك – أ هـ من مستدرك الحاكم . و نص الحاكم عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قرأ في الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم فعدها آية الحمد لله رب العالمين آيتين .... "

[3] تفسير الرازي ( ١ / ١٩٦ ) .

[4] تفسير الرازي ( ١ / ١٩٦ ) و روى ابن خزيمة في صحيحه بنحوه ( ١ / ٢٤٨ ) و روى الحاكم بنحوه ( ١ / ٢٣٢ ) و في سنده عمر بن هارون قد مرت ترجمته في التعليق رقم ( ٢ ) على هذه الصفحة .

[5] تفسير البغوي ( ١ / ٣٩ ) .

[6] ينقض هذا الإجماع ما قد مر من قول السلف و غيرهم من الفقهاء و القراء .

[7] الكشاف ( ١ / ٢٥ – ٢٦ ) .

[8] إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب و القراءات في جميع القرآن ( صفحة / ١٠ ) لابي البقاء عبد الله العُكبري – ط دار الفكر ببيروت ١٩٨٦م –.

[9] إملاء ما من به الرحمن ( صفحة / ١٠ ) .

[10] هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري ، الإمام الكبير في التفسير و الحديث و النحو و اللغة و علم البيان ، تشد إليه الرحال في فنونه و صنف التصانيف البديعة : منها " الكشاف " في تفسير القرآن العزيز ، لم يصنف قبله مثله . و كان قد سافر إلى مكة ، حرسها الله تعالى ، و جاور بها زمانا ، فصار يقال له " جار الله " لذلك . و أصبح هذا الاسم علما عليه . و كان الزمخشري معتزلي الاعتقاد=

متبركا بسم الله أقرأ ، قال : و نظيره في حذف متعلق الجارّ قوله تعالى " في تسع آيات إلى فرعون و قومه "[٢] أي اذهب في تسع آيات و قول العرب للمعرس بالرفا[٣] و البنين أي أعرست و منه قوله :

فقلت إلى الطعام فقال منهم فريق يحسد[٤] الإنس الطعاما[٥]

أي هلموا إلى الطعام [٦] . و إنما قدر المحذوف متأخرا ها هنا ، لأن تقديم الاسم أوقع . كما في قوله تعالى : " بسم الله مجراها "[٧] و قوله " إياك نعبد "[٨] لأنه أهم و أدل على الاختصاص ، و أدخل في التعظيم فإن اسمه تعالى مقدم على القراءة . فإن قيل : فقد قال تعالى : " اقرأ باسم ربك " فقدم الفعل . قيل تقديم الفعل أوقع لأنها أول سورة نزلت فكان الأمر بالقراءة أهم [٩] . و الباء للاستعانة و جُعل اسم الله تعالى آلة لها من حيث أن الفعل لا يتم و لا يُعتد به شرعا ما لم يصدر باسمه تعالى ، لقوله ﷺ : " كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله

---

= متظاهراً به و مما أنشده لغيره في كتابه " الكشاف " : عند تفسير قول الله تعالى في سورة البقرة " إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها " البقرة – فانه قال : أنشدت لبعضهم :

يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأليل
و يرى عروق نياطها في نحرها و المخ في تلك العظام النُحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته ما كان منه في الزمان الأول

و كانت ولادة الزمخشري يوم الأربعاء السابع والعشرون من شهر رجب سنة ستين و أربعمائة بزمخشر . وتوفي ليلة عرفة سنة ثمان و ثلاثين و خمسمائة ، بجُرجانية خوارزم ، بعد رجوعه من مكة – وفيات الأعيان ( ٥ / ١٦٨ ).

[٢] الآية ( ١٢ ) من سورة النمل .

[٣] في الكشاف بالرفاء ( ١ / ٢٨ ) بخلاف النسخة ( أ ) و النسخة ( ب ) .

[٤] في الكشاف نحسد ( ١ / ٢٨ ) بخلاف النسخة ( أ ) و النسخة ( ب ) .

[٥] البيت لشمر بن الحرث الضبّي و هو أحد بيتين أولهما :

أتوا ناري فقلت منُون أنتم ؟ فقالوا : الجنّ قلت عموا ظلاما

و قد ورد الثاني بلفظ : زعيم نحسد . انظر لسان العرب مادة أنس ، طبعة صادر ( ٦ / ١٢ ) و جاء البيت الأول بلا نسبة في تاج العروس ( ٨ / ١٩٠ ) مادة أنس .

[٦] أثبت المؤلف رحمه الله هذه العبارة شرحا منه و هي موجودة في النسخة ( أ ) و ( ب ) و لكنها غير موجودة في الكشاف ( ١ / ٢٩ ) و هي موجودة في شرح الجرجاني على الكشاف ( ١ / ٢٨ ) .

[٧] الآية ( ٤١ ) من سورة هود .

[٨] الآية ( ٥ ) من الفاتحة .

[٩] من الكشاف باختصار المؤلف رحمه الله تعالى ( ١ / ٢٦ – ٣٠ ) والآية ١ من سورة العلق.

يُعتد به شرعا ما لم يصدر باسمه تعالى ، لقوله ﷺ : " كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أقطع . " رواه أبو داود[1] و ابن ماجه[2] عن أبي هريرة ، و هو حديث حسن[3] . و قيل الباء للمصاحبة ، لقولـه عز سلطانه : " تنبت بالدهن "[4] و المعنى متبركا بسم الله أقرأ . قال جار الله[5] و هو أغرب [6] و أحسن معنى يعني للمصاحبة . و هذا و ما بعده مقول على ألسنة العباد ، كما يقول الرجل الشاعر على لسان غيره ، ليعلموا كيف يتبركوا باسمه تعالى و يحمد على نعمه و يسأل من فضله ، و كثير من القرآن على هذا المنهاج . و اسم فيه خمس لغات : كسر الهمزة ، و ضمها ، و سم بكسر السين ، قال الشاعر :

---

(1) قال النووي في الأذكار و قد روي موصولاً كما ذكرنا و روي مرسلاً ، و رواية الموصول جيدة الاسناد وإذا روي الحديث موصولاً و مرسلاً فالحكم للاتصال عند جمهور العلماء لأنها زيادة ثقة و هي مقبولة عند الجماهير و معنى ( ذي بال ) أي له حال يتم به و معنى أقطع : أي ناقص قليل البركة . – الأذكار ( ٩٤ ) . للإمام النووي رحمه الله تعالى .

(2) الذي في سنن ابن ماجه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " كل أمر ذي بال ، لا يبدأ فيه بالحمد لله أقطع " قال السندي : الحديث قد حسنه ابن صلاح و النووي و لم أعثر في سنن ابن ماجه على الحديث بلفظ الكوكباني المؤلف رحمه الله تعالى لكن السيوطي أورده في الجامع الصغير بلفظ : ( كل أمر ذي بال لا يُبدأ فيه " ببسم الله الرحمن الرحيم " أقطع ) .

(3) وعزا السيوطي الحديث السابق بالبسملة رحمه الله لعبد القادر الرهاوي في الأربعين عن أبي هريرة وقال عنه : حديث ضعيف . الجامع الصغير ( ٢ / ٢٧٧ ) .

(4) الآية ( ٢٠ ) من سورة المؤمنون .

(5) انتهت مقولة الزمخشري عند كلمة أحسن .

(6) في الكشاف أعرب خلافاً للمخطوطة ( أ ) و ( ب ) و هو الصواب لأن يغرب لا يحسن ، قال أبو حيان :( الباء حرف معنى وذكر لها النحاة معان كثيرة ولم يذكر لها سيبويه إلا معنى الإلصاق والاختلاط ثم قال : من اتسع في هذا الكلام فهذا أصله، وذكروا أنها هنا للاستعانه، وما يتعلق به محذوف ، فقدره الكوفيون بدأت ، وجعل البصريون ذلك في موضع خبر مبتدأ محذوف تقديره ابتدائي باسم الله أي كائن بسم الله ، وخالف الزمخشري الفريقين فقدره متأخرا عن التسمية فقال: تقديره باسم الله أقرأ أو أتلو لأن الذي يجيء بعد التسمية مقروء ، والتقديم على العامل عنده يوجب الاختصاص وليس كما زعم. قال سيبويه: وقد تكلم على ضربت زيدا ما نصه واذا قدمت الاسم فهو عربي جيد كما كان ذلك يعني تأخيره عربيا جيدا كقولك زيدا ضربت). اهـ من النهر الماد للبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي . ط دار الفكر ( ١٤/١ ) .

باسم الذي في كل سورة سمه[1]  قد وردت على طريق يعلمه

و سُمّ بضم السين قال الشاعر :

و عامنـــا [ أعمنا ][2] مقدمه  يدعى أبا السمح و قرضاب سُمّه[3]

و سُما كهدى قال الشاعر :

و الله سماك سُما مباركـــا  [ أثرك ][4] الله به إيثاركـــا[5]

---

(١) أورد الطبري شطر البيت انظر (١٠٠/١) وأنشده صاحب اللسان مادة (سما) ثالث ثلاثة قائلاً : قال ابن بري وأنشأ أبو زيد لرجل من كلب :

أرسل فيها بازلاً يقرمها وهو بها يخطو طريقاً يعلمه

باسم الذي في كل سورة سمه أ هـ اللسان (٤٠١/١٤) دار صادر بيروت ١٩٦٨مادة (سمو) – وذكره الشيخ زادة كاملاً بلا نسبة فقال :

باسم الذي في كل سورة سمه قد أنزلت على طريق تعلمه – أ هـ حاشية – الشيخ زاده (١٩/١) .

(٢) ذكره القرطبي بلفظ أعجبنا (٦٧٠/١) وبهذا اللفظ ذكره صاحب اللسان (٢٧٧/١٢) .

(٣) في القرطبي (١٠٠/١) وذكره صاحب اللسان سمه بالضم والكسر من غير غزو ، وقرضب إذا أكل شيئاً يابساً فهو قرضاب ، أ هـ اللسان (٦٧٠/١) مادة قرضب وجاء في تاج العروس مادة سمو .

وقال الشيخ محمد محيي الدين في تعليقه علي البيت : يريد أنهم ظنوا في مقدم العام أنه سيكون عام رخاء فإذا هو يكون عام شدة جدب يلح على أموالهم بالفناء حتى يأتي عليها والاستشهاد فيه بقوله سمه وهو يروى بكسر السين وضمها ، أهـ الإنتصاف من الإنصاف في مسائل الاختلاف لمحمد محيي الدين عبدالحميد طـ ، دار الفكر شاهد رقم (٤) (١٦/١) ولم أقف على قائله .

(٤) في نسخة (ب) (أبـــرك ) والنســـخة (أ) والقرطبـــي (١٧/١) أثرك وفي اللسان كذلك مادة سمو .

(٥) أنشده صاحب اللساه ولم يعزه (١٢٦/١٩) في مادة (سما ) ط ،الدار المصرية للتأليف والترجمة وقال الشيخ محمد محي الدين في تعليقه عليه : و(أسماك ) أراد ألهم آلك أن يسموك – جاء البيت بلفظ أسماك لا سماك – و(سما) أي أسما ( مباركاً ) أي ذا بركة (أثرك ) ميزك واختصك و(إثارك ) هو مصدر مضاف إلى ضمير المخاطب ، ويجوز أن يكون المعنى : أثرك الله بهذا الاسم المبارك إيثاراً مثل إيثاره إياك بالفضل ومكارم الأخلاق ، أهـ من الإنتصاف من الإنصاف بتصرف شاهد رقم (٢) (١٥/١) .

و قد نظمها بعضهم فقال :

في الاسم خمس لغات ليس يعرفهـــــــا ... إلا ذو[1] العلم و الآداب فاستمعْ [2]

اسمٌ و أُسـمٌ هـمـا أصـلان وزنـهمـا ... إفـعٌ وأفعٌ وهذا الـقول مـتـبـع

و بـعـد ذاك سـمْ يـا قـوم ثـم سُمْ ... من بعد ثم سُما هذا الذي جـمـعوا

فمـن يـقول سـمٌ فـالـوزن فـيه فـعٌ ... ومن يقول سُمٌ فـالوزن فـيه فُـعْ

هـذا و وزن سُـمـا بـين النحاة فعا نظمت في هذه الأبيات[3] ما جمعوا و الاسم أحد الأسماء التي حذفت أعجازها لكثرة الاستعمال ، و بنيت أوائلها على السكون ، و أدخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل . لأن من عادة العرب أن تبتدئ بالمتحرك ، و تقف على الساكن . واشتقاقه عند البصريين من السمو [4] و هو العلو ، لأنه يسمو بمسماه إلى الأذهان . وأصله سموٌ ، حذفت الواو ، و عوضت منها الهمزة في أوله . فقيل : اسم . وعند الكوفيين[5] من السمة[6] ، و هي العلامة [7] . و أصله عندهم وسمٌ ؛ فحذفت الواو ، و عوضت بهمزة مكانها . و هو غير مطرد ، و رجّح الأول بأسماء و سُمَيٌ و سميت ، و لو كان على ما قاله الكوفيون ، لقيل : أوسام في التكسير ، و وُسَيْمٌ في التصغير ، و وَسَمْتُ في الإخبار عنه . و الاسم إن أريد به اللفظ ، فغير المسمى لأنه يتألف من أصوات مقطعة غير [ قارة ][8] و يختلف باختلاف الأمم والأعصار ، و يتعدد [ تارة ][9] و يتحد أخرى ، و المسمى لا يكون كذلك و إن أريد به ذات الشيء ؛ فهو المسمى . لكنه لم يشتهر بهذا المعنى ، و قوله تعال ( سبح اسم ربك )[10]

---

(١) في النسخة ( ب ) [ ذووا ] و الموافق لما جاء في الموشح للخبيصي هو ما جاء في ( أ ) .

(٢) في النسخة ( أ ) و ( ب ) " فاستمعْ " و في الموشح للخبيص " فاستمعوا " و هو الصواب .

(٣) الأبيات جاءت في مخطوط " الموشح " للخبيصي ( صفحة / ٦ ) في حواشي عليه .

(٤) (٥) انظر كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين و الكوفيين ( ١ / ٦ ) تأليف كمال الدين أبي البركات الأنباري النحوي ط دار الفكر بيروت.

(٦) (٧) انظر كتاب الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين و الكوفيين ( ١ / ٦ ) تأليف كمال الدين أبي البركات الأنباري النحوي .

(٨) هذه الكلمة غير واضحة في النسخة ( ب ) و أما في النسخة ( أ ) فهي غير مفهومة و لعلها [ قادرة ] لأنه الأنسب لسياق الكلام .

(٩) في النسخة ( ب ) [ دقائها ] و في النسخة ( أ ) [ تارة ] و هو الصواب لقول المؤلف و يناسب السياق .

(١٠) سورة الأعلى الآية ( ١ ) .

المراد به اللفظ . لأنه كما يجب تنزيه ذاته تعالى و صفاته عن النقائض ، يجب تنزيه الألفاظ الموضوعة لها عن الرفث و سوء الأدب. و الاسم فيه مقحم[1] .

---

[1] الظاهر ان التنزيه يقع على الاسم ، أي نزهه ان يسمى به صنمٌ او وثنٌ فيقال له ربٌ او اله ، واذا كان قد امر بتنزيه اللفظ ان يطلق على غيره فهو ابلغ ، وتنزيه الذات احرار . وقيل الاسم هاهونا بمعنى المسمى – أ هـ من البحر المحيط ( ٤٢٥/١٠) . ط دار الفكر بيروت ١٤١٣هـ ١٩٨٢م. لا جدال في أن همزة الوصل و السين و الميم كلفظ هي غير المسمى و لكن لفظ " الاسم " وضع في اللغة بحروفه ليدل على المسمى . قال تعالى : " سبح اسم ربك الأعلى " فالمقصود هو أن تقول " سبحان ربي الأعلى " عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ " سبح اسم ربك الأعلى " قال : " سبحان ربي الأعلى " رواه الإمام أحمد – الفتح الرباني ( ١٨ / ٣٢٥ ) – و رواه أبو داود و ابن مردويه و أخرج الفريابي و ابن أبي شيبه و عبد بن حميد و ابن الأنباري في المصاحف عن علي ابن أبي طالب أنه قرأ " سبح اسم ربك الأعلى " فقال : سبحان ربي الأعلى ، و هو في الصلاة فقيل له : أتزيد في القرآن . قال : لا ، إنما أمرنا بشيء فقلته – أ هـ الدر المنثور ( ١ / ٤٨٢ ) . من كل ذلك نعلم أن الاسم يدل على المسمى ، من أدلة الرواية .

و لا شك أن تسبيح الله هو تنزيه ربنا جل جلاله عن كل ما لا يليق به ، سواء أكان بأسمائه أم بذاته أم بصفاته أم بغير ذلك . فلا يقتصر الأمر بقوله تعالى : " سبح اسم ربك الأعلى "على تنزيه الاسم فقط .

قال الغزالي رحمه الله تعالى في الآية الأخيرة : الاسم ههنا زيادة على سبيل الصفة ، و عادة العرب جارية بمثله . و هو قوله تعالى : " ليس كمثله شيء " – ( ١١١ ) الشورى – و لا يجوز أن يستدل فيقال : فيه إثبات المثل ؛ إذ قال تعالى : " ليس كمثله شيء " بل الكاف فيه زيادة . و لا يبعد أيضاً أن يكنى عن المسمى بالاسم إجلالاً للمسمى . كما يكنى عن الشريف بالجناب و الحضرة و المجلس لكن يكنى عنه بما يتعلق به نوعاً من التعلق إجلالاً – أ هـ باختصار من كتاب المقصد الأسنى في أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي ( صفحة / ٣٨ ) .

أما قول الكوكباني رحمه الله تعالى ، الاسم فيه مقحم هو استشهاده بالبيت التالي من الشعر ، فإن الشاعر هو لبيد ، شاعرٌ جاهليٌ عالم بالعربية و فنونها ، فلا يمكن أن يقحم ما لا يلزم في شعره . و البيت حجة على الكوكباني لا له . فإن المقصود باسم السلام عليكما هو السلام عليكما و هو المسمّى . انظر القول الأخير من كتاب المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لابن عطية الغرناطي ( ١ / ٩٤ ) و قد ذهب الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره إلى ما ذهب إليه الكوكباني ( ١ / ١٢٠ ) و حاول تأويل البيت ، بمعان بعيدة لم يوافقه عليها عمداء اللغة العربية . قال القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره ما نصه : ذهب أهل الحق – فيما نقل القاضي أبو بكر بن الطيب – إلى أن الاسم هو المسمى ، و ارتضاه ابن فورك ؛ و هو قول أبي عبيدة و سيبويه . فإذا قال قائل : الله عالم ، فقوله دال على الذات الموصوفة ، بكونه عالما ، فالاسم كونه عالماً و هو المسمى بعينه . و كذلك إذا قال : الله خالق ؛ فالخالق هو الرب ، و هو بعينه الاسم . فالاسم عندهم هو المسمى بعينه من غير تفصيل – أ هـ تفسير القرطبي ( ١ / ١٠١ ) .

كما في قول الشاعر [1] :

إلى الحول ثم اسم السلامُ عليكما و من يبك حولا كاملا فقد اعتذر [2]

أي السلام عليكم . و إنما قال بسم الله ، و لم يقل بالله ، لأن التبرك و الاستعاذة بذكر اسمه ، أو للفرق بين اليمين والتيمن [3] . ولم تكتب الألف على ما هو وضع الخط في بسم الله . وأثبتت في قوله : " باسم ربك " [3] . وباسم العزيز ، وكذلك إن أتي بحرف سوى الباء . كقولك لاسم

---

[1] هذا البيت من الشعر هو للبيد بن ربيعة العامري و كان يكنى أبا عقيل ، و هو من الشعراء المجيدين و الفرسان المشهورين ، و من المعمرين . قال الإمام مالك بن أنس بلغني أن لبيداً مات و هو ابن أربعين سنة و مائة ، و قيل أنه مات و هو ابن سبع و خمسين سنة و مائة ، أدرك الإسلام و أسلم و حسن إسلامه . انظر الأعلام ( ٥ / ٢٤٠ ) و المعلقات السبع للزوزني – ط دار الكتاب العربي ( صفحة ٨٥ ) .

وترك قول الشعر في الإسلام ، و سأله عمر في خلافته عن شعره و استنشده ؛ فقرأ سورة البقرة فقال : إنما سألتك عن شعرك ؛ فقال : ما كنت لأقول بيتاً من الشعر بعد إذ علمني الله البقرة و آل عمران ؛ فأعجب عمر قوله ؛ و كان عطاؤه ألفين فزاده خمسمائة انظرتفسير القرطبي ( ١ / ١٣٥ ) وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : " أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل " رواه مسلم ( ٤ / ١٧٦٨ / ٣ ) و رواه ابن ماجه ( ٢ / ١٢٣٦ / ٣٧٥٧ ) .

[2] ورد البيت في ديوان لبيد بن ربيعة و شرحه للطوسي في قصيدة رقم ( ٣٦ ) ، ( ص / ٢٥٦ ) ط سلسلة التراث العربي ، بيروت الكويت ١٩٦٢ تحقيق د. إحسان عباس .

و كان شاعرنا لبيد قد قال في قصيدته هذه لابنتيه :

تمنّى ابنتاي أن يعيش أبوهما و هل أنا إلا من ربيعة أو مُضَرْ

ثم أمرهما بأمره فقال قبل بيت الشاهد :

فقوما فقولا بالذي قد علمتما و لا تخمشا وجهاً و لا تحلقا شعَرْ

و قولا : هو المرء الذي لا خليله أضاع ، و لا خان الصديق ، و لا غدَرْ

و في بيت الشاهد أمرهما أن يفعلا ذلك الى الحول – و الحول السنة – قاموس المحيط ( ١٢٧٨ ) و اعتذر هنا بمعنى أعذر أي ثبت له عذر و احتج لنفسه – انظر القاموس ( ٥٦١ ) مع تصرف .

و جاء في البيت بالنسبة في شرح شواهد المغني للسيوطي ( ٢ / ٩٠٢ ) و الأغاني ( ١٤ / ٩٨ ) .

[3] أي للفرق بين القسم والتيمن من اليمن . قال صاحب تاج العروس: ( اليَمنُ بالضم: البركه ، وقد تكرر ذكره في الحديث وهو ضد الشؤم . وتيمّن به وبرأيه واستيمن : أي تبرك ) أ هـ باختصار من تاج العروس لمحمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي . تحقيق علي شيري . ط دار الفكر بيروت ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

[3] سورة الأعلى رقم الآية ( ١ ) .

الله حلاوتها في القلوب ، ليس اسم كاسم الله ، لكثرة الاستعمال[1] . وطولت الباء عوضا عنها[2] . وعن عمر بن عبد العزيز ﷺ قال لكاتبه : طوّل الباء وأظهر السينات[3] ودوّر الميم[4] .وما أحسن ما أملاني شيخنا السيد الأجلّ صارم الدين إبراهيم بن محمد ، زبيبه[5] . رحمه الله تعالى :

أفي الحق أن يعطى ثلاثون شاعـــــرا  و يحرم من دون الرضا شاعر مثلي
كما ســـامحـــوا عـمروا بـــواو مزيدة  و ضيق بسم الله في ألف الوصل[6]

و الله أصلـــه [ إلـــه ][7] فحذفـت الهمـزة . و عـوض عنهـا الألـف و الـلام و لذلـك قيـل [ يا أللـه ][8] بالقطع و هو مختص بالمعبود بحق سبحانه و تعالى لم يطلق على غيره . و قيل في قوله تعالى : " هل تعلم له سمياً "[9] ؟ أي هل تعرف في السماء أو في الأرض أحداً اسمه الله غير الله عز سلطانه[10] ؟ و هو علم لذاته المخصوصة ، لأنـه يوصـف و لا يوصـف بـه .

---

[1] أي لكثرة الاستعمال في البسملة حذفت الألف – .

[2] الكشاف ( ١ / ٣٥ ) .

[3] في الكشاف السنات و هو الصواب لأن في البسملة سين واحدة لا سينات و فيها سنات ثلاثة لحرف السين جاء في المعجم الوسيط ( السِّنُّ ) : قطعة من العظم تنبت في الفك " مؤنثة " . و – من الشيء : كل جزء مسنّن محدد على هيأتها – أ هـ باختصار ( ١ / ٤٥٦ ) .

[4] الكشاف ( ١ / ٣٥ ) .

[5] هو السيد العلامة الأديب إبراهيم بن محمد بن عبد الهادي الحمداني المعروف بزبيبة الحسين الكوكباني ولد في شهر جمادى الأخرة سنة ١١٨٣ هـ بكوكبان و بها نشأ ، فأخذ عن السيد العلامة إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد وعن غيره من علماء عصره في النحو و الصرف و المنطق ، فاستفاد و طالع الدواوين الشعرية والكتب الأدبية و التاريخية و اشتغل بنظم الشعر و النثر ، و كان له حسن محاضرة و ذكاء و ألمعية و نقادة وحافظة و كان نزوله مع السيد عبد الله بن أحمد بن محمد الكوكباني إلى الشريف حمود بن محمد الحسين إلى تهامة في سنة ١٢٢٩ . فدرس هناك في فنون من العلم ، و حضر دروس الشريف الحسن بن خالد الحازمي و كان يعظمه كثيراً توفي بكوكبان ليلة عيد الفطر سنة ١٢٥٩ هـ عن ست و سبعين سنة من مولده . أهـ بتصرف من نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر ( ١ / ٣٩ ) ط . دار العودة ، بيروت .

[6] لم أقف على البيتين .

[7] في النسخة ( ب ) [ ألاه ] و في النسخة ( أ ) [ إله ] موافقاً لما جاء في الكشاف ( ١ / ٣٥ ) .

[8] في النسخة ( ب ) [ بالله ] و في النسخة ( أ ) [ يا الله ] و هو الصواب لأن به تظهر همزة القطع .

[9] الآية ( ٦٥ ) سورة مريم .

[10] روى إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال : هل تعلم أحد سمي الرحمن . قال النحاس : وهذا أجل إسناد علمته روي في هذا الحرف ، و هو قول صحيح ؛ لا يقال رحمن إلا لله . روى ابن أبي =

ولأن صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري عليه ، فلو جعلتها كلها صفات ، بقيت غير جارية على اسم موصوف بها ، و هذا محال . و الأكثر على أنه علم مرتجل[1] قال السهيلي[2] : و الألف و اللام فيه لازمة ، لا لتعريف [ بل ][3] هكذا وضع فيه [4] ، و قيل : مشتق[5] . و الألف و اللام فيه زائدة لازمة . و اشتقاقه من ألـه إلاهة . أي عبد عبادة . و قرأ ابن عباس : " و يذرك و آلهتك " أي عبادتك . و قيل : من ألـه ؛ إذا تحير . و من أخواته و له ، و عليه ينظمها معنى التحير و الدهش . و ذلك لأن الأوهام تتحير في معرفة المعبود و تدهش للعطاء . أو من ألهت إلى فلان . أي سكنت إليه . قال الشاعر :

---

=نجيح عن مجاهد " هل تعلم له سمياً " قال : مثلاً . ابن المسيب : عدلاً . قتادة و الكلبي : هل تعلم أحداً يسمى الله تعالى غير الله ، أو يقال له الله إلا الله . و هل بمعنى لا ؛ أي لا تعلم . و الله تعالى أعلم – أ هـ من تفسير القرطبي ( ١١ / ١٣٠ ) باختصار .

[1] و هو قول الشافعي و أبي حنيفة ، و الحسين بن فضل البجلي ، و القفال الشاشي ، و أبي سليمان الخطابي ، و أبي يزيد البلخي ، و الشيخ الغزالي و من الأدباء أحد قولي الخليل ؛ و سيبويه و المبردو المختار عندنا هو هذا القول – شرح أسماء الله الحسنى للرازي ( صفحة / ١٠٨ ) باختصار – قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى : و الأشبه أنه جاء في الدلالة على هذا المعنى مجرى الأسماء الأعلام . و كل ما ذكر في اشتقاقه وتصريفه تعسف و تكلف – أ هـ المقصد الأسنى في أسماء الله الحسنى ( صفحة / ٦٠ )و هذا ما عليه الأكثرون انظر البحر المحيط ( ١ / ١٤ ) .

[2] انظر البحر المحيط ( ١ / ١٥ ) و السُّهيلي : هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي : حافظ عالم باللغة و السير ، ضرير ، ولد في " مالقة " و عمي و عمره ١٧ سنة ، و نبغ ، فاتصل خبره بصاحب مراكش فطلبه إليها و أكرمه ، فأقام و صنف كتبه إلى أن توفي بها . نسبته إلى سهيل ( من قرى مالقة ) من كتبه " الروض الانف – ط " في شرح السيرة النبوية لابن هشام و " تفسير سورة يوسف – خ " في خزانة الرباط و " نتائج الفكر " . ولد سنة ٥٠٨ هـ و توفي في ٥٨١ هـ ،أ هـ بتصرف من الأعلام ( ٣ / ٣١٣ ) .

[3] في النسخة ( ب ) [ به ] .

[4] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ( ١ / ٩٥ ) .

[5] والى هذا القول ذهب الحارث بن أسد المحاسبي و جماعة من العلماء – أ هـ شرح أسماء الله الحسنى للرازي ( صفحة / ١١٢ ) .

ألهتْ إليها و الحوادث جمة[1] .

لأن القلوب تطمئن بذكره تعالى ، و الأرواح تسكن إلى معرفته . أو من أله ، إذا فزع . والعائذ يفزع إليه تعالى . أو من أله الفصيل ، إذا ولع بأمه ؛ إذ العباد يولعون بالتضرع إليه في الشدائد . أو من أله إذا تحير و تخبط عقله،و كان أصله ولاه فقلبت الواو همزة كأشاح ، أصله وشاح[2] .و الله سبحانه و تعالى أعلم[3] .

و الإله في الأصل من [ أسماء ][4] الأجناس . كالرجل اسم يقع على كل معبوده بحق أو باطل ، ثم غلب على المعبود بحق كالنجم اسم لكل كوكب ثم غلب على

---

[1] ذكره صاحب اللسان مادة ( أله ) من غير عزو و بهذا اللفظ : ( ألهت إلينا و الحوادث جمة ) و أكمل قائلاً : و قال آخر : ألهتْ إليها و الركائب وُقّفْ . أ هـ اللسان ( ١٣ / ٤٦٩ ) ط دار صادر ، بيروت ١٩٦٨ م . و ذكره بلا عزو صاحب تاج العروس ( ١٩ / ٨ ) مادة ( أله ) .

[2] قال صاحب اللسان : و قيل في اسم الباري سبحانه أنه مأخوذ من أله يأله إذا تحير لأن العقول تأله في عظمته و أله يأله ألهاً أي تحيّر و أله وله يوله ولهاً و قد ألهتْ على فلان أي اشتد جزعي مثل ولهتْ و قيل هو مأخوذ من أله يأله إلى كذا أي لجأ إليه لأنه سبحانه المفزع الذي يُلجأ إليه في كل أمر قال الشاعر : ألهت إلينا و الحوادث جمة و قال آخر : ألهتْ إليها و الركائب وقفْ و التأله التنسك و التعبد و التأليه التعبيد قال :

لله درُّ الغانيات المُدّه سبّحْنَ و استرجعن من تألّهي

لسان العرب ( ١٣ / ٤٦٩ ) طبعة دار صادر بيروت .

[3] و أجمل ما قال الرازي رحمه الله تعالى في تبيان بطلان القول في أن لفظ " الله " مشتق هو ما يلي : لو كانت هذه اللفظة مشتقة لما كان قولنا لا إله إلا الله تصريحاً بالتوحيد ، لأنه توحيد ، فوجب أن لا تكون هذه اللفظة مشتقة ، بيان الملازمة أن المفهوم من الاسم المشتق ذات موصوفة بالمشتق منه ، و هذا المفهوم مفهوم كلي ؛ لا يمنع نفس تصوره من وقوع الشركة فيه ، بل قد تكون الشركة ممتنعة في نفس الأمر ، إلا أن ذلك الامتناع إنما يستفاد من خارج لا من نفس مفهوم اللفظ ، فثبت أنه لو كان قولنا الله مشتقاً لكان كلياً ، و لو كان كلياً لم قولنا لا إله إلا الله مانعاً من وقوع الشركة ، فكان يلزم أن يكون قولنا لا إله إلا الله غير مانع من الشركة ؛ و لما كان ذلك باطلاً بإجماع المسلمين علمنا أن هذا الاسم اسم علم ، و ليس من الأسماء المشتقة – أ هـ شرح أسماء الله الحسنى للرازي ( صفحة / ١٠٨ – ١٠٩ ) .

[4] في النسخة ( ب ) [ اسم ] .

الثريا[1] . والرحمن الرحيم قال ابن عباس هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر[2] . ( هامش ) [ أي أكثر رحمة . ثم حكى الخطابي[3] وغيره أنهم استشكلوا هذه الصفة[4] ، وقالوا : لعله أرفق . كما جاء في الحديث : " إن الله رفيق يحب الرفق في الامر كله . و إنه يعطي على الرفق مالا يعطي على العنف "[5] .

وروي عن الخليل[6] و سيبويه : أن الألف واللام فيه

---

[1] لكن في كل وقت كفار يعبدون إله غير الله تعالى و تعارفوا على ذلك و في نظرهم أنه الحق و كلمة " لا إله إلا الله " تنفي بالإجماع ما تعارف عليه الكفار في كل عصر و جيل و هو ألوهية غير الله تعالى فلزم أن تكون كلمة " الله " تختلف اختلافاً ظاهراً عن كلمة " إله " و ليس مشتقة منها حتى تبين من هو المعبود بحق باسمه العلم و هو " الله " إذا قلنا لا إله إلا الله و الله أعلم .

[2] شرح أسماء الله الحسنى للإمام الرازي ( صفحة / ١٦٥ ) لكنه زاد " و لم يبين أيهما أرق " - أ هـ .

[3] ( ٣١٩ - ٣٨٨ هـ ) هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي أبو سليمان : فقيه محدث من أهل بست ( من بلاد كابل ) من نسل زيد بن الخطاب ( أخي عمر بن الخطاب ) له " معالم السنن - مطبوع " في شرح سنن أبي داود و " بيان إعجاز القرآن - مطبوع " و له شعر أورد منه الثعالبي في " اليتيمية " نتفاً جيدة ، كان صديقاً له . توفى في بست ( في رباط على الشاطئ هيرمند ) باختصار من الأعلام ( ٢ / ٢٧٣ )

[4] تفسير ابن كثير ( ١ / ٢٢ ) .

[5] في سنن ابن ماجه جاء عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : " إن الله رفيق يحب الرفق ، و يعطي عليه ما لا يعطي على العنف " ( ٢ / ١٢١٦ / ٣٦٨٨ ) .

و جاء في سنن ابن ماجه أيضاً عن عائشة عن النبي ﷺ ؛ قال : " إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله " . ( ٢ / ١٢١٦ / ٣٦٨٩ ) ، و رواه مسلم عن عائشة بنحوه ( ٤ / ٢٠٠٤ ) .

[6] هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي و يقال : الفرهودي الأزدي اليحمدي ؛ كان إماماً في علم النحو ، و هو الذي استنبط علم العروض و أخرجه إلى الوجود و حصر أقسامه ، أقام الخليل في خص من أخصاص البصرة فقيراً لا يقدر على فلسين ، و أصحابه يكسبون بعلمه الأموال و للخليل من التصانيف كتاب " العين " في اللغة و هو مشهور ، و كتاب " العروض " و كتاب " الشواهد " و كتاب " النقط والشكل " و كتاب النغم " و كتاب في العوامل . و أكثر العلماء العارفين باللغة يقولون : إن كتاب العين في اللغة المنسوب إلى الخليل بن أحمد ليس تصنيفه ، و إنما كان قد شرع فيه و رتّب أوائله و سماه بـ " العين " ثم مات فأكمله تلامذته و بدلوا فوقع بالكتاب خلل كثير . علما أن الخليل كان الخليل علما باللغة فقد أخذ عنه سيبويه علوم الأدب . وكانت ولادته في سنة مائة للهجرة . و توفي سنة سبعين ، و قيل خمس و سبعين و مائة - أ هـ وفيات الأعيان ( ٢/ ٢٤٤ ).

لازمة[1] . قال الخطابي : ألا ترى أنك تقول : يا لله و لا تقول يا لرحمن فلولا أنهما أصل الكلمة ، مما جاز إدخال حرف النداء على الألف . و اللام[2] صح قوله : احدهما أرق من الآخر (قال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، ثنا عثمان بن سعيدة ثنا بشر بن عمارة ، ثنا أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس ، قال : الرحمن فعلان [3] . و هو من كلام العرب . و قال : الرحمن الرحيم ، الرقيق الرفيق بمن أحب أن يرحمه ، و البعيد الشديد على من أحب أن يعنف عليه ، و كذلك [ أسماؤه ][4] كلها[5] .) و الله أعلم . قال تعالى : ( و كان بالمؤمنين رحيماً )[6] فخصهم باسمه الرحيم قالوا : فدل على أن الرحمن أشد مبالغة في الرحمة لعمومها في الدارين لجميع خلقه .و الرحيم يختص بالمؤمنين . لكن جاء في الدعاء المأثور : رحمن الدنيا و الآخرة و رحيمهما . صح أصل و بعده . ]

( و اختلفوا فيهما . فمنهم من قال : هما بمعنى واحد فرحمن فعلان من الرحمة ، و رحيم فعيل من الرحمة و ذلك لاتساع اللغة كما تقول : نديم و ندمان : بمعنى واحد . و ذكر أحدهما بعد الآخر تطميعا لقلوب الراغبين[7] . )

---

[1] تفسير القرطبي ( ١ / ١٠٣ ) وزاد لا يجوز حذفهما منه – من قول الخليل و سيبويه – .

[2] تفسير القرطبي ( ١ / ١٠٣ ) باختصار .

[3] الذي في النسخة ( أ ) و ( ب ) فعلان و الذي في تفسير الطبري [ الفعلان ] و هو الأنسب لأنه يوافق بهذا وزن الرحمن و الله أعلم .

[4] في النسخة ( ب ) [ أسماؤها ] و الصواب ما جاء في ( أ ) .

[5] تفسير ابن جرير الطبري ( ١ / ١٢٩ ) و أما القول " و كذلك أسماؤه كلها " فالمقصود أن كل أسماء الله تعالى من كلام العرب و الله أعلم .

[6] الآية ٤٣ من سورة الأحزاب .

[7] تفسير البغوي ( صفحة / ٢٥ ) .

قال المبرد[1] : هو إنعام بعد إنعام ، و تفضل بعد تفضل[2] ، و قيل الرحمن أبلـغ مـن الرحيم . لأن زيادة البناء تدل على زيادةالمعنى[3] ، كما في قطع و قطّع و كُبار و كبّار[4] . و لذلك قيل يـا رحمـن الدنيـا لأنـه يعم المؤمنين و الكفـار ، و رحيم الآخـرة لأنـه يخـص المؤمنيـن[5] ، و الرحمن من تصل رحمته إلـى الخلق علـى العمـوم ، و الرحيم مـن تصـل رحمتـه إليهم علـى الخصوص[6] . و قيل رحمن الدنيا و الآخرة[7] . و الرحمن من الصفـات الغالبـة ، لـم يستعمل لغير الله تعالى . كما لم يستعمل اسمه في غيره[8] . و لذلك يدعـى غيره رحيماً ، و لا يدعـى غير الله رحمان[9] .

---

[1] المبرد هو : أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير الثمالي الأزدي البصري نـزل بغداد و كـان إماماً في النحو و اللغة و لـه التواليف النافعة فـي الأدب منهـا : كتـاب " الكـامل " و كتـاب " الروضـة " و " المقتضب " و غير ذلك و المبرد لقب عرف به – أ هـ وفيات الأعيان ( ٤ / ٣١٣ ) مولده بالبصرة سـنة ٢١٠ هـ و وفاته ببغداد سنة ٢٨٦ هـ . انظر الاعلام ( ٧ / ١٤٤ ) .

[2] تفسير البغوي ( صفحة / ٢٥ ) .

[3] فتح القدير للشوكاني ( ١ / ١٨ ) ط عالم الكتب .

[4] جاء في لسان العرب : ( كبر بالضم يكبر أي عظم ، فهو كبير . الكبر نقيض الصغـر ، كَبُرَ كِبراً و كُبْراً فهوكبير و كُبار و كُبّار ، بالتشديد إذا أفرط ، و الأنثى بالهـاء ، و الجمـع كبـارٌ و كُبّـارون – أ هـ باختصـار – ولسان العرب هو معجم لابن منظور – طبعة دار صادر – عام ( ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨ م ) – مادة كبر .

[5] تفسير البغوي ( ١ / ٢٥ ) .

[6] تفسير البغوي ( ١ / ٢٥ ) .

[7] الكشاف ( ١ / ٤١ ) وزاد " و رحيم الدنيا " .

[8] كما لم يستعمل اسمه : المقصود اسمه العلم سبحانه " الله " قال جاء في لسان العرب :

( الرحمن اسم مختص لله تعالى لا يجوز أن يسمى بـه غيره و لا يوصـف ألا ترى أنـه قـال " قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن " – ( ١١٠ ) الإسراء – فعادل به الاسم الذي لا يشركه فيه غيره أ هـ طبعة الدار المصرية للتأليف و الترجمة مصورة عن طبعة بولاق مادة رحم .

و أما صحة أن يقال لغير الله رحيم فإن الله يقول في وصف نبيه محمد ﷺ " بالمؤمنين رؤوف رحيم " (١٢٨ ) التوبة .

وأما قول بني [ حنيفة ] (١) في مسيلمة الكذاب (٢) – لعنه الله – رحمان اليمامة (٣) ، وقول شاعرهم فيه ، لعنه الله :

وأنت غيث الورى (٤) لازلت رحمـــــاناً (٥)

---

(١) الذي في النسخة (ب) [ بني حنيف ] والصواب مافي النسخة ( أ ) كما جاء في الكشاف (٤٢/١) بني حنيفة

(٢) هو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الوائلي من بني حنيفة ، أبو ثمامة : متنبىء ، من المعمرين . وفي الأمثال « أكذب من مسيلمة » ولد ونشأ باليمامة ، في القرية المسماة بالجبيلة ، بقرب « العيينة » بوادي حنيفة ، في نجد ، وتلقب في الجاهلية بالرحمن . وعرف برحمان اليمامة . ولما ظهر الإسلام في غربي الجزيرة ، وافتتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة ودانت له العرب ، جاءه وفد من بني حنيفة ، قيل : كان مسيلمة معهم إلا أنه تخلف مع الرجال ، خارج مكة ، وهو شيخ هرم ، وأسلم الوفد ، وذكروا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم مكان مسيلمة ، فأمر له بمثل ما أمر به لهم ، وقال : ليس بشركم مكاناً . ثم راسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم معلناً أنه رسول الله وله نصف الأرض فرد عليه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : « بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله ، إلى مسيلمة الكذاب ، السلام على من اتبع الهدى . أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » وذلك أواخر سنة ١٠هـ ، قاتله أبو بكر بقيادة خالد بن الوليد وقتل سنة (١٢) هـ أ – هـ الأعلام ( ٢٠٢٦/٧ )

(٣) الكشاف (٤٢/١) والقرطبي (١٠٦/١) .

(٤) الذي في النسخة (ب) (الدرى) وفي النسخة ( أ ) (الورى) وهو الصواب كما جاء في الكشاف (٤٢/١) جاء في القاموس المحيط الورى ، كفتى : الخَلْقُ – ( صفحة ١٧٣٠ ) . قال محيي الدين درويش قال شاعر منهم ( أي من بني حنيفة ) يمدح مسيلمة :

سموت بالمجد يا ابن الأكرمين أباً وأنت غيث الورى لازلت رحمانا

– أ هـ – من كتاب إعراب القرآن (١٠/١) ط دار ابن كثير حمص ودار اليمامة .

(٥) وقال صاحب مشاهد الإنصاف بعد ذكر البيت : لرجل من بني حنيفة يمدح مسيلمة الكذاب يقول : علوت بسبب المجد يا ابن الأكرمين من جهة الأب وليس المراد خصوصه بل مطلق الأصل – أ هـ باختصار (صفحة / ١٢٥) .

فباب من تعنتهم في كفرهم. والرحمة إرادة الله تعالى الخير لأهله[1]. وقيل: هي ترك عقوبة من يستحقها، وإسداء الخير إلى من لايستحق[2]، الألف واللام فيه للغلبة. وسمعت إضافته، فقالوا رحمن الدنيا والآخرة[3]، وإذا قلت: الله رحمن بدون ال ودون إضافته، فقيل يصرف لأن أصل الاسم الصرف[4]، وقيل لايصرف لأن الغالب في فعلان المنع من الصرف[5] وبنى ابن الحاجب[6] رحمه الله تعالى القولين، على أن العلة المضمومة

(١) لأهله أي لأهل الخير وهم المؤمنين. ودفع الشر.شرح أسماء الله الحسنى للرازي (صفحة١٥٥). وإرادة الله في هذا أزلية أشار الرازي لهذا في نفس الصفحة.وهذا مبنى عند الرازي على أصل مهم عند أهل السنة والجماعة على أنه ليس لله تعالى في حق الكافر نعمة في الدين وكذلك في الدنيا إنما ماأعطاهم من المنافع انما استدراج وذلك بمنزلة الطعام المسموم الذي ينتفع به آكله في الحال، ثم يعقبه العطب والهلاك قال تعالى:(أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين. نسارع لهم في الخيرات بل لايشعرون) -٥٥-٥٦ المؤمنون- وقال سبحانه«سنستدرجهم من حيث لايعلمون. وأملي لهم إن كيدي متين) -٤٤-٤٥ القلم-أهـ شرح أسماء الله الحسنى للرازي (صفحة ١٥٧-١٥٨).

(٢) لكن القول الأول هو المعتمد لاستناده لأدلة من القرآن كما علمنا.

ذُكر القول الأول والثاني في تفسير البغوي(٢٥/١).

(٣) حاشية السيد الشريف على بن محمد الجرجاني على الكشاف(٤٢/١) إذا قال عن اسمه الرحمن سبحانه: وقد اختص به تعالى معرفاً ومنكراً وليس بعلم قطعاً -أهـ- وانظر البحر المحيط(١٧/١).

(٤) انظر البحر المحيط (١٥/١) .

(٥) الكشاف (٤١/١-٤٢).

(٦) هو أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر الدوني ثم المصري الفقيه المالكي المعروف بابن الحاجب، الملقب جمال الدين، كان والده حاجباً، وكان كردياً، واشتغل ولده أبو عمرو المذكور بالقاهرة بالعلم الشرعي وبرع في علومه وأتقنها، ثم انتقل إلى دمشق ودرّس بجامعها في زاوية المالكية وأكب الخلق على الاشتغال عليه، وكان غلب عليه علم العربية وصنف مختصراً في مذهبه، ومقدمة وجيزة في النحو، وأخرى مثلها في التصريف وصنف في أصول الفقه، خالف النحاة في مواضع، وأورد عليهم إشكالات وإلزامات تبعد الإجابة عنها ثم عاد لمصر وتوفي بالاسكندرية ٢٦/شوال/٦٤٦هـ وكان مولوده سنة ٥٧٠هـ.الأعلام (٢١١/٤) .

للوصف انتفاء فعلانه وليس له فعلانه فيمنع من الصرف أو وجود فعلى وليس له فعلى فينصرف واختار الأول انتهى[١]. والأظهر أنه غير منصرف وإن[حظر][٢] اختصاصه بالله، أن يكون له مؤنث على فعلى أو فعلانه، إلحاقاً له بالأغلب.

واختلف في إعرابه فالأكثر على أنه صفة لله[٣] ورده[الأعلم][٤] والشنتمري[٥] بأنه علم لوروده، غير تابع لاسم قبله، قال تعالى:(الرحمن على العرش استوى)[٦] وقال عز من قائل:(الرحمن علم القرآن)[٧] فلايكون وصفاً،ولايعارض علميته اشتقاقه من الرحمة لأنه وإن كان مشتقاً منها فقد صيغ للعلمية كالدَّبَران[٨]. وإن كان مشتقاً من دبَر لكنه صِيغ للعلمية[٩] ولهذا جاء على بناء لايكون في النعوت وهو فعلان،فليس كالرحيم والراحم،

(١) ردّ الزمخشري القول الثاني ورجح القول الأول (٤٣/١).

(٢) في النسخة ب [حصر] والأرجح ماجاء في النسخة أ لأنه يناسب سياق النص.

(٣) وعلى هذا العكبري في كتابه إملاء مامن به الرحمن (صفحة١١).

(٤) في النسخة ب [إلى علم] وفي النسخة أ[الأعلم] وذلك لأن هذا العالم بالنحو يدعى الأعلم الشنتمري جاء هذا في كتاب فوات الوفيات تأليف محمد بن شاكر الكتبي-دار صادر تحقيق الدكتور إحسان عباس.

(٥) هو يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الأندلسي أبو الحجاج المعروف بالأعلم عالم بالأدب واللغة، ولد في شنتمرية العرب سنة ٤١٠هـ ورحل الى قرطبة وكف بصره في آخر عمره ومات في إشبيليا سنة ٤٧٦هـ. كان مشقوق الشفه العليا فاشتهر بالأعلم من كتبه (شرح الشعراء الستة)، و(شرح ديوان طرفة وزهير بن أبي سلمى) و(تحصيل عين الذهب) و(شرح شواهد سيبويه) وغيرها. أهـ الأعلام للزركلي (٢٣٣/٨).

(٦) الآية ٥ سورة طه.

(٧) الآيتان ١-٢ من سورة الرحمن.

(٨) الدَّبَران: نجم بين الثريا والجوزاء ويقال له التَّابع والتَّوْبِيعُ، وهو من منازل القمر، سمي دَبَراناً لأنه يدْبُرُ الثريا أي يتبعها -أهـ لسان العرب مادة دبر- طبعة دار صادر.

(٩) قال سيبويه :فإن قيل: أيقال لكل شيء صار خلف شيء دبَرانٌ فإنك قائل له: لا، ولكن هذا بمنزلة العدْل والعديل، وهذا الضرب كثير أو معتاد-أهـ لسان العرب مادة دبر دار صادر- وهكذا نشاهد أن سيبويه يؤيد الشاهد اللغوي الذي اعتمد عليه الأعلم الشنتمري رحمهما الله تعالى-.

وأجيب بأنه وصف يراد به الثناء، وإن كان يجري مجرى الأعلام، واختاره السهيلي[1].

الثاني: أنه بدل ورده السهيلي مع عطف البيان، بأن الاسم الأول يعني الله، لايفتقر إلى تبيين لأنه أعرف الأعلام كلها، لهذا قالوا:«ومالرحمن»؟ ولم يقولوا ومالله. والرحيم فعيل حُوِّل من فاعل للمبالغة، فإن قيل على من قال:إن الرحمن أبلغ؛ كان القياس أن يترقى إلى الأبلغ، فيقدم الرحيم، فيقال: رحيم رحمن كما يقال: فلان جواد؛ فياضٌ شجاع باسل لكن لما كان الرحمن يتناول جلائل النعم وعظائمها، أردف بالرحيم لتكون كالتتمة له في تناول مادق منها ولطف، وجرهما يعني الرحمن الرحيم على الصفة، والعامل فيهما هو العامل في الموصوف. وقال الأخفش: العامل فيهما معنوي؛ وهو كونها[2] تبعاً.فإن قيل لِمَ بين هذه الأسماء في التسمية، قلت: لأن الغرض بها الاستعانة به ولكل واحد منها تأثير في ذلك، كأنه يقول: أستعين بمن هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها واسع الرحمة سابغ النعمة. وقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة منها: مارواه سعيد بن منصور في سننه[3] وابن خزيمة في كتاب البسملة[4] والبيهقي[5] عن ابن عباس رضي الله عنهم قال:«استرق الشيطان من الناس أعظم آية من القرآن بسم الله الرحمن الرحيم»- وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال:«كان جبريل إذا جاءني بالوحي أول مايلقي عليّ بسم الله الرحمن الرحيم».

---

(١) هو أبو القاسم وأبو زيد عبدالرحمن بن الخطيب أبي محمد عبدالله. وهو من بلاد الأندلس ولد سنة ثمان وخمسمائة (٥٠٨) هـ بمدينة مالقةوهي مدينة كبيرة بالأندلس، وتوفي في مراكش في ٢٦/شعبان/٥٨١ هـ رحمه الله تعالى وهو السهيلي نسبة إلى سُهَيل، وهي قرية بالقرب من مالقة. وهو إمام مشهور صاحب كتاب الروض الأُنُف» في شرح سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وله كتاب التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام» وغير ذلك من التصانيف الشيقة-أهـ وفيات الأعيان(٣/١٤٣).

(٢) إملاء مامن به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن (صفحة ١١).

(٣) (٤) (٥) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١/١٨) طبعة عالم الكتب.

رواه الدار قطني[1] بسند ضعيف[2]. وعن ابن عباس رضي الله عنه أن عثمان بن عفان رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال:«هو اسم من أسماء الله ومابينه وبين اسم الله الأكبر إلا كما بين سواد العين وبياضها من[القرب][3]. رواه ابن أبي حاتم في تفسيره[4] والحاكم في المستدرك، وصححه[5]، والبيهقي في شعب الإيمان[6]. وعن جابر رضي الله عنه قال:«لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم، هرب الغيم إلى المشرق، وسكنت الريح، وهاج البر، وأصغت البهائم بآذانها، ورجمت الشياطين من السماء، وحلف الله بعزته وجلاله: أن لا[يسمي][7] على شيء إلاّ بارك فيه». رواه ابن مردويه[8] وأبو إسحاق الثعلبي[9] وغيرهما. وعن عائشة

---

(١) في سننه (٣٠٥/١) تأليف علي بن عمر الدار قطني (٣٠٦هـ -٣٨٥هـ) ويذيله التعليق المغني على الدار قطني تأليف المحدث العلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي طبعة دار المحاسن للطباعة -القاهرة.

(٢) وقد علق أبو الطيب على أحد الرواة في سند الحديث الذي رواه الدار قطني وهو داود بن عطاء فقال عنه: لعله داود بن عطاء المزني مولاهم أبو سليمان المدني أو المكي، قال البخاري: منكر الحديث -أهـ (٣٠٥/١) من التعليق على سنن الدار قطني.

(٣) في النسخة أ [القرب] وفي النسخة ب [القرآن] والصحيح ماجاء في أ لموافقته لتفسير ابن كثير عند ذكر الحديث (١٩/١).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (١٢/١/رقم٥).

(٥) (٥٥٢/١) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وعلق عليه الذهبي بقوله«صحيح» : لكن الإمام الفتني قال عن سلام بن وهب المذكور في السند أنه مجهول. انظر قانون الموضوعات والضعفاء (ص٢٥٩).

(٦) رواه ابن النجار انظر كنز العمال (٤٦٢/١). وفتح القدير للشوكاني (١٨/١).

(٧) في فتح القدير[تسمى] وفي النسخة أ و ب [يسمى] وفي تفسير ابن كثير(١٩/١) [يسمى] رواه عن ابن مردويه.

(٨) (٩) فتح القدير (١٨/١).

رضي الله عنها قالت: لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم؛ [ضجت][1] الجبال حتى سمع أهل مكة دويها ،[وقالوا][2]: سحر محمد الجبال. فبعث الله دخاناً حتى[أظل][3] على أهل مكة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم«من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم موقناً، سبحت معه الجبال إلا أنه لايسمع ذلك منها». رواه أبو نعيم[4] والديلمي[5]. روى الخطيب في الجامع[6] عن أبي جعفر محمد بن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:«بسم الله الرحمن الرحيم مفتاح كل كتاب». وقد شرعت التسمية في مواضع كثيرة قد بينها الشارع منها عند الوضوء، وعند الذبيحة، وعند الأكل والشرب، وعند الجماع، وغير ذلك[7]. هامش[وروى وكيع عن الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود، قال:«من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ:بسم الله الرحمن الرحيم فيجعل الله له من كل حرف منها جُنّة من كل واحد. ذكره القرطبي[8] وابن عطية ووجهه ابن

---

(١) في النسخة ب [ضمت] وفي النسخة أ [ضجت] وهو الموافق لما جاء في فتح القدير(١/١٩).

(٢) في النسخة أ و ب [وقالوا] وفي فتح القدير [فقالوا] (١/١٩).

(٣) في النسة ب [ظل] وفي النسخة أ [أظل] وهو الموافق لفتح القدير (١/١٩).

(٤) (٥) فتح القدير (١/١٨-١٩).

(٦) (١/٢٦٤/رقم٥٤٩) كتاب الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي طبعة مكتبة المعارف الرياض ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م تحقيق الدكتور محمود الطحان وقال في تعليقه على الحديث(١/٢٤٦-٢٦٥) ذكره السيوطي في الجامع الصغير وعزاه الى الخطيب في الجامع وقال عن ابي جعفر معضلاً، وأبو جعفر هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وهو الملقب بـ(الباقر) ثقة فاضل. مات سنة بضع عشرة ومائة. قلت: وسند الحديث فيه ضعف لانقطاعه.

(٧) يقول الإمام النووي في كتاب الأذكار:«روينا في كتاب ابن السني، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«ستر مابين أعين الجن وعورات بني آدم أن يقول الرجل المسلم إذا أراد أن يطرح ثيابه: بسم الله الذي لا إله إلا هو» صفحة (١٨).

(٨) تفسير القرطبي (١/٩٢).

عطية[1] ونظره بحديث فقد رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها، لقول الرجل: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه[2]، من[أجل][3] أنها بضعة وثلاثون. وقال الإمام أحمد ابن حنبل في مسنده: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عاصم قال: سمعت أبا تميمة يحدث عن رديف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال عثر بالنبي صلى الله عليه وسلم فقلت: تعس الشيطان فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم«لاتقل تعس الشيطان فأنك إذا قلت تعس الشيطان تعاظم وقال: بقوتي صرعته فإذا قلت بسم الله تصاغر حتى يصير مثل الذباب» هكذا وقع في رواية الإمام احمد[4]، وقد رواه النسائي في اليوم

---

(١) لم يروه ابن عطية كحديث شريف ولم يصححه إنما قال: والبسملة تسعة عشر حرفاً. فقال بعض الناس: إن رواية بلغتهم أن ملائكة النار الذين قال الله فيهم:(عليها تسعة عشر) إنما ترتب عددهم على حروف«بسم الله الرحمن الرحيم» لكل حرف ملك وهم يقولون في كل أفعالهم:بسم الله الرحمن الرحيم» فمن هنالك هي قوتهم، وبسم الله استضلعوا. قال الفقيه الإمام: وهذا من ملح التفسير وليست من متين العلم؛ وهي نظير قولهم في ليلة القدر أنها ليلة سبع وعشرين مراعاة للفظة «هي» من كلمات سورة إنا أنزلناه، ونظير قولهم في عدد الملائكة الذين ابتدروا قول القائل: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فإنها بضعة وثلاثون حرفاً. قالوا: فلذلك قال النبي عليه السلام:«لقد رأيت بضعة وثلاثون ملكاً ابتدرونها أيهم يكتبها أول»-أهـ تفسير ابن عطية (٩١/١). وهكذا نرى أن ابن عطية رحمه الله لم يعتبر هذا التطابق العددي من متين العلم وأهم علم هو التفسير فهو ليس منه. ونستطيع أن نقول نستأنس بهذا الكلام ولانعتبره علماً بكتاب الله تعالى.

(٢) جاء في صحيح البخاري عن رفاعة بن رافع الزرقيِّ قال:«كنا يوماً نصلي وراء النبي صلى الله عليه وسلم، فلما رفع رأسه من الركعة قال:«سمع الله لمن حمده، قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه. فلما انصرف قال: من المتكلم؟ قال: أنا قال: رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرنها أيهم يكتبها أول» -أهـ.

(٣) في النسخة ب [أحصى] والصواب ماكان في أ.

(٤) في مسنده (٣٦٥،٥٩/٥). وقال الشيخ عبدالرحمن البنا في شرحه على الحديث: أخرجه النسائي في اليوم والليلةوابن مردويه في تفسيره من حديث خالد الحذاء عن أبي تميمة الهجمي عن ابن المُليح عن أسامة بن عمير عن أبيه قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره أورده النووي في كتابه الأذكار وصححه. انظر الفتح الرباني (٦٤/١٨-٦٥) ط. دار الشهاب القاهرة.

والليلة[1] وابن مردويه في تفسيره[2] من حديث خالد الحذاء عن أبي تميمة وهو الهيثمي عن أبي مليح بن أسامة بن عمير عن أبيه قال كنت رديف النبي صلى الله عليه واله وسلم فذكره وقال:«لاتقل هكذا فإنه يتعاظم حتى يكون كالبيت ولكن قل: بسم الله فإنه يصغر حتى يكون كالذبابة» فهذه من تأثير بركة بسم الله ولهذا تستحب في أول كل عمل وقول لقوله صلى الله عليه وآله وسلم:«كل أمر ذي بال لايبدأ فيه ببسم الله فهو أجذم» وفي رواية«فهو أقطع» [3] ويستحب في أول [الوضوء] [4] لما جاء في مسند الإمام

(١) رواه النسائي في كتاب اليوم والليلة (صفحة ٣٧٣/رقم٥٥٥) - ط مؤسسة الرسالة دراسة وتحقيق الدكتور فاروق حمادة ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م,ورواه أبو داود بنحوه (٤٩٨٢/٢٩٧/٤).

(٢) تفسير ابن كثير (١٩/١).

جاء في تفسير ابن كثير وقال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده.. عن عاصم قال: سمعت أبا تميمة يحدث عن رديف النبي صلى الله عليه وسلم قال: عثر النبي صلى الله عليه وسلم: فقلت: تعس الشيطان فقال النبي صلى الله عليه وسلم:«لاتقل تعس الشيطان، فإنك إذا قلت تعس الشيطان تعاظم وقال بقوتي صرعته؛ وإذا قلت بسم الله تصاغر حتى يصير كالذباب» هكذا وقع في رواية الإمام أحمد -أهـ (١٩/١) ثم ذكر ابن كثير ماقد أخذه منه صاحب تيسير المنان عن هذا الحديث(١٩/١).

(٣) قال النووي في كتاب الأذكار: وروينا في«سنن أبي داود» و«ابن ماجة» و«مسند أبي عوانة الاسفراييني» المخرج على«صحيح مسلم» رحمهم الله، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:«كل أمر ذي بال لايبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع». وفي رواية«بحمد الله». وفي رواية«بالحمد فهو أقطع» وفي رواية«كل كلام لايبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم» وفي رواية:«كل أمر ذي بال لايبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع» روينا هذه الألفاظ كلها في كتاب«الأربعين» للحافظ عبدالقادر الرهاوي، وهو حديث حسن، وقد روى موصولاً كما ذكرنا، وروي مرسلاً ، ورواية الموصول جيدة الإسناد، وإذا روي الحديث موصولاً ومرسلاً، فالحكم للاتصال عند جمهور العلماء، لأنها زيادة ثقة، وهي مقبولة عند الجماهير، ومعنى«ذي بال» أي حال يهتم به، ومعنى أقطع: أي ناقص قليل البركة، وأجذم: بمعناه، وهو بالذال المعجمة وبالجيم-أهـ- من كتاب الأذكار للإمام النووي المحدث رحمه الله تعالى(صفحة ٩٤-٩٥).

(٤) جاء في النسخة أ [الوضوء] وفي ب [الوصف] والصحيح ماجاء في أ لأن الشاهد بعد ذلك عن الوضوء.

أحمد[1] والسني[2] من رواية أبي هريرة وأبي سعيد مرفوعاً«لاوضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه» وهو حديث حسن[3] ومن العلماء من أوجبها عند الوضوء[4] وهكذا تستحب عند الذبيحة[5] وتستحب عند الأكل والشرب لما في صحيح مسلم[6] أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لربيبه عمر بن أبي سلمة«قل بسم الله وكل مما يليك وكل بيمينك» ومن

---

(١) (٣/٤١) مرتين.

(٢) تفسير ابن كثير (١/١٩).

(٣) هذا ماقاله عن الحديث المحدث المفسر ابن كثير رحمه الله (١/١٩) ورواه أبو داوود بلفظ(لاصلاة لمن لاوضوء له، ولاوضوء لمن لم يذكر اسم الله تعالى عليه)(١/٢٥/١٠١).

ورواه الترمذي عن سعيد بن زيد (١/٢٠)ط دار الفكر بيروت ١٩٨٣م وابن ماجة في سننه عن سعيد أيضاً (١/١٣٩-١٤٠/٣٩٧).

(٤) أوجب الحنابلة التسمية عند الوضوء ودليلهم الحديث ونحوه وتأول الجمهور هذا الحديث ونحوه بأنها واردة لنفي الكمال، لا نفي الصحة، -أهـ باختصار من كتاب الفقه الإسلامي وأدلته تأليف أستاذي الدكتور وهبي الزحيلي (١/٢٤٢) طبعة دار الفكر دمشق الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

وقد ذهب الحسن وإسحاق بن راهوية وأهل الظاهر الى وجوب التسمية في الوضوء حتى إنه إذا تعمد تركها أعاد الوضوء وهي رواية عن الإمام أحمد -انظر الترغيب والترهيب للمنذري(١/٢٠٣).

(٥) قال تعالى:(فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين) قوله تعالى(فكلوا مما ذكر اسم اسم الله عليه) نزلت بسبب أناس أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: يارسول الله، إنا نأكل مانقتل ولانأكل ماقتل الله؟ فنزلت«فكلوا -إلى قوله وإن أطعتموهم إنكم لمشركون» أخرجه الترمذي وغيره. قال عطاء: هذه الآية أمر بذكر الله على الشراب والذبح وكل مطعوم-أهـ من تفسير القرطبي (١/٧٢) طبعة دار إحياء التراث العربي.

(٦) لفظ مسلم هو(ياغلام، سم الله وكل بيمينك، وكل مما يليك) (٣/١٥٩٩/١٠٨) .

العلماء من أوجبها[1] وكذلك تستحب عند الجماع لما في الصحيحين[2] عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال«لو أن أحدهم إذا أتى أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا من الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا فإنه إن يقدر بينهما ولد لم يضره الشيطان» صح أصل وبعده الحمد لله].

(١) ﴿ الحمد لله ﴾: الحمد لفظه[خبر][3] كأنه يخبر أن المستحق للحمد هو الله تعالى، وفيه تعليم للعباد كيف يحمدونه. وهو مصدر وأصله أن لايثنى ولايجمع، وحكى ابن الأعرابي[4] جمع حمد على[أحمد][5] نظراً إلى اختلاف أنواعه وأنشد قول الشاعر:

وأبلج[6] محمود الثنايا[7] خصصته بأفضل أقوالي وأفضل أحمدي[8]

والحمد والمدح والشكر نظائر، وآثر الحمد على المدح والشكر لأن الحمد معناه

---

(١) لعله قول الظاهرية لأخذهم بظاهر النص لكن لم أعثر عليه في محلى لابن حزم ط مكتبة الجمهورية العربية. مصر ١٩٦٧.

(٢) صحيح البخاري في فتح الباري بنحوه (١٣٦/٩) طبعة المكتبة السلفية -القاهرة- ١٤٠٨هـ. وعند مسلم بنحوه (١١٦/١٠٥٨/٢).

(٣) في النسخة ب [خبريه] والصحيح ماجاء في أ.

(٤) ابن الأعرابي: هو أبو عبدالله محمد بن زياد، المعروف بابن الأعرابي الكوفي صاحب اللغة؛ وهو من موالي بني هاشم، وكان أحد العالمين باللغة المشهورين بمعرفتها، يقال لم يكن في الكوفيين أشبه برواية البصريين منه ومن تصانيفه كتاب«النوادر» وهو كبير، وكتاب«الأنواء» وكتاب«صفة النخل» وكتاب«معاني الشعر» وكتاب«تفسير الأمثال» وكتاب«الألفاظ» ولد سنة ١٥٠ هـ وتوفي سنة ٢٣٠هـ رحمه الله-أهـ باختصار من وفيات الأعيان (٣٠٦/٤).

(٥) في النسخة ب حمد وفي أ [أحْمُد] وهو الصحيح الموافق للشاهد التالي.

(٦) بلج الصبح: أضاء وأشرق وكل متضح: أبلج والبُلجة: بالضم: الضوء، وبفتح، ونقاوة مابين الحاجبين وهو أبلج، بين البلج -أهـ من القاموس المحيط باختصار (صفحة ٢٣١).

(٧) الثنيةُ : إحدى الأسنان الأربع التي في مقدمة الفم، اثنتان من فوق واثنتان من تحت -أهـ المعجم الوجيز لمجمع اللغة العربية بمصر صفحة ٨٨-٨٩ مطابع شركة الإعلانات الشرقية دار التحرير للطبع والنشر.

(٨) قال القرطبي وقد جمع الحمد جمع قلة في قول الشاعر وذكر البيت كما ذكره أيضاً أبو حيان رحمه الله في النهر الماد من البحر (١٨/١) ولم أقف على قائله.

الثناء باللسان على الجميل الاختياري سواء تعلق بالفضائل[1] أم بالفواضل[2]. والمدح هو الثناء على الجميل مطلقاً. تقول حمدت زيداً على علمه وكرمه، ولاتقول حمدته على حسنه، بل مدحته فالمدح يعم مالاختيار للممدوح فيه والحمد يختص بالمحمود فيه اختيار، وقيل المدح يعم غير الحي. ويكون قبل الإحسان وبعده، والحمد يخص الحي ويكون بعد الإحسان. فالحمد أولى لدلالته على كونه تعالى حياً وأصل إحسانه إلى العباد، وأن ماله[3] سبحانه تعالى من صفات الكمال وجزيل النوال، باختياره سبحانه وتعالى، وإقامة مابالاختيار على ماليس بالاختيار، لايخفى على ذوي الأبصار[4]. والشكر فعل ينبئ عن تعظيم المنعم [كونه][5] منعماً سواء كان باللسان أو بالجنان أو بالأركان فمورد الحمد هو اللسان وحده، ومتعلقه يعم النعمة وغيرها، ومورد الشكر يعم اللسان وغيره ومتعلقه بكون النعمة وحدها فالحمد أعم باعتبار المتعلق، وأخص باعتبار المورد، والشكر بالعكس وهو مختص بالفواصل والحمد يعم الفضائل والفواضل. ولأن الحمد رأس الشكر والعمدة فيه. وفي الحديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم:«الحمد رأس الشكر ماشكر الله من لم يحمده»[6]

---

(١) فضائل جمع فضيلة -المعجم الوسيط (٦٩٣/٢).

(٢) الفواضل : جمع فاضلة وهي النعمة العظيمة -المعجم الوسيط(٦٩٣/٢) والفواضل الأيادي الجميلة وأفضل الرجل على فلان وتفضل بمعنى إذا أتاله من فضله وأحسن إليه والإفضال الإحسان -أهـ لسان العرب لابن منظور بمادة كلمة (فضل) باختصار وهذا القول في تفضيل الحمد قاله السيد الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني في حاشيته على الكشاف (٦٤/١) - طبعة شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

(٣) ما هنا اسم موصول بمعنى الذي.

(٤) الاختيار هنا هو إرادة الله الأزلية في قدره سبحانه فليست الإرادة حادثة وكان الأولى أن يستعمل الإمام الكوكباني كلمة الإرادة عوضاً عن الاختيار.

(٥) في النسخة ب [كونه].

(٦) جاء في الجامع الصغير بلفظ الحمد رأس الشكر، ماشكر الله عبد لايحمده» وعلق عليه السيوطي بقوله: لعبدالرزاق في الجامع عن الحسن مرسلاً حديث حسن -أهـ (٥٩٢/١).

والحمد نقيضه الذم، والشكر نقيضه الكفران، وقرأ الجمهور بالرفع على الابتداء[1]. والخبر لله وقرئ بالنصب[2]، ورجح الرفع ليدل على عموم الحمد وثبوته واستمراره، بخلاف النصب الذي يدل على تجدده وحدوثه، وهو في الحال النصب من المصادر التي تنصب بأفعال مضمرة نحو شكراً وعجباً ونحو ذلك. وقرأ الحسن[3] الحمدِ لله بكسر الدال إتباعاً لكسرة اللام[4]، وهي لغة تميم[5] وحركة الإعراب مقدرة منع من ظهورها حركة الإتباع، فيحتمل أن تكون ضمة أو فتحة[6] وقرأ إبراهيم ابن أبي عبلة[7] الحمدُ لله بضم اللام إتباعاً لضمة الدال[8]، هي لغة بعض قيس. قال جار الله الزمخشري

---

(١) الإجماع على قراءة الضم للدال للقراء العشرة للقراءات المتواترة – انظر كتاب القراءات العشر صفحة ١١».

(٢) روي هذا عن سفيان بن عيينة ورؤبة بن العجاج – تفسير القرطبي (١/١٣٥).

(٣) الحسن هذا هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم، وجمع كل فن علم وزهد وورع وعبادة، وأبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري قال أبو عمرو ابن العلاء: مارأيت أفصح من الحسن البصري، ومن الحجاج بن يوسف الثقفي، فقيل له: فأيهما كان أفصح؟ قال: الحسن.

وكان مولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة، وتوفي بالبصرة سنة عشر ومائة رضي الله عنه وكانت جنازته مشهودة – من وفيات الأعيان (٢/٧٢).

(٤) انظر القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب تأليف عبدالفتاح القاضي(صفحة ٢٤)طبعة دار الكتاب العربي بيروت–لبنان– الطبعة الاولى ١٤٠١هـ–١٩٨١م وهو يلي البدور الزاهرة لعبد الفتاح القاضي نفسه.وانظر النهر الماد من البحر المحيط لابي حيان(١/١٨).

(٥) القراءات الشاذة (صفحة ٢٤) وقال: وهي لغة تميم وبعض غطفان أهـ وقال العكبري: وهو ضعيف في الآية لأن فيه إتباع الإعراب البناء، وفي ذلك إبطال للإعراب –أهـ إملاء مامن به الرحمن (ص١١).

(٦) أي في أصلها قبل الإدغام على التقرير.

(٧) إبراهيم بن أبي علبة اسمه شمر بن يقظان الشامي، يكنى أبا إسماعيل، ثقة وهو عند البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه–أهـ تقريب التهذيب باختصار–.

(٨) الكشاف (١/٥١) قال العكبري: وهو ضعيف أيضاً لأن لام الجر متصل بما بعده منفصل عن الدال ولانظير له في حروف الجر المفردة.إملاء مامن به الرحمن(ص١١) .

والذي[جرأهما][1][2] على ذلك والاتباع إنما يكون في كلمة واحدة، تنزيل الكلمتين منزلة كلمة واحدة لكثرة استعمالهما مقترنتين. قال ابن خالويه[3] الوجوه في الحمد لله الأربعة وإن كانت شائعة في العربية. فإني سمعت ابن مجاهد[4] يقول: لايقرأ بشيء من ذلك إلاَّ بما عليه الناس في كل مصر، الحمد لله بضم الدال وكسر اللام[5]، التعريف في الحمد

(١) الذي في الكشاف[جسّراهما] (٥١/١) والذي في أ وب [جرأهما] والمعنى واحد والله أعلم.

(٢) (قوله والذي جسرهما) قيل فيه جسارة لإشعاره بأن قراءتهما نشأت عن متابعة أحكام اللغة بلا رواية والسلف مبرؤون عنها، فإن قراءتهم مأخوذة بخصوصياتها عن روايات وصلت إليهم، لكن المصنف يعني الزمخشري لايتماشى عن أمثال ذلك بناء على ماروي من الإذن بقراءة القرآن بسبع لغات، فلايجب النقل في خصوصية كل قراءة، على أنه لايبالي من إسناد القراءة المتواترة الى صورة الكتابة في المصحف، فإسناد غيرها إلى قاعدة اللغة أولى-أهـ من حاشية الجرجاني على الكشاف (٥٢/١).

(٣) ابن خالويه: هو أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه النحوي اللغوي، أصله من هَمَذان،ولكنه دخل بغداد وأدرك جلة العلماء وانتقل إلى الشام واستوطن حلب، وصار بها أحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب، وكانت إليه الرحلة من الآفاق، وآل حمدان يكرمونه ويدرسون عليه ويقتبسون منه،ولابن خالويه المذكور -كتاب كبير في الأدب سماه«كتاب ليس» وهو يدل على اطلاع عظيم، وله كتاب لطيف سماه«الآل» وذكر فيه«آل محمد بنو هاشم» وله كتاب«الاشتقاق»، وكتاب«الجمل» في النحو، وكتاب«القراءات» وكتاب«إعراب ثلاثين سورة من الكتاب العزيز».

ولابن خالويه مع أبي الطيب المتنبي مجالس ومباحث عند سيف الدولة الحمداني.

وكانت وفاة ابن خالويه في سنة سبعين وثلاثمائة بحلب، رحمه الله تعالى -أهـ وفيات الأعيان(١٧٨/٢) باختصار.

(٤) ابن مجاهد: هو أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد المقرئ كان قد اشتهر بالقراءات لذلك انتدبه الوزير العباسي أبو علي محمد بن مقلة الكاتب المشهور لمناظرة ابن شنبوذ المقرئ بقراءات من الشواذ وذلك لثقته بابن مجاهد. توفي أبو بكر بن مجاهد سنة ٣٢٤هـ ودفن في تربة له بسوق العطش وكان مولده سنة ٢٤٥هـ رحمه الله تعالى -أهـ من وفيات الأعيان(٤/ص٢٢٩، ص٣٠١) بتصرف.

(٥) بين الأستاذ عبدالفتاح القاضي القراءات الشاذة ثم علق عليها وكان مما قال: «ذكر علماء القراءات قاعدة تعرف بها القراءات المقبولة وتميز عن غيرها من القراءات الشاذة المردودة. وهذه

القاعدة هي: كل قراءة وافقت اللغة العربية، ووافقت رسم أحد المصاحف العثمانية -وثبتت بطريق التواتر نقول كل قراءة اجتمعت فيها هذه الأركان الثلاثة موافقة اللغة، وموافقة أحد المصاحف وثبوتها بطريق التواتر، هي القراءة التي يجب قبولها، ولايحل جحدها وإنكارها وهي من جملة الأحرف السبعة التي يتنزل بها القرآن الكريم، ومتى لم تتحقق هذه الأركان كلها أو بعضها في قراءة فهي قراءة شاذة مردودة.

والتواتر: نقل جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب عن جماعة كذلك من أول السند إلى منتهاه إلى رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- هذا قول جنح الشيخ مكي بن أبي طالب وتبعه المحقق ابن الجزري إلى الاكتفاء بصحة السند وجعلاه مكان التواتر. قال الإمام النويري في شرح الطيبة: وهذا قول حادث مخالف لإجماع الفقهاء والمحدثين وغيرهم لأن القرآن عند الجمهور من أئمة المذاهب الأربعة منهم الغزالي وصدر الشريعة وموفق الدين المقدسي وغيرهم هو مانقل بين دفتي المصحف نقلاً متواتراً، فالتواتر جزء من الحد فلا تتصور ماهية القرآن إلا به. وعلى هذا لابد من حصول التواتر عند أئمة المذاهب الأربعة لم يخالف منهم أحد فيما علمت بعد الفحص الزائد، وصرح به جماعة لايحصون منهم ابن عبدالبر وابن عطية وابن تيمية والنووي والذرعي والسبكي والزركشي وابن الحاجب وغيرهم.

وأما القراء فأجمعوا أول الزمان على ذلك، وكذلك في آخره ولم يخالف من الدال على اشتراط التواتر ماصرح به الإمام الجعبري في شرح الشاطبية حيث يقول: ضابط كل قراءة تواتر نقلها ووافقت العربية مطلقاً ورسم المصحف ولو تقديراً فهي من الأحرف السبعة ومالم يجتمع فيه ذلك فشاذ. أهـ «ببعض تصرف» إذا علمت هذا فالذي توافرت فيه الأركان الثلاثة المذكورة إنما هي القراءات العشر فحسب.

قال النويري : أجمع الأصوليون والفقهاء على أنه لم يتواتر شيء مما زاد على القراءات العشر، وكذلك أجمع عليه القراء أيضاً إلامن لايتعد بخلافه-أهـ-.

وعلى هذا فكل قراءة وراء العشر لايحكم بقرآنيتها بل هي قراءة شاذة لاتجوز القراءة بها لافي الصلاة ولاخارجها قال الشيخ محيي الدين النووي: ولاتجوز القراءة في الصلاة ولافي غيرها بالقراءات الشاذة، وليست قرآنا، لأن القرآن لايثبت إلا بالتواتر، وأما الشاذ فليست متواترة، فلو خالف وقرأ بالشاذ أنكر عليه سواء قرأ بها في الصلاة أو غيرها، هذا هو الصواب الذي لامعدل

للجنس كما في:

[وأرسلها][1] العراك[2] ولم[يذدها][3] ولم يشفق على نغص[4] الدخال[5]

معناه الإشارة إلى مايعرفه كل واحد، من أن الحمد ماهو؟ والعراك ماهو[6]؟ وللاستغراق

---

عنه ومن قال غيره فهو غالط أو جاهل. أهـ.

وقد نقل ابن عبدالبر إجماع المسلمين على أنه لاتجوز القراءة بالشاذ، وأنه لايصلى خلف من قرأ بها. وقال ابن الصلاح: وهو ممنوع من القراءة بمازاد على العشر منع تحريم لامنع كراهة في الصلاة وخارجها وكذلك صرح ابن الحاجب وابن السكن بتحريم القراءة بالشاذ». أهـ باختصار من كتاب القراءات الشاذة لعبد الفتاح القاضي من (ص٧-٩) طبعة دار الكتاب العربي.

(١) هذا البيت من الشعر هو للبيد كما جاء في حاشية الجرجاني على الكشاف (٤٩/١). وفي النسخة أو ب [وأرسلها] وفي حاشية الجرجاني[فأرسلها] والصحيح ماجاء في لسان العرب لابن منظور مادة عرك هو[فأرسلها] ونسب البيت للبيد وهو يصف الحمار والأتن. لسان العرب طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة.

(٢) العراك ازدحام الإبل على الماء واعتركت الإبل في الورد ازدحمت وماء معروك أي مزدحم عليه، قال سيبويه: وقالوا أرسلها العراك أي أوردها جميع الماء أدخلوا الألف واللام على المصدر الذي في موضع الحال -لسان العرب لابن منظور مادة (عرك) طبعة الدار المصرية.

(٣) في النسخة ب[يزدها] وفي النسخة أ [يذدها] موافق للسان العرب والذَّود: السوق والطرد والدفع-أهـ القاموس المحيط(صفحة ٣٥٩) والمناسب هنا لمعنى البيت بمعنى السوق أي ولم يذدها ولم يَسقها ويؤيد ذلك مجيء هذا البيت في ديوان لبيد بلفظ :(فأوردها العراك ولم يذدها... الخ)

- انظر ديوان لبيد بشرح الطوسي تحقيق الدكتور حسان عباس البيت رقم(٤١) (ص ٤٩) طبعة التراث العربي الكويت ١٩٦٢م-.

(٤) نغص البعير إذا لم يتم شربه (القاموس المحيط) (ص٨١٧).

(٥) الدخال في الورد أن يشرب البعير ثم يرد من العطن إلى الحوض ويُدخَل بين بعيرين عطشانين ليشرب منه ماعساه لم يكن شرب-أهـ لسان العرب لابن منظور مادة (دخل) طبعة الدار المصرية (صفحة٢٥٨).

(٦) هذا ماذهب إليه صاحب الكشاف(٤٩/١-٥٠) وهذا على قراءة الحمد لله الشاذة المردودةوالله أعلم. إذ استند إلى هذا البيت من الشعر إذ جاء في لسان العرب في هذا البيت بيت الشاهد: فأرسلها العراك.. جاء:«قال الجوهري: أورد إبله العراك ونَصَبَ نَصْبَ المصادر أي أوردها عراكاً ثم أدخل عليه الألف واللام كما قالوا مررت بهم الجماء الفقير، والحمد لله فيمن نصب ولم يتغير الألف واللام المصدر عن حاله قال ابن بري: العراك والجماء الفقير منصوبان على الحال.=

اذ الحمد في الحقيقة كله له تعالى وقال بعض العقلاء في تفسير قوله تعالى:(الحمد لله رب العالمين) قال: قال سبحانه: الحمد لله رب العالمين علم الله تعالى عجز خلقه عن حمده فحمد هو نفسه في أزله فلما خلق الخلق اقتضى منهم أن يحمدوه فقال: الحمد لله رب العالمين. أي الحمد الذي حمد به نفسه هو له لاينبغي لغيره فعلى هذا تكون الألف واللام للعهد(١).

---

= وأمال الحمد لله فعلى المصدر لاغير -أهـ من لسان العرب مادة عرك طبعة الدار المصرية ص٣٥٢.وأفضل رد راجعته في هذه المسألة هو في كتاب«الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال» للإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري المالكي إذ قال:«قال محمود يعني صاحب الكشاف رحمه الله: وتعريف الحمد هو نحو التعريف في أرسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه إلخ قال أحمد رحمه الله المؤلف للإنصاف: تعريف التكرار باللام إما العهدي وإما الجنسي والعهدي إما أن ينصرف العهد فيه إلى فرد معين من أفراد الجنس باعتبار يميزه عن غيره من الأفراد كالتعريف في نحو فعصى فرعون الرسول وإما أن ينصرف العهد فيه الى الماهية باعتبار يميزها عن غيرها من الماهيات كالتعريف في نحو أكلت الخبز وشربت الماء. والجنسي هو الذي ينضم إليه شمول الآحاد نحو: الرجل أفضل من المرأة، هذا للمثال للبيان وإلا«إن أكرمكم عند الله أتقاكم»- وكلا نوعي العهد لايوجب استغراقها، وإنما يوجبه الجنس خاصة؛ فالزمخشري جعل تعريف الحمد من النوع الثاني من نوعي العهد وإن كان قد عبر عنه بتعريف الجنس لعدم اعتنائه باصطلاح أصول الفقه، وغير الزمخشري جعله للجنس، فقضى بإفادته لاستغراق جميع أنواع الحمد وليس ببعيد-أهـ الإنصاف المطبوع كحاشية على الكشاف طبعة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر(١/٤٩-٥٠)- والذي يدل على أن فهم صاحب الإنصاف سليماً ماقاله القرطبي واضحاً في معنى الاستغراق والجنس قال رحمه الله:«الحمد في كلام العرب معناه الثناء الكامل، والألف واللام لاستغراق الجنس من المحامد؛ فهو سبحانه يستحق الحمد بأجمعه إذ له الأسماء الحسنى والصفات العلا-أهـ تفسير القرطبي(١/١٢٣) وقال ابن عطية مايؤيد ذلك أيضاً فقال:«الحمد» معناه الثناء الكامل والألف واللام فيه لاستغراق الجنس من المحامد. -أهـ من المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(١/١٠٢)..

(١) ولاشك أن القرآن كلام الله سبحانه أزلي فيكون حَمْد نفسه بالقرآن أزلي.

وفي سنن ابن ماجه[1] عن ابن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه آله وسلم حدثهم:«أن عبداً من عباد الله قال: يارب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك فعضلت هي بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانيها فصعدا إلى السماء[فقالا][2] ياربنا إن[عبداً][3] [قال][4] مقالة لاندري كيف نكتبها. قال الله وهو[أعلم][5] بما قال عبده: ماذا قال عبدي؟ قالا: يارب إنه[قد قال][6] : يارب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، فقال الله لهما: اكتباها كما قال عبدي حتى يلقاني فأجزيه بها» وحكى القرطبي عن طائفة أنهم قالوا: قول العبد الحمد لله رب العالمين أفضل من قول لا إله إلاّ الله لاشتمال الحمد لله رب العالمين على التوحيد والحمد[مع الحمد][7] وقال آخرون: بل لا

---

(١) (٢/١٢٤٩/٣٨٠١). ويؤيد الحديث الذي رواه ابن جرير عن الأسود بن سريع: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:«ليس شيء أحب إليه من الحمد من الله تعالى ولذلك أثنى على نفسه فقال:«الحمد لله» قال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح تفسير ابن جرير(١/١٣٧/١٥٤).

(٢) في سنن ابن ماجه[وقالا] وفي النسخة أ و ب [فقالا] والصواب ماجاء في سنن ماجه لان الكوكباني عزا إليه.

(٣) في سنن ابن ماجه [عبدك] في أ وفي ب [عبداً] والصواب ماجاء في سنن ابن ماجه لأن الكوكباني رحمه الله عزا إليه.

(٤) في سنن ابن ماجه [قد قال] في أ و ب [قال] والصواب ماجاء في سنن ابن ماجه لأن الكوكباني عزا إليه .

(٥) في سنن ابن ماجة [أعلم] وفي أ أعلم وفي ب [يعلم] والصواب ماجاء في أ لموافقته سنن أبن ماجه لأن الكوباني عزا إليه.

(٦) في سنن ابن ماجه [قال] وفي أ و ب [قد قال] والصواب ماجاء في سنن ابن ماجه لأن الكوكباني رحمه الله تعالى عزا إليه.

(٧) الأولى أن تحذف [الحمد] المثبتة في أ و ب حتى لايضطرب المعنى والعبارة مضطربة لذلك لابد من نقل قول القرطبي رحمه الله: «فقالت طائفة : قوله الحمد لله رب العالمين أفضل: لأن في ضمنه التوحيد الذي هو لا إله إلا الله: ففي قوله توحيد وحمد، وفي قول لا إله إلا الله توحيد فقط» -أهـ من تفسير القرطبي(١/١٣٢).

إله إلاّ الله أفضل لأنها الفصل بين الإيمان والكفر، وعليها يقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله، كما ثبت في الحديث المتفق عليه[1]. وفي الحديث الآخر في السنن[2]:«أفضل ماقلت أنا والنبيئون من قبل لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له» وقد تقدم عن جابر مرفوعاً«أفضل الذكر لا إله إلاّ الله،أفضل الدعاء الحمد لله»[3] إذ مامن خير إلاّ وهو موليه بواسطة أو بغير واسطة كما قال تعالى:«ومابكم من نعمة فمن الله»[4]، وفيه إشارة بأنه تعالى حي قادر مريد عالم إذ الحمد لايستحقه إلاّ من كان هذا شأنه، وقيل للعهد أي الحمد المعروف بينكم واللام في الله للاستحقاق[5]. ذكر أقوال السلف في الحمد: عن ابن عباس:قال:«قال عمر لأمير المؤمنين علي: قد علمنا سبحان الله ولا إله إلاّ الله فما الحمد لله؟ فقال علي كرم الله وجهه: كلمة رضيها الله لنفسه» رواه ابن أبي حاتم[6] وغيره[7]

---

(١) عن عبدالله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة. فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله» رواه البخاري-فتح الباري(١/٩٥/٢٥) طبعة المكتبة السلفية. ومسلم بنحوه - شرح صحيح مسلم للنووي (١/٢١٢).

(٢) رواه مالك في الموطأ(صفحة ٤٢٢-٤٢٣) قال ابن عبدالبر: لاخلاف عن مالك في إرساله. ولا أحفظ بهذا الإسناد سنداً من وجه يحتج به. وأحاديث الفضائل لا تحتاج إلى محتج به. وقد جاء مسنداً من حديث علي وابن عمرو-أهـ.

(٣) قد تقدم وخرجته.

(٤) الآية ٥٣ من سورة النحل.

(٥) قال أبو حيان في البحر المحيط:اللام للملك وشبه وللتمليك وشبهه وللاستحقاق وللنسب وللتعليل وللتبليغ وللتعجب وللتبيين وللصيرورة وللظرفية بمعنى في أو عند أو بعد وللانتهاء وللاستعلاء. أهـ(١/١٨).

وقال أيضاً في نهره المادّ من بحره المحيط: واللام في قراءة الرفع يعني في لفظه الحمد تكون للاستحقاق وفي قراءة النصب تكون للتبيين فيتعلق بمحذوف تقديره الله. أهـ (١/١٨).

(٦) تفسير ابن أبي حاتم (١/١٤-١٥/رقم١٢).

(٧) جاء في ابن كثير أن رواي الحديث الماضي هو ابن أبي حاتم بسند ذكر في أوله حدثنا أبو معمر القطيعي حدثنا حفظ.. ثم قال بعد ذكر الحديث ورواه غير أبي معمر عن حفص وذكر الحديث موقوفاً على علي رضي الله عنه وكرم وجهه. راجع تفسير ابن كثير (١/٢٤).

وقال: قال عمر لعلي وأصحابه عنده: لا إله إلاّ الله وسبحان الله والله أكبر قد عرفناها فما الحمد لله؟ فقال علي: كلمة أحبها الله لنفسه ورضيها لنفسه، وأحب أن تقال[1]؛ وعن ابن عباس«الحمد لله كلمة الشكر، وإذا قال العبد الحمد لله قال الله: شكرني عبدي» رواه ابن أبي حاتم[2]. وعن الأسود بن[سريع][3] قال: قلت: يارسول الله ألا أنشدك محامد حمدت[الله بها][4] تبارك وتعالى فقال صلى الله عليه وآله وسلم:«أما إن ربك يحب الحمد» رواه أحمد بن حنبل[5] وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:«أفضل الذكر لاإله إلاّ الله، وأفضل الدعاء الحمد لله» رواه الترمذي[6]،

---

(١) تفسير ابن كثير (٢٢/١).

(٢) تفسير ابن ابي حاتم(١٣/١/رقم٨) وقال المعلق د. احمد عبدالله العماري الزهراني: أن سنده ضعيف جداً لان فيه علي بن زيد بن جدعان متفق على ضعفه.

(٣) جاء في النسخة ب [سريح] وجاء في النسخة أ [سريع] وهو الصحيح الذي رواه المحدثون الذين سيمرون في التعليق على الحديث والصواب ماوافق الدر المنثور (٣٢/١) [سريع] وهو الأسود بن سريع بن حمير بن عبادة.. التميمي السعدي الشاعر المشهور روى البخاري في تاريخه عن مسلم بن إبراهيم عن السري بن يحيى عن الحسن البصري قال: حدثنا الأسود بن سريع، قال: غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم أربع غزوات وقال البغوي: كان شاعراً، وكان في أول الاسلام قاضياً ثم روى من طريق السري أنه كان أول من قص في مسجد البصرة، وقال خليفة: كانت له دار بحضرة الجامع بالبصرة توفي في عهد معاوية. أهـ انظر الإصابة(٥٩/١-٦٠/١٦١) بتصرف.

(٤) في الدر المنثور مما رواه أحمد وغيره[بها ربي] وكذلك في ابن كثير رواية أحمد والنسائي[بها ربي].

(٥) في مسنده (٤٣٥/٣) بنحوه والبخاري في الأدب المفرد والنسائي والحاكم وصححه وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان-الدر المنثور في التفسير المنثور (٣٢/١). وانظر تفسير ابن كثير (٢٣/١).

(٦) سنن الترمذي في تحفة الأحوذي (٢٢٩/٩-٢٣٠/٣٦٠٧) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لانعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم. وقد روى علي بن المديني وغير واحد عن موسى بن إبراهيم هذا الحديث.

والنسائي[1] ابن ماجه[2]. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:«ماأنعم الله على عبد نعمة فقال الحمد لله إلاّ كان الذي أعطىأفضل مما أخذ» رواه ابن ماجه[3]. قال القرطبي[4] في تفسيره وروى الحكيم الترمذي في نوادر الأصول[5] عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:«لو أن الدنيا كلها بحذافيرها[في يد][6] رجل من أمتي ثم قال الحمد لله[لكان][7] الحمد لله أفضل من ذلك» قال القرطبي[8] وغيره أي لكان إلهامه الحمد أكثر[نعمة][9] عليه من نعم الدنيا[لأن][10] ثواب الحمد لايفني ونعيم الدنيا لايبقى قال الله تعالى:«المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً»[11] . وعن جابر رضي الله عنه قال:

---

(١) في كتاب عمل اليوم والليلة (صفحة ٢٤٦) بنحوه - ط مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م-.

(٢) في سننه (٢/١٢٤٩/٣٨٠٠).

(٣) في سننه (٢/١٢٥٠/٣٨٠٥) قال أحمد عبدالباقي في تعليقه عليه في نفس الطبعة فيصل بابي الحلبي قال: في الزوائد إسناده حسن. شبيب بن بشر مختلف فيه.

(٤) تفسير القرطبي (١/١٣١).

(٥) تفسير القرطبي(١/١٣١) ورواه ابن عساكر صححه المتقي الهندي في الكنز(١/٢٤٥).

(٦) في النسخة أ و ب [في يد] وفي تفسير القرطبي [بيد].

(٧) في النسخة أ و ب [لكان] وفي تفسير القرطبي[لكانت].

(٨) انظر (١/١٣١-١٣٢) وليس باللفظ.

(٩) في النسخة أ[نعمة] ولاتوجد هذه الكلمة في النسخة أ وإثباتها موافق لما في القرطبي(١/١٣١-١٣٢) وهذا أكثر تفصيلاً وأدق معنى.

(١٠) في النسخة ب[فإن] والمعنى واحد.

(١١) سورة الكهف الآية ٤٦.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:«مامن عبد ينعم الله عليه نعمة إلاّ كان الحمد أفضل منها» رواه البيهقي في شعب الإيمان[1] وروى عبدالرزاق[2] والبيهقي أيضاً في شعب الإيمان[3] عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:«ماأنعم الله على عبد نعمة فحمد الله عليها إلاّ كان[الحمد][4] أعظم منها كائنة ماكانت». ﴿ رَبِّ العَالَمين ﴾ الرب المالك[5] يقال لمالك الدار:ربّ الدار ويقال: رب الشيء إذا ملكه.ومنه قول عبدالمطلب:أنا رب إبلي وللبيت رب سيمنعه[6]. ويكون بمعنى التربية والإصلاح[7] يقال فلان[الصدقة][8] يربيها؛ إذا أتمها أصلحها، فهو رب مثل طب والله عز وجل مالك العالمين ومربيهم، وهو في الأصل مصدر، ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل، ولايطلق

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان(رقم٤٤٠٤) دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٠م-١٤١٠هـ.

(٢) الدر المنثور (٣١/١).

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (رقم٤٤٠٥). وروى الحديثين الطبراني عن أبي أسامة وابن عساكر عن أنس وهما مقبولان عند المتقي الهندي انظر كنز العمال(٢٤٥/١).

(٤) في الدر المنثور [حمد الله] . وفي النسخة أ و ب [الحمد] .

(٥) يؤيد هذا ماجاء في لسان العرب مادة (ربب) طبعة دار صادر (صفحة ٣٩٩).

(٦) لقد علمنا أن أبرهة الأشرم جاء لهدم الكعبة قبل الإسلام وتقابل مع عبدالمطلب روى الطبري ( ٢ / ١١١) فلما تقابل معه -أي مع عبدالمطلب- أبرهة قال لترجمانه:«حاجتي إلى الملك أن يرد علي مائتي بعير أصابها لي» فلما قال له ذلك، قال أبرهة لترجمانه: قل له كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم زهدت فيك حين كلمتني. أتكلمني في مائتي بعير قد أصبتها لك، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لاتكلمني فيه؟ قال له عبدالمطلب: إني أنا رب إبلي وإن للبيت رب سيمنعه» ثم عرض على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عن مكة ولايهدم البيت؛ فأبى-أهـ باختصار من كتاب تاريخ الإسلام تأليف حسن إبراهيم حسن(٥٠/١)-ط دار الأندلس بيروت، الطبعة السابعة ١٩٦٤.

(٧) إذ بين ابن منظور أنها تأتي بمعنى المربى وتأتي بمعنى المصلح ويمعى المصلح أوردها ابن المنظور عن ابن الأنباري-لسان العرب مادة (ربب) صفحة (٣٩٩-٤٠١) طبعة دار صادر.

(٨) جاء في النسخة أ [الصدقة] وفي ب [الصعة] والصحيح ما في أ لموافقتها سياق الكلام.

على غير الله إلاّ مقيداً بالإضافة[1] كقوله تعالى:«إنه ربي أحسن مثواي»[2] «ارجع إلى ربك»[3] قال الفراء[4] يقال: رَبٌّ ورَبٌّ بتشديد الباء وتخفيفها، وأنشد شعراً:

وقد علم [الأقوام][5] أن ليس فوقه رَبٌّ غير من يعطي الحظوظ ويرزق[6]

والعالمين جمع عالم لاواحد له من لفظه.واختلف في العالمين فقال ابن عباس : هم الجن والإنس[7] المكلفون بالخطاب قال الله تعالى:«ليكون للعالمين

---

(١) قال ابن المنظور: ولايقال الرب في غير الله، إلا بالإضافة، قال: ويقال الرب بالألف واللام، لغير الله وقد قالوه في الجاهلية للملك قال الحرث بن حلزة:

وهو الرب، والشهيد على يو م الحيارين ، والبلاء بلاءُ

-أهـ من لسان العرب مادة (ربب) صفحة(٣٩٩)طبعة دار صادر - من هنا نلاحظ أنها قيلت في الجاهلية ولايصح قولها شرعاً في الإسلام إلا مضافة.

(٢) الآية ٢٣ من سورة يوسف.

(٣) الآية ٥٠ من سورة يوسف.

(٤) الفراء : هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الأسلمي، المعروف بالفراء، الديلمي الكوفي مولى بني أسد، كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب أخذ النحو عن الكسائي وله من التصانيف «الحدود» و«المعاني» و«اللغات» و«المصادر في القرآن» ، و«الجمع والتثنية في القرآن» ، و«آلة الكاتب» وغير ذلك من الكتب.

ومولد الفراء بالكوفة وانتقل إلى بغداد وجعل أكثر مقامة بها، وكان مولده سنة ١٤٤هـ ووفاته سنة ٢٠٧هـ في طريق مكة رحمه الله تعالى -أهـ من وفيات الأعيان باختصار(٦/١٧٦-١٨٢).

(٥) في النسخة أ و ب [الأقوام] وفي لسان العرب لابن منظور [الأقوال] عند شرحه لمادة (ربب) دار صادر صفحة (٣٩٩).

(٦) هذا البيت من الشعر أنشده المفضل كما جاء في لسان العرب بمادة (ربب) دار صادر صفحة (٣٩٩) - والمفضل هذا هو أبو طالب بن سلمة بن عاصم الضبي اللغوي صاحب التصانيف المشهورة في فنون الأدب وكان كوفي المذهب -أهـ كتاب وفيات الأعيان باختصار(٤/٢٠٥).

(٧) تفسير ابن جرير الطبري(١/١٤٤) قال أحمد محمد شاكر في تخريجه للخبر: الخبر إسناده صحيح وتكلم في أحد الرواة في السند وهو محمد بن سنان القزاز، شيخ الطبري: تكلموا فيه من أجل حديث واحد، والحق أنه لا بأس به كما قال الدار قطني. وهو مترجم في التهذيب، وله ترجمة جيدة في تاريخ بغداد-أهـ باختصار- وقال السيوطي: صححه ابن أبي حاتم(١/٣٣) من الدر المنثور.

نـذيـراً»[1] وقال قتادة والحسن ومجاهد : جميع المخلوقين قال الله تعالى:«قال فرعون ومارب العالمين؟ قال رب السموات والأرض ومابينهما إن كنتم موقنين»[2][3] واشتقاقه من العلم والعلامة سموا به لظهور أثر صنعة الله فيهم. قال وهب[4]: لله تعالى ثمانية عشر ألف عالم، الدنيا عالم منها. ومالعمران في الخراب إلا لفصطاط في صحراء[5]. وقال كعب الأحبار: لايحصي عدد العالمين أحد إلاّ الله عز وجل[6]. وإنما جمع ليشمل كل جنس مما سمى به. فإن قيل: فهو اسم غير صفة وإنما يجمع جمع السلامة صفات العقلاء ومافي حكمها من الأعلام قلنا: إنما جاز ذلك لأن فيه معنى الوصفية وهي الدلالة على

---

(١) الآية ١ من سورة الفرقان،وقد بين القرطبي أن هذا دليل ابن عباس(١/١٣٨).

(٢) الآيتان ٢٣-٢٤ من سورة الشعراء.

(٣) ذكر القول عن الثلاثة البغوي مع دليلهما بالآيتين(١/٢٧) وقد ذكر القرطبي في تفسيره عدة أقوال وقال أخيراً في هذا القول: قلت: والقول الأول أصح هذه الأقوال؛ لأنه شامل لكل مخلوق موجود؛ دليله قوله تعالى:«قال فرعون ومارب العالمين قال رب السموات والارض ومابينهما». ثم هو مأخوذ من العلم والعلامة؛ لأنه يدل على موجده. كذا قال الزجاج قال: العالم كل ماخلقه الله في الدنيا والآخرة وقال الخليل: العلم والعلامة والمعلم: مادل على الشيء؛ فالعالم دال على أن له خالقاً ومدبراً، وهذا واضح أهـ من تفسير القرطبي(١/١٣٨-١٣٩).

(٤) هو وهب بن منبه أبو عبدالله اليماني صاحب الأخبار والقصص وكانت له معرفة بأخبار الأوائل وقيام الدنيا وأحوال الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه وسير الملوك، له تصنيف بذكر الملوك المتوجة من حمير في مجلد واحد،وهو معدود من جملة الأبناء أي يرجع نسبه باليمن لجيش فارس وتوفي وهب وعمره تسعون سنة في ١١٠هـ وقيل١١٤هـ وقيل١١٦هـ بصنعاء اليمن -أهـ من وفيات الأعيان باختصار(٦/٣٥-٣٦).

(٥) تفسير البغوي (١/٢٧) وابن كثير بنحوه في التفسير(١/٢٥).

(٦) تفسير البغوي (١/٢٧).

معنى العلم، وفيه من يعقل، فجمع بالياء والنون. وقرأ الجمهور بالجر[1] على الصفة[2]. وزاد أبو البقاء[3] جره بالبدل[4] وقرأ زيد بن علي عليه السلام رب العالمين بالنصب على المدح[5]، وقال[6]: في المجيد[7] وضعف بجر الصفات بعده لامتناع الاتباع بعد القطع؛ إلاّ أن يكون الجر في الرحمن على البدل، فلاضعف لأن البدل عى نية تكرار العامل، فكأنه من جملة أخرى، والبدل فيه حسن لاسيما على مذهب الأعلم لأنه عنده علم كما تقدم. وقيل نصب بفعل دل عليه الحمد[8]، وقيل نصب على النداء[9]. أي يارب العالمين، وحكي عن زيد نصب الثلاثة أعني رب العالمين الرحمن الرحيم على القطع[10].

---

(١) وهم القراء العشرة فقد جروا كلمة ربّ - من كتاب القراءات العشر المتواترة للشيخ محمد كريم راجح شيخ القراء في الديار الشامية الطبعة الأولى من نوعها في علوم القراءات ١٤١٢هـ-١٩٨٢م.طبعة دار المهاجر للنشر والتوزيع لصاحبها علوي بن محمد بن أحمد بلفقيه المدينة المنورة.

(٢) إملاء مامن به الرحمن في إعراب القرآن صفحة ١١.

(٣) هو عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري البغدادي، أبو البقاء، محب الدين: عالم بالأدب واللغة والفرائض والحساب. أصله من عكبرا(بليدة على دجلة) ولد في بغداد سنة ٥٣٨هـ وكانت وفاته فيها سنة ٦١٦هـ أصيب في صباه بالجدري فعمي.من كتبه(شرح ديوان المتنبي) و(اللباب في علل البناء والإعراب) و(شرح اللمع لابن جني) و(التبيان في إعراب القرآن) ويسمى(إملاء مامن به الرحمن من وجوه الإعراب والقرآءات في جميع القرآن)

بتصرف من الأعلام للزركلي(٤/٨٠).

(٤) إملاء مامن به الرحمن (صفحة ١١).

(٥) ذكر قراءة النصب العكبري صفحة ١١ وقال: وقرئ بالنصب على إضمار أعني، وقيل على النداء-أهـ وذكر قول زيد في الكشاف (١/٥٣).

(٦) ذكر في النسخة ب الواو ولم يذكرها في النسخة أ.

(٧) لم أعثر على هذا الكتاب أوتعريف به.

(٨) الكشاف (١/٥٣).

(٩) إملاء مامن به الرحمن (صفحة ١١).

(١٠) على القطع أي ليست تابعة لما قبلها بالإعراب.

(٢) ﴿الرحمن الرحيم﴾ الجمهور : على أنهما بالجر صفتا مدح لله تعالى[١] وقيل الرحمن بدل أو عطف بيان[٢]. وقرأ أبو العالية[٣]نصبهما[٤] وأبو زيد العقيلي[٥] برفعهما[٦]، وكلاهما على القطع[٧]، فإن قلت: إن جعلت بسم الله الرحمن الرحيم أية من الفاتحة فما وجه التكرار؟ قلت: لأن الآية إذا ذكرت مع زيادة فائدة لم يسم تكريراً[٨].

---

(١) قال بهذا القول محي الدين درويش في كتابه إعراب القرآن(١٤/١) وقال به أيضاً أبو حيان في البحر المحيط والنهر الماد كلاهما(١٩/١).

(٢) البحر المحيط (١٩/١).

(٣) أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي مولاهم، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسنتين. روى عن علي وابن عباس وابن مسعود وابن عمر وأبي بن كعب وغيرهم وهو من ثقات التابعين المشهورين بالتفسير، قال فيه ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم: ثقة وتروى عنه نسخة كبيرة في التفسير، يرويها أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي، وهو إسناد صحيح، وأخرج من هذه النسخة ابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم في مستدركه والإمام أحمد في مسنده، وهو من مدرسة التفسير في المدينة المنورة وقوامها على أبيّ بن كعب رضي الله عنه توفي سنة تسعين من الهجرة على أرجح الأقوال-أهـ من كتاب التفسير والمفسرون تأليف الدكتور محمد حسين الذهبي طبعة دار الكتب الحديثة ١٣٩٦هـ-١٩٨٦م(١١٥/١).

(٤) البحر المحيط (١٩/١) .

(٥) صاحب هذه القراءة هو أبو رزين العقيلي وليس أبو زيد انظر البحر المحيط (١٩/١).

(٦) البحر المحيط (١٩/١).

(٧) البحر المحيط (١٩/١) والقراءة المتواترة عند القراء العشر هي(الرحمنِ الرحيم) وماسوى ذلك لاتعتبر من القراءات العشر المتواترة انظر كتاب القراءات العشر المتواترة للشيخ محمد كريم الراجح شيخ الديار الشامية في القراءات ص/ط دار المهاجر.

(٨) كأن المراد أنه تعالى لما ذكر الترهيب في قوله رب العالمين ناسب أن يذكر الترغيب في قوله«الرحمن الرحيم» وذكر«الرحمن الرحيم» في البسملة من فوائده التيمن والتبرك بهذين الاسمين ولزم ايضاً الذكر مرة ثانية بعد«الحمد لله رب العالمين» لفائدة جمة ثانية إذ تبين استحقاق الله سبحانه للحمد لاتصافه بـ«الرحمن الرحيم».

بينما ذهب ابن جرير الطبري في تفسيره الى الاستدلال بأن البسملة ليست من سورة الفاتحة بدليل التكرار،لو اعتبرنا البسملة من سورة الفاتحة،فقال رحمه الله تعالى:«ولم نحتج الى الإبانة=

= عن وجه تكرير ذلك في هذا الموضع، إذ كنا لانرى أن«بسم الله الرحمن الرحيم» من فاتحة الكتاب-آية، فيكون علينا لسائل مسألة بأن يقول: ماوجه تكرير ذلك في هذا الموضع، وقد مضى وصف الله عز وجل به نفسه في قوله«بسم الله الرحمن الرحيم»، مع قرب مكان إحدى الآيتين من الأخرى، ومجاورتها صاحبتها؟ بل ذلك لناحجة على خطأ دعوى من ادعى أن«بسم الله الرحمن الرحيم» من فاتحة الكتاب آية. إذ لو كان ذلك كذلك لكان ذلك إعادة آية. بمعنى واحد ولفظ واحد مرتين من غير فصل يفصل بينهما، وغير موجود في شيء من كتاب الله آيتان متجاورتان مكررتان بلفظ واحد ومعنى واحد لافصل بينهما من كلام يخالف معناه معناهما. وإنما يؤتى بتكرير آية بكاملها في السورة الواحدة، مع فصول تفصل بين ذلك، وكلام يعترض به بغير معنى الآيات المكررات أو غير ألفاظها، ولافصل بين قول الله تبارك وتعالى اسمه«الرحمن الرحيم» من«بسم الله الرحمن الرحيم» وقول الله«الرحمن الرحيم» من الحمد لله رب العالمين.

فإن قال: فإن«الحمد لله رب العالمين» فاصل من ذلك.

قيل: قد أنكر ذلك جماعة من أهل التأويل، وقالوا: إن ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم، وإنما هو: الحمد لله الرحمن الرحيم رب العالمين ملك يوم الدين. واستشهدوا على صحة مادعوا من ذلك بقوله«ملك يوم الدين» فقالوا: إنقوله«ملك يوم الدين» تعليم من الله عبده، أن يصفه بالملك في قراءة من قرأ«مَلِك» وبالمِلْك في قراءة من قرأ«مالك». قالوا : فالذي هو أولى أن يكون مجاور وصفه بالمُلك أو المِلك، ماكان نظير ذلك من الوصف، وذلك هو قوله: «رب العالمين» الذي هو خبر من مِلْكه جميع أجناس الخلق، وأن يكون مجاور وصفه بالعظمة والألوهية، ماكان له نظيراً في المعنى في الثناء عليه، وذلك قوله«الرحمن الرحيم» فزعموا أن ذلك لهم دليل على أن قوله«الرحمن الرحيم» بمعزل التقديم قبل«رب العالمين»، وإن كان الظاهر مؤخراً. وقالوا نظائر ذلك— من التقديم الذي هو بمعنى التأخير، والمؤخر الذي هو بمعنى التقديم- في كلام العرب أفشى، وفي منطقها أكثر، من أن يحصى. من ذلك قول جرير بن عطية:

طاف الخيال -وأين منك؟ -لماما  فارجع لزورك بالسلام سلاما

بمعنى طاف الخيال لماما، وأين هو منك؟ وكما قال جل ثناؤه في كتابه:«الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً» [سورة الكهف] بمعنى الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قيماً ولم يجل له عوجاً، ومأشبه ذلك. ففي ذلك دليل شاهد على صحة قول من أنكر أن تكون«بسم الله الرحمن الرحيم» من فاتحة الكتاب آية.أهـ تفسير ابن جرير الطبري (١/١٤٦-١٤٨).

(٣) ﴿ملك يوم الدين﴾ قرأ عاصم والكسائي ويعقوب الحضرمي مالك بالمد[١]، وقرأ الباقون ملك بالقصر[٢] لأنه ضد المد والمد هاهنا إثبات الألف والقصر حذفها، والقراءتان صحيحتان ثابتتان مرويتان عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أبو شامة: وقد أكثر المصنفون في القراءات والتفاسير من الكلام في الترجيح بين هاتين القراءتين، حتى إن بعضهم بالغ في ذلك إلى حد يكاد يسقط وجه القراءة الاخرى وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القراءاتين، وصحة اتصاف الرب تعالى بهما، فهما صفتان لله تعالى يتبين وجه الكمال له تعالى فيهما. وأنا: أستحب القراءة بهما. هذه تارة، وهذه تارة؛ حتى إني في الصلاة، أقرأ بهذه في ركعة، وهذه في ركعة نسأل الله تعالى اتباع ماصح نقله والعمل به. والمالك هو المتصرف في الأعيان المملوكة كيف يشاء من الملك. والملك هو المترصف بالامر والنهي في المأمور من الملك. وقرأ أبو عمرو في رواية عنه شاذة مَلْك بسكون اللام، وهي لغة بكر بن وائل[٣]، وهو من تخفيف المكسور، كفخذ وكتف وقرأ أبو عمرو وأيضاً:«الرحيم ملك» بإدغام الميم في الميم[٤]، وكذلك يدغم كل حرفين متماثلين[٥]. وقوله:«يوم الدين» يوم الجزاء ومنه قولهم:

كما تدين تدان[٦]. وبيت الحماسة[٧]:

ولم يبق سوى العدوا ندناهم كما دانوا

---

(١) القراءات العشر المتواترة صفحة (١) وزاد وخلف في اختياره.

(٢) القراءات العشر المتواترة صفحة(١) قال مَلِك: الباقون-.

(٣) هذه رواية عبدالوارث عنه-تفسير ابن عطية(١/١٠٦).

(٤) تفسير البغوي (١/٢٨).

(٥) قال البغوي وكذلك يدغم كل حرفين من جنس واحد او مخرج واحد أو قريبي المخرج، سواء كان الحرف ساكناً أو متحركاً، إلا أن يكون الحرف الأول مشدداً أو منوناً أو منقوصاً أو مفتوحاً أو تاء الخطاب قبله ساكن من غير المثلين، فإنه مما لايدغمها.. الخ.-تفسير البغوي(١/٢٨) .

(٦) في اللسان مادة دين:«قال خويلد بن نوفل الكلابي للحارث بن أبي شمر الغساني وكان قد اغتصبه بنته:

ياحار أبقين أن ملكك زائل  واعلم بأنك كما تدين تدانُ

ومعنى كما تدين تدان: أي كما تفعل تجازى-أهـ حاشية الجرجاني على الكشاف(١/٥٧).

(٧) هذا البيت من قول الفند الزماني - تفسير ابن عطية(١/١١٤) وقد جاء في ديوان الحماسة لأبي تمام. انظر ديوان الحماسة بشرح المرزوقي(١/٣٥) تحقيق أحمد أمين وعبدالسلام هارون-ط القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

وقال ابن عباس ومقاتل[1] والسدي[2]: ملك يوم الدين، قاضي يوم الحساب[3]. وقال مجاهد: الدين الحساب[4]. وقال الله تعالى:«ذلك الدين القيم»[5] أي: الحساب المستقيم[6].

(١) هو مقاتل بن سليمان البلخي المفسر، أبو الحسن. روى عن مجاهد، والضحاك، وابن بريدة، وعنه حرمي بن عمارة، وعلي بن الجعد، وخلق.

قال ابن المبارك: ماأحسن تفسيره لو كان ثقة. وقال أبو حنيفة: أفرط جهم في نفي التشبيه، حتى قال: إنه تعالى ليس بشيء. وأفرط مقاتل -يعني في الإثبات- حتى جعله مثل خلقه. وقال وكيع: كان كذاباً. وقال البخاري: قال سفيان بن عيينة: سمعت مقاتلاً يقول: إن لم يخرج الدجال في سنة خمسين ومائة فاعلموا أني كذاب. وقال البخاري أيضاً: سكتوا عنه. وقال النسائي: كان مقاتل يكذب. وقال ابن حبان: كان يأخذ من اليهود والنصارى من علم القرآن الذي يوافق كتبهم، وكان يشبه الرب بالمخلوقات، وكان يكذب في الحديث.

قال وكيع: مات مقاتل بن سليمان سنة خمسين ومائة وقيل بعد ذلك-أهـ باختصار من ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي(٤/١٧٣-١٧٥) ط عيسى البابي الحلبي-.

(٢) هو إسماعيل بن عبدالرحمن السدي الكوفي: رأى أبا هريرة قال يحيى بن قطان: لابأس به. وقال أحمد: ثقة. وقال ابن معين: في حديثه ضعف. وقال أبو حاتم: لايحتج به، وقال ابن عدي: هو عندي صدوق. روى عنه شعبة والثوري. قيل مات: سنة سبع وعشرين ومائة. قلت: وهو السدي الكبير فأما السدي الصغير فهو محمد بن مروان، يروي عن الأعمش. واه[بمرة]. -أهـ باختصار من كتاب ميزان الاعتدال(١/٢٣٦-٢٣٧) ويروي السدي عن ابن عباس تارة عن أبي مالك وتارة عن أبي صالح عن ابن عباس والسدي مختلف فيه-أهـ من كتاب التفسير والمفسرون(١/٧٩).

(٣) تفسير البغوي (١/٢٨).

(٤) قال ابن عطية في تفسيره وقال مجاهد: (مَلِك يوم الدين) أي يوم الحساب مدينين محاسبين(١/١١٥).

(٥) هذا جزء من كل من الآيات الثلاث -٣٦ التوبة -٤٠يوسف- ٣٠ الروم.

(٦) جاء في تفسير الجلالين (صفحة٢٤٥) في تفسير الآية ٣٦ من سورة التوبة«الدين القيم» المستقيم -أهـ، ط دار المعرفة بيروت ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

وقال محمد بن كعب القرظي[1]:«مالك يوم الدين» لاينفع فيه إلاّ الدين[2]. وقال يمان بن رياب[3]: الدين: القهر يقال: دنته فدان. أي قهرته فذل[4] وإنما خص يوم الدين بالذكر مع كونه تعالى مالكاً للأيام كلها، لأن الأملاك يومئذ زائلة فلا ملك ولا أمر إلاّ لله عز سلطانه. قال تعالى:«الملك يومئذ الحق للرحمن»[5] وقال عز من قائل:«لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار»[6] وقال تعالى:«والأمر يومئذ لله»[7]. وقيل تعظيماً لذلك اليوم، وتفخيماً لشأنه[8]. كما قال تعالى:«رب العرش»[9] وقيل: ذكر ترغيباً في الاستعداد له. وأجرى هذه الأوصاف

(١) هو محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي المدني، من حلفاء الأوس. روى عن علي وابن مسعود، وابن عباس وغيرهم. وروى عن أبي بن كعب بالواسطة. وقد اشتهر بالثقة، والعدالة، والورع، وكثرةالحديث، وتأويل القرآن وهو عند أصحاب الكتب الستة، توفي سنة ١١٨هـ وهو ابن ثمان وسبعين سنة -أهـ من التفسير والمفسرون(١/١١٦).

(٢) تفسير البغوي (١/٢٨) طبعة دار الفكر ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.

(٣) في تفسير البغوي يمان بن ريان ولم أجده بالاسمين. ولعله اليمان بن أبي اليمان البنونيجي أبو بشر أديب، عارف باللغة، فارسي الأصل. ولد ضريراً قرب بغداد ورحل لبغداد وسامرّا والبصرة وألف«معاني الشعر»«والثقفية» و«العروض» ولد سنة ٢٠٠هـ ومات سنة ٢٨٤هـ -أهـ الأعلام للزركلي(٨/٢٠٨/٢٠٩).

(٤) تفسير البغوي (١/٢٨) إذا كان ريان - والقول لاشك نفسه.

(٥) الآية ٢٦ من سورة الفرقان.

(٦) الآية ١٦ من سورة غافر.

(٧) الآية ١٩ من سورة الانفطار.

(٨) لاشك أن في هذا تفخيماً لذلك اليوم بإضافته إلى الله سبحانه وتعالى.والله عظم من شأن ذلك اليوم فقال:«وماأدراك مايوم الدين ثم ماأدراك مايوم الدين يوم لاتملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله» الآيات ١٧-١٨-١٩ من سورة الانفطار.

(٩) إذا لم نميز اختلاف التشكيل فهذا جزء من كل من الآيات التالية:

الآية ١٢٩ من سورة التوبة، ٢٢ الأنبياء، ٨٦ المؤمنون، ١١٦المؤمنون، ٢٦ النمل ، ٨٢ الزخرف.

على الله تعالى: من كونه رباً للعالمين، موجداً لهم، منعماً عليهم بالنعم كلها: ظاهرها وباطنها، عاجلها وآجلها مالكاً لأمورهم يوم الثواب والعقاب، للدلالة على أنه الحقيق بالحمد، لا أحد أحق به منه، بل لايستحقه على الحقيقة سواه سبحانه وتعالى. فإن قلت ماهذه الإضافة في ملك يوم الدين، ومالك [قراءة][1] على القصر والمد؟ قلت: أما في ملك فهي إضافة الصفة المشبهة فإن قيل: فإضافة الصفة المشبهة أبداً لفظية، فكيف ساغ وقوعها صفة للمعرفة[2]؟ قلت: هي إضافة الصفة المشبهة إلى غير معمولها[3]، لما في رب العالمين، فتكون معنوية[4] مثل ملك العصر، وكريم الزمان، وحسن البلد وإنما اللفظية هي إضافة الصفة إلى فاعلها. كحسن الوجه[5]، فإن قيل المضاف إليه مفعول به في المعنى، فتكون إضافتها غير معنوية. قلنا الصفة المشبهة لاتعمل النصب أصلاً، ولايرد على ذلك. هو رحيم فلاناً، وجليس زيداً، لأن الأول صيغة مبالغة كما نص عليه سيبويه[6] والثاني بمعنى مجالس فإن قلت: كيف اشتقت من ملكه ودربه وهما متعديان؟ والصفة المشبهة إنما تشتق من اللازم؟ قلت: الفعل المتعدي قد يجعل لازماً بمنزلة[...][7] فينقل إلى فعل، ثم يشتق منه الصفة المشبهة. وهذا مطرد في باب المدح والذم، كما نص عليه في تصريف المفتاح. وأما في مالك؛ فهي إضافة اسم الفاعل إلى الظرف إجراء له مجرى المفعول به على طريق الاتساع. كقولهم: ياسارق الليلة أهل الدار وقوله:

---

(١) في النسخة ب هذه الكلمة غير موجودة.

(٢) أي لايصح أن تكون النكرة صفة للمعرفة.

(٣) لأن يوم ظرف.

(٤) مادامت الإضافة معنوية فهي تفيد التعريف فتكون معرفة ويصح وصفها للمعرفة.

(٥) الإضافة لفظية لأنه مضاف للفاعل وإذا أضيف إلى غير الفاعل فالإضافة معنوية.

(٦) ينظر البحر المحيط (١/ ٢١-٢٢).

(٧) هذه الكلمة وردت في أ و ب على الشكل التالي[العرامر].

رُبَّ ابن عم لسليمى مشمعل  طباخ ساعاتِ الكرى زادَ الكسلِ[1]

فإن قلت:فإضافة اسم الفاعل إضافة غير معنوية فلاتكون معطية معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة قلت: إنما تكون غير معنوية، إذا أريد باسم الفاعل الحال والاستقبال فكان في تقدير الانفصال كقولك مالك الساعة أو غداً. فأما إذا قصد معنى المضي كقولهم: هو مالك عبده أمس [أو][2] زمان مستمر كقولك زيد مالك العبيد، كانت الإضافة معنوية كقولك مولى العبيد وهذا هو المعنى في مالك يوم الدين.ويجوز أن يكون المعنى ملك الأمور يوم الدين كقوله تعالى:«ونادى أصحاب الأعراف»[3] . والدليل عليه قراءة أبي حنيفة مَلَكَ يوم الدين[4] وقال نجم الأئمة الرضي[5] : وقيل:«مالك يوم الدين» نكرة. جرت على الله تعالى على وجه البدل[6]، والأول أولى.

(٤) ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد، وصف بصفاته عظام، تميز بها عن سائر الذوات، وتعلق العلم، بمعلوم عظيم الشأن، حقيق بالثناء، وغاية الخضوع له، والاستعانة به في المهمات. فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات ، فقيل: إياك يامن هذه صفاته، نخصك بالعبادة والاستعانة فإن قلت: لم عدل عن لفظ الغيبة

---

(١) البيت في منحة الجليل بشرح ابن عقيل لمحمد محيي الدين عبدالحميد(٤٢/٢) – ط المكتبة العصرية – صيدا–بيروت. قال ابن المنظور«المشمعل: المتفرق والمشمعل السريع يكون في الناس والإبل»–أهـ لسان العرب مادة كلمة«شمعل»(٣٩٥/١٣) ط المؤسسة المصرية العامة وذكر في البحر المحيط الشطر الثاني من البيت(٢٢/١) ولم يذكر القائل في المرجعين السابقين لكن المبرد في الكامل نسبة للشماخ قال المعلق د/ محمد أحمد الدالي : اليس الرجز له ، وقد نسبه له آخرون ، والصواب انه لجبار الجزء بن ضرار وهو ابن أخي الشماخ بن ضرار اـهـ . الكامل (٢٨٥/١) ط. مؤسسة الرسالة . بيروت ١٤١٣هـ – تحقيق د. محمد أحمد الدالي.

(٢) في النسخة أ [أو] وفي النسخة ب[و].

(٣) الآية ٤٨ من سورة الأعراف.

(٤) الكشاف (٩٥/١) بنصب الفعل (مَلَكَ) ونصب(يَوْم) هذه قراءة شاذة لم يصح سندها – أهـ مباحث في علوم القرآن (صفحة ١٧٨) تأليف مناع قطان طبعة مؤسسة الرسالة ١٤٠٧هـ –١٩٨٦م.

(٥) هو محمد بن الحسن الرضي الاستراباذي نجم الدين: عالم بالعربية، من اهل استراباذ (من اعمال طبرستان) اشتهر بكتابيه(الوافيه في شرح الكافية) لابن الحاجب – مطبوع) في النحو، جزآن أكمله سنة ٦٨٦ و(شرح مقدمة ابن الحاجب–مطبوع) وهي المساة بالشافية في علم الصرف، توفي بنحو ٦٨٦هـ الاعلام للزركلي(٨٦/٦).

(٦) لم أقف على قوله.

إلى لفظ الخطاب ومقتضى الظاهر إياه نعبد وإياه نستعين؟ قلت: هذا يسمى الالتفات[1] في علم المعاني والبيان وهو أنواع من التكلم إلى الخطاب مثل قوله تعالى«ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون»[2] ومقتضى الظاهر وإليه أرجع ومثال الالتفات من التكلم إلى الغيبة«إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك»[3] ومقتضى الظاهر فصل لنا ومثال الالتفات من الخطاب إلى التكلم قول علقمة بن عبده[4]:

طحابك [5] قلبٌ في الحسان طروب بعيد الشباب عصـر جاء مشيب

تكلفني ليلى وقد[6] شـــط وليها وعاد عواد[بيننا][7] وخطوب[8][9]

ففي قوله تكلفني ليلى التفات من الخطاب في طحابك إلى التكلم حيث لم يقل تكلفك، ومثال الالتفات من الخطاب إلى الغيبة قوله عز وجل«حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم»[10] ومقتضى الظاهر بكم ومثال الالتفات من الغيبة إلى التكلم قوله تعالى:«والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه»[11] ومتقضى الظاهر فساقه، ومثال الالتفات من الغيبة إلى الخطاب قوله عز من قائل:«إياك نعبد وإياك نستعين» ومقتضى الظاهر إياه. ومثله قول

---

(١) الإلتفات : هو العدول عن الغيبة الى الخطاب أو التكلم، أو على العكس من ذلك- التعريفات للجرجاني ط المكتبة الحمادية كراشي.(ص:٢٩).

(٢) الآية ٢٢ من سورة يس.

(٣) الآية ١-٢ من سورة الكوثر.

(٤) هو علقمة بن عبلة(بفتح العين والباء) بن ناشرة بن قيس، من بني تميم شاعر جاهلي من الطبقة الأولى كان معاصراً لامرئ القيس وله معه مساجلات وأسر الحارث بن أبي شمر الغساني أخا اسمه(شأس) فشفع به علقمة ومدح الحارث بأبيات، فأطلقه. له ديوان شعر مطبوع شرحه الاعلم الشنتمري ويسمى علقمة الفحل، توفي بنحو ٢٠ ق. هـ. الاعلام للزركلي بتصرف(٢٤٧/٤).

(٥) طحابة قلبه: ذهب به في كل شيء-أهـ قاموس(صفحة ١٦٨٤).

(٦) شط: بَعُدَ وشط شطاً وشطوطاً: شق عليه وظلمه-انظر القاموس(ص٨٧٠).

(٧) في النسخة أ [بيننا] وفي ب[بنا] والصواب بيننا.

(٨) الخطب: الشأن، والأمر صغر أو عظم جمع خطوب-أهـ قاموس(صفحة ١٠٣).

(٩) ديوان علقمة الفحل بشرح الشنتمري تحقيق لطفي ودرية الخطيب البيت رقم١و٢ من القصيدة الأولى ص ٣٣ ط دار الكتاب العربي حلب الطبعة الاولى ١٩٦٩م، ١٣٨٩هـ-.

(١٠) الآية ٢٢ من سورة يونس.

(١١) الآية ٩ من سورة فاطر.

ربيعة بن مقروم[1]:

مالم ألاق امرءاً جزلاً[2] مواهبه سهل[الفنار][3] حبيب[الباع][4] محمودا

وقد سمعت بقوم يحمدون فلم أسمع بمثلك لاحلماً ولاجودا[5]

فالتفت حيث لم يقل: بمثله بلفظ الغيبة، كما قال: مواهبه بلفظ الغيبة بل قال: بمثلك بلفظ الخطاب قال ابن كثير في تفسيره: ويتحول الكلام من الغيبة الى المواجهة بكاف الخطاب، وهو مناسبة لأنه لما أثنى على الله عز وجل فكأنه اقترب وحضر بين يدي الله تعالى، فلهذا قال:«إياك نعبد وإياك نستعين» وفي هذا دليل على أن أول السورة خبر من الله تعالى بالثناء على نفسه الكريمة[بجميل][6] صفاته الحسنى. ولهذا لاتصح الصلاة لمن لم يقل ذلك وهو قادر عليه كما جاء في الصحيح عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:«لاصلاة لمن لم يقرأ[بفاتحة][7] الكتاب»[8]. وإرشاد لعباده بأن يثنوا عليه بذلك.

فهو التفات من الغيبة الى الخطاب، ووجه حسن الالتفات على الإطلاق، أن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب آخر كان أحسن تطرئة لنشاط السامع، وأكثر إيقاظاً للإصغاء إليه، وفيه وجه آخر بالنظر الى المتكلم. وهو قصد[التغني][9] في الكلام والتصرف فيه بوجوه مختلفة، من غير اعتبار لجانب السامع، وقد تختص مواقعه بلطائف.

---

(١) هو ربيعة بن مقروم بن قيس الضبب: من شعراء الحماسة من مخضرمي الجاهلية والاسلام وفد على كسرى في الجاهلية وشهد بعض الفتوح في الاسلام. وحضر وقعة القادسية توفي بعد١٦هـ-انظر الاعلام للزركلي(٣/١٧)-.

(٢) الجزل: الحطب اليابس، أو الغليظ العظيم منه، والكثير من الشيء-أهـ القاموس باختصار(صفحة١٢٦٢).

(٣) في النسخة أ [الفنار] وفي ب[الفناء] .

(٤) في النسخة أ [الباع] وفي ب[الفناء].

(٥) جاء البيتان في الأغاني لأبي فرج الأصبهاني (١٩/٩١) طبعة دار الفكر بيروت ونسبه لربيعة هذا وبلفظ (الفناء ).

(٦) في النسخة أ [بجميل] وفي ب [بجميع] والصواب، ماجاء في أ لموافقته تفسير ابن كثير الذي نقل عنه المؤلف (١/٢٧).

(٧) في أ [فاتحة] وفي ب [بفاتحة]والذي في أ موافق لما في صحيح مسلم.

(٨) رواه البخاري في صحيحه في فتح الباري(٢/٢٧٦) - ط المكتبة السلفية- ورواه مسلم في صحيحه بشرح النووي(٤/١٠٠).

(٩) في النسخة ب[اثنين] .

كما في هذا الالتفات الواقع في سورة الفاتحة، فإن العبد إذا افتتح حمد مولاه الحقيق بالحمد، عن قلب حاضر ونفس ذاكرة، يعقل فيم هو وعند من هو، بقوله: ألحمد لله الدال على اختصاصه بالحمد، وأنه حقيق به؛ وجد في نفسه لامحالة محركاً للإقبال عليه، فإذا انتقل على نحو الافتتاح إلى قوله: رب العالمين واصفاً له بكونه رباً مالكاً للخلق لايخرج شيء من[ملكوته][1] وربوبيته، قَوِيَ ذلك المحرك، ثم إذا انتقل إلى قوله(الرحمن الرحيم) الدال على أنه[منعم][2] بأنواع النعم جلائلها ودقائقها؛ تضاعَفَ قوةُ ذلك المحرك ، ثم انتقل من خاتمة هذه الصفات العظام وهي قوله(مالك يوم الدين) المفيد أنه مالك الأمر كله في يوم الجزاء. فحينئذ يوجب ذلك المحرك لتناهيه في القوة والإقبال عليه والخطاب بتخصيصه تعالى بغاية الخضوع والاستعانة في المهمات، وحاصل ماذكر، أنه لو قيل: إياه نعبد وإياه نستعين، كما يقتضيه سياق الكلام بظاهره، لم يكن فيه دلالة على أن العبادة له والاستعانة به لأجل اتصافه بتلك الصفات المجراة عليه وتمييزه بها عن غيره. لأن ذلك الضمير راجع إلى ذاته[بمقتضى][3] وضعه، وليس فيه ملاحظة لأوصافه تعالى، وإن كان متصفاً بها فالحكم متعلق بذاته فلايفهم منه سببه عرفاً.(وإيا)ضمير منصوب منفصل ومايلحقه من الياء والكاف والهاء، في قولك:إياي وإياك وإياه حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغَيبة،لامحل لها من الإعراب كالتاء في أنت والكاف في أريتك وهو مذهب الأخفش[4]وعليه المحققون[5]وقيل:اسم ظاهر أضيف إلى[لواحقه][6]وهومذهب الزجاج[7].

(١) في النسخة ب[مشيئته]. إني لأستغرب كيف أن الناسخ يبدل بهذه الكلمة وهي تخالف عقيدة الاعتزال وأظنه تعمدها في هذا التفسير.

(٢) في النسخة ب [المنعم].

(٣) في النسخة ب[بقيض].

(٤) الكشاف (٦١/١).

(٥) الكشاف(٦١/١) وقال أبو البقاء:«فأما الكاف فحرف خطاب عند سيبويه لاموضع لها، ولاتكون اسماً لأنها لوكانت اسماً لكانت إيا مضافة إليها والمضْمرات لاتضاف» -أهـ إملاء مامن به الرحمن(صفحة١٢).

(٦) في النسخة ب[الراجعة] .

(٧) حاشية الجرجاني على الكشاف(٦٠/١) وانظر معاني القرآن للزجاج(٤٨/١).

وقيل: مضمر أضيف إلى لواحقه[1]، ولايعرف مضمر أضيف غيره، وهو مذهب الخليل[2] وإضافته إلى الظاهر شاذة، كقول بعض العرب:إذا بلغ الرجل الستين فإياه[3] وإيا الشواب[4]. أو ضرورة كقوله: دعني وإيا خالد[5] فلاقطعن عرى نياطه[6] وقال بعض الكوفيين وابن كيسان[7] من البصريين:أن الكاف وأخواته هي الضمائر التي كانت متصلة،

---

(١) (٢) تفسير ابن عطية(١/١١٧) وإملاء مامن به الرحمن(صفحة١٢) وحاشية الجرجاني على الكشاف(١/٦٠).

(٣) في ب [فإياه وإياه وإيا الشوائب].

(٤) تفسير ابن عطية(١/١١٧) وإملاء مامن به الرحمن(صفحة١٢).

قال صاحب الكشاف وأما ما حكاه الخليل عن بعض العرب إذ بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب فشيء شاذ لايعول عليه، قال الجرجاني شارحاً: وإنما قال فشيء شاذ ولم يقل فشاذ زيادة استحقار له واستضعاف مبالغة في أنه لايعول عليه أصلاً، ولايستدل عليه أنه مظهر مضاف إلى المضمرات، ولاعلى أنه مضمر مضاف إلى مابعده كما مر من مذهبي الزجاج والخليل -أهـ(١/٦١) وقال الجرجاني قبل عن قول الخليل:«واستضعف بأن الضمير لايضاف ←

(١/٦٠) من حاشيته على الكشاف.

قال ابن منظور: «الشباب: الفتاء والحداثة. شب يشب شباباً وشبيبة ورجل شاب والجمع شبان وامرأة شابة من نسوة شواب. زعم الخليل أنه سمع أعرابياً فصيحاً يقول: إذا بلغ الرجل ستين، فإياه وإيا الشواب» -أهـ من مادة شبب في لسان العرب باختصار(١/٤٨٠) - ط دار صارور.

(٥) جاء هذا في القسم من القول في البحر المحيط (١/٢٣) لكن قال: نحو ثم أتى بهذا.

(٦) النياط، ككتاب: الفؤاد، أو عرق نيط به القلب إلى الوتين وعرق مستبطن الصلب تحت المتن -أهـ من القاموس باختصار(صفحة٨٩٢).

(٧) ابن كيسان:( -٢٢٩هـ= -٩١٢م) محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الحسن، المعروف بابن كيسان: عالم بالعربية نحواً ولغة من أهل بغداد، أخذ عن المبرد وثعلب ومن كتبه«تلقيب القوافي وتقليب حركاتها-ط» «المهذب» في النحو و«غلط أدب الكاتب» و«غريب الحديث» و«معاني القرآن» و«المختار في علل النحو» -أهـ الأعلام (٥/٣٠٨).

وإيا دعامة لها لتصير منفصلة بسببها[1]، قال نجم الدين الرضي[2]، وهذا القول ليس ببعيد من الصواب[3] والقراءة المشهورة إيّاك بكسر الهمزة وتشديد الياء[4]، وقرئ أياك بالفتح[5] والتشديد وقرئ هيّاك بقلب الهمزة هاء[6]. قال: طفيل الغنوي[7]

فَهيّاك والأمر الذي إن تراحبت  موارده ضاقت عليك مصادره[8].

وقرئ نِعبد[9] ونِستعين[10] بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم،فإنهم يكسرن حروف

(١) جاء القول عن الكوفيين وبعض البصريين في حاشية الجرجاني على الكشاف(٦٠/١).

(٢) نجم الدين الرضي: هو نفس نجم الأئمة الرضي الذي مرت ترجمته.

(٣) قال هذا نجم الأئمة الرضي رحمه الله في تعليقه وشرحه على كتاب الكافية في النحو تأليف الإمام جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب المتوفي سنة ٥٧٠ هـ-٦٤٦هـ ط دار الكتب العلمية ـ.

(٤) على هذا القراءات العشر المتواترة-انظر القراءات العشر المتواترة للشيخ محمد كريم راجح صفحة(١١) قال الشوكاني رحمه الله تعالى:(إيّاك نَعبد وإياكَ نَستعين) قراءة السبعة وغيرهم بالتشديد -أهـ فتح القدير(٢٢/١).

(٥) جاء في الكشاف بفتح الهمزة والتشديد(٦٢/١).

(٦) الكشاف (٦٢/١).

(٧) طفيل الغنوي: توفي نحو ١٣ ق هـ=٦١٠م طفيل بن عوف بن كعب، من بني غني، من قيس عيلان: شاعر جاهلي فحل، من الشجعان وهو أوصف العرب للخيل، وربما سمي«طفيل الخيل» لكثرة وصفه لها، ويسمى أيضاً«المحبّر» بتشديد الباء، لتحسينه شعره، عاصر النابغة الجعدي؛ وزهير ابن أبي سلمى؛ ومات بعد مقتل هرم بن سنان. له(ديوان شعر-ط) -أهـ من الأعلام(٢٢٨/٣)ـ.

(٨) هكذا رواية الكشاف وفي الحماسة هو لمضرس بن ربعي:

فإياك والأمر الذي إن تَوَسَّعَتْ  موارده ضاقت عليك المصادر

والموارد مواضع الورود والدخول، والمصادر مواضع الصدور والرجوع: أي احذر أن تلابس أمراً إن توسعت مداخله ضاقت عليك مخارجه. والمقصود الحث على التدبر في عواقب الأمور قبل الشروع فيها -أهـ من حاشية الجرجاني على الكشاف(٦٢/١). وجاء في تاج العروس بلا نسبة (٣٧٤/٢٠) مادة «أما».

(٩) قرأها زيد بن علي ويحيى بن وثاب وعبيد بن عمير الليثي انظر البحر المحيط (٢٣/١).

(١٠) نستعين: قرأ الأعمش وابن وثاب والنخعي(نستعين) بكسر النون -أهـ تفسير ابن عطية باختصار(١١٨/١-١١٩)ـ.

المضارعة سوى الياء إذا لم [ينضم] [1] مابعدها [2] . والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل، ومنه طريق معبدة أي مذللة[3]؛ولذلك لايستعمل إلا في الخضوع لله

---

(١) وفي ب [يفهم].

(٢) اعتبر الأستاذ عبدالفتاح القاضي هذه القراءة من القراءات الشاذة، فأثبتها في كتابه القراءات الشاذة وقال: وقرأ المطوعي«نِستعين» بكسر نون المضارعة، وكذا يقرأ كل فعل مضارع بكسر حرف المضارعة إذا كان مبدوءاً بنون أو تاء مفتوحتين، وكان مفتوح العين وكان ماضيه ثلاثياً مكسور العين أو زائداً على ثلاثة أحرف ومبدوءاً بهمزة الوصل نحو تعلمون، نطمع، نشتري، تستكبرون، تختصمون، لتركبوا، تستفتيان وهكذا واختلف عنه في(كي تقر عينها) الآية٤٠ و(ولا تضحى) الآية ١١٩ كلاهما بسورة طه. و(ألاّ تطْغوا) في سورة الرحمن الآية ٨. وكَسْرُ حرف المضارعة بالشروط السابقة لغة تميم وهزيل وأسد وربيعة -أهـ من كتاب القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب(صفحة٢٤).

(٣) والعبادة في الإسلام هي أقصى غاية الخضوع والانقياد والتذلل من الإنسان المؤمن لله تعالى في المنهج الذي أمر به سبحانه وهو الإسلام، وسبب اختياري لهذا التعريف. أن يكون التعريف جامعاً مانعاً، فإذا استوفى التعريف هذين الشرطين«الجمع والمنع» كان هو التعريف الصحيح الذي له حدود واضحة بينة. أما قول المؤلف:«العبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل» فقد قالها صاحب الكشاف قبل بنصها وعلق عليها الجرجاني قائلاً، للخضوع حدود ونهايات، ولفظ الغاية شملها لكونها اسم جنس مضافاً فصح إضافة أقصى إليه كأنه قال أقصى غايته قال الراغب: العبودية إظهار التذلل والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل -أهـ حاشية الجرجاني على الكشاف(٦٢/١) والآية هنا تتحدث عن العبادة لله تعالى فلزم أن يكون التعريف للعبادة غير مطلق بل يُقَيَّد بالعبادة لله تعالى وحده؛وبذا يكون مانعاً وقال الجرجاني نفسه في كتابه التعريفات«العبادة هو فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيماً لربه»-طبعة المكتبة الحمادية- كراتشي باكستان- صفحة(١٢٧)- وتعريف الجرجاني هذا رحمه الله ليس جامعاً إذ لا يشمل العبادة من الولد الصغير المميز ولم يكلف بها وهذا خلاف قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث:«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين» رواه أحمد وأبو داود والحاكم في مستدركه وقال عنه السيوطي في جامعه حديث صحيح(٥٣٥/٢).

تعالى[1] . والاستعانة طلب المعونة، والمراد طلب المعونة في المهمات كلها أو في[أداء][2] العبادات. وقدم المفعول لقصد الاختصاص، كقوله تعالى:(قل أفغير الله تأمروني أعبد)[3]

---

ومعاذ الله سبحانه أن يأمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالعبث، فالعبادة من المميز صحيحة، وأما قولنا المؤمن فإن عبادة الكافر لاتصح لله قال تعالى:(قل هل ننبؤكم بالأخسرين أعمالاً. الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً. أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً» الآيات١٠٣-١٠٥ من سورة الكهف.

وفي قوله من المكلف يعني المسلم المكلف وربما يعني غير المسلم على قول من قال إن الكافر مكلف بفروع الشريعة لكن لاتصح منه فيلزم أن نقول المميز المسلم. وقلنا: في المنهج الذي أمر الله به إذ لاتقبل عبادة لله ولاتتسمى بالعبادة له سبحانه إلا إذا وافقت الشريعة الإسلامية، والدليل على الأمرين الآخرين قوله تعالى:(فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولايشرك بعبادة ربه أحداً) الآية(١١٠) من سورة الكهف. فالشرط العمل الصالح والعقيدة الصالحة ولايكون ذلك إلا على أساس الإسلام قال تعالى:(ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» الآية٨٥ من سورة آل عمران.

(١) إن لفظ العبادة مطلقاً تكون لغير الله تعالى بفعل الكفرة وتكون لله سبحانه قال جل جلاله:(قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين).الآية ١٠٤ من سورة يونس. ونحن لابد لنا أن نقول إنهم يقومون بعبادة غير الله لكي نجري حكماً بالكفر على من يقوم بعبادة غير الله تعالى، ونهاهم الله عن هذا الفعل قال تعالى:(قل ياأيها الكافرون لاأعبد ماتعبدون) سورة الكافرون الآية(١-٢) وقال سبحانه(قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله) الآية٦٦من سورة غافر.

لذلك كله فقول المؤلف رحمه الله عن العبادة:«ولذلك لايستعمل- أي لفظ العبادة-إلا في الخضوع لله تعالى» هذا قول لايصح لغة وشرعاً ولعل قصد المؤلف رحمه الله تعالى لاتصح العبادة شرعاً إلا لله تعالى قال الله جل جلاله:(ومأأمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين..) الآية ٥ من سورة البينة. وقال عز وجل:(ومأأمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً) الآية ٣١ من سورة التوبة.

(٢) ثبتت هذه الكلمة في أ ولم تكتب في ب.

(٣) الآية ٦٤ من سورة الزمر.

(قل أغير الله أبغي رباً)[1] والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة. أو للتعظيم والاهتمام بشأن المعبود سبحانه وتعالى [2]. وكرر الضمير للتنصيص؛ على أنه المستعان به لاغيره. وقدمت العبادة على الاستعانة؛ لأن الاستعانة طلب الحاجة، والعبادة وسيلة إليها، فقدمت الوسيلة على طلب الحاجة كما هو مجرى العادة لتستحق الإجابة. هامش[فإن قلت: مامعنى النون في قوله تعالى:(إياك نعبد وإياك نستعين) فإن كانت للجمع فالداعي واحد، وإن كانت للتعظيم فلا تناسب هذا المقام، فقد أجيب بأن المراد من ذلك الإخبار، من جنس العباد، والمصلي فرد منهم، ولاسيما إذا كان في جماعة، أو إمامهم، فأخبر عن نفسه وعن إخوته المؤمنين بالعبادة التي خلقوا لها[3].ومنهم من قال: يجوز أن تكون للتعظيم، كأن العبد قيل له: إذا كنت في عبادة فأنت شريف، وجاهك عريض فقل: إياك نعبد وإياك نستعين وإذا كنت خارج العبادة فلا تقل: نحن ولافعلنا ولو كنت في مائة ألف أو ألف ألف لافتقار العبادإلى الله عز وجل.ومنهم من قال:- إياك نعبد ألطف في التواضع من إياك أعبد، في الثاني من تعظيم نفسه من جعل نفسه وحده أهلاً لعبادة الله تعالى، التي لايستطيع أحد أن يعبده حق عبادته، ولايثني عليه كما يليق به العبادة مقام[شريف][4] عظيم يشرف به العبد لانتاسبه إلى جناب الله تعالى وقد سمى الله نبيه صلى الله عليه

---

(١) الآية ١٦٤ من سورة الأنعام.

(٢) كان الأولى بالمؤلف رحمه الله تعالى أن يقول والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة وللتعظيم والاهتمام بشأن المعبود بواو العطف لا بأو إذ أن تقديم كلمة إياك على نعبد ونستعين تدل على اختصاص الله سبحانه بالعبادة وطلب المعونة ولاشك أن في هذا اهتماماً بشأن المعبود وتعظيماً له. قال أبو جعفر: وتأويل قوله«إياك نعبد»: لك اللهم نخشع ونذل ونستكين، إقراراً لك ياربنا بالربوبية لالغيرك -أهـ تفسير الطبري (١/١٦٠).

(٣) حاشية الشيخ زادة في صلاة الجماعة (١/٤٣).

(٤) في النسخة ب [تشريف].

وآله وسلم بعبده في أشرف مقاماته فقال:(الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب)[1] (وأنه لما قام عبدالله يدعوه)[2]. (سبحان الذي أسرى بعبده)[3] فسماه عند إنزاله عليه وقيامه في الدعوة وأسوته به.وقد روى ابن جرير[4] وابن أبي حاتم[5] عن ابن عباس في قوله:(إياك نعبد) قال: يعني إياك نوحد، ونخاف[6] ياربنا لاغيرك (وإياك نستعين) على طاعتك وعلى أمورنا كلها. وحكى ابن كثير عن قتادة[7] أنه قال في(إياك نعبد وإياك نستعين) يأمركم أن تخلصوا له العبادة، وأن تستعينوه على أموركم[8]، وروى أبو القاسم البغوي[9] والماوردي[10] معاً في معرفة الصحابة والطبراني في الأوسط[11] وأبو نعيم في الدلائل [12]:

(١) الآية ١ من سورة الكهف.

(٢) الآية ١٩ من سورة الجن.

(٣) الآية ١ من سورة الإسراء.

(٤) تفسير الطبري رواه في موضعين (١/١٦٠) و(١/١٦١-١٦٢).

(٥) تفسير ابن أبي حاتم في جزأين (١/١٩/رقم٢٧) بنحوه و(١/٢٠/ رقم٣٠).

(٦) زاد في رواية ابن جرير وابن أبي حاتم ونرجو.

(٧) قتادة بن دعامة السدوسي. حافظ ثقة ثبت، لكنه مدلس؛ ورمي بالقدر؛ قال يحيى بن معين؛ ومع هذا فاحتج به أصحاب الصحاح، لاسيما إذا قال حدثنا، مات كهلاً -أهـ ميزان الاعتدال(٣/٣٨٥/٦٨٦٤) قال عنه الدكتور محمد حسين الذهبي كان قوي الحافظة، واسع الاطلاع في الشعر العربي، بصيراً بأيام العرب، عليماً بأنسابهم، متضلعاً في اللغة العربية، ومن هنا جاءت شهرته في التفسير توفي رحمه الله سنة ١١٧هـ وعمره٥٦ سنة على المشهور-أهـ من التفسير والمفسرون (١/١٢٥-١٢٦) ـ .

(٨) تفسير ابن كثير (١/٢٨).

(٩) (١٠) الدر المنثور (١/٣٨).

(١١) مجمع البحرين في زوائد المعجمين (٥/٦٩) وجاء الحديث في مجمع الزوائد للهيثمي(٥/٣٢٨) وقال عن الحديث؛ رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبدالسلام بن هاشم-وهو ضعيف.

(١٢) الدر المنثور (١/٣٨).

عن أنس بن مالك عن أبي طلحة قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزاة فلقي العدو فسمعته يقول: «يامالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين» قال: فلقد رأيت الرجال تصرع فقال: فتضربها الملائكة من بين يديها ومن خلفها صح أصل وبعده]

قوله تعالى

## (٥) ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾

هامش[وروى الحاكم وصححه[١] وتعقبه الذهبي[٢] عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ(اهدنا الصراط المستقيم) بالصاد [٣] . وروى سعيد بن

---

(١) في مستدركه (٢/٢٣٢) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) الذهبي هو الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، كان مولده في سنة ٦٧٣هـ في غوطة دمشق، وطلب الحديث وله ١٨ سنة، فسمع في دمشق من ابن عساكر وغيره،ورحل طلباً للعلم إلى مصر ومكة وبعلبك من لبنان وحلب في سورية ونابلس من فلسطين. وأقام بدمشق يُرحل إليه من سائر البلاد وله كتب كثيرة من أهمها: ١- تاريخ الإسلام الكبير في واحد وعشرين مجلداً ٢- تذهيب التهذيب. ٣-ميزان الاعتدال في نقد الرجال.٤- سير أعلام النبلاء. ٥- المقتنى في المغني في الضعفاء.

قال السيوطي عنه في تذكرة الحفاظ:«والذي أقوله: إن المحدثين عيال الآن في الرجال وغيرها من فنون الحديث على أربعة: المزي، والذهبي، والعراقي، وابن حجر» -أهـ في مقدمة علي محمد البجاوي على كتاب ميزان الاعتدال المجلد الأول -ط دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي وشركاه مصر ١٣٨٢هـ ١٩٦٣م-.

(٣) لكن الذهبي تعقب الحاكم في سند الحديث في أحد أفراد السند بل وفي الحديث فقال:لم يصح وإبراهيم بن سليمان متكلم فيه. -أهـ في تعليق الذهبي على الحديث في المستدرك (٢/٢٣٢)،لكن أكثر القراء في القراءات العشر المتواترة ورواتهم على أن القراءة بالصاد«الصراط» ومن هؤلاء القراء عاصم براوييه حفص وشعبة، وأكتفي بذكر سند قراءة عاصم لأُدَلِّلَ على أن القراءة بالصاد صحيحة قال الحافظ أبو بكر احمد بن الحسين بن مهران النيسابوري المتوفي سنة ٣٨١هـ قال:«وقال عاصم : قرأت على أبي عبدالرحمن السلمي وقرأ أبو عبدالرحمن على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال عاصم: وكنت أرجع من عند أبي عبدالرحمن فأعرض على زر بن حبيش وكان زر قد قرأ على عبدالله بن مسعود، قال أبو بكر:قلت لعاصم استوثقت أخذت القراءة من وجهين قال أجل». -أهـ من الغاية في القراءات العشر (صفحة ٤٧) لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري المتوفى سنة ٣٨١هـ -ط شركة العبيكان-الرياض- وإليك تحقيق سند قراءة عاصم.

منصور[١] وعبد بن حميد[٢] والبخاري في تاريخه[٣] عن ابن عباس، أنه قرأ السراط بالسين وروى ابن الانباري[٤] عن ابن كثير أنه كان يقرأ السراط بالسين[٥]، وروي أيضاً عن حمزة

---

أولاً :- أما عاصم فهو عاصم بن بهدلة وهو ابن أبو النّجود بنون وجيم الاسدي مولاهم الكوفي أبو بكر المقريء صدوق له أوهام حجة في القراءة وحديثه في الصحيحين مقرون وهو عند أصحاب الكتب الستة -أهـ من كتاب تقريب التهذيب (٢٨٥/رقم ٣٠٥٤).

ثانياً :- أبو عبدالرحمن السلمي هو عبدالله بن حبيب بن ربيعة بفتح الموحدة تشديد الياء الكوفي المقريء مشهور بكنيته وأبيه صحبة، ثقة، ثبت من الطبقة الثانية، وهو عند أصحاب الكتب الستة. أ.هـ من تقريب التهذيب (ص٢٩٩).

ثالثاً : زر بكسر أوله وتشديد الراء بن حبيش بن حباشه الاسدي الكوفي أبو مريم ثقة جليل مخضرم مات سنةاثنتين وثمانين ٨٢هـ تقريباً وهو ابن مائة وسبع وعشرين وهو عند أصحاب الكتب الستة -أهـ من تقريب التهذيب(صفحة ٢١٥/٢٠٠٨).

ولو ذهبت أسرد سند كل قراءة لعلمنا أن القراءات العشر المتواترة كلها صحيحة ومثل هذا الحديث الذي عرضه الحاكم وعقب عليه الذهبي يتقوى ولايبقى ضعيفاً من حيث المتن لان أكثر القراءات العشر المتواترة إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هي بالصاد«الصراط».

(١) في سننه (٥٣٢/١/رقم ١٧٥).

(٢) الدر المنثور (٣٨/١).

(٣) التاريخ الكبير (٢٠٩٩/١٧٣/٢) طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

(٤) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن، العلامة أبو بكر الانباري المقرئ النحوي البغدادي، صاحب التصانيف. ولد سنة إحدى وسبعين ومائتين، وروى القراءة عن أبيه، وإسماعيل القاضي، وسليمان بن يحيى الضبي وغيرهما وروى عنه خلق كثير. وكان ثقة صدوقاً. وكان زاهد متواضعاً يقبل النصيحة في العلم ويتراجع عن الخطأ إلى الصواب أمام مستمعيه بدرسه. وله كتاب«الاضداد» وكتاب«الجاهليات» وكتاب«المذكر والمؤنث» وغير ذلك توفي سنة ٣٢٨هـ ببغداد -أهـ من كتاب معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار (٢٨٠/١) تأليف الإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي-ط مؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م-.

(٥) فتح القدير للشوكاني (٢٣/١).

أنه كان يقرأ الزراط بالزاي قال الفراء وهي لغة لعذرة ولكلب وبني العمين[1] وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس، أنه قال: اهدنا الصراط المستقيم يقول: الهمنا دينك الحق[2]. وروى وكيع[3][4] وعبد بن حميد[5] وابن جرير[6] وابن المنذر[7] والحاكم وصححه[8] عن جابر بن عبدالله أنه قال: هو دين الإسلام[9]. وروى ابن جرير نحوه عن ابن عباس[10]. وروى ابن جرير أيضاً عن ابن مسعود وناس من الصحابة[11] نحوه وروى وكيع[12] وعبد بن حميد[13] وابن المنذر[14] والحاكم وصححه[15] والبيهقي في الشعب[16] عن ابن مسعود أنه قال: هو كتاب الله. وروى ابن أبي حاتم نحوه عن علي كرم الله وجهه مرفوعاً [17] . وروى عبد بن

---

(١) فتح القدير (٢٣/١).

(٢) جاء في تفسير ابن أبي حاتم بزيادة وهو لا اله إلا الله(٢٢/١/رقم٣٦).

(٣) وهو وكيع بن الجراح بن مليح الرآسي أبو سفيان الكوفي الحافظ أحد الائمة الاعلام مات سنة١٩٦هـ -أهـ خلاصة تذهيب التهذيب (٧٧٩٦/١٢٨/٣) ط مكتبة القاهرة-.

(٤) (٥) الدر المنثور (٣٨/١).

(٦) تفسير الطبري (١٧٣/١) بنحوه.

(٧) الدر المنثور (٣٨/١).

(٨) في مستدركه (٢٥٩/٢) وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٩) لكن الذي جاء في الكل تقريباً بلفظ«هو الإسلام وهو أوسع مابين السماء والارض» أضاف بعضهم واو قبل هو الاولى وحذف بعضهم الواو قبل هو الثانية.

(١٠) روى نحوه ابن جرير الطبري.. عن ابن عباس بلفظ«هو الإسلام». تفسير الطبري(١٧٥/١).

(١١) تفسير الطبري (١٧٥/١) بلفظ:«هو الإسلام».

(١٢) (١٣) (١٤) الدر المنثور (٣٩/١).

(١٥) في مستدركه (٢٥٨/٢) وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(١٦) الدر المنثور (٣٩/١).

(١٧) ضعيف جداً لان في سنده ابن أخي الحارث مجهول وعمه الحارث ضعيف وكذلك سعد الطائي مجهول-أهـ التعليق على تفسير ابن أبي حاتم (٣٢/٢٠/١) -أهـ من تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم -ط مكتبة الدار بالمدينة المنورة الطبعة الاولى ١٤٠٨هـ-.

حميد[1] وابن جرير[2] وابن المنذر[3] وابن أبي حاتم[4] عن أبي العالية قال: هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم». صح أصل.].

(اهدنا الصراط المستقيم) بيان للمعونة المطلوبة، فكأنه قال: كيف أعينكم؟ فقالوا: اهدنا أي: أرشدنا. وقال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه وأبي بن كعب ثبتنا[5]،والهداية دلالة بلطف، ولذلك تستعمل في الخير. وقوله تعالى:(فاهدوهم إلى صراط الجحيم)[6] على التهكم[7] والفعل هدى وأصله أن يتعدى باللام أو بإلى، كقوله تعالى:(إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) [8] (وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم)[9] [فعومل معاملة][10] اختار في

(١) الدر المنثور (٤١/١-٤٢) بزيادة:(وصاحباه من بعده).

(٢) تفسير الطبري (١٧٥/١) بلفظ:«هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصاحباه من بعده أبو بكر وعمر».

(٣) الدر المنثور (٤١/١-٤٢) بزيادة «وصاحباه من بعده».

(٤) تفسير ابن أبي حاتم ( ٢٢/١/رقم٣٤) وقال: هو النبي صلى الله عليه وسلم وصاحباه من بعده-أهـ.

(٥) تفسير البغوي (٢٩/١) ط دار المعرفة.

(٦) الآية ٢٣ من سورة الصافات.

(٧) قال البيضاوي في تفسيره:«فاهدوهم» دلوهم. عن الأصمعي هديته في الدين هُدىً وفي الطريق هداية -أهـ تفسير البيضاوي(٢٣٠/٥)ـطبعة دار الدعوة استانبول تركية١٤٠٤هـ ١٩٨٤م وهذه الطبعة فيها أربع تفاسيرـ قال القرطبي رحمه الله تعالى:«فاهدوهم إلى صراط الجحيم» أي سوقوهم إلى النار، وقيل:«فاهدوهم» أي دلوهم. يقال هديته إلى الطريق وهديته الطريق؛ أي دللته عليه -أهـ (٧٣/١٥) لكل ذلك فلاينبغي للكوكباني رحمه الله تعالى أن يقول في تفسير آية«فاهدوهم إلى صراط الجحيم» على التهكم لأن اللغة لاتساعد على ذلك.

(٨) الآية ٩ من سورة الإسراء.

(٩) الآية ٥٢ من سورة الشورى.

(١٠) في النسخة أ [فعومل معاملة] وفي النسخة ب[فهو من متأمله] والصحيح ماجاء في أ لموافقته لمجرى الكلام.

قوله:(واختار موسى قومه)[1]. وهداية الله تتنوع أنواعاً لايحصيها عد، لكنها تنحصر في أجناس مترتبة؛ الأول إفاضة القوى التي بها يتمكن المؤمن الاهتداء إلى مصالحه كالقوى العقلية والحواس الباطنة، والمشاعر الظاهرة. والثاني: نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد وإليه أشار حيث قال تعالى:(وهديناه النجدين)[2] وقال عز من قائل:(فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى)[3] والثالث الهداية بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وإياه عنى بقوله عز من قائل:(وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا)[4] وقوله:(إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)[5] والرابع أن يكشف عن قلوبهم السرائر ويريهم الأشياء كما هي بالوحي أو بالإلهام أو بالمنامات الصادقة، وهذا القسم يختص بنيله الأنبياء عليهم السلام والأولياء، وإياه عنى بقوله تعالى:(أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده) [6] وقوله تعالى: (والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا) [7] فإن قلت: مامعنى طلب الهداية وهم مهتدون [8] ؟ قلت: معناه طلب زيادة الهدى كقوله تعالى:(والذين اهتدو زادهم هدى)[9] لأن الألطاف والهدايات من الله تعالى لاتتناهى [10] ، أو الثبات

---

(١) الآية ١٥٥ من سورة الأعراف.

(٢) الآية ١٠ من سورة البلد.

(٣) الآية ١٧ من سورة فصلت.

(٤) الآية ٧٣ من سورة الأنبياء.

(٥) الآية ٩ من سورة الإسراء.

(٦) الآية ٩٠ من سورة الأنعام .

(٧) الآية ٨٩ من سورة العنكبوت.

(٨) يقصد المؤلف رحمه الله تعالى في قول المؤمنين الذين يقرؤون الفاتحة(اهدنا الصراط المستقيم).

(٩) الآية ١٧ من سورة محمد .

(١٠) قال البغوي بعد أن ذكر مامضى قال: على مذهب أهل السنة -أهـ(٢٩/١).

عـلـيـــه[1] وصـيـغـة الأمـر والـدعـاء يشـاركـان لفظاً ومـعنى[ويتـفـارقـان][2] بالاسـتـعـلاء والتسفل[3] والصراط الطريق، وأصل السين من سرط الطعام إذا ابتلعه ولذلك يسمى الطريق لقما[4] والصـراط المسـتقيم قال ابن عـباس[5] وجابر[6] وهـو الإسـلام وهـو قـول مقاتل[7] وقال ابن مسعود: هو القرآن [8] ورُوِيَ عن أمير المؤمنين علي مرفوعاً على الصراط

(١) يقصد «اهدنا الصراط» أي ثبتنا عليه.

(٢) في ب[يتشاركان].

(٣) الاستعلاء اتجاه بالدعاء من العبد إلى الله العلي القدير والتسفل هو توجه الله العلي بالأمر لعبده وكان الأولى تجنب كلمة التسفل في الأمر الإلهي أدباً من الله تعالى.

(٤) قال البيضاوي.. لأنه يلتقمهم -أهـ تفسير البيضاوي (٤٦/١)-ط المطبعة العثمانية -استانبول- تركية ١٩٨١م ــ.

(٥) روى ابن جرير الطبري بسنده إلى ابن عباس في قوله:«اهدنا الصراط المستقيم» قال: ذلك الإسلام-تفسير الطبري(١٧٤/١) قال أحمد شاكر في تعليقه الخبر إسناده ضعيف جداً ومما قال وأما علة الإسناد فـهـو«الفرات بن السائب الجزري» وهـو ضـعـيـف جـداً، قـال البـخـاري في الكبير(١٣٠/١/٤) :«تركوه، منكر الحديث» وقال ابن حبان«لايجوز الاحتجاج به ولا الرواية عنه». وهذا الخبر نقله السيوطي منسوباً لابن جرير فقط على خطأ مطبعي فيه«ابن جريج».

(٦) أخرج وكيع وعبد بن حميد وابن المنذر والحمـاملي في أماليه من نسـخـة المصـحف والحاكم وصححه عن جابر بن عبدالله في قوله«اهدنا الصراط المستقيم» قال: هو الإسلام، وهو أوسع مما بين السماء والأرض -أهـ الدر المنثور(٣٨/١) وقد رواه ابن جرير الطبري بسنده إلى جابر بنحوه وعلق عليه أحمد محمد شاكر بقوله وهذا موقوف على جابر بن عبدالله وإسناده صحيح. والحاكم رواه في تفسير سورة الفاتحة(٢٨٤/١) وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٧) تفسير البغوي (٢٩/١) -طبعة دار المعرفة-.

(٨) عن عبدالله في قوله عز وجل«الصراط المستقيم» قال: هو كتاب الله.رواه الحاكم وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه(٢٨٤/٢)-طبعة دار الكتب العربية ١٤١١هـ-١٩٩٠م-.

ورواه ابن جرير الطبري بنحوه وقال أحمد شاكر في تعليقه عليه وهو إسناد صحيح -أهـ باختصار. تفسير الطبري(١٧٣/١).

المستقيم: كتاب الله تعالى[1]. وقرأ ابن كثير برواية قنبل[2] (وورش)[3] عن يعقوب[4] بالسين

(١) مَرّ تحقيق الحديث.

(٢) وقنبل هو محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن خالد بن سعيد المكي المخزومي، ويكنى أبا عمرو ويلقب قنبلاً ويقال هم أهل بيت مكة يعرفون بالقنابلة، وتوفي بمكة سنة ٢٩١هـ وقد روى البزي وقنبل القراءة عن ابن كثير بإسناد -أهـ من البدور الزاهرة(صفحة٨)-.

وهذه الرواية من قنبل عن ابن كثير بالسين«السراط» - جاءت في البدور الزاهرة (صفحة١٥).

(٣) جاء في النسخة أ و ب [وورش] والصحيح (ورويس) لأن رويس روى عن يعقوب أما ورش فقد روى عن نافع-أهـ من البدور الزاهرة (صفحة ٨ ، ٩)-.

وأما رويس فهو أبو عبدالله محمد بن المتوكل اللؤلئي البصري، ورويس لقب له، وتوفي بالبصرة سنة٢٣٨هـ -أهـ من البدور الزاهرة صفحة (٩)-.

وهذه القراءة بالسين ذكرها عن رويس تفسير البيضاوي(٤٧/١) -طبعة استانبول- والبدور الزاهرة(صفحة ١٥).

(٤) هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي بالولاء. البصري المقرئ المشهور، وهو أحد القراء العشرة وله في القراءات رواية مشهورة منقولة عنه، وهو من أهل بيت العلم بالقراءات والعربية وكلام العرب والرواية الكثيرة للحروف والفقه وله إسناد في قراءته إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال عبدالرحمن بن أبي حاتم: سئل أحمد بن حنبل رضي الله عنه عن يعقوب الحضرمي فقال: صدوق وسئل أبو حاتم الرازي عنه فقال: صدوق.

وله كتاب سماه الجامع جمع فيه عامة اختلاف وجوه القراءات. وروى القراءة عن يعقوب عرضاً جماعة منهم روح ومنهم محمد بن المتوكل -رويس- توفي سنة ٢٠٥ -أهـ من وفيات الأعيان(٣٩٠/٦-٣٩١) ومن غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣هـ - دار الكتب العلمية الطبعة الثالثة ١٩٨٢هـ. (٣٨٦/٢/رقم٣٨٩١).

على الأصل. وقرأ حمزة بإشمام الصاد زاياً[1] وقرأ الباقون بالصاد الخالصة بدلاً من السين[2]، وهي الفصحى[3] والثابتة في الإمام[4]، ويجمع صراط على صرط ككتاب على كتب

**(٦)﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾** أي مننت عليهم بالهداية والتوفيق، قال عكرمة[5]:

---

(١) البدور الزاهرة (صفحة ١٥) والقراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة (صفحة-١-) والغاية في القراءات العشر (صفحة ٧٥) تأليف الحافظ أبو بكر:- أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري المتوفى سنة ٣٨١هـ تحقيق محمد غياث جنباز ط شركة العبيكان للطباعة والنشر -الرياض-

وقال المحقق: على الكتاب غياث جنباز المراد بالإشمام ههنا: خلط صوت الصاد بصوت الزاي فيمتزجان فيتولد منهما حرف ليس بصاد ولازاي -أهـ باختصار.

(٢) البدور الزاهرة (صفحة ١٥) القراءات العشر المتواترة (صفحة-١-).

(٣) قال ابن زنجله:«قرأ ابن كثير في رواية القواس بالسين وحجته هي أن السين الأصل، وروي أن ابن عباس كان يقرؤها بالسين وقرأ حمزة بإشمام الزاي وهي لغة للعرب.

وقرأ الباقون بالصاد وحجتهم أنها كتبت في جميع المصاحف بالصاد. قال الكسائي(هما لغتان) -أهـ باختصار من كتاب حجة القراءات لأبي زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة(صفحة ٨٠) - ط مؤسسة الرسالة-. قال أستاذي النحوي المعلق سعيد الأفغاني عن قراءة حمزة بإشمام الزاي وهي لغة قيس -أهـ- من هنا نلاحظ أن كل القراءات المتواترة فصحى ومن كلام العرب ولها حجتها.

(٤) يقصد أنها في مصحف الإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه كما مر في التعليق السابق أنها كتبت في جميع المصاحف بالصاد يعني مصاحف عثمان التي أرسلها إلى الأمصار.

(٥) هو عكرمة مولى ابن عباس، أحد أوْعية العلم. تكلم فيه لرأيه لاحفظه،فاتهم برأي الخوارج.

وقد وثقه جماعة، واعتمده البخاري أما مسلم فتجنبه، وروى له قليلاً مقروناً بغيره، وأعرض عنه مالك وتحايده إلا في حديث أو حديثين وعن شهر بن حوشب قال: عكرمة حَبْر هذه الأمة.

وقال مصعب الزبيري: كان عكرمة يرى رأي الخوارج. وقال: وادعى على ابن عباس أنه كان يرى رأي الخوارج.

وقال مصعب الزبيري: كان عكرمة يرى رأي الخوارج، فطلبه متولي المدينة، فتغيب عند داود بن

منت عليهم بالتمسك بالإيمان والاستقامة[1]، وقيل هم كل من ثبته الله تعالى على الإيمان من النبيين والمؤمنين الذين ذكرهم الله تعالى في قوله:(فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين)[2] الآية[3]. وقال ابن عباس: هم قوم موسى وعيسى عليهما السلام قبل أن يغيروا دينهم[4] وقيل هم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه[5]. وقال أبو العالية: هم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر وعمر[6]. وقال

الحصين حتى مات عنده سنة ١٠٦ هـ تقريباً . ولم يخرج في جنازته إلا القليل من الناس -أهـ من ميزان الاعتدال (٣/٩٣-٩٧).وقد ذهب الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون إلى توثيقه وقال: وأما مارمي به من الميل للخوارج، فافتراء عليه، ولايكاد يتفق مع سلوكه في حياته، قال ابن حجر:«فأما البدعة، فإن ثبتت عليه فلاتضر حديثه ، لأنه لم يكن داعية مع أنها لم تثبت عليه» -أهـ من كتاب التفسير والمفسرون (١/١١٠).

(١) تفسير البغوي (١/٢٩).

(٢) الآية ٩٦ من سورة النساء.

(٣) القول في تفسير البغوي (١/٢٩) وبمثله قال ابن جرير الطبري (١/١٧٧) ويكون هذا من باب تفسير القرآن بالقرآن وهو أقوى استدلالاً.

(٤) تفسير البغوي (١/٢٩).

(٥) أورد هذا القول ابن جرير الطبري في تفسيره عن عبدالرحمن بن زيد(١/١٧٩) قال عنه أحمد شاكر:«هو من أتباع التابعين مات سنة ١٨٢هـ وهو ضعيف جداً ويكفي فيه قول ابن خزيمة:ليس هو ممن يحتج أهل العلم بحديثه لسوء حفظه، وهو رجل صناعته العبادة والتقشف، وليس من أحلاس الحديث» -أهـ باختصار من تعليقه على تفسير الطبري (١/١٧٦).

(٦) هذا القول ورد في تفسير ابن عطية (١/١٢٦) أما ماجاء في تفسير البغوي:«وقال أبو العالية والحسن: رسول الله وآله وصاحباه»(١/٢٩) وصحيح هذا إن استقام كل امرء من آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم على كتاب الله وسنته ولاشك أن ممن استقام علي والحسن والحسين رضوان الله عليهم أجمعين وجمعنا الله بهم في جنان النعيم اللهم آمين. قال هذا البغوي في تفسير(اهدنا الصراط المستقيم) وأما في تفسير (صراط الذين أنعمت عليهم) فقد جاء فيه(قال أبو العالية هم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما»(١/٢٩).

شهر بن حوشب[1]: هم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم[2].

والإنعام إيصال النعمة إلى المنعم عليه وهي في الأصل[الحالة][3] التي يستلذ ها الإنسان فأطلقت لما يستلذه من النعمة وهي اللين والنعيم الخفض والدعة وهو لين العيش ورفاهيته. ونِعَمُ الله تعالى وإن كانت لاتحصى كما قال تعالى:(وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها)[4] تنحصر في[جنسين]: دنيوي وأخروي فالدنيوي يشترك فيه المؤمنون والكفار ولذلك قال تعالى:(يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها)[6] والأخروي يتفرد به المؤمنون.

(١) شهر بن حوشب الأشعري عن أم سلمة وأبي هريرة وجماعة وعنه داود بن هند وعبدالحميد بن بهرام، وجماعة قال النسائي وابن عدي: ليس بالقوي. قال أبو عيسى الترمذي: قال محمد -هو البخاري-: شهر حسن الحديث وقوّى أمره. توفي سنة١٠٠هـ وقيل ١١١هـ -أهـ من ميزان الاعتدال(٢/٢٨٣-٢٨٥) قال صاحب التقريب«صدوق كثير الإرسال والأوهام وهو عند البخاري في الأدب المفرد وفي مسلم وأصحاب السنن الأربعة» (صفحة ٢٨٣/٢٦٩).

(٢) جاء في تفسير البغوي وقال شهر بن حوشب:«هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته» (٢٩/١).

وأخيراً لابد لنا من ترجيح أحد هذه الأقوال وإن كانت يوضح بعضها بعضاً ولكن القول الأعم الأشمل هو: أنهم الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين الشهداء والصالحين فهو يشمل كل الأقوال وبنفس الوقت هو من باب تفسير القرآن بالقرآن نفسه فههنا قول الله تعالى:(صراط الذين أنعمت عليهم) وفي سورة النساء قول الله تعالى:(ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً) الآية ٦٩.

قال ابن كثير رحمه الله في مقدمة تفسيره:«فإن قال قائل فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: أن أصح الطريق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر» -أهـ (٤/١).

(٣) ليست هذه الكلمة موجودة في النسخة ب.

(٤) الآية ٣٤ من سورة إبراهيم.

(٥) في النسخة ب[فئتين] ومافي أ موافق لما في عبارة تفسير البيضاوي(٤٩/١).

(٦) الآية ٨٣ من سورة النمل وتمام الآية (وأكثرهم الكافرون).

وصراط منصوب بدل من الصراط المستقيم بدل الكل من الكل، وهو في حكم تكرير العامل؛ كأنه قيل: اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم، من حيث إنه المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص على أن طريق المسلمين هو المشهود[عليه][1] بالاستقامة على أكد وجه وأبلغه. والذين في موضع خفض بإضافة صراط إليه. وأنعمت جملة فعلية صلة الذين لامحل لها من الإعراب، والتاء فاعل أنعم وهي كناية عن اسم الله تعالى، وكل تاء خاطبت بها مفرداً غير مؤنث فهي مفتوحة، وعلى حرف جر وهم ضمير [جمع][2] غائب مذكر عاقل ويكون في موضع رفع كقوله تعالى:(فإذا هم قيام)[3] وفي موضع نصب نحو أكرمتهم، وفي موضع[جر][4] كما في أنعمت عليهم وفيه مع على عشر لغات وكلها قرئ بها فمع ضم الهاء خمس[الأول][5] سكون الميم[6] وقرأ بها حمزة[7]. والثانية ضمها بواو بعدها[8] وقرأ بها الأعرج[9][10] الثالثة ضمها[بلا واو][11] وتنسب إلى

---

(١) ليست هذه الكلمة موجودة في النسخة ب.

(٢) في النسخة ب[جر] .

(٣) الآية ٦٨ من سورة الزمر.

(٤) ليست هذه الكلمة موجودة في ب ولايصح الكلام بدونها إعراباً.

(٥) في ب[إلا وله] ولايستقيم المعنى للعبارات اللاحقة إلا مع مافي النسخة أ فهو الصواب.

(٦) أي (عليهمْ).

(٧) القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة (صفحة ١) حجة القراءات لابن زنجلة(صفحة ٨٠) وتفسير ابن عطية (١٢٦/١) والبحر المحيط (٢٦/١).

(٨) أي «عليهمو» .

(٩) الذي في تفسير ابن عطية وقرأ الأعرج (عليهمُ) بكسر الهاء وضم الميم من غير إشباع.

(١٠) هو عبدالرحمن بن هرمز، أبو داود من موالي بني هاشم، عرف بالأعرج: حافظ قارئ من أهل المدينة أدرك أبا هريرة وأخذ عنه، بل أخذ القراءة عرضاً عليه كما أخذ عن عبدالله بن عباس وهو أول من برز في القرآن والسنن وكان خبيراً بأنساب العرب، وافر العلم ثقة رابط بثغر الاسكندرية مدة، ومات بها. وفي اسم أبيه خلاف توفي سنة ١١٧هـ-٧٣٥م الأعلام (٣٤٠/٣) وغاية النهاية في طبقات القراء (٣٨١/١/رقم١٦٢٢).

(١١) في ب [بالواو] . وإذا قلنا بما في النسخة ب كان تكراراً لما قبلهاوعلى النسخة أ يكون(عليهُمُ) القراءة.

[ابن هرمز] [1] الرابعة والخامسة كسرها موصولة بياء و بغير ياء وقرئ بهما. ومع كسرها [2] خمس لغات الأولى: سكون الميم [3] وقرأ بها الجمهور [4]. الثانية : كسرها يعني الميم موصولة بياء [5] وقرأ بها الحسن [6]. الثالثة : كسرها بلا ياء وقرأ بها ابن فايد:[7]، الرابعة: ضمها موصولة بواو وقرأ بها ابن كثير [8] وقالون [9]. الخامسة : بلا واو وقرأ بها الأعرج [10] هامش [وروى وكيع [11] وسعيد بن منصور[12] وعبد بن

(١) في النسخة ب [أبي هريرة] والحق أنه ابن هرمز وهو عبدالله بن هرمز مكي. ضعفه ابن معين وقال أحمد صالح الحديث. وقال أبو حاتم: ليس بالقوي وضعفه النسائي -أهـ من ميزان الاعتدال(٢/٥٠٣/رقم٤٦٠٢) وقد عرف بابن هرمز لذلك وضعه الذهبي فيمن ذكر من عرف أبيه في ميزان الاعتدال(٤/٥٩٧).

(٢) أي مع كسر الهاء.

(٣) أي (عليهِمْ).

(٤) القراءات العشر المتواترة (صفحة ١).

(٥) أي (عليهمي).

(٦) فتح القدير (١/٢٥) تفسير ابن عطية (١/١٢٧) القراءات الشاذة (صفحة٢٤) ويعتبر عبدالفتاح القاضي قراءة الحسن البصري من القراءات الشاذة.

(٧) تفسير ابن عطية (١/١٢٧).

(٨) (٩) حجة القراءات لابن زنجله (صفحة ٨٠).

(١٠) وينبغي أن نقول أخيراً إن القراءات العشر ورواتهم هم المعتمدون للقراءات المتواترة إن صحت عنهم، وماسواهم إن خالفوا فقراءاتهم شاذة.

(١١) الدر المنثور (١/٤٠) وفتح القدير (١/٢٤).

(١٢) في سننه لكنه في قسمين من طريقين كما يلي: حدثنا سعيد، قال: حدثنا سفيان عن محمد بن عمرو بن علقمة عن يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب عن أبيه أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرأ:(صراط من أنعمت عليهم). أما القسم الآخر فقد جاء كمايلي: حدثنا سعيد، قال:حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان

حـمـيـد[1] وابن المنذر[2] عن عمر بن الخطاب، أنه كان يقرأ (صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين) وروى أبو عبيد[3] وعبد بن حميد[4] أن عبدالله بن الزبير قرأ كذلك. وروى ابن الأنباري عن الحسن أنه كان يقرأ عليهم بكسر الهاء والميم وإثبات الياء[5]. وروى ابن الأنباري عن الأعرج أنه كان يقرأ عليهمو بضم الهاء والميم مع إلحاق الواو[6]. وروي أيضاً عن ابن كثير أنه كان يقرأ عليهمو بكسر الهاء وضم الميم مع إلحاق واو[7]. وروى ابن جرير[8] وابن أبي حاتم[9] عن ابن عباس في قوله«صراط الذين أنعمت يقـرأ:(غـيـر المغـضـوب عليـهـم وغـيـر الضـالـين) - الرواية الأولى في سنن ابن منصور(٢/٥٣٢/رقم١٧٦) والثانية(٢/٥٣٤/رقم١٧٧) قال المحقق الدكتور سعد بن عبدالله آل حميد عن القسم الأول من الحديث صحيح لغيره وأما إسناد المصنف فحسن لذاته وذكر عن القسم الثاني أن سنده صحيح(٢/٥٣٤) -أهـ.

(١) (٢) الدر المنثور (١/٤٠).

(٣) الدر المنثور (١/٤١) وأبو عبيد هو سعد بن عبيد مولى عبدالرحمن بن أزهر أبو عبيد المدني روى عن عمر وعلي عنه الزهري وسعيد بن خالد قال ابن سعد ثقة مات سنة ٩٨هـ -أهـ من خلاصة تذهيب الكمال (١/٣٧٠).

(٤) (٥) الدر المنثور (١/٤١).

(٦) الدر المنثور (١/٤١).

(٧) الدر المنثور (١/٤١) وهذه القرءاة متواترة عن ابن كثير قال عبدالفتاح القاضي:«عليهم» قرأ ابن كثير وأبو جعفر وقالون بخلف عنه بضم ميم الجمع حالة الوصل مع وصلها بواو لفظاً -أهـ البدور الزاهرة (صفحة ١٦).

(٨) تفسير الطبري (١/١٧٨).

(٩) تفسير ابن أبي حاتم بنحوه في موضعين (١/٢٢/رقم٣٧) و(١/٢٢/رقم٣٨).

عليهم، يقول: طريق من أنعمت عليهم من الملائكة والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين الذي أطاعوك وعبدوك. وروى ابن جرير عنه أنهم المؤمنون[1] وروى عبد بن حميد[2] عن الربيع بن أنس[3] في قوله:(صراط الذين أنعمت عليهم) قال:النبيون «غير المغضوب عليهم» قال:اليهود «ولا الضالين» قال: النصارى[4] وروى عبد بن حميد عن مجاهد مثله[5]. وروى أيضاً عن سعيد بن جبير مثله[6]. صح أصل﴿غير المغضوب عليهم﴾ غير مفرد مذكر في جميع الأحوال وذكر الجوهري أنه يجمع على أغيار[7]. انتهى. ولايدخل عليه الألف

(١) تفسير الطبري (١/١٧٨).

(٢) الدر المنثور (١/٤١).

(٣) هو الربيع بن أنس البكري الحنفي، بصري، نزل خراسان، صدوق له أوهام ورمي بالتشيع، من الخامسة، مات سنة أربعين أو قبلها وهو عند أصحاب السنن الأربعة -أهـ تقريب التهذيب (صفحة٢٠٥-رقم ١٨٨٢).

(٤) الدر المنثور (١/٤١).

(٥) الدر المنثور (١/٤١).

(٦) الدر المنثور (١/٤١-٤٢).

(٧) لكن الجوهري لم يقل عن غير هذه جمعها«أغيار» فقد جاء في صحاح اللغة له :«قال أبو عبيدة: يقال: غارني الرجل يغيرني ويغورني، إذا وداك من الدية. والاسم الغيرة أيضاً بالكسر. وجمعها غِيرٌ قال الشاعر:

لنجدعن بأيدينا أنوفكم  بني أمية إن لم تقبلوا الغِيَرا

وقال بعضهم إنه واحد وجمعه أغيار والغير أيضاً: الاسم من قولك غيرت الشيء فتغير -أهـ صحاح اللغة(٢/٧٧٥-٧٧٦) مادة (غير). -ط دار العلم للملايين- لكن قال عبدالغفور عطار معلقاً في نفس الطبعة والصفحة هنا: في المختار ومنه غير الزمان -عن غير- وقال الأزهري : قال الكسائي: اسم مفرد مذكر، وجمعه أغيار -أهـ قال ابن المنظور فيها والجمع أغيار -أهـ مادة غير(٥/٣٨)- ط دار صادر.

واللام، ولايتعرف بالإضافة إلى المعرفة، ومذهب ابن السراج[1] أنه يتعرف إذا كان المغاير واحداً؛ نحو الحركة غير السكون. فغير السكون معرفة، لأنه هو الحركة. فكأنك كررت ذكر الحركة توكيداً [2] . وقرأ الجمهور غير بالجر[3]، في إعرابه قولان: الأول

---

(١) هو أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج؛ كان أحد الأئمة المشاهير، المجمع على فضله وجلالة قدره في النحو والآداب. وله التصانيف المشهورة في النحو: منها كتاب«الأصول» وكتاب«جمل الأصول» وكتاب«الاشتقاق» وكتاب«شرح كتاب سيبويه» وكتاب«احتجاج القرّاء» وكتاب«الشعر والشعراء» وغير ذلك. وكان يلثغ في الراء فيجعلها غيناً.

أخذ الأدب عن أبي العباس المبرد ونقل عنه الجوهري في كتاب«الصحاح» في مواضع عديدة.

توفي أبو بكر سنة ٣١٦هـ رحمه الله تعالى -أهـ من وفيات الأعيان (٤/٣٣٩-٣٤٠).

(٢) تفسير ابن عطية (١/١٢٨)

قال ابن عطية : قال أبو بكر بن السراج: والذي عندي أن غير في هذا الموضع مع ماأضيف إليه معرفة. وهذا شيء فيه نظر ولبس؛ فليفهم عني ماأقول: اعلم أن حكم كل مضاف إلى معرفة أن يكون معرفة؛ وإنما تنكرت غير ومثل مع إضافتهما إلى المعارف من أجل معناهما؛ وذلك إذا قلت: رأيت غيرك؛ فكل شيء سوى المخاطب فهو غيره، وكذلك إن قلت: رأيت مثلك؛ فما هو مثله لايحصى لكثرة وجوه المماثلة؛ فإنما صارا نكرتين من أجل المعنى؛ فأما إذا كان شيء معرفة له ضد واحد، وأردت إثابته ونفي ضده؛ علم ذلك السامع فوصفته بغير وأضفت غير إلى هذه؛ فهو معرفة وذلك نحو قولك: عليك بالحركة غير السكون؛ وكذلك قولك: غير المغضوب؛ لأن من أنعم عليه لايعاقبه إلا من غضب عليه ومن لم يغضب عليه فهو الذي أنعم عليه فمتى كانت غير على هذه الصفة، وقصد بها هذا القصد، فهي معرفة.

قال الفقيه القاضي أبو محمد عبدالحق بن عطية رضي الله عنه: أبقى أبو بكر(الذين) على حد التعريف وجوزنعتها بغير لما بينه من تعرف غير في هذا الموضع، وغير أبي بكر وقف مع تنكر غير وذهب إلى تقريب الذين من النكرة إذ هو اسم شائع لايختص به معين وعلى هذا جوز نعته بالنكرة» -أهـ تفسير ابن عطية (١/١٢٨-١٢٩).

(٣) وعلى هذا القراءات العشر المتواترة انظر كتاب القراءات العشر المتواترة (صفحة ١).

أنه بدل من الذين[1] على معنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال. الثاني: أنه نعت للذين[2] على معنى أنهم جمعوا بين النعمة المطلقة، وهي نعمة الإيمان، وبين السلامة من غضب الله والضلال[3]. فإن قلت كيف صح أن يقع غير نعت للمعرفة هو لايتعرف وإن أضيف إلى المعرفة؟ قلت: يخرج أيضاً على مذهب ابن السراج لأن غير المغضوب عليهم هم المنعم عليهم. فالمغاير واحد فيتعرف. وقيل: يتعرف غير ولكن[الذين][4] أريد به الجنس فأشبه المنكر فعومل معاملته فجاز وصفه بالنكرة كما جاز وصف المعرف بأل الجنسية بالجملة وهي نكرة، كقوله عز من قائل:(وآية لهم الليل نسلخ منه النهار)[5] ومنه قول الشاعر[6]:

ولقد أمر على اللئيم يسبني[7].

---

(١) (٢) إملاء مامن به الرحمن (صفحة ١٤).

(٣) وذكر العكبري وجهاً ثالثاً وهو بدل من الهاء والميم في عليهم -أهـ من إملاء مامن به الرحمن(صفحة١٤).

(٤) في النسخة ب [الذي] والصواب في النسخة أ.

(٥) آية ٣٧ من سورة يس.

(٦) وينسب لرجل سلولي من غير أن يعين أحد اسمه وقد رواه الأصمعي في الأصمعيات ثالث خمسة أبيات ونسبها لشمر بن عمرو الحنفي -أهـ منحة الجليل بشرح ابن عقيل.

(٧) البيت بتمامه هو :

ولقد أمر على اللئيم يسبني  فمضيت ثُمتَ قلت لايعنيني

قوله على اللئيم لم يرد الكل إذ لا مرور عليه ولافرد معين إذا لا دلالة عليه ولقصوره عن إفادة ماهو المقصود من وصفه بكمال الحلم وقوة الأناة ولا الحقيقة من حيث هي إذ لايناسبها المرور، بل هي باعتبار وجودها في ضمن فرد لابعينه أي على لئيم -أهـ من حاشية الجرجاني على الكشاف(١/٧٠). وجاء البيت في الأصمعيات لشمر(صفحة ١٢٦) قال أحمد شاكر وعبدالسلام هارون «ثمت» هي«ثم» العاطفة تريد العرب التاء في آخرها فتختص بعطف الجمل -أهـ الأصمعيات ط دار المعارف(٢/١٩٦) دار السعادة بمصر مع التعليق.

وقرأ ابن كثير: غير بالنصب[1] وفي إعرابه ثلاثة أقوال: أحدها للخليل على إضمار أعني[2] الثاني: على الحال وصاحب الحال الضمير في عليهم[3] والعامل أنعمت. والثالث: على الاستثناء المنقطع[4]؛ لأن ماقبله لم يتناوله.

---

(١) تفسير ابن عطية (١٢٨/١) ولم تأت هذه القراءة في القراءات العشر عن ابن كثير مع أن ابن كثير من القراء العشرة.راجع كتاب القراءات العشر(صفحة١) وكتاب الغاية في القراءات العشر(صفحة٧٨) تحقيق غياث جنباظ.

قال ابن جرير الطبري:(قد يجوز نصب«غير» في«غير المغضوب عليهم» وإن كنت للقراءة بها كارهاً لشذوذها عن قراءة القراء. وإن ماشذ من القراءات عما جاءت به الأمة نقلاً ظاهراً مستفيضاً، فرأي للحق مخالف، وعن سبيل الله وسبيل رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وسبيل المسلمين متجانف. وإن كان له لو كان جائزاً القراءة به في الصواب مخرجٌ -أهـ تفسير الطبري(١٨٢/١) قال ابن عطية والاختيار الذي لاخفاء به الكسر وقد روي عن ابن كثير فأولى القولين مالم يخرج عن إجماع قراء الأمصار. أهـ تفسير ابن عطية (١٢٨/١).

(٢) تفسير ابن عطية (١٢٨/١).

(٣) تفسير الطبري (١٨٣/١).

(٤) قال أبو زيد: من نصب قوله غير المغضوب عليهم فهو قطع -أهـ من لسان العرب مادة كلة غير طبعة دار صادر.وواضح أن الاستثناء منقطع لأن المغضوب عليهم ليسوا من جنس من أنعم الله عليهم والله أعلم. ومما قال ابن جرير الطبري في إعراب غير:«وقد كان بعض نحويي البصريين يزعم أن قراءة من نصب«غير» في«غير المغضوب عليهم» على وجه الاستثناء«غير المغضوب عليهم» من معاني صفة«الذين أنعمت عليهم» كأنه كان يرى أن معنى الذين قرؤوا ذلك نصباً:اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم، إلا المغضوب عليهم-الذين لم تنعم عليهم في أديانهم ولم تهدهم للحق -فلاتجعلنا منهم.

وأما نحويو الكوفة فأنكروا هذا التأويل واستخفوه. وزعموا أن ذلك لو كان كما قال الزاعم من أهل البصرة، لكان خطأ أن يقال«ولا الضالين» لأن«لا» نفي وجحد، ولايعطف بجحد إلا على جحد وقالوا: لم نجده في شيء من كلام العرب استثناء يعطف عليه بجحد، وإنما وجدناهم يعطفون على الاستثناء بالاستثناء وبالجحد على الجحد فيقولون في الاستثناء: قام القوم إلا أخاك وإلا أباك.

قاله الأخفش[1] والزجاج[2]. والمغضوب اسم مفعول جر بإضافة غير إليه، وقدر بعضهم[مضافاً] [3] محذوفاً أي غير صراط المغضوب [4]، وعليهم في موضع رفع، نائب مناب الفاعل، بخلاف الأول. فإن موضعه نصب على المفعولية[5] ومعنى غضب الله الانتقام من العصاة [6] وإنزال العقوبة بهم [7] نعوذ بالله من غضبه، ونسأله رضاه ورحمته

---

وفي الجحد: ماقام أخوك ولاأبوك. وأما: قام القوم إلا أباك ولا أخاك. فلم نجده في كلام العرب. قالوا: فلما كان ذلك معدوماً من كلام العرب، وكان القرآن بأفصح لسان العرب نزوله، علمنا إذ كان قوله«ولا الضالين» معطوفاً على قوله«غير المغضوب عليهم» أن غير بمعنى الجحد لابمعنى الاستثناء، وأن تأويل من وجهها إلى الاستثناء خطأ -أهـ من تفسير الطبري(١/١٨٣-١٨٤).

(١) انظر البحر المحيط (١/٢٩) .

(٢) قال الزجاج : «ويجوز نصب «غير» على ضربين: على الحال وعلى الاستثناء فكأنك قلت: إلا المغضوب عليهم، وحق(غير) من الإعراب في الاستثناء النصب إذا كان مابعد إلا منصوباً، فأما الحال فكأنك قلت فيها: صراط الذين أنعمت عليهم لامغضوباً عليهم» -أهـ من معاني القرآن للزجاج شرح وتحقيق الدكتور عبدالجليل عبده شلبي -ط دار الحديث ١٤١٤هـ-١٩٩٤م-.

(٣) في النسخة ب [إضافة].

(٤) تفسير الطبري (١/١٨٤)، تفسير البغوي(١/٣٠).

(٥) انظر تفسير البيضاوي وحاشية الشيخ زادة عليه (١/٥١) وقال الشيخ زادة رحمه الله ومن لطائف هذا التعبير أن العبد خاطب الله تعالى عند ذكر النعمة وصرح بإسناد النعمة إليه تقرباً منه بذكر نعمته، ولما صار إلى ذكر الغضب عدل إلى الغَيْبة ولم يصرح بإسناد الغضب إليه أدباً منه كأنه قال: أنت ولي الإنعام وهو الفائض من جنابك، وهؤلاء يستحقون أن يُغضب عليهم -أهـ من حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي(١/٥١).

(٦) إلى هذا ذهب الإمام الجرجاني في حاشيته على الكشاف في قول راجح بعد أن نقد الكشاف(١/٧٢) ويذكر الطبري هذا القول ويؤيده بما وصف الله به نفسه جل ذكره فقال سبحانه:(فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين) -٥٥ الزخرف- تفسير الطبري(١/١٨٨).

(٧) لايرى الإمام الجرجاني لقوله وإنزال العقوبة التي أوردها صاحب الكشاف لايرى في ذلك فائدة إذ ليس في الانتقام اشتباه ليعطف عليه مايفسره انظر حاشية الجرجاني على الكشاف(١/٧٢).

﴿**ولا الضالين**﴾ لامزيدة لتأكيد مافي غير من معنى النفي، فكأنه قال: لا المغضوب عليهم ولا الضالين وقرئ وغير الضالين[1]، [والضلال][2] العدول عن الطريق السوي. والمغضوب عليهم هم اليهود. لقوله تعالى:(من لعنة الله وغَضِبَ عليه)[3] فحكم عليهم بالغضب، والضالون النصارى لقوله تعالى:(قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً)[4] فحكم عليهم بالضلال. وعن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:«إن المغضوب عليهم هم اليهود، والضالين هم النصارى». رواه أحمد[5] والترمذي وحسنه[6] وابن حبان في صحيحه[7]. وعن أبي ذر قال:«سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن المغضوب عليهم؟ قال: اليهود. قلت: الضالّين؟ قال: النصارى» رواه ابن مردويه[8].

---

(١) تفسير البيضاوي (٥٣/١) وهذه قراءة شاذة غير متواترة في القراءات العشر راجع كتاب القراءات العشر (صفحة ١).

(٢) في النسخة ب [والضلالة].

(٣) الآية ٦٠ من سورة المائدة .

(٤) الآية ٧٧ من سورة المائدة .

(٥) الفتح الرباني (٦٨/١٧) بنحوه قال أحمد عبدالرحمن البنا رحمه الله تعالى قال هذا طرف من حديث طويل سيأتي بتمامه.. وهو حديث حسن» -أهـ من مختصر شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني قال كلاهما تأليف أفقر العباد وأحوجهم إلى الله أحمد عبدالرحمن البنا الشهير بالساعاتي- طبعة دار إحياء التراث العربي -بيروت لبنان- .

(٦) سنن الترمذي في تحفة الأحوذي (٢٣٣/٨) بنحوه في حديث طويل قال عنه الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٧) رواه ابن حبان في صحيحه في كتاب الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٨٤/١٦/رقم٧٢٠٦) تحقيق شعيب أرنؤوط. ط مؤسسة الرسالة ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

(٨) الدر المنثور (٤٢/١) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره مانصه: وقد روي حديث عدي هذا من طرق وله ألفاظ كثيرة يطول ذكرها. (٣٢/١) مما تقدم نعلم أن هذا الحديث قد تلقاه المحدثون بالقبول.

## فصل
## في فضائل هذه السورة

عن أبي سعيد بن المعلا[1] رضي الله عنه، قال:«كنت أصلي «بالمسجد»[2] فدعاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم أجبه «ثم أتيته»[3] فقلت: يارسول الله إني كنت أصلي، فقال: ألم يقل الله «تعالى»[4] (استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم)[5] ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم«لأعلمنك»[6] سورة هي أعظم «سورة»[7] في القرآن قبل أن تخرج من المسجد «فأخذ»[8] بيدي فلما «أردنا» [9] أن «نخرج» [10] قلت : يارسول الله[11]

(١) هو أبو سعيد بن المعلى الأنصاري قيل اسمه رافع بن أوس بن المعلى وقيل الحارث بن أوس بن المعلى وقيل الحارث بن نفيع بن المعلى بن لوذان بن حارثة بن عدي بن زيد بن ثعلبة بن عدي بن مالك بن زيد مناة بن حبيب بن عبدحارثة بن مالك بن عَضْب بن جشم بن الخزرج -أهـ من تحفة الأشراف (٢١٧/٩) قال ابن حجر العسقلاني«أصح ماقيل فيه الحارث بن نفيع بن المعلى: وأرخوا وفاته سنة٧٤هـ وقيل سنة ثلاث، قالوا: وعاش أربعاً وستين سنة، قلت: وهو خطأ فإنه يستلزم أن تكون قصته مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو صغير، وسياق الحديث يأبى ذلك، فإن في الصحيح: كنت أصلي فمر بي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدعاني.. الحديث» -أهـ الإصابة ط الكليات الأزهرية (٨٨/٤/رقم٥٣٠).

(٢) من خلال ضبط الحديث على كل من البخاري وأبي داود والنسائي وابن ماجه لاحظت أن المؤلف روى الحديث بنحوه، ولم يضبطه على أي كتاب من كتب الحديث هذه التي اعتمد عليها، لذلك ينبغي ضبط الحديث على صحيح البخاري ليكون موافقاً في نصه لأحد الكتب الأربعة التي اعتمد عليها علماً أنه في النسختين أ و ب هكذا وروايته في صحيح البخاري«في المسجد».

(٣) في صحيح البخاري لاوجود لهذا «ثم أتيته».

(٤) في صحيح البخاري لاوجود لهذه الكلمة «تعالى» .

(٥) الآية ٢٤ من سورة الأنفال.

(٦) الذي في النسخة أ و ب (لأعلمك) والذي في صحيح البخاري«لأعلمنك».

(٧) في صحيح البخاري «السور».

(٨) الذي في صحيح البخاري«ثم أخذ».

(٩) الذي في صحيح البخاري«أراد».

(١٠) الذي في صحيح البخاري «يخرج».

(١١) الذي في صحيح البخاري «له» عوض عن «يارسول الله».

إنك «قلت»[1]:لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قال:الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي «أوتيته»[2] رواه البخاري[3] وأبو داود[4] والنسائي[5] وابن ماجه[6].

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مسير فنزل ونزل رجل إلى جنبه. قال: فالتفت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ألا أخبرك بأفضل القرآن، قال: بلى فتلا الحمد لله رب العالمين» رواه ابن حبان في صحيحه[7] والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم[8]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:«من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج[9] ثلاثاً. غير تمام فقيل لأبي هريرة إنا نكون وراء الإمام فقال: اقرأها في نفسك فإني سمعت رسول الله صلى

(١) الذي في صحيح البخاري «ألم تقل».

(٢) الذي في النسخة أ - ب «لأعلمك» والذي في صحيح البخاري «لأعلمنك».

(٣) في صحيحه في فتح الباري (٨/٦-٧) بنحوه - ط المكتبة السلفية وقد ضبطت الحديث على هذه الطبعة-.

(٤) في سننه (٢/٧٢) بنحوه.

(٥) في سننه (٢/١٣٩) بنحوه.

(٦) في سننه (٢/١٢٤٤) بنحوه مختصراً.

(٧) رواه ابن حبان في صحيحه في الإحسان(٣/٥١/رقم٧٧٤) ذهب الشيخ شعيب أرنؤوط بتعليقه إلى أن أحمد بن آدم الجرجاني في سند الحديث انفرد بتوثيقه ابن حبان وصححه الحاكم(١/٥٦٠) ووافقه الذهبي ويشهد له حديث أبي هريرة عن أبي بن كعب الوارد رقم (٧٧٥) من هذا الكتاب وحديث أبي يعلى الوارد برقم (٧٧٧) وحديث عبدالله بن جابر عن أحمد(٤/١٧٧) -أهـ من تعليق الشيخ شعيب(٣/٥١-٥٢) باختصار.

وقد جاء في صحيح ابن حبان بلفظ:«ألا أخبرك بأفضل القرآن»؟ قال: فتلا عليه«الحمد لله رب العالمين»-أهـ .

(٨) في مستدرك الحاكم (١/٥٦٠).

(٩) الخداج بكسر الخاء المعجمة، قال الخليل بن أحمد والأصمعي وأبو حاتم السجستاني والهروي وآخرون الخداج النقصان، يقال خدجت الناقة إذا ألقت ولدها قبل أوان النتاج، وإن كان تام الخلق، وأخدجته إذا ولدته ناقصاً، وإن كان لتمام الولادة، قالوا فقوله صلى الله عليه وآله وسلم خداج أي ذات خداج، وقال جماعة من أهل اللغة خدجت أخدجت إذا ولدت لغير تمام -أهـ من شرح صحيح مسلم للنووي (٤/١٠١).

الله عليه وآله وسلم يقول: قال الله تعالى:قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ماسأل. فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين. قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم قال الله:أثنى علي عبدي. وإذا قال: ملك يوم الدين قال: مجدني عبدي[1] وقال مرة فوض إلى عبدي. وإذا قال:إياك نعبد وإياك نستعين قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ماسأل فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. قال: هذا لعبدي ولعبدي ماسأل» رواه مسلم في صحيحه[2] ورواه النسائي[3] وغيرهما[4]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:«بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم سمع نقيضاً[5] من فوقه فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلاَّ اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال:أبشر [بنورين][6] أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك- فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته» رواه مسلم[7] والنسائي[8] والحاكم وقال: صحيح على شرطهما[9]. قوله: نقيض النقيض بالمعجمة هو صوت الباب.

(١) مجدني عبدي : أي عظمني - شرح صحيح مسلم للنووي (١٠١/٤).

(٢) صحيح مسلم في شرح النووي (١٠١/٤-١٠٢) بنحوه.

(٣) في سننه (١٣٤/٢) بنحوه.

(٤) رواه البغوي وقال صحيح(٣٢/١) بنحوه ورواه مالك في الموطأ (صفحة٢٠-٣٩/٢١) بنحوه - طبعة المكتبة الثقافية بيروت لبنان ورواه أبو داود بنحوه (٢١٤/١-٨٢١/٢١٥) وروى ابن ماجه القسم الأول من الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنهما (٢٧٣/١-٨٣٨/٢٧٤).

(٥) سمع نقيضاً : هو بالقاف والضاد المعجمتين أي صوتاً كصوت الباب إذا فتح -أهـ شرح صحيح مسلم للنووي (٩١/٦).

(٦) في النسخة ب[النورتين] والصواب الموافق لرواية الحديث في مسلم وغيره ماجاء في أ.

(٧) صحيح مسلم في شرح مسلم للنووي (٩١/٦).

(٨) في سننه (١٣٨/٢).

(٩) في المستدرك (٥٥٨/١-٥٥٩) وأخرجه أيضاً ابن حبان والطبراني في الدر المنثور(١٣/١-١٤) ورواه البغوي (٣٢/١) وقال صحيح.

وعن واثلة بن الأسقع[1] أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:«أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الإنجيل المئين، وأعطيت مكان الزبور المثاني، وأعطيت فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش، لم يعطها نبي قبلي، وأعطاني ربي المفصل نافلة» رواه البغوي[2] ورواه أحمد[3] وفي إسناده عمران القطان[4].

## تفسير سورة البقرة[5]

سورة البقرة مدنية وهي مائتان وسبع وثمانون آية هامش[قال القرطبي[6] في تفسيره: سورة البقرة مدنية، نزلت في مدد شتى. وقيل هي أول سورة نزلت بالمدينة إلا

(١) واثلة بن الأسقع بن كعب من بني ليث بن عبد مناة، وصحح ابن أبي خيثمة أنه واثلة بن عبدالله بن الأسقع كان ينسب إلى جده، أسلم قبل تبوك وشهدها و روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن أبي مرثد وأبي هريرة وأم سلمة. قال ابن سعد كان من أهل الصفة ثم نزل الشام؛ قال أبو حاتم شهد فتح دمشق وحمص وغيرهما توفي رضي الله عنه سنة(٨٣) هـ وعمره١٦٥ سنة وهو آخر من مات بدمشق من الصحابة -أهـ الإصابة في تمييز الصحابة باختصار(٣/٥٩٠) وهذا الكتاب لابن حجر العسقلاني- ط دار الكتاب العربي-.

(٢) رواه البغوي (١/١٧) طبعة دار المعرفة وقال غريب.

(٣) في مسنده (٤/١٠٧) عن واثلة بن الأسقع بالمعنى واللفظ اختلاف.

(٤) ليس في إسناد البغوي عمران القطان وإنما هو في إسناد رواية أحمد ومما قال عنه الذهبي: هو عمران بن داوَر أبو العوام القطان العمّي البصري. ضعفه النسائي وقال أحمد؛ أرجو أن يكون صالح الحديث. وقال أبو داود: ضعيف وروى عباس عن يحيى، قال: كان عمران القطان يرى رأي الخوارج، ولم يكن داعية -أهـ من ميزان الاعتدال في نقد الرجال(٣/٢٣٦-٦٢٨٢/٢٣٧).

(٥) هذا عنوان أضفته ليعلم بانتهاء تفسير الفاتحة وبدء تفسير سورة البقرة.

(٦) القرطبي : فهو الإمام أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرْح بإسكان الراء والحاء المهملة الأنصاري الخزرجي الأندلسي، القرطبي المفسر كان رحمه الله من العلماء العارفين الزاهدين بالدنيا وكانت أوقاته معمورة بالتوجه إلى الله بالعبادة والتصنيف حتى أخرج للناس كتباً انتفعوا بها، منها : تفسيره«الجامع لأحكام القرآن» و«شرح أسماء الله الحسنى» و«التذكرة بأمور الآخرة» توفي رحمه الله في شوال سنة ٦٧١هـ من التفسير والمفسرون(٢/٤٥٧).

قوله تعالى:«واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله» [1] فإنها آخر آية نزلت من السماء نزلت يوم النحر في حجة الوداع بمنى، وآيات الربا أيضاً من أواخر مانزل من القرآن[2]. وروى ابن الضريس في فضائله[3] وأبو جعفر النحاس[4] في الناسخ والمنسوخ[5] وابن مردويه[6] والبيهقي في دلائل النبوة[7]، من طرق عن ابن عباس قال: نزلت بالمدينة سورةُ البقرة. وروى ابن مردويه عن عبدالله بن الزبير مثله[8] وروى أبو داود في الناسخ والمنسوخ عن عكرمة قال: أول سورة نزلت بالمدينة سورة البقرة[9]. صح أصل] بعده

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ﴿الم﴾ اعلم وفقك الله تعالى أن الألفاظ التي يتهجى بها

---

(١) الآية ٢٨١ من سورة البقرة .

(٢) تفسير القرطبي (١/١٥٢).

(٣) الدر المنثور (١/٤٦).

(٤) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحاس، النحوي المصري؛ كان من الفضلاء وله تصانيف كثيرة منها تفسير القرآن الكريم «وإعرابالقرآن» و«الناسخ والمنسوخ» وتفسير أبيات سيبويه» و«أدب الكاتب» «والكافي في النحو» وغير ذلك أخذ النحو عن أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش النحوي، والزجاج، وابن الأنباري، وأعيان أدباء العراق توفي بمصر عام ٨٣٨هـ وقيل٨٧٣هـ رحمه الله؛ وكان سبب وفاته أنه جلس على درج المقياس على شاطئ النيل، وهو في أيام زيادته، وهو يقطع بالعروض شيئاً من الشعر، فقال بعض العوام: هذا يسحر النيل حتى لايزيد فتغلوا الأسعار، فدفعه برجله في النيل، فلم يوقف له على خبر -أهـ من وفيات الأعيان(١/٩٩-١٠٠)-.

(٥) - (٩) الدر المنثور (١/٤٦).

أسماء[1] ومسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم فقولك ضاداً اسم يسمى به[ضه][2] من ضرب إذا[تهجيته][3] وكذلك [راء با][4] اسمان لقولك[ره به][5] لدخولها في أحد الاسماء. ألا ترىٰ أن الحرف مادل على معنى في غيره، وهذا كما ترى دال على[معنى في][6] نفسه، ولانها يتصرف فيها بالإمالة كقولك: باتا[7] وبالتفخيم كقولك:باها وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والإسناد. والإضافة وجميع ماللأسماء المتصرفة قال جار الله: ثم إني عثرت على نص في ذلك من جانب الخليل، قال سيبويه[8] يوماً وقد سأل أصحابه كيف تقولون: إذا أردتم أن تلفظوا بالكاف التي في ذلك[9] والباء التي ضرب فقيل: نقول: با كاف فقال: إنما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال: أقول: كه به[10]

(١) كان الاولى أن يقول«ألفاظ» كما قال البيضاوي في تفسيره وسائر الالفاظ المتهجى بها مسمياتها الحروف التي ركبت منها لدخولها في حد الاسم (٥٥/١) طبعة المطبعة العثمانية -لاكما قال صالحب الكشاف(٧٦/١) الذي نقل منه الكوكباني رحمهما الله إذ الكلمة تتألف من حرف واسم وفعل ويشمل هذه وغيرها كلمة«ألفاظ» أما كلمة أسماء والتي مفردها اسم فإنها تدل على نوع واحد من أنواع الكلمات والله أعلم.

(٢) الذي في النسخة أ [ضه] والذي في ب [منه] والذي في أ وافق الكشاف (٧٧/١).

(٣) الذي في ب [بهجته] الصحيح ماجاء في أ للمعنى ولموافقة الكشاف (٧٧/١).

(٤) الذي في أ و ب ماكتبنا والذي في الكشاف [ربا].

(٥) الذي في ب [ربه] والمكتوب من أ والصحيح هو ماجاء في أ لموافقته الكشاف ولصحة المعنى في الجمله[ره به].

(٦) هذا موجود في ب .

(٧) الذي في أ و ب كما هو مكتوب والذي في الكشاف [أباتا]

(٨) الذي في الكشاف : قال سيبويه قال الخليل يوماً وسأل أصحابه -الكشاف(٧٩/١)-

(٩) الذي في أ و ب «ذلك» والذي في الكشاف عزا إليه لها لك (٧٩/١).

(١٠) الكشاف (٧٩/١).

ومارواه ابن مسعود أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال :«من قرأ حرفاً من كتاب الله فله[1] حسنة، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول:ألم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف»[2] فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه فإن تخصيصه[أي الحرف][3] به عرف محدد بالمعنى اللغوي، ولعله سماه باسم مدلوله[4]. وحكمها مالم تلها العوامل أن تكون ساكنة

---

(١) الذي في سنن الترمذي إضافة به أي فله به حسنة -في تحفة الأحوذي (١٨٢/٨)-.

(٢) رواه الترمذي عن عبدالله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال حسن صحيح غريب من هذا الوجه(٣٠٧٥/١٨٢/٨). ورواه الحاكم بنحوه مطولاً عن ابن مسعود موقوفاً ومرفوعاً وذكر سند الرفع وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه(٥٦٦/١) ولم يعلق الذهبي على الحاكم في الحديث.

ورواه سعيد بن منصور في سننه عن أبي الأحوص يقول: كان ابن مسعود يقول:«تعلموا القرآن واتلوه تؤجروا بكل حرف عشر حسنات أما إني لا أقول:الم، ولكن ألف، ولام، وميم» فسعيد رواه إذن موقوفاً على ابن مسعود وقال الدكتور سعد بن عبدالله آل حميد هو حسن لذاته -أهـ من كتاب سنن سعيد بن منصور المتوفى سنة ٢٧٧هـ(٦/٣٥/١)-ط دار الصميعي الرياض تحقيق الدكتور سعد بن عبدالله آل حميد جزاه الله خيراً والكتاب تفسير من أول القرآن حتى المائدة بالمأثور.

(٣) ليس هذا في النسخة ب وإنما في النسخة أ.

(٤) ذهب الزجاج إلى هذا في كتابه معاني القرآن وإعرابه فقال:«والذي أختاره في هذه الأقوال التي قيلت في قوله عز وجل«الم» بعض يُروى عن ابن عباس رحمة الله عليه. وهو أن المعنى:«الم» أنا الله أعلم، وأن كل حرف منها له تفسيره، والدليل على ذلك أن العرب تنطق بالحرف الواحد تدل به على الكلمة التي هو منها، قال الشاعر:

قلنا لها قفي قالت قاف  لاتحسبي أنا نسينا الإيجاف -أهـ

ويورد أبيات أخرى ويقول:«أنشد جميع البصريين ذلك. فهذا الذي أختاره في هذه الحروف والله أعلم بحقيقتها -أهـ(٦٢/١-٦٣). ورد الشوكاني على الزجاج في أدلته من الشعر ولغة العرب في فتح القدير فمما قال:«فإن العرب لم يتكلموا بشيء من ذلك، وإذا سمعه السامع منهم كان معدوداً عنده من الرطانة، ولاينافي ذلك أنهم قد يقتصرون على أحرف أو حروف من الكلمة التي يريدون

الأعجاز موقوفة كأسماء الأعداد، فيقال: ألف لام ميم كما تقول: واحد اثنان ثلاثة فإذا [ولتها][1] العوامل أدركها الإعراب، كقولك هذا ألفٌ [وكتبت][2] ألفاً، وسطرت إلى ألف وأنشد أبو عبيدة[3]:

إذا اجتمعوا على ألف و واو ويـاء هـاج بينـهـم قتـال

وهكذا كل اسم عمدت إلى تأدية [ذاته][4] قل فحسب قبل دخول العامل عليه فحقك أن تلفظ به موقوفاً خالياً عن الإعراب، لفقد موجبه ومقتضيه تقول: زيدْ بكرْ عمرْ ثم إن مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي يركب منها، افتتحت السور [بطائفة][5]

النطق بها، فإنهم لم يفعلوا ذلك إلا بعد أن تقدمه مايدل عليه ويفيد معناه، بحيث لايلتبس على سامعه كمثل ماتقدم ذكره. ومن هذا القبيل مايقع منهم من الترخيم، وأين هذه الفواتح الواقعة في أوائل السور من هذا؟» -أهـ فتح القدير(١/٢٩-٣٠).

(١) هذا في النسخة أ و ب«ولتها» وفي الكشاف ولم يعز «وليتها».

(٢) في النسخة ب[كتب].

(٣) قال الزجاج:«قال الشاعر يهجو النحويين وهو يزيد بن الحكم:

إذا اجتمعوا على ألف وواو وياء لاح بينـهم جـدال

-أهـ من كتاب معاني القرآن للزجاج(١/٦١) فهناك اختلاف في الشطر الثاني من البيت وقد جاء البيت في خزانة الأدب كما قال الزجاج وبنفس النسبة(١/١١٠). أما أبو عبيدة فهو أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري النحوي كان من أعلم الناس باللغة وأنساب العرب وأخبارها، وقال قطني:«لابأس به، إلا أنه يتهم بشيء من رأي الخوارج ويتهم بالإحداث» وقيل كان شعوبياً يطعن في الأنساب أقدمه هارون الرشيد من البصرة إلى بغداد سنة(١٨٨)هـ له كتب كثيرة منها«مجاز القرآن» و«غريب القرآن» و«معاني القرآن» و«غريب الحديث» و«خوارج البحرين واليمامة» ولد سنة(١١٠) هـ وتوفي سنة(٢٠٩) هـ انظر وفيات الأعيان(٥/٢٣٥) ومعجم الأدباء لياقوت الحموي (٢٠/١٥٤)- ط دار الفكر بيروت.

(٤) في النسخة ب [ذاتل] .

(٥) في النسخة ب [بطائنه].

منها إيقاظاً لمن تُحُدِّي بالقرآن وتنبيهاً على أن المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم. فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الإتيان بما يدانيه، ولتكن أول مايقرع الأسماع مستقلاً بنوع من الإعجاز، فإن النطق بأسماء الحروف مختص بمن خط ودرس، فأما مِنَ الأمي الذي لم يخط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة، وإنما ذلك حاصل له من جهة الوحي، وشاهد بصحة نبوته صلى الله عليه وآله وسلم. فإذا تقرر ذلك فللعلماء في الم وسائر حروف التهجي في أوائل السور أقوال كثيرة. قال الشعبي[1] وجماعة[2] الم وسائر حروف التهجي في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه، وهي أسرار القرآن[3] فنحن نؤمن بظاهرها، ونكل العلم فيها إلى الله تعالى؛ وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها» قال داود ابن أبي هند[4]: كنت أسأل الشعبي عن فاتح السور، فقال ياداود إن لكل كتاب سراً وإن سر القرآن فواتح السور فدعها واسأل عما سوى ذلك[5][6] وقال جماعة: هي[معلومة][7] المعاني[8]. عن ابن

(١) الشعبي هو أبو عمرو بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار الشعبي وهو كوفي تابعي جليل القدر وافر العلم قال الزهري: العلماء أربعة: ابن المسيب بالمدينة، والشعبي بالكوفة، والحسن البصري بالبصرة، ومكحول بالشام. ويقال إنه أدرك خمس مائة من الصحابة وقد أرسله عبدالملك بن مروان إلى ملك الروم رسولاً وأبقاه ملك الروم عنده أياماً يسأله ويجيب على كل سؤال. كان ولادته سنة احدى وعشرين للهجرة وتوفي بالكوفة سنة١٠٥هـ -أهـ من وفيات الأعيان(١٢/٣).

(٢) (٣) انظر تفسير البغوي (٣٣/١) ط دار المعرفة.

(٤) داود بن أبي هند قال عنه الذهبي رحمه الله تعالى:حجة ماأدري لِمَ لَمْ يخرج له البخاري- ميزان الاعتدال في نقد الرجال(٢٦٢٣/١١/٢)-.

(٥) انظر تفسير البغوي (٣٣/١) والدر المنثور (٥٩/١).

(٦) في الدر المنثور أخرجه ابن المنذر وأبو الشيخابن حبان في التفسير عن داود بن هند(٥٩/١).

(٧) الذي في النسخة ب[معلوم].

(٨) تفسير البغوي (٣٣/١) قال البغوي:«وقال جماعة: معلومة المعاني، فقيل كل حرف منها مفتاح اسم من أسمائه.. إلخ».

عباس في قوله تعالى: (الم) قال: أنا الله أعلم [1] وفي قوله:(المص) أنا الله أفصل وفي قوله:(الر) قال: أنا الله أرى[2] رواه ابن أبي حاتم[3] وغيره من طريق أبي الضحى[4] عن ابن عباس. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: معنى(الم) أنا الله أعلم(٥)، ومعنى(المص) أنا الله أعلم وأفصل، ومعنى(الر) أنا الله أرى(المر) أنا الله أعلم وأرى[6]. وقال الربيع بن[النهري][7] في قوله تعالى:(الم)[8] الألف مفتاح اسم الله، واللام مفتاح اسم اللطيف والميم مفتاح اسم المجيد[9]. وقال محمد بن كعب القرظي الألف آلاءه، واللام لطفه، والميم ملكه[10]. وعن الضحاك[11] في قوله تعالى: المص قال : أنا الله الصادق وقيل معناه

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٢٠٧/١) عن ابن عباس.

وجاء في الدر المنثور: أخرج وكيع وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس عن ابن عباس في قوله«ألم» قال: أنا الله أعلم.

(٢) هكذا جاء كاملاً في تفسير القرطبي(١٥٥/١) بتقديم وتأخير في بعض العبارات من طريق أبي الضحى عن ابن عباس.

(٣) قال السيوطي رحمه الله :«أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والبيهقي في الأسماء والصفات وابن النجار في تاريخه عن ابن عباس في قوله«الر» قال أنا الله أرى -أهـ الدر المنثور (٣٣٩/٤) وذكره القرطبي عن ابن عباس رضي الله عنه(٣٠٤/٨) وجاء في تفسير ابن أبي حاتم(٤٣/٢٧/١) في تفسير(ألم).

(٤) أبو الضحى هو مسلم بن صبيح بالضم مصغراً الهمداني العطار الكوفي روى عن علي مرسلاً وابن عباس وجماعة وعنه منصور بن المعتمر والأعمش وطائفة وثقة ابن معين وأبو زرعة قال ابن سعد مات في خلافة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه -أهـ من خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال(٦٩٧٢/٢٥/٣). المؤلف أحمد بن عبدالله -ط مكتبة القاهرة.

(٥) جاء في تفسير الطبري هذا الجزء من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس(٢٣٩/٢٠٧/١).

(٦) لم أعثر على هذا القول.

(٧) هذا في النسخة أ وفي ب[السري]. وجاء في الدر المنثور[أنس] (٥٧/١)

(٨) الذي في الدر المنثور قول السيوطي وهو الصواب.

(٩) أخرجه عبد بن حميد-الدر المنثور (٥٧/١).

(١٠) جاء في تفسير البغوي بنحوه (٣٣/١).

(١١) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم أو أبو محمد، الخراساني صدوق كثير الإرسال مات بعد المائة» -أهـ من التقريب(ص٢٨٠ رقم ٢٩٧٨).

المصور[1]. عن محمد بن القرظي قال: المص الألف من الله والميم من الرحمن والصاد من الصمد[2] وروى الحاكم وغيره عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى:(كهيعص) فقال: الكاف من كريم والهاء من هادي، والياء من حكيم، والعين من عليم، والصاد من صادق[3]. وروى ابن أبي حاتم من طريق السدي عن أبي صالح عن ابن عباس[4] وعن مرة عن ابن مسعود وأناس من الصحابة[5] رضي الله عنهم في قوله تعالى:كهيعص قال: هو هجاء مقطع؛ الكاف من الملك والهاء من الله والياء والعين من العزيز والصاد من الصبور[6]. وروى محمد بن كعب مثله إلا أنه قال: والصاد من الصمد[7] وروى سعيد بن منصور من طريق يوسف بن عطية قال:سئل الكلبي[8] عن«كهيعص» فحدث عن أبي صالح

(١) أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي في قوله تعالى(المص) قال هو المصور -أهـ الدر المنثور(٤١٣/٣) وجاء في الدر المنثور أيضاً أخرج أبو الشيخ عن الضحاك(المص) قال أنا الله الصادق -أهـ (٤١٣/٣).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن محمد بن كعب القرظي - انظر الدر المنثور(٤١٣/٣).

(٣) يختلف النص عن رواية الحاكم في بعض الألفاظ فقد قال الحاكم عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله عز وجل:(كهيعص) قال: كاف من كريم، وهاء من هاد، ويا من حكيم، وعين من عليم، وصاد من صادق. وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
- مستدرك الحاكم (٤٠٣/٢) - ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

(٤) قال القرطبي رحمه الله:(قال ابن عباس في«كهيعص» إن الكاف من كافٍ، والهاء من هادٍ، والياء من حكيم، والعين من عليم، والصاد من صادق -أهـ(٧٤/١١).

(٥) جاء في الدر المنثور:(أخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود وناس من الصحابة(كهيعص) هو الهجاء المقطع الكاف من الملك، والهاء من الله، والياء والعين من العزيز، والصاد من المصور(٤٧٨/٥).

(٦) لم تأت بهذا اللفظ في الروايتين السابقتين في التعليق.

(٧) في الدر المنثور في التفسير المأثور (٤٧٨/٥) أخرجه ابن أبي حاتم.

(٨) هو محمد بن السائب الكلبي أبو النضر الكوفي المفسر النسابة الأخباري، روى عن الشعبي، وجماعة وعنه ابنه هشام وأبو معاوية قال البخاري: أبو النضر الكلبي تركه يحيى وابن مهدي ثم قال البخاري: قال علي: حدثنا يحيى، عن سفيان، قال لي الكلبي: كل ماحدثتك عن أبي صالح فهو كذب وقال أحمد بن زهير: قلت لأحمد بن حنبل: يحل النظر في تفسير الكلبي؟ قال:لا. وقال ابن حبان: مذهبه في الدين ووضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه -أهـ من ميزان الاعتدال (٥٥٦/٣/٧٥٧٤).

عن أم هاني[1] عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:«كاف هاد[أمين][2] عالم صادق»[3] وعن محمد بن كعب في قوله:طه قال: الطاء من ذي الطول[4] وروى عنه أيضاً في قوله تعالى:(طسمٓ) قال:الطاء من ذي الطول، والسين من القدوس، والميم من الرحمن[5]. وعن سعيد بن جبير[6] في قوله تعالى:(حم) قال:حا اشتقت من الرحمن وميم اشتقت من الرحيم[7].

---

(١) هي أم هاني بنت أبي طالب بن عبدالمطلب تزوجها هبيرة بن عمرو الخزرجي وفرق الإسلام بينهما، روت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث في الكتب الستة وغيرها -أهـ من الإصابة (٤/٤٧٩).

(٢) في النسخة ب [إنني].

(٣) الذي في القرطبي قال الكلبي: الكاف من كريم وكبير وكافٍ، والهاء من هادٍ، والياء من رحيم، والعين من عليم وعظيم، والصاد من صادق (١١/٧٤) وجاء في تفسير البغوي قال الكلبي معناه: كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق أيديهم عالم ببريته صادق في وعده(٣/٦٠٩).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب - الدر المنثور (٥/٥٥٠ - ٥٥١).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب (٦/٢٨٨) الدر المنثور.

(٦) هو أبو عبدالله سعيد بن جبير بن هشام الأسدي بالولاء كوفي أحد أعلام التابعين، وكان أسود، أخذ العلم عن عبدالله بن العباس وعبدالله بن عمر رضي الله عنهم وروى عن سعيد القراءة عرضاً المنهالُ بن عمرو وأبو عمرو بن العلاء، له مع الحجاج موقف ظهرت فيه جرأته في الحق فقتله الحجاج رحمه الله تعالى قال أحمد بن حنبل: قتل الحجاجُ سعيدَ بن جبير وماعلى وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه -أهـ وفيات الأعيان (٢/٣٧١-٣٧٤). قال عنه الدكتور محمد حسين الذهبي رحمه الله تعالى: كان حبشي الأصل أسود اللون أبيض الخصال سمع جماعة من أئمة الصحابة وقد جمع سعيد القراءات الثابتة عن الصحابة وكان يقرأ بها وكان ابن عباس يثق بعلمه ويحيل عليه من يستفتيه. وقد وثقه علماء الجرح والتعديل- قتل سنة ٩٥هـ وهو ابن تسع وأربعين سنة -أهـ من كتاب التفسير والمفسرون (١/١٠٢-١٠٣).

(٧) في تفسير (حم . عسق) من سورة الشورى جاء: قال جعفر بن محمد وسعيد بن جبير: الحاء من الرحمن و«الميم» من المجيد، و«العين» من العليم، و«السين» من القدوس، و«القاف» من القاهر تفسير القرطبي (١٦/٢٢)،

قال الآلوسي وفي البحر ذكر المفسرون في«حم عسق» أقوالاً مضطربة لايصح منها شيء -أهـ من تفسير الآلوسي (٢٥/١٠) ط دار أحياء التراث العربي بيروت.

وعن محمد بن كعب في قوله تعالى(حمعسق)[1] قال: الحاء والميم من الرحمن والعين من العليم والسين من القدوس والقاف من القاهر[2]. وعن السدي قال: فواتح السور أسماء من أسماء الرب فرقت في القرآن[3]. عن سعيد بن جبير قال: هي أسماء الله تعالى مقطعة[4] لو أحسن الناس تأليفها لعلموا اسم الله الاعظم ألا ترى أنك تقول: الر و حم و ن فتكون الرحمن وكذلك سائرها إلاّ أنا لانقدر على وصلها(٥). وحكى الكرماني[6] في قوله

(١) ان المؤلف رحمه الله وصل هذا قال القرطبي قال عبدالمؤمن:سألت الحسين بن فضيل: لم قطع«حم» من«عسق» ولم تقطع«كهيعص» و«الر» و«المص»؟ فقال لان«حم.عسق» بين سور أولها «حم» فجرت مجرى نظائرها قبلها وبعدها؛ فكأن«حم» مبتدأ و«عسق» خبره. ولانها عدت آيتين، وعدت أخواتها اللواتي كتبت جملة آية احدة. -أهـ تفسير القرطبي (١/١٦) لذلك كان كتابة الكوكباني في الدمج مخالف لما اعتمد عند العلماء في رسم المصحف العثماني الذي وجدناه في مصحف الملك فؤاد طبعة دار السلام (صفحة٥١١).

(٢) لكن الذي في تفسير القرطبي هذه الكلمات:«وعن محمد بن كعب: أقسم الله بحلمه ومجده وعلوه وسناه وقدرته ألا يعذب من عاذ بلا إله إلا الله مخلصاً من قبله. وقال جعفر بن محمد وسعيد بن جبير«الحاء» من الرحمن، و«الميم» من المجيد و«العين» من العليم و«السين» من القدوس. و«القاف» من القاهر» -أهـ من تفسير القرطبي (٢/١٦).

(٣) تفسير القرطبي (٢٠٧/١).

(٤) تفسير الطبري (٢٠٧/١) بروايته عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله:«ألم» و«حم» و«ن» قال: اسم مقطع -أهـ قال الدكتور أحمد شاكر:«في سنده من لم يجد له ترجمة من تعليقه على الرواية». وجاء في تفسير ابن عطية عن ابن عباس: هي حروف كل واحد منها إما أن يكون من اسم من أسماء الله؛ وإما من نعمة من نعمه، وإما من اسم ملك من ملائكته، أو نبي من أنبيائه -أهـ (١٤٠/١).

(٥) تفسير البغوي (٣٣/١ - ٣٤).

(٦) الكرماني (٧١٧-٧٨٦هـ=١٣١٧-١٣٨٤م) محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني: عالم بالحديث أصله من كرمان، اشتهر في بغداد، قال ابن حجي:تصدى لنشر العلم

تعالى:(ق) أنه حرف من اسمه تعالى قادر وقاهر[1]. وحكى غيره في قوله تعالى:(ن) أنه مفتاح اسم تعالى نور وناصر[2]. وهذه الأقوال كلها راجعة إلى قول واحد، وهو أنها حروف مقطعة، كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه تعالى. والاكتفاء ببعض الكلمة معهود في العربية قال الشاعر[3]:

قلت لها قفي فقالت لي قاف [4].

أي وقفت وقال: بالخير خيرات وإن شراً فا ولا أريد الشر إلا إن تا[5]

---

ببغداد ثلاثين سنة. وأقام مدة بمكة. وفيها فرغ من تأليف كتابه«الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري-ط) خمسة وعشرون جزءاً صغيراً، قال ابن قاضي شهبه: فيه أوهام وتكرار كثير ولاسيما في ضبط أسماء الرواة وله«ضمائر القرآن» وغير ذلك مات راجعاً من الحج إلى بغداد ودفن فيها -أهـ من الأعلام (١٥٣/٧).

(١) لم أجده لكن البغوي : قال: قال القرظي: هو مفتاح اسمه القدير، والقادر، والقاهر، والقريب، والباسط-تفسير البغوي (٢١١/٥).

(٢) جاء في تفسير القرطبي: قال عطاء وأبو العالية: هو افتتاح اسمه نصير ونور وناصر(٢٢٤/١٨).

(٣) (٤) البيت بتمامه :

قلنا لها قفي قالت قاف لاتحسبي أنا نسينا الإيجاف

انظر معاني القرآن للزجاج (٦٢/١) والخصائص لابن حبيب تحقيق محمد علي النجار(٣١/١) ط الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م. وجاء في شرح الشافية بلفظ وتتمة:

قلت لها قفي قالت قاف لاتحسبي أنا نسينا الإيجاف

والنشوات من معتق صاف وعزف قينات علينا عزاف

وقال المؤلف وهو أول رجز للوليد بن عقبة بن أبي معيط أورد بقيته أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني في ترجمته. - انظر شرح الشافية لابن الحاجب عرض الدين الاستريباذي مع شرح شواهده للبغدادي صاحب الخزانة تحقيق محمد نور الحسن ومحمد محيي الدين عبدالحميد ومحمد الزفاف-ط الحجازي بالقاهرة الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ-١٩٣٩م-. وماقاله عن الأغاني جاء (١٧٨/٤) - ط دار الفكر.

(٥) قال الزجاج :«وأنشد بعض أهل اللغة للقيم بن سعد بن مالك:

بالخير خيرات وإن شراً فأي ولا أريد الشر إلا إن تا

أراد إن شراً فشر وإلا أن تشاء.

وقال ناداهمُ[1] إلاَّ ألْجِموا ألا تا  قالوا جميعاً كلهم ألافا[2]

أراد ألا تركبون ألا فاركبوا وهذا قول اختاره الزجاج[3] وقال:العرب تنطق بالحرف الواحد تدل به على الكلمة [4]، وقيل إنها الاسم الأعظم، إلاَّ أنا لانعرف تأليفه منها كذا نقله ابن عطية[5] وروى ابن جرير بسند صحيح[6] عن ابن مسعود قال: هي اسم الله الأعظم.

---

وأنشد النحويون:

بالخير خيرات وإن شراً فا  ولا أريد الشر إلا إن تا

يقول أنشد جميع البصريون ذلك -أهـ باختصار(٦٣/١).

(١) الذي في النسختين أ و ب «ناداهمُ» وعند الزجاج «ناداهمو» معاني القرآن للزجاج(٦٢/١) واللفظ واحد بعد ضم الميم.

(٢) أورد البيت الزجاج وقال: نادوهمو أن ألجموا، ألا تركبون، قالوا: جميعاً: ألا فاركبوا فإنما نطق بتاءٍ وفاءٍ كما نطق الأول بقاف. معاني القرآن للزجاج(٦٢/١-٦٣).

والبيت للقيم بن قيس (٢٤٠/١) شواهد الشافية (صفحة ٢٦٢-٢٦٤).

(٣) معاني القرآن للزجاج (٦٣/١) إذ قال بعد أن أورد هذا القول: فهذا الذي أختاره في هذه الحروف والله أعلم بحقيقتها.

(٤) معاني القرآن للزجاج (٦٢/١).

(٥) هذا القول جاء في تفسير ابن عطية منقولاً عن غيره إذ قال:«قال علي بن أبي طالب، وابن عباس رضي الله عنهما: الحروف المقطعة في القرآن هي اسم الله الأعظم، إلا أنا لانعرف تأليفه منها» -أهـ من تفسير ابن عطية (١٣٨/١).

(٦) لابد لنا من النظر في سند الحديث حتى نوافق الإمام الكوكباني رحمه الله تعالى في صحة سند الحديث أو لانوافقه،فقد جاء في تفسير الطبري:«حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا عبدالرحمن بن مهدي قال حدثنا شعبة قال سألت السدي عن(حم) و(طسم) و(الم) فقال ابن عباس: هي اسم الله الأعظم وأورد بعده: حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا أبو النعمان قال حدثنا شعبة عن إسماعيل السدي عن مرة الهمداني قال: قال عبدالله:«فذكره نحوه». ومن المعروف أن كلمة عبدالله إذا

وروى ابن أبي حاتم من طريق السدي، أنه نقله عن ابن عباس قال: الم اسم من أسماء الله الأعظم[1] وروى ابن جرير وغيره من طريق علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال:ألم وطسم وهي وأشباهها قَسَمٌ أقسم الله به وهو من أسماء الله تعالى[2] وهذا يصلح أن يكون قولاً ثالثاً. أي: أنها برمتها أسماء الله تعالى، وتصلح أن تكون من القول الأول ومن الثاني وعلى الأول مشى ابن عطية وغيره. ويؤيده مارواه ابن ماجه في تفسيره[3] من طريق نافع ابن أبي نعيم القارئ عن فاطمة بنت أمير المؤمنين علي رضي الله عنها[4]، أنها

أطلقت في الصحابة انصرفت إلى عبدالله بن مسعود رضي الله عنه. أما تراجم رواة السند عن ابن مسعود فهي كما يلي:

أ - محمد بن المثنى الحافظ أبو موسى العنزي البصري وثقه ابن معين وقال أبو حاتم: صدوق، صالح الحديث وقال النسائي:لابأس به. كان يغير في كتابه. وقال ابن حبان: كان لايقرأ إلا من كتابه. وقال الخطيب. ثقة ثبت، احتج به سائر الأئمة -أهـ في ميزان الاعتدال(٤/٢٤/٨١١٥).

ب- أبو النعمان: هو الحكم بن عبدالله العجلي بصري ثقة انظر تهذيب التهذيب(٢/٣٦٩/رقم٧٥٠) ط دار الفكر للمؤلف أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.

جـ- شعبة بن الحجاج بن ورد العتكي وقال في التقريب عنه ثقة حافظ متقن كان الثوري يقول: هو أمير المؤمنين في الحديث وهو أول من فتش بالعراق عن الرجال -أهـ تقريب التهذيب باختصار (صفحة٣٦٠/رقم٢٧٩٠).

د - إسماعيل بن عبدالرحمن السدي: صدوق يهم رمي بالتشيع- تقريب التهذيب(١/٧١/٥٣١).

هـ- مرة بن شراحيل الهمداني ثقة عابد-تهذيب التهذيب (١٠/٨٠/رقم١٥٩) تأليف ابن حجر العسقلاني -ط دار الفكر ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م- ومن خلال دراسة السند تبين لنا أن الكوكباني لما قال عن هذه الرواية عن ابن مسعود:«بسند صحيح» كان كلامه موافقاً لما في كتب الجرح التعديل رحمه الله وأجزل مثوبته.

(١) تفسير ابن ابي حاتم (١/٢٧/رقم٤٤).

(٢) تفسير الطبري (١/٢٠٧/رقم٢٣٦) بنحوه. وجاء في تفسير القرآن الكريم لابن عباس عن علي بن أبي طلحة (صفحة ٧٧) عن الم فقط.وهذا الكتاب ط مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ١٩٩١م حققه رائد عبدالمنعم الرجّال.

(٣) ذكر الزركلي في كتابه الأعلام أن لابن ماجه تفسير للقرآن ولم يُشر إلى أنه مطبوع أو مخطوط -الأعلام (٤/١٤٤) ولم أجده.

(٤) هي فاطمة بنت علي بن أبي طالب أمير المؤمنين -كرم الله وجهه ورضي الله عنها وعنه -الصغرى روت عن أبيها وعنها الحكم بن عبدالرحمن وثقها ابن حبان قال ابن جريج توفيت سنة ١١٧هـ -أهـ من خلاصة التذهيب (٣/٣٨٩/رقم١٢٦).

سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: ياكهيعص: اغفر لي[1]. ومارواه ابن أبي حاتم عن أشهب[2]، قال: سألت مالك بن أنس: أينبغي لاحد أن يتسمى بياسين؟ فقال: ماأراه ينبغي لقول الله تعالى:(يس والقرآن الحكيم) يقول: هذا اسمي سميت به[3]. وقيل هي أسماء القرآن كالفرقان والذكر. رواه عبدالرزاق[4] عن قتادة وروى ابن أبي حاتم بلفظ«كل هجاء في القرآن فهو اسم من أسماء القرآن»[5] وقيل: هي أسماء للسور، نقله الماوردي وغيره عن زيد بن أسلم[6] ونسبه جار الله في الكشاف إلى الاكثر[7] وقال: وقد ترجم صاحب الكتاب [8] الباب الذي قصره على ذكرها في حد مالاينصرف بباب أسماء

(١) جاء في البيضاوي عن الحروف المقطعة:«وقيل إنها أسماء الله تعالى ويدل عليه أن علياً كرم الله وجهه كان يقول: ياكهيعص ياحم عسق» -اهـ (٦٩/١).

(٢) هو أشهب بن عبدالعزيز القيسي ولد سنة ١٥٠هـ وتوفي سنة٢٠٤هـ. تفقه على مالك والليث بن سعد، انتهت إليه رياسة الفقه بمصر وله مدونة روى فيها فقه مالك تسمى«مدونة أشهب» وهي غير مدونة سحنون. قال: عنه الشافعي: مارأيت أفقه من أشهب -اهـ من مقدمة الفقه الإسلامي وأدلته(٣٣/١).

(٣) تفسير القرطبي (٤/١٥) بنحوه ولم يذكر رواية ابن أبي حاتم.

وذكرت رواية ابن أبي حاتم في الدر المنثور بنحوه فقال أخيراً«هذا اسمي، تسميت به»(٤٢/٧).

(٤) هو أبو بكر عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري مولاهم، الصنعاني، المتوفى سنة ٢١١هـ وهو صاحب المصنف، ومصنفه أصغر من مصنف ابن أبي شيبة، رتبه أيضاً على الكتب والابواب، وجامع عبدالرزاق سوى المصنف، وهو كتاب شهير وجامع كبير، خرج أكثر أحاديثه الشيخان والاربعة ولعبد الرزاق تفسير بالمأثور للقرآن -أهـ من الرسالة المستطرفة (ص٤٠-٤١).

جاء في تفسير القرآن لعبد الرزاق(٣٩/١): عن قتادة في قوله(الم) قال: اسم من أسماء القرآن. -اهـ ط مكتبة الرشد الرياض ١٩٣٩م-١٤١٠هـ-.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (٢٩/١ / رقم ٥٠).

(٦) تفسير القرطبي (١٥٦/١) ذكر زيد بن أسلم ولم يذكر الماوردي أما الماوردي (٣٦٤-٤٥٠= ٩٧٤-١٠٥٨م) علي بن محمد بن حبيب أو الحسن الماوردي أقضى قضاة عصره ولد بالبصرة وانتقل إلى بغداد ولي القضاء في بلدان كثيرة، ثم جعل«أقضى القضاة» في أيام القائم بأمر الله العباسي، وكان يميل إلى مذهب الاعتزال، وله المكانة الرفيعة عند الخلفاء. نسبته إلى بيع ماء الورد، ووفاته ببغداد من كتبه«أدب الدنيا والدين-ط» و«الاحكام السلطانية-ط» و«نصيحة الملوك» و«الامثال والحكم» وغير ذلك -أهـ من الاعلام باختصار (٣٢٧/٤).

(٧) (٨) تفسير الكشاف (٨٣/١).

السور[1] فإن قلت: هذه الفواتح هل لها حظ من الإعراب؟ قلت: من جعلها أسماء لله تعالى، أو للقرآن، أو للسور، كان لها حظ من الإعراب إما رفع أو نصب أو جر فالرفع على الابتداء، والخبر مابعده، أو على الخبر والمبتدأ محذوف أي هذا الم، والنصب بإضمار فعل أي: اتل ألم. والجر على إضمار حرف القسم و يتأتى الإعراب لفظاً والحكاية فيما كانت مفردة؛ كصاد وقاف ونون أو موازنة لمفرد؛ كـ حم وطس ويس فإنها موازنة لقابيل وهابيل.

قال قاتل محمد بن طلحة السجاد[2]، وهو شريح بن أوفى العنسي[3]:

---

(١) الكشاف (٨٣/١) .

(٢) ذكر صاحب الكشاف البيت (٨٤/١) وترجمه الجرجاني رحمه الله في حاشيته(٨٤/١) فمما قال: هو طلحة بن عبيد الله القرشي يتصل نسبه بالأب السابع من آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعني من تيم كعب لقب بالسجاد، أمره أبوه يوم الجمل أن يتقدم للقتال فنثل درعه، بين رجليه، وكلما حمل عليه رجل قال: نشدتك بحم يريد بما في حم عسق من قوله تعالى:(قل لاأسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) ٢٣: الشورى ويظهر من ذلك أنه من القرابة الذين وجبت محبتهم وكف الأذى عنهم. وكان محمد يدعي بذلك أنه ليس من حزب المخالفين فلما قتله العنسي أنشأ مفتخراً:

وأشعت قوام بآيات ربه ... قليل الكرى فيما ترى العين مسلم
شككت له بالرمح جيب قميصه ... فخرّ صريعاً لليدين وللفم
على غير شيء غير أن ليس تابعاً ... علياً ومن لايتبع الحق يظلم
يذكرني حاميم والرمح شاجر ... فهلا تلا حاميم قبل التقدم

ويروى أن علياً لما رآه بين القتلى استرجع وقال: إن كان لشاباً صالحاً ، ثم قعد كئيباً» رضي الله عنه وكرم الله وجهه -أهـ في حاشية الجرجاني على الكشاف (٨٤/١) نثل درعه: أي ألقاها -انظر الصحاح مادة نثل (١٨٢٥/٥) ونسب هذا الشعر لغير شريح ففي الطبقات لابن سعد والمستدرك للحاكم من رواية الواقدي عن محمد بن الضحاك بن عثمان قال كان محمد بن طلحة يوم الجمل مع أبيه، فنهى علي رضي الله عنه عن قتله، وقال: من رأى صاحب البرنس الأسود فلايقتله -يعنيه- فقتله رجل من بني أسود بن خريمة يقال له: طلحة بن مدلج وقيل شداد بن معاوية العبسي، وقيل عصام بن متشعر وعليه الأكثر وهو الذي يقول فذكره -أهـ في كتاب الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف للإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ رحمه الله تعالى. ط دار المعرفة بيروت لبنان (صفحة ٤).

(٣) يعرف بأنه قاتل طلحة السجاد وهذا شعره وقد حضر المعركة كما ورد ولم أصل لأكثر مما ورد في الملاحظة الماضية.

يذكِّرُني حاميم والرمح شاجر[1] فهلا تلا حاميم قبل التقدم[2]

فأعرب حاميم ومنعها الصرف لاجتماع سببي منع الصرف وهما العلمية، والتأنيث؛ على أنه اسم للسورة والحكاية فيما عدا ذلك كـ«المص» و«المر» و«كهيعص». والحكاية أن تجيء بالقول بعد نقله، على استيفاء صورته الأولى، كقولك: دعني من تمرتان[3]، وبدأت بالحمد لله[4] [وقرأت][5] سورة أنزلناها[6] وقال ذو الرمة[7]:

---

(١) والرمح شاجر: أي طاعن: أي ذو طعن من شجرته بالرمح طعنته، وقيل أي مختلف، من شجر الرمح اختلف، والتشاجر التخاصم، وكل شيء دخل بعضه في بعض فقد تشاجر- حاشية الجرجاني(١/٨٤)-.

(٢) ومعنى قوله : فهلا تلاحاميم على الأول - أي القول الأول في معنى التشاجر أنه تلاها بعد تقدمي إليه لطعنه، على الثاني هلا تلاها قبل تقدمه إلى الحرب وتردد الرماح وعمل بها ليرتدع عن محاربة العترة الطاهرة فسلم إذ ذلك من طعني -أهـ من حاشية الجرجاني(١/٨٤).

أما صاحب القاموس فقد قال:«واشتجروا: تخالفوا، كتشاجروا وشجر بينهم الأمر شجوراً: تنازعوا فيه» «صفحة ٥٣٠» وشاجر اسم فاعل من شجر.

(٣) جاء هذا في الكشاف وعلق عليه الجرجاني بحاشيته بقوله:قوله دعني من تمرتان في جواب: ألك تمرتان؟ أو أيكفيك تمرتان؟ أو ماأشبههما، ومعناه: دعني من هذا الحديث، ولو قيل من تمرتين لم يؤد هذا المعنى» -أهـ(١/٨٥).

(٤) أي بسورة الفاتحة التي أولها «الحمد لله».

(٥) الذي في ب [وقراءة] والصواب ماجاء في أ.

(٦) أي سورة النور التي أولها «سورة أنزلناها».

(٧) هو غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي من مضر أبو الحارث ذو الرمة ولد سنة٧٧هـ شاعر من الفحول في عصره، وكان شديد القصر دميماً يضرب لونه الى السواد أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين وامتاز بإجادة التشبيه قال جرير: لوخرس ذو الرمة بعد قصيدته(مابال عينيك منها الماء ينسكب) لكان أشعر الناس وقد عشق مية المنقرية واشتهر بها. كانت وفاته بأصبهان سنة ١١٧هـ. -أهـ الأعلام مع تصرف(٥/١٢٤).

سمعت الناسُ ينتجعون [غيثاً][1]  فقلت لصيدح انتجعي بلالا[2]

وقال الآخر[3]:

تنادوا بالرحيلُ غداً  وفي ترحالهم نفسي[4]

ويروى منصوباً ومجروراً[5]، وأما من جعلها [6] أبعاض[7] كلمات أو أصواتاً مُنَزَّلة

(١) الذي في ب[عيشاً].

(٢) أي برفع الناس على الحكاية، النجعة: طلب الكلأ والخير والغيث: المطر والغيث: الكلأ ينبت من ماء السماء. وصيدح: اسم ناقة ذي الرمة. وبلال بن أبي بردة: اسم ممدوحه. والمعنى: سمعت ذلك القول وهو الناسُ ينتجعون غيثاً فقلت لناقتي: لاتنتجعي الغيث وانتجعي بلالاً فإنه أجود من الغيث وأنفع منه -أهـ من كتاب تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات(شرح شواهد الكشاف) تأليف محب الدين أفندي-ط مصطفى الباب الحلبي-والبيت لذي الرمة في الأغاني لأبي فرج الأصبهاني(١١٦/٦) - ط دار الفكر -بيروت- وهو في ديوان ذي الرمة(١٥٣٥/٣) انظر ديوان ذي الرمة بشرح أبي النصر، أحمد بن حاتم الباهلي تحقيق د. عبدالقدوس أبو صالح طبعة مؤسسة الإيمان بيروت١٤٠٢هـ-١٨٨٢م.

(٣) أنشده ابن جني  دون ذكر القائل في المحتسب انظر(٢٣٥/٢) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها-ط لجنة احياء التراث الإسلامي. القاهرة الكتاب التاسع ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م-. ولم أقف على قائله.

(٤) الرحيل مرفوع بالابتداء وخبره غداً: أي حاصل فيه كقولك الصلح يوم الجمعة: أي تنادوا بهذه الجملة. وروي مَنصوباً على أنه مصدر: أي ارحلوا الرحيل، أو مفعول به: أي الزموه. فحكي الرفع والنصب بعد الباء- حاشية الجرجاني على الكشاف(٨٥/١)-. وجاء البيت في مشاهد الإنصاف(صفحة٦٢).

(٥) قال الجرجاني وأما إذا روي مجروراً -أي كلمة الرحيل- فلا حكاية فيه(٨٥/١) ومعنى ذلك أن لامكان للشاهد هنا والحق أن صاحب الكشاف ماأورد البيت إلا كشاهد.

(٦) أي الحروف في أوائل بعض السور.

(٧) قال ابن منظور:«بعض الشيء: طائفة منه، والجمع أبعاض، قال ابن سيدة: حكاه ابن جني فلا أدري أهو تَسَمُّحَ أم هو شيء رواه-أهـ لسان العرب مادة بعض -ط دار صادر- قال الفيروز أبادي:«بعض كل شيء: طائفة منه جمع أبعاض»-أهـ القاموس المحيط (صفحة ٨٢٢).

مَنْزِلَةَ التنبيه[1] لم يكن لها محل من الإعراب كالجمل المبتدأة والمفردات المعدودة والوقف عليها وقف التمام إذا حملت على معنى مستقل غير محتاج إلى مابعده، فإن قلت: مابالهم عدّوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض؟ قلت: هذا علم توقيفي لامجال للقياس فيه، كمعرفة السورة أما ألم فآية حيث وقعت من السور المفتتحة بها، وهي ست كذلك المص آية والر لَمْ تعدّ آية وآلمر ليست بآية في سورها الخمس وطسم آية في سورتيها، وطه ويس آيتان، وطس ليست بآية، وحم آية في سورها كلها، وحم عسق آيتان، وكهيعص آية واحدة، وص وق ون لم تعد[2]. هذا مذهب الكوفيين[3] ومن عداهم لم يعدوا [شيئاً] منها آية وإنما عدوا ماهو في حكم كلمة واحدة آية[4]. كما عد (الرحمن)[5] وحده[6] و(مدهامتان)[7] وحدها آيتين[8]، على طريق التوقيف، والله سبحانه وتعالى أعلم. قوله تعالى:

**(٢)** ﴿**ذلك الكتاب**﴾ ذلك إشارة إلى ألم إن أُوِّلَ بالمؤلَّفِ من هذه الحروف أو فسر

---

(١) قال قطرب: كانوا ينفرون -أي الكفار- عند استماع القرآن، فلما سمعوا :(ألم) و(المص) استنكروا هذا اللفظ، فلما أنصتوا له صلى الله عليه وآله وسلم أقبل عليهم بالقرآن المؤتلف ليثبته في أسماعهم وآذانهم ويقيم الحجة عليهم.وقال قوم: روي أن المشركين لما أعرضوا عن سماع القرآن بمكة، وقالوا: «لا تسمعوا لهذا القرآن والْغوا فيه» الآية ٢٦ فصلت- نزلت ليستغربوها فيفتحون لها أسماعهم فيسمعون القرآن بعدها فتجب عليهم الحجة»-أهـ تفسير القرطبي(١/١٥٥).

(٢) أي لم يعدوا كلا منها آية.

(٣) الكشاف (١/١٠٦).

(٤) رجع إلى قول الكوفيين يتكلم عنه.

(٥) الآية ١ من سورة الرحمن.

(٦) الصواب أن يقول وحدها أي الكلمة وحدها.

(٧) الآية ٦٤ من سورة الرحمن.

(٨) أي عدوا كلاً منهما آية.

بالسورة أو بالقرآن وذلك معناه، هذا من الأخفش[1] وأنشد:

أقول له والرمح يأطر[2] متنه تَأمل خُفافاً[3] إنني أنا ذلكا

أي هذا. وقيل معناه ذلك الكتاب الذي وعدتك في الكتب السالفة وهو الأرجح[4] لأن ذلك إشارة إلى الغائب فلا تعدل عنه مع صحة معناه، والبيت يصح فيه ذلك أي أنَا ذلك الذي سمعت به. قال الفراء: إن الله تعالى وعد نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن ينزل عليه كتاباً لايمحوه الماء ولايخلق عن كثرة الرد فلما أنزل القرآن قال: ذلك الكتاب الذي

(١) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء النحوي البلخي المعروف بالأخفش الأوسط، أحد نحاة البصرة، وكان الأخفش الأوسط المذكور من أئمة العربية، وأخذ النحو عن سيبويه، وكان أكبر منه، وكان يقول: ماوضع سيبويه في كتابه شيئاً إلا وعرضه عليّ، وكان يرى أنه أعلم به مني، وأنا اليوم أعلم به منه. وهذا الأخفش هو الذي زاد في العروضُ بحر الخبب وله من الكتب المصنفة كتاب«الأوسط» في النحو وكتاب«تفسير معاني القرآن» وكتاب«الاشتقاق»، وكتاب«معاني الشعر» وغير ذلك. وكانت وفاته سنة خمس عشرة ومائتين رحمه الله تعالى-أهـ وفيات الأعيان(٢/٣٨٠).

(٢) أطَّرَ الشيء أطراً جعل له إطاراً-أهـ المعجم الوسيط(١/٢٠) مادة«أطر» والمقصود من ويأطر متنه في البيت يلوي بدنه حتى يتلاقى طرفاه كالحبل.

(٣) خفافاً: هو نفسه الشاعر الذي أنشد البيت. وهو خفاف بن ندبه(أمه) يخاطب مالك بن حماد سيد بني فزارة وقد قتله خفاف تأثراً لمعاوية بن عمرو أخي الخنساء في خبر طويل مذكور في الأغاني لأبي فرج الأصفهاني(١٣/١٣٧) ط دار الفكر بيروت وهو بهذه النسبة في الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين تأليف كمال الدين أبو البركات الأنباري وتحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد(٢/٧٢٠) ط دار الفكر بيروت وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي(١/٢٩) ط. مؤسسة الرسالة والكامل لأبي العباس المبرد(٣/١٥٠) تحقيق د/محمد أحمد الدالي ط مؤسسة الرسالة بيروت.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج(١/٦٦).

وعدتك[1]. وقال ابن كيسان[2]:إن الله أنزل قبل سورة البقرة سوراً كذب بها المشركون، ثم أنزل سورة البقرة، فقال: ذلك الكتاب يعني ماتقدم سورة البقرة من السور[3]. والكتاب مصدر. وهو بمعنى المكتوب، كالحساب يقال: هذا الدرهم ضرب الأمير أي مضروبه، وأصل الكتاب الضم والجمع ومنه الكتيبة لانضمام بعضهم إلى بعض، والكتاب ضم بعض الحروف إلى بعض. وذلك في محل رفع مبتدأ ثانياً، والكتاب خبره[4]، والجملة خبر المبتدأ الأول وهو ألم فتكون لها محل من الإعراب[5]، أولا محل لها. وتكون مستأنفة. وأجازوا أن يكون خبر مبتدأ محذوف. أي هو ذلك، والكتاب صفة أو بدل أو عطف بيان. ومعناه إن ذلك هو الكتاب الكامل كأن ماعداه من الكتب في مقابلته ناقص[6] وأنه الذي يستأهل أن يسمى كتاباً. كما تقول هو الرجل أي الكامل في الرجولية أي الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال[7]، وإن جعلت ألم بمنزلة الصوت كان ذلك مبدأ خبره الكتاب أي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل أو الكتاب صفة والخبر مابعده أو قدّر مبتدأ محذوف أي هو يعني المؤلف من هذه الحروف[8].

(١) تفسير البغوي (٣٤/١) بتصرف. جاء في معاني القرآن مختصراً (١٠/١).

(٢) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان النحوي، كان أحد المشهورين بالعلم والمعروفين بالفهم أخذ عن أبي العباس المبرد وأبي العباس ثعلب، وكان قيماً بمعرفة مذهب البصريين والكوفيين، وكيسان لقب لأبيه، وكان أبو بكر بن مجاهد يقول: كان أبو الحسن بن كيسان أنحى من الشيخين يعني المبرد وثعلباً. توفي سنة تسع وتسعين ومائتين وذلك في خلافة أبي الفضل جعفر المقتدر بالله تعالى بن المعتضد.

-أهـ بتصرف من نزهة الألباء في طبقات الأدباء (صفحة٢٣٥) لابن البركات كمال الدين عبدالرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم -ط دار نهضة مصر للطبع والنشر الفجالة-القاهرة-.

(٣) تفسير البغوي (٣٤/١) بتصرف.

(٤) إملاء مامن به الرحمن(صفحة ١٧).

(٥) للحروف(الم) محل من الاعراب إذا اعتبرناها ذات معنى نفسره بالقرآن أو بالسورة أو باسم من أسماء الله تعالى.

(٦) معاذ الله أن يقصد شيخنا الكوكباني رحمه الله نقص الكتب السماوية السابقة كالتوراة الإنجيل وغيرها فهي كلام الله وكلام الله له كمالاته، والقرآن أيضاً له كمالاته فمقصود شيخنا رحمه الله المقارنة مع الكتب التي هي من تأليف البشر والله أعلم.

(٧) الكشاف (١١١/١-١١٢).

(٨) الكشاف (١١٢/١) قال أبو حيان: والذي أختاره أن يكون ذلك الكتاب جملة مستقلة لأنه متى أمكن حمل الكلام على الاستقلال دون إضمار ولا افتقار كان أولى-أهـ النهر الماد من البحر المحيط (٣٣/١) -ط دار الفكر بيروت.

(ذلك الكتاب **لاريب فيه**﴾ أي لاشك فيه أنه من عند الله تعالى، وأنه الحق والصدق لوضوحه وسطوع برهانه، بحيث لايرتاب العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحياً بالغاً حد الإعجاز. فإن قلت[1]: كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق؟! وكم من مرتاب فيه؟ قلنا: معناه لاسبب فيه يوجب الريب، وقيل لاريب أنه هدى في نفسه، وإن كان الجاهل يرتاب فيه، فنفي الريب لا الارتياب. ألا ترى إلى قوله تعالى:(وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله)[2] فإنه مابعد عنهم وجود الريب منهم؛ بل عرفهم الطريق المزيلة للريب، وهو أن يجتهدوا في معارضة سورة من سوره، ويبذلوا فيها غاية جهدهم، حتى إذا عجزوا عنها تحقق لهم أن ليس فيه مجال للشبه، ولامدخل للريبة. والريب مصدر رابني الشيء إذا حصل فيه الريبة، وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك، لأنه يقلق النفس، ويزيل الطمأنينة ومنه ماروى الحسن بن علي كرم الله وجهه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:«دع مايريبك إلى مالا يريبك فإن الصدق طمأنينة والشك ريبة»[3] ومنه ريب الزمان وهو مايقلق النفوس، من نوائبه. ولم يتقدم الظرف على

(١) الكشاف (١/١١٣).

(٢) الآية ٢٣ من سورة البقرة.

(٣) ورد بسنن النسائي بلفظ«دع مايريبك الى مالا يريبك»(٨/٣٢٨) جاء في سنن الترمذي في تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري(٧/١٨٧/تحت رقم٢٦٣٧) وفي الحديث قصة روى الإمام أحمد هذا الحديث في مسنده مع القصة عن أبي الحوراء، قال قلت للحسن بن علي: ماتذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال أذكر أني أخذت تمرة من تمر الصدقة فألقيتها في فمي، فانتزعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بلعابها فألقاها في التمر، فقال له رجل: ماعليك لو أكل هذه التمرة؟ قال: إنا لانأكل الصدقة. قال وكان يقول:«دع مايريبك إلى مالايريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة» قال: وكان يعلمنا هذا الدعاء اللهم اهدني فيمن هديت الحديث. وورد في الكشاف كما ذكر الكوكباني رحمه الله لكن بتقديم وتأخير فقال:«.. فإن الشك ريبة وإن الصدق طمأنينة».

واعلم أن الحديث من رواية الترمذي والنسائي وفيها: فإن الكذب ريبة، فتوهم بعضهم أن ماذكره المصنف لايصح رواية لذلك ولادراية لأن الريبة هي الشك بعينه فلا فائدة في الإخبار بها عنه، وأجاب بأن صحة إحدى الروايتين لاينافي صحة الأخرى. - انظر حاشية الجرجاني على الكشاف(١/١١٣).

الريب كما تقدم على الغَول في قوله تعالى:(لا فيها غول)[1] لانه لم يقصد تخصيص نفي الريب عنه من بين سائر الكتب، كما قصد في قوله:(لافيها غول) تفضيل خمر الجنة على[خمور الدنيا][2]، بأنها لا تغتال العقول كغيرها فكأنه قيل: ليس فيها مافي غيرها من هذا العيب والنقيصة[3]، ولا لنفي الجنس. وريب اسمها مبني[معها][4] لتضمنه معنى من أو للتركيب.

وذهب الزجاج[5] والسيرافي[6] إلى أن اسمها معرب منصوب بها، وعلى البناء فموضع الاسم نصب بلا العاملة عمل إن[7]. والمجموع في موضع رفع بالابتداء أو الخبر

(١) الآية ٤٧ من سورة الصافات.

(٢) في ب [خمر].

(٣) الكشاف (١/١١٤-١١٥).

(٤) في ب [منها].

(٥) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج النحوي، كان من أهل العلم بالادب والدين المتين وصنف كتاباً في معاني القرآن وله كتب منها (الامالي) و(مافسر في جامع المنطق) و(الاشتقاق) و(العروض)و(القوافي) و(مايتصرف ومالايتصرف) و(شرح أبيات سيبويه) و(النوادر).

أخذ الادب عن المبرد وثعلب، رحمهما الله تعالى، وكان يخرطُ الزُّجاج، ثم تركه، واشتغل بالادب فنسب إليه توفي سنة٣١١هـ ببغداد وقد أناف على الثمانين سنة-أهـ من وفيات الاعيان(١/٤٩-٥٠). وقول الزجاج في الإعراب في كتاب معاني القرآن وإعرابه له(١/٦٩).

(٦) هو أبو سعيد الحسن بن عبدالله بن المرزبان السيرافي النحوي المعروف بالقاضي؛ سكن بغداد وتولي القضاء بها نيابة، شرح كتاب سيبويه فأجاد فيه، وله كتب منها(ألفات الوصل والقطع) و(أخبار النحويين والبصريين) و(الوقف والابتداء) و(صفة الشعر والبلاغة) وكان حسن الاخلاق جميل الامر، وكان معتزلياً ولم يظهر منه شيء وكان لايأكل إلا من كسب يده، ينسخ ويأكل منه وكان أبوه مجوسياً فأسلم. توفي ٣٦٣هـ ببغداد وعمره٨٤ سنة رحمه الله-أهـ من وفيات الاعيان(٢/٧٨-٧٩) ولم أقف على قول السيرافي في هذا الإعراب

(٧) وهذا عند الاكثرين. إملاء مامن به الرحمن (صفحة ١٧)

للمبتدأ أو لم يعمل فيه [لا][1] عند سيبويه[2] وقال الأخفش: لا هي العاملة فيه[3]. والجار والمجرور وهو فيه على أنه خبر المبتدأ وهو لاريب عند سيبويه[4] وخبر لا عند الاخفش[5] وجملة لاريب فيه مستأنفة فلا محل موضع لها من الإعراب، أو في محل موضع رفع خبر لذلك[6]. والكتاب صفة أو بدل أو عطف بيان أو خبر بعد خبر على مذهب من تخير تعداد الخبر[7]، وإن لم يكن في معنى خبر واحد، وهنا أولى بالمنع لتبيانهما. لأن الأول مفرد والثاني جملة. وقرأ ابن كثير فيه بالإشباع في الوصل وكذلك لديه وعليه ونحوها[8] ووافقه حفص في قوله تعالى:(فيه مهانا)[9] والباقون[لايشبعون][10][11] هامش[وقد روى ابن جرير

(١) في ب[إلا] والصواب ماجاء في أ لأن سيبويه يعتبر لا الاسم الذي بعدها كلمة واحدة بخمسة عشر انظر كتاب سيبويه(٢/٢٧٥).

(٢) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الملقب سيبويه، مولى بني الحارث بن كعب، وقيل آل الربيع بن زياد الحارثي؛ كان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو، ولم يوضع فيه مثل كتابه، وذكر الجاحظ يوماً فقال: لم يكتب الناس في النحو كتاباً مثله، وجميع كتب الناس عليه عيال. أخذ سيبويه النحو عن الخليل بن أحمد وغيره. أخذ اللغة عن أبي الخطاب المعروف بالأخفش الأكبر وغيره.

توفي متأثراً بعد مناظرة ظلم بها في سنة١٨٠هـ وعمره نيف وأربعون سنة. وسيبويه لقب فارسي معناه بالعربية رائحة التفاح؛ هكذا يضبط أهل العربية هذا الاسم ونظائره مثل نفطويه، وعمرويه، وقال إبراهيم الحربي: سمي سيبويه لأن وجنتيه كانتا كأنهما تفاحتان، وكان في غاية الجمال، رحمه الله تعالى-أهـ من وفيات الأعيان(٣/٤٦٣-٤٦٥).

(٣) معاني القرآن للأخفش (١/١٧٤) ط عالم الكتب ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

(٤) انظر كتاب سيبويه (٢/٢٧٥).

(٥) معاني القرآن للأخفش (١/١٧٤).

(٦) إملاء مامن به الرحمن (صفحة١٧).

(٧) انظر تفسير البيضاوي (١/٧٩).

(٨) (فيه هدى) قرأ ابن كثير بصلة هاء الضمير بياء لفظية، وهذا مذهبه في كل هاء ضمير وقعت بعد ياء ساكنة وكان مابعدها متحركاً-أهـ (البدور الزاهرة صفحة١٦).

(٩) الآية ٦٩ من سورة الفرقان.

(١٠) جاء في[لا يُتْبعون] أي لايتبعون الياء بالهاء والمعنى واحد.

(١١) جاء في البدور الزاهرة:«فيه مهاناً» وافق حفص ابن كثير على صلة الهاء والباقون بترك الصلة(صفحة ٢٢٩).

عن ابن مسعود في قوله: ﴿ **هدى للمتقين** ﴾ قال نور للمتقين وهم المؤمنون[١]. وروى ابن إسحق[٢] وابن جرير عن ابن عباس في قوله: (هدى للمتقين) قال: «الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك مايعرفون من الهدى و يرجون رحمته في التصديق بما جاء منه»[٣][٤] وروى ابن أبي حاتم عن معاذ بن جبل أنه قيل له: من المتقون؟ فقال: قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا لله العبادة[٥]. وروى أحمد في الزهد عن أبي الدرداء قال: «تمام التقوى أن يتقي اللهَ العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة حتى يتركَ بعضَ مايرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً يكون(حجاباً)[٦] بينه وبين الحرام[٧] وروى أحمد[٨] وعبد بن حميد[٩] والبخاري

(١) هذا اللفظ من الدر المنثور(١/٦٠) لكن مافي تفسير ابن جرير من روايته يختلف لفظاً فهو عن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود، عن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم:(هدىً للمتقين) قال: هم المؤمنون-أهـ تفسير الطبري(١/٢٣٣).

(٢) هو محمد بن اسحاق بن يحيى بن منده، أبو عبدالله العبدي الأصبهاني الحافظ الجوال، صاحب التصانيف؛ كان من أئمة هذا الشأن وثقاتهم، ولد ابن منده سنة٣١٠هـ وسمع سنة ثماني عشرة، وبعدها؛ ورحل إلى نيسابور، ثم رحل إلى بغداد، وإلى مكة، ورحل إلى بخارى ومرو وبلخ وطوف الأقاليم؛ وكتب بيده عدة أحمال، وبقي في الرحلة نحواً من أربعين سنة، ثم عاد إلى وطنه شيخاً، فتزوج ورزق الأولاد، وحدث بالكثير وكان من دعاة السنة وحفاظ الأثر. وقال ابن منده: كتبت عن ألف شيخ وسبع مائة شيخ.

مات في سنة ٣٩٥هـ في ذي القعدة. اختلط في آخر عمره، فحدث عن أبي أسيد، وعبدالله بن أخي أبي زرعه وابن الجارود، بعد أن سُمِع منه أن له عنهم إجازة، وتخبط في أماليه، ونسب إلى جماعة أقوالاً في المعتقدات لم يعرفوا بها-أهـ من ميزان الاعتدال(٣/٤٧٩/٧٢١٣).

(٣) رواه ابن اسحاق في الدر المنثور(١/٦٠).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره(١/٢٣٣).

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (١/٣٣/رقم٦١) وهو جزء من خبر طويل.

(٦) في النسخة أ و ب [حاجباً] وفي نص فتح القدير والدر المنثور [حجاباً] والصواب [حجاباً] جاء في القاموس المحيط:«حجبه حجباً وحجاباً: ستره كحجبه والحاجب البواب ج:حَجَبَة وحجّاب والحجاب: ما احتجب به) أهـ باختصار(صفحة ٩٢).

(٧) الدر المنثور (١/٦١) وفتح القدير(١/٣٤).

(٨)(٩) الدر المنثور(١/٦١).

في تاريخه[1] والترمذي وحسنه[2] وابن ماجة[3] وابن أبي حاتم[4] والحاكم وصححه(٥) البيهقي في الشعب[6] عن عطية السعدي[7] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) التاريخ الكبير (٥/١٥٨/٤٨٩) ط دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) رواه الترمذي بنحوه وقال عن عطية السعدي وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال في الحديث: هذا حديث حسن غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه -أهـ سنن الترمذي (٤/٦٣٤/رقم٢٤٥١) - ط دار إحياء التراث العربي بيروت. رواية الترمذي وابن ماجه وابن أبي حاتم ضعيفه لأنها من طريق عبدالله بن يزيد الدمشقي قال في تقريب التهذيب(ص٣٣٠): ضعيف.

(٣) في سننه (٢/١٤٠٩/٤٢١٥) وقال عن عطية السعدي وهو من الصحابة.

(٤) بنحوه في تفسيره (١/٣٢/رقم٦٠).

(٥) الدر المنثور (١/٦١).

(٦) رواه البيهقي في شعب الإيمان (رقم٥٧٤٥).

(٧) عطية الساعدي: ذكره بعضهم في الصحابة وهو غلط روى حديثه البيهقي في الشعب من طريق ربيعة بن يزيد وغيره عن عطية الساعدي وكانت له صحبة وفقه «لايبلغ العبد أن يكون من المتقين» الحديث. وهذا حديث عطية السعدي بعينه فقد أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديثه -أهـ كتاب الإصابة في تمييز الصحابة(٣/١٦٨/رقم٦٧٩٣) لابن حجر العسقلاني -طبعة دار الكتاب العربي- أقول لكن ابن ماجه قال:«عن عطية السعدي وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم..» ثم ذكر الحديث نفسه -أهـ سنن ابن ماجه(٢/١٤٠٩) ط دار الكتاب المصري فهو أكد أنه من الصحابة وكذلك ذكره القرطبي في كتاب الاستيعاب على أنه صحابي في(١/١٤٤-١٤٥)- ط دار الكتاب العربي- وقد أشار السيوطي رحمه الله في الجامع الصغير(٢/٧٥٣) إلى صحة الحديث الشريف هذا المروي عن عطية.

قلت لكن صاحب الإصابة بغض النظر عن الحديث قال:«عطية بن عروة وقيل ابن عمرو وقيل ابن سعد وقيل ابن قيس السعدي قيل هو من بني سعد بن بكر صحابي معروف له أحاديث، نزل الشام، وجزم ابن حبان بأنه عطية بن عروة بن سعد. وذكره المديني عن هشام بن يوسف عن النعمان بن المنذر عن أبيه عن عروة بن محمد عن عطية السعدي عن أبيه عن جده أنه كان ممن كلّم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بني هوازن -أهـ (٤/٢٤٦)- ط دار الكتب العلمية بيروت-.

وسلم:«لايبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذراً مما به البأس». صح أصل. {هدى للمتقين } الهدى مصدر على فُعَلْ كالسُرَى والبُكَاء وهو الدلالة الموصلة إلى البغية[1]، بدليل وقوع الضلالة في مقابلته. قال تعالى:(لعلى هدى أو في ضلال مبين)[2]. ولانه لايقال مهدي إلا لمن اهتدى[3] تخصيص المتقين بالذكر وإن كان هدى لغيرهم، كما قال تعالى:(هدى للناس) لانهم المنتفعون به والمهتدون بهداه. أو إنه لاينتفع بالتأمل فيه، إلا من صقل عقله واستعمله في تدبر الدلائل والنظر في المعجزات، لانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة. فإنه لايجلب نفعاً مالم تكن الصحة حاصلة وعلى هذا قوله عز من قائل:(وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين إلا خساراً)[4] ولان غيرهم أعرض عن الاهتداء به فخرج الكلام مخرج من لايعتد بهم، أو تشريفاً لهم[5][6]. فإن قلت: فلم قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون؟ قلت: هو كقولك للعزيز المكرم أعزك الله وأكرمك تريد طلب

---

(١) البغية : هي المطلوب انظر القاموس: (صفحة ١٦٣١).

(٢) الآية ٢٤ من سورة سبأ.

(٣) جاء في كتاب التعريفات للجرجاني:«الهداية: الدلالة على مايوصل إلى المطلوب، وقد يقال هي سلوك طريق يوصل إلى المطلوب»-أهـ (صفحة٢٢٩)-.

(٤) الآية ٨٢ من سورة الإسراء.

(٥) يقال عن هذه الجملة ماقيل عن الجملة السابقة.

(٦) لابد لي أن أقول هنا قول أهل السنة والجماعة في الهدى علماً أن الكوكباني وضحه صفحة٥١/في تفسير قوله تعالى في سورة الفاتحة«اهدنا الصراط المستقيم» وأحسن من ذلك ماقال القرطبي عند تفسير قوله سبحانه(هدى للمتقين) قال:«الهدى هُديان: هدى دلالة، وهو الذي تقدر عليه الرسل وأتباعهم؛ قال الله تعالى:(ولكل قوم هاد) -الآية٧ من سورة الرعد- وقال:(وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم)- الآية ٥٢ سورة الشورى- فأثبت لهم الهدى الذي معناه الدلالة والدعوة والتنبيه وتفرد سبحانه بالهدى الذي معناه التأييد والتوفيق فقال لنبيه صلى الله عليه وآله

الزيادة إلى ماهو ثابت فيه. واستدامته كقوله تعالى:(اهدنا الصراط المستقيم)[1] والمتقي اسم فاعل مأخوذ من الاتقاء وأصله الحجز بين الشيئين ومنه يقال: اتقى بترسه أي جعله

وسلم«إنك لاتهدي من أحببت» -الآية ٥٦ سورة القصص- فالهدى على هذا يجيء بمعنى خلق الإيمان في القلب: ومنه قوله تعالى:(أولئك على هدى من ربهم) الآية ٥ من سورة البقرة وقوله(ويهدي من يشاء) الآية ٨ سورة فاطر والهدى: الاهتداء، ومعناه راجع إلى معنى الإرشاد كيفما تصرفت قال أبو المعالي: وقد ترد الهداية المراد بها إرشاد المؤمنين إلى مسالك الجنان والطرق المفضية إليها: من ذلك قوله تعالى في صفة المجاهدين(فلن يضل أعمالهم سيهديهم) الآية(٥-٦) محمد -أهـ تفسير القرطبي(١/١٦٠) فالهدى في الآية هنا إذن نوعان نفعنا الله بها.

(١) الآية ٥ من سورة الفاتحة.

(٢) الكشاف (١/١١٧) لكن الحق أن القرآن يهدي من توقى الشر لنفسه ولاسرته والمجتمع والبشرية فيصب في قلبه هدىً يرشده ونوراً ينير أمامه طريقه في الحياة كل الحياة أما الذين همهم زيغهم وشهواتهم ومطامعهم الباطلة فإنهم بعيدون كل البعد عن هداية القرآن إلى سواء السبيل بعيدون عن إضاءة دروب الحياة لهم قال تعالى:«فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم» ولقد تنبه سيد قطب لهذا المعنى في قوله تعالى«هدى للمتقين فقال رحمه الله تعالى«ذلك الكتاب لاريب فيه».. الهدى حقيقته، والهدى طبيعته، والهدى كيانه، والهدى ماهيته.. ولكن لمن؟ لمن يكون ذلك الكتاب هدى ونوراً ودليلاً ناصحاً مبيناً؟ .. للمتقين.. فالتقوى في القلب هي التي تؤهله للانتفاع بهذا الكتاب هي التي تفتح مغاليق القلب له فيدخل ويؤدي دوره هناك، هي التي تهيء لهذا القلب أن يلتقط وأن يتلقى وأن يستجيب. لابد لمن يريد أن يجد الهدى في القرآن أن يجيء إليه بقلب سليم بقلب خالص ثم أن يجيء إليه بقلب يخشى و يتوقى ويحذر أن يكون على ضلالة، أو أن تستهويه ضلالة.. وعندئذ يتفتح القرآن عن أسراره وأنواره ويسكبها في هذا القلب الذي جاء إليه متقياً، خائفاً حساساً، مهيأ للتلقي.. ورد أن عمر بن الخطاب- رضي الله تعالى عنه- سأل أبي بن كعب عن التقوى فقال له: أما سلكت طريقاً ذا شوك؟ قال بلى!

قال: فما عملت؟ قال: شمرت واجتهدت قال: فذلك التقوى. فذلك التقوى.. حساسية في الضمير، وشفافية في الشعور، وخشية مستمرة وحذر دائم، وتوق لاشواك الطريق.. طريق الحياة.. الذي تتحاذاه أشواك الرغائب والشهوات، وأشواك المطامع والمطامح وأشواك المخاوف والهواجس

حاجزاً بينه وبين مايقصده وفي الحديث:«كنا إذا حمي البأس اتقينا برسول الله صلى الله عيه وآله وسلم»[1] أي إذا اشتد الحرب جعلناه حاجزاً بيننا وبين العدو، فكأن المتقي يجعل الامتثال لأمر الله سبحانه وتعالى والاجتناب عما نهاه حاجزاً بينه وبين العذاب. قال ابن عباس رضي الله عنهما: المتقي من يتقي الشرك والكبائر والفواحش[2]، وقال عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه: التقوى ترك ماحرم الله تعالى، وأداء ماافترض الله، فما رزق الله بعد ذلك فهو خير إلى خير[3].وقيل هو الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[4].وفي الحديث«جماع التقوى في قوله تعالى:(إن الله يأمر بالعدل والإحسان) الآية[5][6]» وقال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه: التقوى ترك الإصرار على المعصية وترك

---

وأشواك الرجاء الكاذب فيمن لايملك إجابة رجاء، والخوف الكاذب ممن لايملك نفعاً ولاضراً.

وعشرات غيرها من الأشواك» -أهـ في ظلال القرآن(١/٣٨-٣٩) تأليف سيد قطب رحمه الله تعالى-ط دار الشروق بيروت -١٤٠٢هـ ١٩٨٢م-. ومن أخطر أمراض القلوب المبعدة عن هداية القرآن الكبر الذي هو بطر الحق وغمط الناس، فقلب هذا شأنه لايهتدي بالقرآن لأنه لايتوقى الضلالة بل يتعالى على الناس بغير حق ويرد الحق فلايتوقى الباطل: قال تعالى:(سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلاً ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) الآية ١٤٦ من سورة الأعراف. فالمتكبر وكل بعيد عن التقوى لايستحق هداية القرآن.

(١) ذكره البغوي في تفسيره(١/٣٥) وجاء في صحيح مسلم بلفظ: قال البراء: كنا والله إذا احمر البأس نتقي به. وإن الشجاع منا للذي يحاذي به. يعني النبي صلى الله عليه وآله وسلم- صحيح مسلم(١/١٤٠١) ط دار الفكر.

(٢) تفسير البغوي (١/٣٥).

(٣) تفسير البغوي (١/٣٥) وتمامه في الدر المنثور أخرج ابن أبي الدنيا عن عمر بن عبدالعزيز قال: ليس تقوى الله بصيام النهار، ولابقيام الليل ولا التخليط فيما بين ذلك ولكن تقوى الله ترك ماحرم الله..إلخ» تابع كما ذكر الكوكباني وهو في تفسير البغوي(١/٦٢-٦٣).

(٤) تفسير البغوي (١/٣٥) بنحوه.

(٥) الآية ٩٠ سورة النحل.

(٦) تفسير البغوي (١/٣٥). جاء في حديث موقوف على عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: إن أجمع آية في القرآن للخير والشر في سورة النحل«إن يأمر بالعدل والإحسان» الآية رواه ابن جرير(٨/٢١٤) -ط دار الفكر- ورواه الحاكم في المستدرك(٢/٣٥٦) وصححه وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

الاغترار بالطاعة[1]. وقال شهر بن حوشب: المتقي الذي يترك مالابأس به حذراً لما به البأس[2]. وقوله تعالى:(هدى للمتقين) في محل رفع لأنه خبر مبتدأ محذوف أي هو هدى للمتقين. أو خبر ثالث لذلك على أن الكتاب خبر أول ولاريب فيه خبر ثان أو خبر ثان على أن الكتاب تابع لذلك. ولاريب فيه خبر أول. أو مبتدأ وفيه خبر مقدم قدم عليه لتنكيره ولذلك وقف على لاريب والتقدير لاريب فيه فيه هدى للمتقين. ويجوز أن ينتصب هدى على الحال، وصاحبها اسم الإشارة [الكتاب][3] والعامل على هذين معنى الإشارة ويجوز أن يكون صاحبها ضمير فيه والعامل مافي الظرف من الاستقرار.

**تنبيه**

والذي هو راسخ عرفاً في البلاغة؛ أن يقال: إنها أربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة. ولذلك لم يدخل العاطف بينها، فقوله تعالى:(ألم) جملة برأسها، أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها، دلت على أن المتحدي به هو المؤلف من جنس مايركبون منه كلامهم. وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي، بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال ولاريب فيه جملة ثالثة تشهد على كماله ونفي الريب فيه، لأنه لا كمال أعلى مما للحق واليقين. وهدى للمتقين مما يقدر له مبتدأ جملة رابعة. يقرر كونه يقيناً [لايحوم][4] الشك [حوله][5]، وحقاً لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه. أو تستتبع كل واحد منها ماتليها

---

(١) تفسير الرازي (٢١/٢) – ط دار الكتب العلمية.

(٢) تفسير البغوي (٣٥/١).

(٣) في النسخة ب [أو الكتاب] بإضافة أو والصواب ماجاء في أ.

(٤) في النسخة ب[لايجزم] ولاشك أن مافي أ هو أشمل وأفضل لمعنى الجملة.

(٥) في النسخة ب[قول] والصواب مافي النسخة أ لسلامة معنى الجملة.

استتباع الدليل للمدلول، وبيان ذلك أنه لما نبه تعالى أولاً على [إعجاز][1] المتحدي به، من حيث إنه من جنس كلامهم، وقد عجزوا عن معارضته، استنتج منه أنه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك أنه [لايتثبت][2] الريب بأطرافه وماكان كذلك كان لامحالة هدى للمتقين ثم لاتخل كل واحدة منها، بعد أن رتبت هذا الترتيب الأنيق، ونظمت هذا النظم البديع. من نكتة ذات جزالة. ففي الأولى الحذف والرمز إلى المقصود بألطف وجه وأرشقه. وفي الثانية مافي التعريف من الفخامة، وفي الثالثة مافي تقديم الريب على الظرف حذاراً عن إيهام الباطل وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف، الذي هو هاد للمبالغة، وإيراده منكراً للتعظيم، و تخصيص الهدى بالمتقين إيجازاً تفخيماً لشأنهم، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وقرأ أبو جعفر وابن كثير هدى للمتقين بالإدغام بلاغنة[3]. والباقون منهم من يدغم ويظهر الغنة[4] ومنهم من لايدغم[5].

**(٣) ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾** الإيمان في اللغة التصديق[6] ومنه قوله تعالى: (ومأأنت

---

(١) في النسخة ب [اتحاد] والصواب مافي النسخة أ لسلامة معنى الجملة.

(٢) في النسخة ب [لايثبت] وكلاهما مناسب لمعنى الجملة وسياق الكلام.

(٣) انظر كتاب الغاية في القراءات العشر للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري المتوفي سنة ٣٨١هـ مع تحقيق محمد غياث جنباز راجعه فضيلة الشيخ سعيد عبدالله (صفحة ٨٥/٨٦) طبع شركة العبيكان -الرياض- لكنه ذكر في المتن أن ابن كثير له وجهين بالإدغام وعدم الإدغام وذكر في الشرح أن قوله بالإدغام هو بغير غنة.

(٤) مثل أبي عمرو. تحقيق الغاية(صفحة٨٦) قال صحت نصاً وأداء عن أهل الحجار وهشام وعيسى بن وردان وروح وغيرهم.

(٥) خيّر البزي بين الإدغام والإظهار فيهما قال: وبالوجهين قرأت. انظر التحقيق على الغاية (صفحة٨٥).

(٦) قال ابن منظور:«اتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق» -أهـ من لسان العرب مادة أمن- طبعة الدار المصرية للتأليف.

بمؤمن لنا»[1] أي بمصدق. وهو مأخوذ من الأمان فسمى المؤمن مؤمناً لأنه يؤمن نفسه من عذاب الله بالله تعالى والله تعالى مؤمن لأنه يؤمن العباد من عذابه أو من الأمن. كأن المصدِّق آمن المصدق من التكذيب[2] وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف. وقال الأزهري[3] الإيمان: العمل(٤). وهو في الشرع التصديق بما علم بالضرورة[5] أنه من دين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء وروى ابن جرير[6] وابن أبي حاتم [7] عن أبي العالية في قوله تعالى:(الذين يؤمنون بالغيب) قال: بالله وملائكته ورسله اليوم الآخر وجنته وناره ولقائه والحياة بعد الموت» وروى عبد بن حميد وابن جرير

(١) الآية ١٧ من سورة يوسف.

(٢) قال الجوهري: «والله تعالى المؤمن، لأنه أمن عباده من أن يظلمهم» -أهـ من مادة أمن من كتاب الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية طبعة دار العلم للملايين تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري.(٥/٢٠٧١)، وذكرت هذا القول للجوهري لأنه قد يتبادر إلى ذهن القارئ أنه قد يلزم من قول الكوكباني كأن المُصَدِّق آمن المُصَدِّق من التكذيب خوف الله إن لم يؤمن به المؤمن إذ قال ابن المنظور رحمه الله:«والأمن ضد الخوف» -أهـ من مادة أمن من لسان العرب ط دار الكتب المصرية للتأليف.

(٣) هو أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة بن نوح بن أزهر، الأزهري الهروي اللغوي الإمام المشهور في اللغة، كان فقيهاً شافعي المذهب غلبت عليه اللغة فاشتهر بها، وكان متفقاً على فضله وثقته ودرايته وورعه. وكان قد رحل وطاف في أرض العرب في طلب اللغة وامتحن بالأسر عند القرامطة عندما عارضوا الحاج. صنف في اللغة كتاب«التهذيب» وهو من الكتب المختارة، في أكثر من عشر مجلدات، وله كتاب«التفسير» وكان ولادته سنة ٢٨٢هـ وتوفي سنة ٣٧٠هـ تقريباً -أهـ في وفيات الأعيان(٤/٣٣٤-٣٣٥).

(٤) ولم أجد قول الأزهري في مرجع له أو لغيره، لكن وجدت في تفسير الطبري قال الزهري: الإيمان العمل. (١/١٤٩) ط دار الفكر بيروت فالذي وضح خطأ بالنقل لم يتعمده الإمام الكوكباني رحمه الله تعالى فهو قد اعتمد التعريف الاصطلاحي التالي. قال الأزهري في كتابه تهذيب اللغة(١٥/٥١٣): وأما الإيمان فهو مصدر آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق- ط دار الكتاب العربي القاهرة ١٩٦٧.

(٥) أي بلا دليل أنها من دين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم- أي لاتحتاج إلى دليل يدل عليها لوضوحها وأهميتها والله أعلم- وإن كانت مستندة ومتوقفة على النظر والاستدلال.

(٦) في تفسير الطبري لكن عن الربيع بن أنس(١/١٥٠) ط دار الفكر.

(٧) في تفسيره (١/٢٥/رقم٦٧) عن أبي العالية.

عن قتادة في قوله تعالى:(الذين يؤمنون بالغيب) قال بالبعث بعد الموت والحساب والجنة والنار وصدقوا بموعود الله الذي عد في هذا القرآن»[1] وروى الطستي[2] في مسائله عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق[3] قال له: أخبرني عن قوله عز وجل«الذين يؤمنون بالغيب» قال: ماغاب عنهم من أمر الجنة والنار قال وهل تعرف العرب ذلك قال نعم أما سمعت أبا سفيان بن الحارث ابن عبدالمطلب[4] يقول:

وبالغيب آمنا وقد كان قومنا  يصلون للأوثان قبل محمد[5]

صح أصل وبعده وقيل الغيب هاهنا هو الله[6].

(١) الدر المنثور (٦٤/١). وكذلك ابن جرير في تفسيره أيضاً(٥٠/١) بنحه -ط دار الفكر-

(٢) الطستي لعل هنالك خطأ في الكتابة وفي كتابة الدر المنثور في التفسير المأثور فقد ذكر الإمام السيوطي في كتابه الاتقان بسنده وذكر في السند حدثنا أبو الحسن عبدالصمد بن علي بن محمد بن مكرم المعروف بابن الطيسي -الإتقان (١٥٨/١) طبعة دار المعرفة بيروت تكملة الترجمة في أعلام النبلاء في الفهرس.

(٦٥٥/٢٨٠٢) عبدالصمد بن علي -الطستي.

(٣) نافع بن الأزرق وهو من الخوارج وتسمى الفرقة التي تبعته«الأزارقه» وهم يكفرون من عداهم من المسلمين، ويحرمون أكل ذبائحهم ومناكحتهم، ولايجيزون التوارث بينهم -أهـ في كتاب التفسير والمفسرون(٧٤/١) ونافع هذا جاء إلى مكة فوجد عبدالله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد الناس يسألونه عن تفسير القرآن، فجاء نافع إلى ابن عباس متحدياً ومستخفاً فسأله عن مائتي مسألة في التفسير فأجابه ابن عباس رضي الله عنهما جميعاً على أساس من شعر العرب. وفيها علم مفيد بالتفسير ذكرها السيوطي في كتابه كاملة بسنده رحمه الله -الاتقان في علوم القرآن(١٥٧/١).

(٤) وهو ابن عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخوه من الرضاعة وكان يشبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان له هجاء قبل إسلامه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان حسان بن ثابت يجاوب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم. أسلم أبو سفيان عام الفتح. وخرج مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الطائف وحنين ولما انهزم المسلمون يوم حنين كان أبو سفيان أحد السبعة الذين ثبتو مع النبي حتى رجع إليه المسلمون ونصرهم الله تعالى وأكثر العلماء يقولون: اسمه كنيته ليس له اسم سواها -أهـ من وفيات الأعيان(٣٥١/٦-٣٥٢).

(٥) الدر المنثور (٦٤/١-٦٥).

(٦) انظر تفسير ابن عطية (١٤٥/١).

ومجموعه ثلاثة أمور اعتقاد بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح[1] فمن أخل

(١) هذا هو كمال الإيمان كقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:«من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان» رواه أبو داود عن أبي أمامة وهو حديث صحيح -الجامع الصغير(٢/٥٥٢/٨٣٠٨). فإذا أخفى المؤمن إيمانه لخوفه من سجن مَديد أو ضرب شديد أو قتل ثن أظهره لعز الإسلام بالشهادتين كان مؤمناً قبل وبعد ويكفيه النطق بالشهادتين عن اعتقاد سليم لاعتباره صاحب إيمان أخيراً قال الله تعالى:(ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل» الآية ٦٤ من سورة النساء.

جاء في تفسير ابن كثير(١/٥٥٢):

قال البخاري: قال حبيب بن أبي عمره عن سعيد عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للمقداد:«إذا كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار فأظهر إيمانه فَقَتَلْه فكذلك كنت تخفي إيمانك بمكة من قبل» هكذا ذكره البخاري معلقاً مختصراً وقد روي مطولاً موصولاً. فقال الحافظ أبو بكر البزار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سرية فيها المقداد بن الاسود فلما أتو القوم وجدوهم قد تفرقوا وبقي رجل له مال كثير لم يبرح فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأهوى إليه المقداد فقتله، فقال له رجل من أصحابه أقتلت رجلاً شهد أن لا إله إلا الله؟ والله لأذكرن ذلك للنبي -صلى الله عليه وآله وسلم- فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم- قالوا:يارسول الله إن رجلاً شهد أن لا إله إلا الله فقتله المقداد فقال:«ادعوا لي المقداد. يامقداد أقتلت رجلاً يقول لا إله إلا الله فكيف لك بلا إله إلا الله غداً» قال فأنزل الله«يأيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا» فقال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- للمقداد«كان رجل مؤمن يخفي ايمانه مع قوم كفار فأظهر إيمانه فقتلتَهُ وكذلك كنت تخفي إيمانك بمكة قبل» -أهـ من تفسير ابن كثير-

وكأن الحنفية استندوا إلى هذه الآية وسبب نزولها عندما قالوا: أن الإيمان معرفة بالقلب واقرار باللسان وهو قول أبي حنفية رحمه الله تعالى وعامة الفقهاء -هذا من أقوال الفقهاء من حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي(١/٨٥) -أما من قالوا أن الإيمان مكانه القلب فقد استندوا على مامر معنا عن الرجل الذي يكتم إيمانه ثم أظهره لما أراد فرعون قتل موسى عليه السلام.

بالاعتقاد وحده منافق[1] ومن أخل بالإقرار كافر، ومن أخل بالعمل فاسق. والإسلام الخضوع والانقياد. وقال الازهري[2]: الإسلام الكلمة والإيمان العمل، واحتج بقوله

---

وكتمان الإيمان دون عذر وإن صح بدون إقرار باللسان أمام المؤمنين فهو ناقص لان الإقرار أمام المؤمنين لابد منه كي تجري أحكام الاسلام على من آمن في الميراث وصلاة الجنازة والدفن في مقابر المسلمين والزواج وسائر أحكام الإسلام.

على أن التصديق وحده لايكفي ولابد معه من إذعان وقبول في النفس ورضاً ليعتبر صاحبه مؤمناً.

قال الواحدي رحمه الله: الكفر على أربعة أنواع كفر إنكار وكفر جحود وكفر معاندة وكفر نفاق فمن لقي ربه بشيء من ذلك لم يغفر له -أهـ من حاشية الشيخ زاده (٨٦/١).

صحيح أن ابليس صدق بقلبه ولكنه لم يذعن ولم يقبل الإيمان، ومثله أبو جهل الذي حارب الاسلام، وكذلك كثير ممن عرفوا إعجاز القرآن في العصر الحديث فعلموا صدقه ومع ذلك لم يقبلوه ولم يذعنوا له. ومثل ذلك من ينطق بالشهادتين كذباً وزوراً وأخذ على عاتقه محاربة الاسلام والمتمسكين به خدمة لاعداء الاسلام وهم غير متأولين في تعذيب المسلمين وعداوتهم. والتعريف الذي اختاره للإيمان هو: التصديق بالنفس بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم- مع الإذعان والقبول أما كمال الإيمان فهو معرفة بالله والنطق بالشهادتين وامتثال أوامره سبحانه تعالى. والله جل جلاله أعلم.

(١) المنافق هو من يضمر الكفر ويظهر الإسلام على أن الإنسان قد يخفي إيمانه عن الناس خوفاً من إيذائهم له بسجن مديد أوضرب شديد أو قطع عضو أو قتل فعند ذلك يجوز أن يخفي إيمانه عنهم عنهم كمؤمن آل فرعون. قال تعالى:(وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه..)٢٦ غافر إلى أن قال سبحانه«وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله.»٢٨ غافر وقد كان هذا الرجل يكتم إيمانه عن قومه القبط فلم يظهره إلا هذا اليوم -أهـ في تفسير ابن كثير رحمه الله(٨٤/٤) ط دار المعرفة.

وأما في المنافق فقد قال سبحانه«ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين يخادعون الله الذين أمنوا ومايخدعون إلا أنفسهم ومايشعرون» الآية ٨-٩ من سورة البقرة.

(٢) المقصود من أنكر ماعلم بالدين بالضرورة كما أوضح الكوكباني سابقاً والاشمل أن من أخل بالشهادتين كافر وهو إذا أنكر ماثبت في القرآن والسنة المتواترة أو أنكر الاحكام الشرعية القطعية التي يعطيها القرآن والسنة المتواترة فعند ذلك يعتبر إخلال بإقرار الشهادتين قال الجرجاني في كتابه التعريفات «ومن أخل بالشهادة فهو كافر» (صفحة٣٤).

لكن هذا هو قول الزهري لا الازهري والزهري أقدم من الازهري راجع شرح صحيح مسلم للنووي(١٤٤/١).

تعالى:(قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا : أسلمنا)[1][2] وذهب غيره إلى أن الإسلام والإيمان شيء واحد، واحتج بقوله تعالى:(فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين)[3][4] قال الخطابي: والصحيح من ذلك أن يقيد الكلام في هذا ولايطلق وذلك أن المسلم قد يكون مؤمناً في بعض الاحوال، ولايكون مؤمناً في بعضها، والمؤمن مسلم في جميع الاحوال، فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً[5].

والإيمان يزيد وينقص، قال أبو الحسن علي بن خلف بن بطال المالكي العربي[6] في شرح صحيح البخاري ومذهب [جماعات][7] أهل السنة من سلف الامة وخلفها، أن الإيمان [قول وعمل][8] يزيد وينقص والحجة على زيادته ونقصانه ماأورده البخاري من الآيات يعني قوله سبحانه وتعالى:(ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم)[9] و(ويزداد الذين آمنوا إيماناً)[10] و(أيكم

---

(١) الآية ١٤ من سورة الحجرات.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١٤٤/١).

(٣) الآية (٣٥-٣٦) من سورة الذاريات.

(٤) (٥) شرح صحيح مسلم للنووي (١٤٥/١).

(٦) هو: علي بن خلف بن عبدالملك بن بطال، أبو الحسن: عالم بالحديث، من أهل قرطبة له(شرح البخاري مخطوط) موزع في عدة مكتبات في العالم ومنه قطعة مخطوطة في اسطنبول أولها: باب زيادة الإيمان ونقصانه، توفي سنة ٤٤٩هـ - أهـ من الاعلام بتصرف(٢٨٥/٤)-.

(٧) في النسخة ب [جماعة] وهو الاصوب لان أهل السنة جماعة واحدة والحمد لله تعالى.

(٨) وفي النسخة ب لاوجود لهذا مع أنه موجود في شرح النووي لمسلم (١٤٦/١).

(٩) الآية ٤ من سورة الفتح.

(١٠) الآية ٣١ من سورة المدثر

زادته هذه إيماناً﴾[1] و﴿ومازادهم إلاّ إيماناً وتسليماً﴾[2] و﴿وزدناهم هدى﴾[3][4] وقال أبو عبدالله محمد بن إسماعيل الاصبهاني[5] في كتابه التحرير شرح صحيح مسلم الإيمان في اللغة هو التصديق، فإن عنى به ذلك فلايزيد ولاينقص، لان التصديق ليس بشيء يتجزأ حتى يتصور كماله مرة ونقصه أخرى، والإيمان في لسان الشرع هو التصديق بالقلب، والعمل بالاركان فإذا فسر فهذه الطريق تطرق إليه الزيادة والنقصان[6] قال والخلاف في التحقيق إنما هو في التصديق بقلبه إذا لم يجتمع إلى تصديقه العمل بموجب الإيمان هل يسمى مؤمناً أم لا؟ والمختار أنه لايسمى به قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

---

(١) الآية ١٢٤ من سورة التوبة.

(٢) الآية ٢٢ من سورة الاحزاب.

(٣) الآية ١٣ من سورة الكهف.

(٤) ثم قال النووي: قال ابن بطال فإيمان من لم تحصل له الزيادة ناقص قال فإن قيل الإيمان في اللغة التصديق فالجواب أن التصديق يكمل بالطاعات كلها فما ازداد المؤمن من أعمال البر كان ايمانه أكمل ، وبهذه الجملة يزيد الإيمان وبنقصانها ينقص فمتى نقصت أعمال البر نقص كمال الدين ومتى زادت زاد الإيمان كمالاً هذا توسط القول في الإيمان وأما التصديق بالله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فلاينقص ولذلك توقف مالك رحمه الله في بعض الروايات عن القول بالنقصان إذ لايجوز نقصان التصديق لانه إذا نقص صار شكاً وخرج عن الإيمان. عن ابن بطال بشرح صحيح مسلم للنووي(١٤٦/١) من هنا يتضح أن ابن بطال فسر الإيمان بالتصديق. وجاء قول ابن بطال الاول في الاعدال في سنن الترمذي بشرح تحفة الاحوذي (٢٩٦/٧).

(٥) لم أقف على ترجمته.

(٦) ثم تابع مسلم فقال «هذا مذهب أهل السنة» شرح صحيح مسلم للنووي(١٤٦/١)

«لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»[1] لأنه لم يعمل بموجب الإيمان فيستحق هذا

(١) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما أما رواية البخاري فهي كمايلي:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«لايزني العبد حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب حين يشرب وهو مؤمن و ولا يقتل وهو مؤمن » قال عكرمة: قلت لابن عباس كيف ينزع الإيمان منه؟ قال هكذا وشبك بين أصابعه ثم أخرجها فإن تاب عاد إليه هكذا وشبك بين أصابعه.. -أهـ صحيح البخاري بشرح فتح الباري (١١٦/٢ - ط المكتبة السلفية).

أما رواية مسلم فهي كمايلي: قال أبو هريرة إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:«لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولايسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولايشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن وفي إحدى الروايات زيادة « ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن » -أهـ من صحيح مسلم بشرح النووي(٤٢/٢-٤٣).

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى:(هذا الحديث اختلف العلماء في معناه فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه لايفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان وهذا من الألفاظ الذي تطلق على نفي شيء ويراد نفي كماله ومختاره كما يقال لا أعلم إلا مانفع، ولا مال إلا الإبل، ولاعيش إلا عيش الآخرة، وإنما تأويلنا على ماذكرناه لحديث أبي ذر وغيره من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وان سرق وحديث عبادة بن الصامت الصحيح المشهور أنهم بايعوه صلى الله عليه وآله وسلم على ان لايسرقوا ولايزنوا ولايعصوا إلى آخره ثم قال لهم -صلى الله عليه وآله وسلم-(فمن وفى منكم فأجره على الله ومن فعل شيئاً من ذلك فعوقب في الدنيا فهو كفارته ومن فعل ولم يعاقب فهو إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه)فهذان الحديثان مع نظائرهما في الصحيح مع قول الله عز وجل إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء مع إجماع أهل الحق على أن الزاني والسارق والقاتل وغيرهم من أصحاب الكبائر غير الشرك لايكفرون بذلك بل هم مؤمنون ناقصوا الإيمان إن تابوا سقطت عقوبتهم وان ماتوا مصرين على الكبائر كانوا في المشيئة فإن شاء الله تعالى عفا عنهم وأدخلهم الجنة أولاً وإن شاء عذبهم ثم أدخلهم الجنة، وكل هذه الأدلة تضطرنا إلى تأويل هذا الحديث وشبهه، ثم إن هذا التأويل ظاهر سائغ في اللغة مستعمل فيها كثير واذا ورد حديثان مختلفان ظاهراً وجب الجمع بينهما، وقد ورد هنا فيجب الجمع وقد جمعنا، وتأول بعض العلماء هذا الحديث على من فعل ذلك مستحلاً له مع علمه بورود الشرع بتحريمه، حكى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معناه ينزع منه نور الإيمان وفيه حديث مرفوع، وذهب الزهري إلى أن هذا الحديث ومـاأشبهه يؤمن بها ويمر على ماجاءت

الإطلاق[1]. والأظهر والله سبحانه أعلم أن نفس التصديق يزيد بكثرة النظر وتظاهر الأدلة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً بارزاً للناس فأتاه رجل فقال: يارسول الله ماالإيمان؟ قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر، فقال يارسول الله ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله ولاتشرك به شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان[2] وفي حديث [آخر][3] عن عمر بن الخطاب قال: يامحمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، قال يارسول الله ماالإحسان؟ قال :أن تعبد الله كأنك تراه فإنك إلاَّ تراه فإنه يراك» ،قال يارسول الله متى الساعة؟ قال: ماالمسؤول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربتها فذاك من أشراطها، وإذا كانت العراة الحفاة رؤوس الناس فذاك من أشراطها، وإذا تطاول رعاء البهم في البنيان فذاك من أشراطها في خمس لايعلمهن إلاَّ الله ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:(إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث،

=ولايخاض في معناها وانا لانعلم معناها وقال أمروها كما أمرها من قبلكم وقيل في معنى الحديث غير ماذكرته مما ليس بظاهر بل بعضها غلط فتركتها وهذه الاقوال التي ذكرتها في تأويله كلها محتملة والصحيح في معنى الحديث ماقدمناه أولاً. -أهـ من صحيح مسلم(٢/٤١-٤٢) مع اختصار قال الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«لايزني الزاني وهو مؤمن، ولايسرق السارق وهو مؤمن ولكن التوبة معروضة» وقال حديث أبي هريرة حديث حسن غريب صحيح من هذا الوجه -سنن الترمذي بشرح تحفة الأحوذي (٧/٣١٣-٣١٤/٢٧٦٠).

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١/١٤٦).

(٢) هذا جزء من حديث شريف رواه كل من البخاري صحيح البخاري - بشرح فتح الباري(١/١٤٠/٥٠) ط المكتبة السلفية - ومسلم في صحيحه- صحيح مسلم بشرح النووي(١/١٦٢-١٦٤)- وابن ماجه في سننه(١/٢٥/٦٤).

(٣) في النسخة ب بدون هذه الكلمة.

ويعلم مافي الأرحام، إلى قوله:عليم خبير)[1] قال: ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:«ردوا عليّ الرجل» فأخذوا ليردوه فلم يروا شيئاً فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:«هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم.» رواه مسلم في صحيحه، في باب معرفة الإيمان من الإسلام[2]. وعن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:«ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً

---

(١) الآية ٣٤ من سورة لقمان .

(٢) الظاهر أن الحديثين السابقين اختلط منهما جزء متأخر من الأول لم يذكره المؤلف في الثاني الذي هو رواية مسلم وأمر آخر إن أهم شيء يبحثه الكوكباني رحمه الله هو الإيمان فلابد من ذكر الحديث كاملاً ومن ذلك الإخبار عن الإيمان ومنه الإيمان بالقدر خيره وشره الذي هو بحثنا الآن لهذين الأمرين لابد أن أسوق الحديث وصحيح مسلم مع مقدمته: عن يحيى بن يعمر قال كان اول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبدالرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفق لنا عبدالله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام اليّ فقلت: أنا عبدالرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤن القرآن ويتقفرون العلم، وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لاقدر وأن الامر أنف قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم بأني برىء منهم، وأنهم برآء مني والذي يحلف به عبدالله بن عمر لو أن لاحدهم مثل أحد ذهباً فانفقه ماقبل الله منه حتى يؤمن بالقدر، ثم قال حدثني أبي عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لايرى عليه أثر سفر ولايعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، قال: يامحمد اخبرني عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا قال صدقت قال فعجبنا له يسأله ويصدقه قال: فأخبرني عن الايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال:صدقت. قال فأخبرني عن الاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال: فأخبرني عن الساعة قال: ماالمسؤول عنها

وبمحمد رسولاً» رواه مسلم[1] وغيره[2]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:«الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول لا إله إلاَّ الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» رواه مسلم[3] ورواه البغوي[4]

بأعلم من السائل قال: فأخبرني عن أماراتها قال: أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان قال ثم انطلق فلبث ملياً ثم قال لي: ياعمر أتدري من السائل قلت الله ورسوله أعلم قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» هكذا رواه مسلم في صحيحه دون (٣) النقص الذي غفل عنه الكوكباني رحمه الله تعالى. رواه مسلم(١/١٥٠-١٦٠) من كتاب شرح صحيح مسلم للنووي ورواه الترمذي(٧/٢٨٧-٢٧٣٨) بنحوه في تحفة الأحوذي ورواه أبو داود(٤/٢٢٢-٤٦٩٥)بنحوه ورواه ابن ماجه (١/٢٤/٦٣) ذكر حديث عمر بنحوه كاملاً دون ذكر المقدمة في سؤال وجواب ابن عمر رضي الله عنهما.

(١) في صحيحه في شرح النووي(٢/٢).

(٢) ورواه الترمذي (٢/٣١١/٢٧٥٨) في سننه تحفة الأحوذي بنحوه وقال :هذا حديث حسن صحيح.

(٣) جاء في مسلم بلفظين الأول عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:«الإيمان بضع وسبعون شعبة والحياء شعبة من الإيمان» وجاء أيضاً عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من شعب الإيمان».

(٢/٣-٦) بشرح صحيح مسلم للنووي. ورواه البخاري بلفظ«الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان» وهو أيضاً عن أبي صالح عن أبي هريرة ورواه الترمذي بلفظ آخر(٧/٣٠١/٢٧٤٦) في تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي ورواه أبو داود بلفظ آخر غير لفظ مسلم لكن عن أبي صالح عن عبدالله بن دينار عن أبي هريرة(٤/٢١٨/٤٦٧٦) ورواه النسائي بلفظ«بضع وسبعون شعبة» (٨/١١٠).

(٤) ورواه البغوي بلفظ«بضع وسبعون شعبة» تفسير البغوي(١/٣٧) وفي اختلاف العدد لشعب الإيمان في رواية حديث أبي هريرة هذا قال النووي رحمه الله تعالى:(.. واختلف العلماء في الراجحة من الروايتين فقال القاضي عياض الصواب ماوقع في سائر الأحاديث ولسائر الرواة بضع وستون وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله تعالى هذا الشك الواقع في رواية سهيل

وقال: وهذا دليل على أن العمل من الإيمان[1]. قوله تعالى:«بالغيب» الغيب نقيض الشهادة، وهو مصدر وضع موضع الاسم يقال للغائب: غيب، ويقال: غاب عني إذا خفي عن الابصار، وهو قسمان: قسم لادليل عليه، وهو المعني بقوله تعالى:(وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلاّ هو)[2] وقسم نصب عليه دليل كالصانع سبحانه وتعالى، وصفاته واليوم الآخر وأحواله وهو المراد بالآية قال ابن عباس رضي الله عنهما: الغيب ههنا كل ماأمرت بالإيمان به فيما غاب عن [بصرك][3][مثل][4] الملائكة والبعث والجنة والنار والصراط والميزان[5] وقيل: الغيب هاهنا هو الله تعالى[6]. وقيل هو القرآن[7] وقال الحسن :الآخرة[8] وقال:زرابن حبيش[9] وابن جريج[10] :الوحي ونظيره عنده علم الغيب[10]. وعن عبدالرحمن بن

---

= هو من سهيل كذا قاله الحافظ أبو بكر البيهقي رحمه الله وقدروي عن سهيل بضع وسبعون من غير شك، وأما سلمان بن بلال فإنه رواه عن عمرو بن دينار على القطع من غير شك وهي الرواية الصحيحة أخرجاها في الصحيحين غير أنها فيما عندنا من كتاب مسلم بضع وسبعون ، وفيما عندنا من كتاب البخاري بضع وستون» إلى أن يقول«واختلفوا في الترجيح قال والاشبه بالإتقان والاحتياط ترجيح رواية الاقل ومنهم من رجح رواية الاكثر وإياها اختار أبو عبدالله الحليمي فإن الحكم لمن حفظ الزيادة جارماً بها شرح صحيح مسلم للنووي(٢/٣-٤)ـ.

(١) انظر تفسير البغوي (١/٣٧).

(٢) الآية ٥٩ من سورة الانعام.

(٣) في النسخة بـ[نظرك] و ماجاء في أ موافق لنص قول ابن عباس في تفسير البغوي.

(٤) هذه الكلمة في النسخة أوالنسخة ب ولا وجود لها في نص قول ابن عباس في تفسير البغوي.

(٥) (٦) (٧) (٨) تفسير البغوي (١/٣٧).

(٩) هو زر بن حبيش بن حباشة ويكنى أبا مريم، ويقال أبو مطرف الاسدي الكوفي أحد الاعلام مات في المحاجم سنة(٨٢) هـ وكان تابعياً -أخذ عاصم القراءة عنه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه وأخذها عن أبي عبدالرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه فهو مقرئ رحمه الله تعالى -أهـ من وفيات الاعيان(٢/٩) والغاية في القراءات العشر وتحقيقها (صفحة٤٧).

(١٠) ابن جريج هو عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج أبو خالد المكي أحد الاعلام الثقات، يدلس وهو في نفسه مجمع على ثقته كان يرى الرخصة في نكاح المتعة وكان فقيه أهل مكة في زمانه قال عبدالله ابن أحمد بن حنبل:«قال أبي: بعض هذه الاحاديث التي كان يرسلها ابن جريج أحاديث موضوعة. كان ابن جريج لايبالي من أين أخذها» يعني قوله أخبرت وحدثت عن فلان -أهـ ميزان الاعتدال(٢/٦٥٩) وكان ولادته سنه٨٠هـ وقدم بغداد على أبي جعفر المنصور وتوفي سنه ١٤٩هـ تقريباً -أهـ من وفيات الاعيان(٣/١٦٣-١٦٤).

(١١) تفسير البغوي (١/٣٧).

زيد قال: كنا عند عبدالله بن مسعود جلوساً فذكرنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وماسبقوا به قال: فقال عبدالله بن مسعود إن أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان بيناً لمن رآه ، والذي لا إله غيره ماآمن أحد إيماناً أفضل من إيمان بغيب ثم قرأ:(ألم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب.. إلى قوله: المفلحون) رواه سعيد بن منصور(١) وابن أبي حاتم(٢) وابن مردويه(٣) والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه(٤). وفي معنى هذا الحديث مارواه أحمد بن حنبل قال: نا أبو المغيرة نا الأوزاعي حدثني أسيد بن عبدالرحمن عن خالد بن دريك عن ابن محيريز قال: قلت لأبي جمعة، حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: نعم أحدثك حديثاً جيداً،تغدينا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعنا أبو عبيدة بن الجراح(٥)، فقال يارسول الله:أحد خير منا أسلمنا معك وجاهدنا معك؟ قال: نعم قوم من

(١) في سننه (١/٥٤٤/رقم الحديث١٨٠) بنحوه.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم بنحوه (١/٣٤-٣٥/رقم٦٦) وذكر أن عبدالله بن مسعود قرأ إلى قوله تعال (ينفقون) .

(٣) الدر المنثور (١/٦٥).

(٤) في المستدرك (٢/٢٦٠).

(٥) هو عامر بنعبدالله بن الجراح بن هلال.. أبو عبيدة بن الجراح مشهور بكنيته وبالنسبة الى جده وكان اسلامه هو وعثمان بن مظعون وعيينة بن الحارث بن المطلب وعبدالرحمن بن عوف وأبو سلمة بن عبد الأسد في ساعة واحدة قبل دخول النبي صلى الله عليه وآله وسلم دار الأرقم.

أحد العشرة السابقين إلى الإسلام وهاجر الهجرتين وشهد بدراً ومابعدها، وهو الذي انتزع الحلقتين من وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسقطت ثنيتا أبي عبيدة وقال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم«لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» اخرجاه في الصحيح.

اتفقوا على أنه مات في طاعون عمواس بالشام سنة ثمان عشر -أهـ بتصرف من الإصابة في تمييز الصحابة لابن الحجر العسقلاني(٢/٢٤٣-٢٤٥).

بعدكم يؤمنون بي ولم يروني[1]». وروى الحسن بن عرفة[2] العبدي قال: حدثنا إسماعيل بن عياش الحمصي[3] عن المغيرة بن قيس[4] عن عمرو بن شعيب[5] عن أبيه[6] عن جده[7] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم«أي الخلق أعجب إليكم إيماناً قالوا: الملائكة قال:

---

(١) رواه أحمد في مسنده(١٠٦/٤ مرتين) وبلفظ«نعم قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني»-أهـ.

(٢) هو الحسن بن عرفة بن يزيد العبدي، أبو علي البغدادي، صدوق، وهو عند الترمذي والنسائي وابن ماجة -أهـ تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني (صفحة١٦٢/رقم١٢٥٥) ط دار الرشيد سورية -حلب- طبعة ثانية١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .

(٣) هو إسماعيل بن عياش بن سليم العنسي، بالنون، أبو عتبة الحمصي، صدوق في روايته عن أهل بلده مخلّط في غيرهم، -أهـ في تقريب التهذيب (صفحة ١٠٩/٤٧٣) ط دار الرشيد حلب

(٤) سيأتي ترجمة المغيرة بن قيس مع ترجمة المؤلف.

(٥) عمرو بن شعيب بن محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص، صدوق،، مات سنة١١٨هـ -أهـ تقريب التهذيب باختصار(صفحة ٤٢٣/٥٠٥٠) طبعة دار الرشيد حلب

(٦) هو شعيب بن محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص، صدوق ثبت سماعه من جده، من الثالثة -أهـ تقريب التهذيب(صفحة٢٦٧/رقم٢٨٠٦) ط دار الرشيد .

(٧) جده أي جد شعيب :عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي، كنيته أبو محمد عند الاكثر، ويقال كان اسمه العاص، فغيره النبي صلى الله عليه وسلم. قال الواقدي أسلم عبدالله قبل أبيه وكان كثير الرواية لحديث النبي صلى الله عليه وسلم لانه كان يكتب. قال الواقدي مات بالشام سنة٦٥هـ وهو بن

ومالهم لايؤمنون وهم عند ربهم قالوا: فالنبيون قال: ومالهم لايؤمنون والوحي ينزل عليهم قالوا: فنحن قال ومالكم لاتؤمنون وأنا بين أظهركم، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:«ألا إن أعجب الخلق إيماناً لقوم يكونون من بعدكم، يجدون صحفاً فيها كتاب يؤمنون بما فيها» قال أبو حاتم الرازي: المغيرة بن قيس البصري منكر الحديث[1] قلت: لكن له شاهد. وروى أبو يعلى في مسنده وابن مردويه في تفسيره والحاكم في مستدركه عن زيد بن أسلم[2] عن أبيه[3] عن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمثله أو نحوه.

---

ابن اثنتين وسبعين -أهـ في الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني(٢/٣٤٣/رقم٤٨٤٧) طبعة دار الكتاب العربي-بيروت-.

أما محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص فما ورد عنه حديث صريح أنه رواه عن أبيه وأن ولده شعيباً رواه عنه، وهو غير معروف الحال ولاذكر بتوثيق ولالين في ميزان الاعتدال(٣/٥٩٣/رقم٧٧٤٥) ذكرت لذلك ليعرف أن السند عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أي جد شعيب هو عبدالله بن عمرو بن العاص لاجد عمرو بن شعيب أي ليس المقصود محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص.

(١) وهذا مايؤكده ماجاء في ميزان الاعتدال وهو«مغيرة بن قيس البصري عن عمرو بن شعيب قال أبو حاتم: منكر الحديث [روى عنه إسماعيل بن عياش ]-أهـ (٤/١٦٥/٨٧٢١) وهذا الحديث بسنده والتعليق عليه جاء في تفسير ابن كثير(١/٤٤).

(٢) ذكر ابن كثير سند الحديث هكذا

«من حديث محمد بن حميد وفيه ضعف عن زيد بن أسلم» تفسير ابن كثير(١/٤٤).

وأما زيد بن أسلم فقد قال عنه ابن عدي في كتابه الكامل في ضعفاء الرجال مايلي:«ثنا عبدالملك بن محمد، قال حدثنا أبو حاتم، ثنا محمد بن عيسى الطباع، قال:ثنا حماد بن زيد قال: قدمت المدينة وأهل المدينة يتكلمون في زيد بن أسلم فقلت لعبدالله ماتقول في مولاكم هذا قال مانعلم به بأساً إلا أنه يفسر القرآن برأيه.

قال الشيخ: وزيد بن أسلم هو أحدالثقات، ولم يمتنع أحد من الرواية عنه، حدث عن الأئمة -أهـ من كتاب الكامل في الضعفاء(٣/١٠٦٤) وهو رحمه الله أبو أسامة أو أبو عبدالله زيد بن أسلم

وقال الحاكم: صحيح الإسناد[1] وقد روي بنحوه عن أنس بن مالك مرفوعاً[2] والله سبحانه وتعالى أعلم. هامش[روى الطبراني[3] عن ابن عباس قال: أصبح رسول الله صلى الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً فقال:«مامن ماء؟ مامن ماء؟ قالوا: لا،قال هل من شن؟ فجاؤوا بشن، ووضع بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،ووضع يده عليه، ثم فرق أصابعه فنبع الماء مثل عصا موسى من أصابع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا بلال اهتف بالناس بالوضوء فأقبلوا فتوضؤون من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت همة ابن مسعود الشرب ،فلما توضؤوا صلى بهم الصبح ثم قعد للناس فقال: ياأيها الناس مَنْ أعجب الخلق إيماناً؟ قالوا الملائكة ، قال:وكيف لا تؤمن الملائكة وهم يعاينون الأمر قالوا: فالنبيون يارسول الله قال وكيف لايؤمن النبيون والوحي ينزل عليهم من السماء؟ قالوا فأصحابك يارسول الله فقال:وكيف لايؤمن أصحابي وهم يرون مايرون؟ ولكن اعجب الناس إيماناً قوم يجيئون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني ويصدقون بي ولم يروني أولئك إخواني. وروى

---

العدوي المدني الفقيه المفسر مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان عند أصحاب الكتب الستة كان يحضر درسه علي بن الحسين بن علي روى البخاري في تاريخه أن علي بن الحسين ،كان يجلس إلى زيد بن أسلم ويتخطى مجلس قومه فقال له نافع بن جبير بن مطعم: تتخطى مجالس قومك إلى عبد عمر بن الخطاب؟ فقال علي:«إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه» توفي رحمه الله سنة ١٣٦هـ وقيل غير ذلك وقد أخذ التفسير عنه ابنه عبدالرحمن ومالك بن أنس إمام دار الهجرة -أهـ في التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي(١/١١٦-١١٧).

(٣) هو أسلم العدوي مولى عمر ثقة مخضرم، مات سنة ثمانين، وقيل بعد سنة ستين، وهو ابن أربع عشرة ومائة سنة وهو عند الستة -أهـ تقريب التهذيب(صفحة١٠٤/رقم٤٠٦).

(١) جاء عند أبي يعلى في مسنده وابن مردويه في تفسيره والحاكم وقال صحيح الإسناد تفسير ابن كثير(١/٤٤) وجاء بنحوه في مستدرك الحاكم(٢٠/٢٨٦) - ط دار الكتب العلمية وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال الذهبي في التحصيل على شرط البخاري ومسلم.

(٢) تفسير ابن كثير (١/٤٤).

(٣) رواه الطبراني في الكبير والاوسط باختصار والبزار باختصار وأحمد إلا أنه قال فانفجر من بين أصابعه عيون، وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط -أهـ مجمع الزوائد للهيثمي(٨/٢٩٩-٣٠٠) بنحوه وجاء في الدر المنثور بنحوه من رواية الطبراني(١/٦٦).

الإسماعيلي[1] في معجمه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم«أي شيء أعجب إيماناً؟ قيل الملائكة قال كيف وهم في السماء يرون من الله مالاترون؟ قيل فالأنبياء قال: كيف وهم يأتيهم الوحي؟ قالوا: فنحن قال كيف وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله؟ ولكن قوم يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني أولئك أعجب إيماناً وأولئك إخواني وأنتم أصحابي»[2] وروى ابن أبي شيبة في مسنده عن عوف بن مالك[3] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم«ياليتني قد لقيت إخواني، قالوا يارسول الله ألسنا إخوانك وأصحابك؟ قال: بلى ولكن قوم يجيئون من بعدكم يؤمنون بي إيمانكم ويصدقوني تصديقكم وينصروني نصركم فياليتني قد لقيت إخواني[4]. وروى ابن عساكر في الأربعين السباعية من طريق أبي هدبة وهو كذاب[5] عن أنس قال: قال رسول

(١) هو الحافظ أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل«الإسماعيلي» الجرجاني، إمام أهل جرجان، الشافعي، المتوفي سنة ٣٧١هـ قال الذهبي عنه: ابتهرت بحفظه وجزمت بأن المتأخرين على إياس من أن يلحقوا المتقدمين في الحفظ والمعرفة -أهـ وله تصانيف منها المعجم الكبير والمسند الكبير وله مستخرج على الصحيحين أو أحدهما جمع حديث الزهري وجوّده، كما جمع حديث مالك وجوده، وحديث يحيى بن سعيد، وحديث عبدالله بن دينار، وحديث موسى بن عقبة -أهـ الرسالة المستطرفة(صفحة٢٦،١١١).

(٢) الدر المنثور (٦٦/١).

(٣) هو عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي، يكنى أبا عبدالرحمن، ويقال: أبو حماد، وقيل: أبو عمرو، أول مشاهده خيبر وكانت معه راية أشجع يوم الفتح، وسكن الشام، روى عنه من الصحابة: أبو أيوب الأنصاري، وأبو هريرة، والمقدام بن معد يكرب، ومن التابعين أبو مسلم وأبو إدريس الخولانيان، وجبير بن نضير، وغيرهم، وقدم مصر. توفي رضي الله عنه بدمشق سنة٧٣هـ -أهـ أسد الغابة في معرفة الصحابة -لعز الدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري(٤/١٢-١٣) ط دار الفكر.

(٥) الدر المنثور(٦٦/١-٦٧) جاء في صحيح مسلم من رواية أبي هريرة بعض هذا الحديث(٢١٨/١).

.. وهو إبراهيم بن هدبة، أبو هدبة الفارسي ثم البصري حدث ببغداد وغيرها بالأباطيل قال النسائي وغيره متروك الحديث، وقال الخطيب حدث عنه أنس بالأباطيل قلت بقي إلى سنة مائتين قال أبو حاتم وغيره: كذاب.

الله صلى الله عليه وآله وسلم«ياليتني قد لقيت إخواني فقال له [بعض الصحابة ][1] أو لسنا إخوانك؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[2] أنتم أصحابي وإخواني قوم يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني ثم قرأ«الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة»[3] صح أصل.

قوله«الذين» يجوز أن يكون في موضع خفض نعتاً للمتقين، أو بدلاً ويجوز أن يكون في موضع نصب على المدح. ويجوز أن يكون في موضع رفع على القطع، أي هم الذين أو على الابتداء أو الخبر أولئك على هدى. وعلى أنه مبتدأ فهو منقطع عن المتقين والوقف على المتقين تام. على ماقبله من الوجوه فهو متصل بالمتقين، والوقف عليه غير تام. قال العلامة محمود بن عمر الزمخشري رحمه الله تعالى: وبالغيب في موضع نصب على أنه مفعول به[4] وحال على تقدير متلبسين بالغيب(٥) ويكون بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى أنهم يؤمنون غائبين عنكم وقرأ أبو جعفر وأبو عمرو وورش يؤمنون بترك الهمزة[6].

---

وأما القول الذي نقل عن يحيى بن النعيم: أبو هدبة لابأس به ثقة فهذا القول باطل؛ فقد قال إبراهيم بن عبدالله الجنيد: سمعت يحيى بن النعيم، سئل عن أبي هدبة فقال: قدم علينا هاهنا، وكتبنا عنه عن أنس ثم تبين لنا أنه كذاب خبيث -أهـ في كتاب ميزان الاعتدال(١/٧١-٧٢) من هنا نعلم أن قول الإمام الكوكباني عنه كذاب هو قول صحيح.

(١) في الدر المنثور [رجل من أصحابه].

(٢) بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم جاءت كلمة بلى في الدر المنثور.

(٣) الدر المنثور(١/٦٧).

(٤) الكشاف(١/١٢٧) بنحوه.

(٥) تفسير الكشاف (١/١٢٧) أوردها الزمخشري بالمعنى لا بالنص.

(٦) لكن ماجاء في البدور الزاهرة (صفحة١٧) مايلي:«يؤمنون» قرأ ورش والسوسي وأبو جعفر بإبدال همزة واو ساكنة وصلاً ووقفاً -أهـ وكذلك جاء في القراءات العشر المتواترة للشيخ محمد كريم راجح مايلي:«إبدال يؤمنون» لورش والسوسي وأبي جعفر» -أهـ وبناء على ذلك فإن الإبدال هو في رواية السوسي عن أبي عمرو لارواية الدوري عن أبي عمرو وعلى هذه القاعدة مشى الشيخ محمد كرم راجح إذ ماوافق قراءة حفص عن عاصم لايشير إليه وقراءة حفص«يؤمنون» دون إبدال الهمزة.

﴿**ويقيمون الصلاة**﴾ أي يديمونها ويحافظون عليها. كما قال تعالى:(الذين هم على صلاتهم دائمون)[1] (والذين هم على صلواتهم يحافظون)[2] فمأخوذ من قامت السوق. إذا نفقت، وإقامتها أو جعلها نافقة قال:

أقامت غزالة سوق الضراب * لأهل العراقين حولاً قميطاً[3]

لأنها إذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي يرغب فيه وإذا ضيعت كانت كالشيء الفاسد الذي لايرغب فيه، ويعدلون أركانها ويحفظونها من أن يقع زيغ في أفعالها، مأخوذ من أقام العود إذا قومه ،أو يتشمرون لأدائها من غير فتور ولاتوان ، مأخوذ من قولهم: أقام بالأمر[4] وأقامة إذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الأمر إذا تقاعس وتثبط أو يؤذونها عبر عن الأداء بالإقامة لاشتمالها على القيام،كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود.وأصل الصلاة في اللغة الدعاء وأنشد الإمام المهدي عليه السلام في الغيث:

---

(١) الآية ٢٣ من سورة المعارج.

(٢) الآية ٩ من سورة المؤمنون.

(٣) هذا البيت هو لأيمن بن خزيم، وغزالة امرأة شبيب الخارجي قتله الحجاج، فحاربته سنة كاملة فسوق الضراب مجاز عن ميدان المحاربة، أو شبه المطاعنة بالرماح والمضاربة بالسيوف، بالأمتعة التي تباع وتشترى في السوق والعراقان البصرة والكوفة والقميط التام والقماط حبل تشد به الأسرى والأخصاص فالمادة دالةٌ على الإحاطة والضم -أهـ في كتاب الإنصاف على شواهد الكشاف للعلامة الشيخ محمد عليان المرزوقي ص٦٧ -طبعة دار المعرفة بيروت-واللسان(٧/٣٨٥) مادة قمط ونسبة لأيمن بن خزيم.

(٤) قال الإمام الجرجاني يرد على الكشاف:«يقال قام بالأمر إذا اجتهد في تحصيله تجلد فيه بلاتوان وحقيقته قام متلبساً بالأمر، والقيام له يدل على الاعتناء بشأنه ويلزمه التجلد والتشمر، فأطلق القيام على لازمه، ومنه قامت الحرب على ساقها: إذا التحمت واشتدت كأنها قامت وتشمرت لسلب الأرواح ولتخريب الأبدان واعترض بأن الإقامة إذا كانت مأخوذة من ذلك كان معناها على قياس التعدية جعل الصلاة متجلدة متشمرة، لاكون المصلي مشمراً في أدائها بلا فتور عنها كما ذكره -أهـ في حاشية الجرجاني على الكشاف(١/١٣٠) قلت ويساعد على رد هذا قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:«يابلال أقم الصلاة أرحنا بها» رواه ابو داود(٤/٢٩٨/٤٩٨٥).

عليك مثل الذي صليت فاغتمضي نوماً فإن لجنب المرء مضطجعاً[1]

أي عليك من الدعاء مثل الذي دعوت لي. وقال تعالى:(وصل عليهم)[2] وهي في الشرع عبادة ذات أذكار وأركان تحريمها التكبير، وتحليلها التسليم، وهي مشتقة من الصلوين إذا تحركا في الصلاة عند الركوع والسجود، وهما عرقان يمتدان من الظهر حتى يكتنفا عجب الذنب ومنه سمي المصلى في الخيل وهو التالي للسابق في الجلبة. لأنه يأتي مع صلوى السابق. قال ابن عباس رضي الله عنهما(ويقيمون الصلاة) أي يقيمون الصلاة بفروضها[3]. وقال الضحاك عن ابن عباس: إقامة الصلاة إتمام الركوع والسجود والتلاوة الخشوع والإقبال عليها[4]. وقال قتادة: إقامة الصلاة المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها[5]. وقال مقاتل بن حيان: إقامتها المحافظة على مواقيتها وإسباغ الطهور بها وتمام ركوعها وسجودها وقراءة القرآن فيها والتشهد والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم[6] ﴿**ومما رزقناهم**﴾ أعطيناهم﴿**ينفقون**﴾ يتصدقون والرزق اسم لكل ما ينتفع به حتى الولد والعبد، وأصله في اللغة النصيب والحظ ، وأنفق الشيء وأنفذه أهـ وأخوان

---

(١) هذا البيت هو للأعشى سبقه بيت آخر يقول فيه:

تقول بنيّتي وقد قربت مرتحلا يارب جنب أبي الأوصاب والوجعا

عليك مثل الذي صليت فاغتمضي نوماً فإن لجنب المرء مضجعاً

تفسير القرطبي(١٦٨/١) تفسير ابن كثير (٤٥/١) وفي ديوان الأعشى(ص١٠٥-١٠٦)- ط المؤسسة العربية للطباعة والنشر بيروت-

(٢) الآية ١٠٣ من سورة التوبة.

(٣) رواه ابن جرير تفسير الطبري(٢٤١/١).

(٤) رواه ابن جرير تفسير الطبري(٢٤١/١-٢٤٢).

(٥) ، (٦) تفسير ابن كثير (٤٤/١).

يتضمنهما معنى الذهاب والخروج قال: علي بن أبي طلحة[1] وغيره عن ابن عباس«ومما رزقناهم ينفقون» قال: زكاة أموالهم[2]. وقال السدي عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود عن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم(ومما رزقناهم ينفقون) فقال: نفقة الرجل على أهله وهذا قبل أن ينزل الزكاة[3]، وعن الضحاك: كانت النفقات قرباناً يتقربون بها إلى الله تعالى على قدر ميسرتهم وجدهم حتى نزلت فرائض الصدقات في سورة براءة هن الناسخات المبينات[4]. واختار ابن جرير أن الآية عامة في الزكاة والنفقات، فإنه قال: وأولى التأويلات وأحقها بصفة القوم أن يكونوا لجميع اللازم لهم في أموالهم. مؤدين زكاة كان ذلك أو نفقة من لزمته نفقته من أهل وعيال وغيرهم، ممن تجب عليه نفقتهم بالقربة والملك، وغير ذلك لأن الله تعالى عم وصفهم[5]

---

(١) هو علي بن أبي طلحة هو سالم مولى بني العباس، سكن حمص أرسل عن ابن عباس ولم يره صدوق قد يخطئ، مات سنة ثلاث وأربعين هو عند مسلم وأبي داود والنسائي وابن ماجه -أهـ في تقريب التهذيب (صفحة ٤٠٢/رقم٤٧٥٣).

إن علي بن أبي طلحة في السند الذي هو أصح الأسانيد عن ابن عباس وهو طريق معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والحقيقة أن علي بن أبي طلحة وإن أرسل بروايته عن ابن عباس فالصحيح أن روايته عن مجاهد عن ابن عباس ومجاهد ثقة يقبل وكفى بتوثيق البخاري لها تعليقاً.انظر التفسير والمفسرون للذهبي(١/٧٧-٧٨).

(٢) تفسير الطبري (١/٢٤٣).

(٣) تفسير الطبري(١/٢٤٣-٢٤٤).

(٤) رواه ابن جرير بنحوه تفسير الطبري(١/٢٤٣). وجاء في تفسير ابن كثير(١/٤٥).

(٥) تفسير الطبري (١/٢٤٤).

وقال ابن جرير لأن الله جل ثناؤه عم وصفهم إذ وصفهم بالإنفاق مما رزقهم، فمدحهم بذلك من صفتهم. فكان معلوماً أنه إذا لم يخصص مدحهم وصفهم بنوع من النفقات المحمود عليها صاحبها دون نوع بخبر ولاغيره أنهم موصوفون بجميع معاني النفقات المحمود عليها صاحبها من طيب مارزقهم ربهم من أحوالهم وأملاكهم ، وذلك الحلال منه الذي لم يشبه حرام -أهـ(١/٢٤٤).

ومدحهم بذلك وكل من الإنفاق والزكاة ممدوح به محمود عليه. قوله تعالى: **(ومما رزقناهم ينفقون)** من للتبعيض أي من بعض مارزقناهم وفائدتها الكف عن التبذير[1] المنهي عنه. قال جار الله[2] : وهي متعلقة بـ«ينفقون» أي: ينفقون مما رزقناهم ، وقدم المفعول للاهتمام أو للمحافظة على رؤوس الآي. وماموصولة بمعنى الذي وصلتها رزقناهم والعائد محذوف أي رزقناهم. هامش[وروى ابن جرير[3] وابن أبي حاتم[4]، وابن إسحاق[5] عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله:(ويقيمون الصلاة) قال: الصلوات الخمس(ومما رزقناهم ينفقون) قال: زكاة أموالهم. وروى عبد بن حميد عن قتادة أن إقامة الصلاة المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها(ومما رزقناهم ينفقون) قال أنفقوا في فرائض الله التي افترضها عليهم في طاعته وسبيله[6]. وروى ابن جرير عن ابن مسعود في قوله:(ومما رزقناهم ينفقون) قال: هي نفقة الرجل على أهله»[7]. وروى ابن جرير عن الضحاك

(١) جاء في صحاح اللغة للجوهري:«وتبذير المال: تفريقه إسرافاً» -أهـ مادة كلمة بذر(٢/٥٨٧) ط دار العلم للملايين.

(٢) انظر الكشاف (١/١٣٢).

(٣) جاءت روايات ابن جرير رحمه الله عن ابن عباس كما يلي: عن ابن عباس«ويقيمون الصلاة» قال: الذين يقيمون الصلاة بفروضها.

عن ابن عباس«ويقيمون الصلاة» قال: إقامة الصلاة تمام الركوع والسجود والتلاوة الخشوع والإقبال عليها.

وعن ابن عباس«ومما رزقناهم ينفقون» قال: زكاة أموالهم -أهـ في تفسير الطبري (١/٢٤١-٢٤٢-٢٤٣).

(٤) جاء في تفسير ابن أبي حاتم عن ابن عباس: يقول الله سبحانه وبحمده(الذين يقيمون الصلاة) أي يقيمون الصلاة بفروضها(١/٣٧/رقم٧٤) كما جاء عنه في نفس التفسير(١/٣٨/رقم٧٧) بقول الله سبحانه وبحمده(ومما رزقناهم ينفقون) يؤتون الزكاة احتساباً.

(٥) الدر المنثور (١/٦٨).

(٦) الدر المنثور (١/٦٨) بنحوه.

(٧) تفسير الطبري (١/٢٤٣-٢٤٤).

قال:«كانت النفقات قربات يتقربون بها إلى الله عز وجل على قدر ميسورهم وجهدهم حتى نزلت فرائض الصدقات في سورة براءة هن الناسخات المبينات[1] وقد اختار ابن جرير أن الآية عامة في الزكاة والنفقات. وهو الحق من غير فرق بين النفقة على الأقارب وغيرهم، وصدقة الفرض والنفل. صح أصل وبعده قوله:(الذين يؤمنون بما أنزل إليك) انتهى هامش.

**(٤) ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك﴾** يعني القرآن. **﴿وما أنزل من قبلك﴾** التوراة والإنجيل وسائر الكتب المنزلة على الانبياء عليهم السلام و هذه الآية في المؤمنين من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه [معطوفون ][2] على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين، دخول الأخص تحت الأعم اذ المراد بأولئك الذين آمنوا عن شرك وإنكار وبهؤلاء مقابلوهم وهذا قول السدي في تفسيره عن ابن عباس وابن مسعود وأناس من الصحابة واختاره ابن جرير[3]واستشهد[4]لما قال بقوله تعالى:(وإن من أهل الكتاب لمن

---

(١) جاء في تفسير الطبري برايته عن الضحاك «ومما رزقناهم ينفقون» قال: كانت النفقات قربات يتقربون بها إلى الله على قدر ميسورهم وجهدهم، حتى نزلت فرائض الصدقات: سبع آيات في سورة براءة، مما يذكر فيهم الصدقات، هن المثبتات الناسخات». قال أحمد شاكر في تعليقه وقوله«المثبتات» بفتح الباء، أي التي أثبت حكمها ولم ينسخ، ويجوز كسرها. بمعنى أنها أثبتت الفريضة بعد نسخها ماسبقها في النزول. وبدلها عند السيوطي والشوكاني«الناسخات المبينات» وليس بشيء -أهـ تفسير الطبري والتعليق عليها(٢٤٣/١) وكذلك الإمام الكوكباني نقل عن أحدهما ووقع بما وقع به المفسران الماضيان رحمهم الله جميعاً اللهم آمين -ذكرها السيوطي في الدر المنثور(٦٨/١) وذكرها الشوكاني في فتح القدير(٣٦/١) طبعة عالم الكتب.

(٢) في النسخة ب [معطوف].

(٣) تفسير الطبري (٢٤٦/١).

(٤) الصحيح ماقاله ابن كثير [ويُستشهدُ] بفعل مبني للمجهول فكأن الأمر اشتبه على الإمام الكوكباني رحمه الله فقرأها استشهد فجعلها فعلاً ماضياً مبني للمعلوم فقال واستشهد لما قال وجعل استشهد فعل مبني للمعلوم والصحيح أن نقرأ واستُشهِد لما قيل لأن ابن جرير الطبري نفسه لم يستشهد بهذه الآية (٢٤٥/١).

يؤمن بالله وماأنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله)[1] الآية وبقوله عز وجل:(الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا: آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا»[2] وعن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:«ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي ورجل مملوك أدى حق الله وحق مواليه ورجل أدب جاريته وأحسن تأديبها ثم أعتقها ثم تزوجها» رواه البخاري[3] ومسلم[4]. وقال مجاهد وأبو العالية والربيع بن أنس وقتادة: هم كل مؤمن من مؤمني العرب وأهل الكتاب وغيرهم[5]، وعلى هذا

---

(١) الآية ١٩٩ من سورة آل عمران.

(٢) الآيات ٥٢-٥٣-٥٤ من سورة القصص.

(٣) في صحيحه في فتح الباري (٢٢٩/١).

(٤) ورواه مسلم في صحيحه (١٨٧/٢-١٨٨) بنحوه.

ورواه الترمذي في سننه في تحفة الأحوذي(٢١٧/٤) بنحوه والنسائي في سننه (١١٥/٦) بنحوه ورواه ابن ماجه في سننه(٦٢٩/١/رقم١٩٥٦) بنحوه.

وقال عنه الترمذي حديث حسن صحيح.

ورواه النسائي في سننه (٢١٥/٦) عن أبي موسى بلفظ قال : قال رسول الله صلى الله عيه وآله وسلم«ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل كانت له أمة فأدبها فأحسن أدبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها وتزوجها وعبد يؤدي حق الله وحق مواليه ومؤمن أهل الكتاب»

ورواه ابن ماجه عن أبي موسى الاشعري إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم«بلفظ: من كانت له جارية فأدبها فأحسن أدبها . وعلمها فأحسن تعليمها. ثم أعتقهاو تزوجها، فله أجران. وأيما رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد فله أجران، وأيما عبدمملوك أدى حق الله عليه وحق مواليه فله أجران» ولاشك أن الحديث صحيح وخاصة قد رواه البخاري ومسلم.

(٥) تفسير ابن كثير (٤٦/١).

فالموصوف واحد وإنما وسطت الواو كما في قوله:

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم[1]

وقوله: يالهف زيابة للحارث الصا لح فالغانم فالآيب[2].

«وروى غـــــــيـــــــر واحـــــــد عـــن ابـــن أبـــي

---

(١) والبيت في الكشاف للزمخشري ولقد وسط حرف العطف بين النعوت. والقرم هو الفحل المكرم الذي لا يحمل عليه ولذلك سمي السيد من الناس القرم أو الهمام من أسماء الملوك لعظم همتهم، وقيل إنهما سمي همام لانه إذا هم بأمر فعله. والكتيبة: الجيش، تقول كتبت الكتيبة إذا هيئتها وضممت بعضها إلى بعض، وازدحم أهل المعركة أي دفع بعضهم بعضاً، والمزدحم المعركة لانها موضع المزاحمة والمدافعة.أهـ شرح شواهد الكشاف(٥١٢/٤) طبعة مصطفى البابي الحلبي مصر، والبيت في حاشية الشيخ زادة(٣٠١/١) وفي فتح القدير(٨٥/١)، والبحر المحيط(٢٠٢/١)، ولم ينسب في هذه المراجع إلى قائله، ولم أقف عليه.

(٢) هذا البيت هو من أبيات الحماسة لابن زيابة في جواب الحارث بن همام حيث قال:

أيا ابن زيابة إن تلقني لاتلقني في النعم العازب

فأجابه ابن زيابة قائلاً:

يالهف زيابة للحارث الصا لح فالغانم فالآيب.

لقد وسط حرف العطف بين الصفات كأنه قال الذي صبح فغنم فآب: أي ياحسرة أبي من أجل الحارث، والحرث اسم من غزاهم وصبحهم وغنم منهم، وآب إلى قومه سالماً: أي ياحسرة أبي من أجل الحارث فيما حصل من مراده، واتصف به من الاوصاف المتعاقبة. قيل تهكم بهم بمعنى لم يحصل له تلك الاوصاف، فإن الحرث توعد أبي زياد بالقتل ثم نقص عن جزائه، وقيل هو على ظاهره ، أهـ في شرح شواهد الكشاف لحب الدين أفندي(صفحة ٣٢٥). وانظر مشاهد الانصاف على شواهد الكشاف للمرزوقي ص٧ ط دار المعرفة بيروت.

والبيت كذلك بهذه النسبة في شرح الحماسة للأعلم الشنتمري (١٣٦/١) – ط دار الفكر المعاصر بيروت وشرح شواهد المغني للسيوطي (٤٥٦/١) – ط دار مكتبة الحياة بيروت.

نجيح[1] عن مجاهد أنه قال: أربع آيات من سورة البقرة في نعت المؤمنين، وآيتان في نعت الكافرين، وثلاث عشرة في المنافقين، فهذه الأربع الآيات عامة، في كل مؤمن اتصف بها من عربي وعجمي وكتابي وإنسي وجني؛ وليس تصح واحدة من هذه الصفات بدون الاخرى بل كل واحدة مستلزمة للأخرى وشرط معها، فلايصح الإيمان بالغيب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة إلاَّ مع الإيمان بما جاء به الرسول، وماجاء به من قبله من الرسل، والإيقان بالآخرة، وقد أمر الله تعالى المؤمنين بذلك فقال تعالى:(ياأيها الذين آمنوا آمنِوا بالله ورسوله، والكتاب الذي نزل على رسوله، والكتاب الذي أنزل من قبل)[2] الآية. وغير ذلك من الآيات الدالة، على أمر جميع المؤمنين بالإيمان بالله ورسله وكتبه، لكن لمؤمني أهل الكتاب خصوصية وذلك أنهم يؤمنون بما في أيديهم مفصلاً فإذا دخلوا في الإسلام وآمنوا به مفصلاً كان لهم على ذلك الأجر مرتين. وأما غيرهم فإنما يحصل الإيمان بما تقدم مجملاً، كما جاء في الصحيح[3]«إذا حدثكم أهل الكتاب فلاتصدقوهم ولاتكذبوهم. ولكن قولوا: آمنا بما أنزل إلينا وأنزل إليكم»[4] ولكن قد يكون إيمان كثير من العرب

---

(١) هو عبدالله بن أبي النجيح المكي صاحب التفسير أخذ عن مجاهدو عطاء وهو من الأئمة الثقات، وقال ابن المديني أما الحديث فهو فيه ثقة وأما الرأي فكان قدرياً معتزلياً. قلت في هؤلاء ثقات وماثبت عنهم القدر أو لعلهم تابوا. في ميزان الاعتدال للذهبي رحمه الله(٢/٥١٥/٤٦٥١) قال عنه ابن حجر العسقلاني مات سنة احدى وثلاثين أو بعدها وهو عند أصحاب الكتب الستة في تقريب التهذيب (صفحة ٣٢٦/٣٦٦٢).

(٢) الآية ١٣٦ من سورة النساء.

(٣) وهكذا قال ابن كثير المفسر المحدث رحمه الله في تفسيره (١/٤٦).

(٤) رواه أبو داود (١/٣١٧/٣٦٤٤) كما يلي: عن ابن أبي نملة الأنصاري، عن أبيه بينما هو جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده رجل من اليهود مر بجنازة، فقال: يامحمد، هل تتكلم هذه الجنازة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم:«الله أعلم» فقال اليهودي: إنها تتكلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«ماحدثكم أهل الكتاب فلاتصدقوهم ولاتكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله ورسله، فإن كان باطلاً لم تصدقوه، وإن كان حقاً لم تكذبوه».أهـ وقال البخاري عن أبي هريرة =

بالإسلام الذي بعث به محمد صلى الله عليه وآله وسلم أتم وأكمل وأعم وأشمل من إيمان من دخل منهم في الإسلام، فهم وإن حصل لهم أجران من تلك الحيثية، فغيرهم قد يحصل لهم من التصديق ماينيف ثوابه على الأجرين اللذين جعلا لهم، والله أعلم[1] والإنزال نقل الشيء من أعلى إلى أسفل فإن قلت: قوله تعالى:(بما أنزل إليك) إن عني به القرآن بأسره والشريعة عن آخرها فلم يكن ذلك منزلاً وقت إيمانهم فكيف قيل: أنزل بلفظ الماضي، وإن أريد المقدار الذي سبق إنزاله وقت إيمانهم فهو إيمان ببعض المنزل واشتمال [الإيمان][2] على الجميع سالفه ومترقبه واجب قيل: المراد المنزل كله، وإنما عبر عنه بلفظ الماضي وإن كان بعضه مترقباً تغليباً للموجود على مالم يوجد، أو تنزيلاً للمنتظر منزلة الواقع. ونظيره

= رضي الله عنه قال:«كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لاتصدقوا أهل الكتاب ولاتكذبوهم، وقولوا«آمنا بالله ومأأنزل..» الآية أهـ من صحيح البخاري(٨/ ٢٠ ٤٤٨٥) قال الله تعالى:(قولوا آمنا بالله ومأأنزل إلينا ومأأنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباط ومأأوتي موسى وعيسى ومأأوتي النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون» الآية١٣٦ من سورة البقرة.

ولاشك أن أهل الكتاب نكذبهم في كل مايتعارض مع ماورد في القرآن والسنة فالقرآن مهيمن على التوراة والإنجيل، ونردّ عليهم كل ماتعارض مع العقل وأي علم قطعي، لأن كل تعارض مع القرآن والسنة والعقل والعلم القطعي يدل على التزوير والتبديل في التوراة الإنجيل، لكن بعض الذين أسلموامن أهل الكتاب يريدون أحياناً إثبات مافي القرآن والسنة من التوراة أو الإنجيل للدلالة على أن القرآن من الله تعالى ومثل ذلك ماقال روجيه كارودي في كتابه وعود الإسلام كدليل على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتبشير الإنجيل به على لسان عيسى عليه السلام فقد أورد مايلي:«إن لي أموراً كثيرة لأقول لكم لكن لاتستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لايتكلم من نفسه بل مايسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية»

الإصحاح السادس عشر ١٢و١٣ أهـ في كتاب وعود الإسلام صفحة ٨٠-٨١. وهذا يبين أن الكتب السماوية هذه لم تُزوّر كلياً ففيها الحق والباطل .

(١) هذا النص في الترجيح في تفسير ابن كثير مع قليل من التصرف (١/٤٦).

(٢) ليست هذه الكلمة في ب وهو نقص واضح يمنع استقامة العبارة والصواب إثباتها.

قوله تعالى:(إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى)[1] فإن الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب منزلاً كله حينئذ. وقرأ أبو جعفر[2] وابن كثير[3] وأبو عمرو[4] ويعقوب[5] بترك كل مد يقع بين كلمتين نحو بما أنزل إليك وأشباهها والآخرون يمدونها[6] والله أعلم. ﴿**وبالآخرة هم يوقنون**﴾يستيقنون أنها كائنة.واليقين إيقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه بالاستدلال،

---

(١) الآية ٣٠ من سورة الأحقاف.

(٢) - (٥) (بما أنزل) هي مد منفصل وقد قرأ بقصره قالون عن نافع والدوري عن أبي عمرو بخلف . والسوسي أبي عمرو وابن كثير وأبو جعفر ويعقوب من غير خلف عنهم.أهـ في البدور الزاهرة(صفحة ١٧).

(٦) وقرأ الباقون بمده وهو الوجه الثاني لقالون عن نافع والدوري عن أبي عمرو، والقراء الذين مذهبهم مد منفصل متفاوتون في مده. فأطولهم فيه مداً ورش وحمزة وقدر المد عندهم بثلاث ألفات والألف حركتان بحركة الأصبع قبضاً أو بسطاً. فيكون المد عندهما ست حركات.

ويليهما في المد عاصم، وقدر عنده بألفين ونصف أي بخمس حركات، ويليه الشامي والكسائي وخلف في اختياره. وقدر عندهم بألفين أي بأربع حركات. ويليهم قالون والدوري على وجه المد لهما في المنفصل وقدر عندهما بألف ونصف أي بثلاث حركات، هذا مذهب القراء العشرة في المد المنفصل أهـ في البدور الزاهرة (صفحة١٧) قال شيخي في قراءة حفص عن عاصم بالسند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في كتابه دروس في ترتيل القرآن الكريم:«والمد الجائز المنفصل: سمي جائزاً لاختلاف القراء فيه فبعضهم روى مده، وبعضهم روى قصره وبعضهم أجاز المد والقصر وسمي منفصلاً لأن المد في كلمة والهمز في كلمة ثانية. ومقدار مده على روايه حفص أربع أو خمس حركات كالواجب المتصل. والمختار أربع حركات ومن المد الجائز المنفصل مد الصلة الطويلة، وهو المد المتولد من هاء الضمير المكسورة أو المضمومة الواقعة بين متحركين، ثانيهما همز مثلاً:

(إذ قال له ربه أسلم)أهـ من الكتاب(صفحة ٥٢-٥٣) للشيخ المقرئ فائز عبدالقادر شيخ الزّور. طبعة مطابع الدوحة الحديثة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م قطر - ومن هنا نلاحظ أن قول عبدالفتاح القاضي بمده خمس حركات عند عاصم ليس على إطلاقه.

ولذلك لايسمى الله تعالى موقناً ولاعلمه يقيناً إذ ليس علمه تعالى عن استدلال[1]. والآخرة تأنيث الآخر مقابل الأول، وأصلها الوصف قال تعالى:(تلك الدار الآخرة)[2] ثم صارت من الصفات الغالبة وعن نافع أنه خففها بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام[3](وهم)توكيد ووجهه تحقيق عود الضمير إلى المذكورين لا إلى غيرهم، ويوقنون خبره وقرأ أبو حيوة النميري يؤقنون بقلب الواو همزة[4] وبضم ماقبلها أجراها مجرى المضمومة في وجوه وقنت ونظيره

لحب المؤقدان إليَّ مؤسى * وجعدة إذ أضاءهما الوقود[5]

(١) البيضاوي ولكن البيضاوي زاد قليلاً فقال: لايوصف به علم الباري تعالى ولا العلوم الضرورية تفسير البيضاوي(١/٩٩/١٠٠). والمقصود بالعلم الضروري مثلاً أن الكل أعظم من الجزء فهذا لايحتاج إلى استدلال.. انظر حاشية الجرجاني على الكشاف(١/١٣٧). أما بالنسبة لله تعالى فأقول إن العلم بالإستدلال والإستنباط مخلوق وحادث والله علمه أزلي سبحانه غير مخلوق ولا حادث جل جلاله .

(٢) الآية ٨٣ من سورة القصص.

(٣) لكن هذا في رواية ورش عن نافع لارواية قالون عن نافع فإنه إذا أطلق كلمة نافع انصرفت الى الروايتين وهذا خطأ قال صاحب البدور الزاهرة:(وبالآخرة) قرأ ورش بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها وحذف الهمزة -أهـ البدور الزاهرة (صفحة ٢١).

وأما قالون فإنه يثبت الهمزة ويقرها كما يقرؤها حفص عن عاصم.

- انظر كتاب القراءات العشر المتواترة للشيخ محمد كريم راجح(صفحة ٢).

(٤) انظر تفسير الكشاف (١/١٣٨).

(٥) هذاالبيت هو لجرير في مدح هشام بن عبدالملك وموسى ابنه وجعدة بنتهم وقيل ابنه أيضاً واللام في أول البيت للقسم وحب أصله حبب كظرف نقلت حركة الباء الى الحاء ،ثم أدغمت في الأخرى، ومعناه إنشاء المدح كنعم، ويفيد التعجب أيضاً كما أحبهم المؤقدان بالهمز فاعل ،ومؤسى بالهمز أيضاً وجعدة المخصوص بالمدح على طريقة نعم الرجل زيد والمعنى أخيراً هو ماأحبهما إلى وقت بأن أظهرتهما النار التي يوقدانها لقرى الأضياف ،أهـ من كتاب مشاهد الإنصاف على مشاهد الكشاف(صفحة ٢٦).

﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ يقول الله تعالى: أولئك أي المتصفون بما تقدم من الإيمان بالغيب وإقام الصلاة والإنفاق من الذي رزقهم الله، والإيمان بما أنزل إلى رسول الله ومن قبله من الرسل والإيقان بالدار الآخرة وهو يستلزم الاستعداد لها من العمل بالصالحات وترك المحرمات على هدى، أي نور وبيان وبصيرة من الله تعالى. وأولئك هم المفلحون الناجون الفائزون في الدنيا والآخرة. واولئك اسم إشارة لجمع المذكر والمؤنث، وكافه حرف خطاب وليست اسماً في موضع رفع بالابتداء وعلى هدى خبره والجملة في موضع رفع خبر الذين يؤمنون بالغيب على أحد الوجوه فيه وقد تقدم ،ويجوز أن يكون أولئك بدلاً من الذين أو عطف بيان ولايجوز أن يكون وصفاً له لأنه أعرف من الذين، ويكون على هدى خبر الذين وعلى بقية الوجوه المتقدمة في الذين فيكون جملة أولئك على هدى مستأنفة لاموضع لها. ومعنى الاستعلاء في على هدى من ربهم تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه،ونظيره وهو على الحق وقد صرحوا بذلك في[قولهم][1]:جعل الغواية مركباً،وامتطى الجهل،واقتعد غارب الهوى[2]،ونكّر هدى للتعظيم ليفيد ضرباً مبهماً لا يبلغ كنهه ولايقادر قدره ونظيره قول

---

=وقال الاستاذ محب الدين أفندي في شرح شواهد الكشاف في معنى البيت: يعني أو قدوا نار الضيافة فأضاء وجوهما الوقود (٤/٣٦٥). وفي ديوان جرير بلفظ :

لحب الوافدين إلي موسى وجعدة لو أضاءهما الوقود

ديوان جرير شرحه مهدي محمد ناصر –ط دار الكتب العلمية بيروت.

(١) في النسخة ب [قوله] .

(٢) قال الجوهري رحمه الله:(والغارب مابين السنام والعنق ومنه قولهم،حبلك على غاربك» أي اذهبي حيث شئت، وأصله أن الناقة إذا رعت وعليها الخطام ألقي على غاربها لأنها اذا رأت الخطام لم يهنئها شيء . من كتاب الصحاح مادة غرب(١/١٩٣). قال الإمام الجرجاني في حاشيته:«اقتعد غارب الهوى فقد شبه الهوى بالمطية على طريق الاستعارة المكنية ورمز لها بإثبات الغارب ورشح بذكر الإقتعاد) أهـ في حاشية الجرجاني على الكشاف (صفحة ١٤٤).

الهذلي[1]:

فلا وأبي الطير المربة بالضحى * على خالد لقد وقعت على لحم[2]

أي لحم وأي لحم وأكد تعظيماً بأن الله تعالى مانحه الموفق له، وتعريف المسند إليه بالإشارة، للتنبيه عن تعقيب المشار إليه، وهو المتقون بأوصاف متعددة من الإيمان بالغيب، وإقام الصلاة، وغير ذلك ثم عرف المسند إليه: بأن أورده اسم إشارة تنبيهاً على أن المشار إليهم أحقاء بما يرد بعد أولئك وهو كونهم على الهدى عاجلاً والفوز بالفلاح آجلاً. وفي تكرير أولئك تنبيه على أنهم كما يثبت لهم الاثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح، فجعلت كل واحدة من الأثرتين في تميزهم بها عن غيرهم بالمثابة التي لو انفردت لكانت مميزة على حالها، ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين هاهنا بخلاف قوله تعالى:(أولئك كالأنعام بل هم

---

(١)،(٢) هو أبي الكبير الهذلي يرثي خالد بن زهير، وهذا البيت من الشعر هو شاهد على تفسير(على هدى) حيث نكر ليفيد ضرباً مهماً لايبلغ كنهه ولايقادر قدره،كأنه قيل على هدىً أي هدىً، وتنكير لحم للتعظيم: أي عظيم شريف، كأن خالد قد قتل والطير قد قامت عليه تأكله فاستعظم لحمه منكّره، وبسبب تعظيم اللحم استعظم الطير الواقعة عليه، ثم ماكتفى بل استعظم أبا الطير حيث أقسم بها فقال(فلا أقسم) ولا هنا زائدة.

وأرب بالمكاب إذا قام ولزم ثم قال الشاعر البيت التالي

فلا وأبي لايأكل الطير مثله عشية أمسى لايبين من السلم

-أهـ من شرح شواهد الكشاف للأستاذ محب الدين أفندي (٥١٢-٥١٣) وكتاب مشاهد الانصاف على شواهد الكشاف (صفحة ١٠٩).

أضل أولئك هم الغافلون)[1] فإن التسجيل عليهم بالغفلة، وتشبيههم بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة لما في الأولى فهي من العطف بمفرد. وهم فصل عند البصريين[2] وعماد عند الكوفيين[3]، وفائدته الدلالة على أن الوارد بعده خبر لاصفة، وتأكيد النسبة واختصاص المسند بالمسند إليه، يعين قصر المسند على المسند إليه لأن المعنى قولك: زيد هو القائم أن القيام مقصور على زيد لايتجاوزه إلى غيره، ولاموضع له من الإعراب عند الخليل[4]. أو هو مبتدأ والمفلحون خبره، والجملة خبر أولئك وتعريف المفلحين للدلالة على أن المفلحين هم الناس الذين بلغك أنهم هم المفلحون في الآخرة. وأصل الفلاح القطع والشق ومنه المثل:

إن الحديد بالحديد يفلح[5] أي يقطع.

---

(١) الآية ١٧٩ من سورة الأعراف.

(٢) انظر تفسير القرطبي (١/١٨١) لم يقل ضمير فصل لأنه اختلف فيه فقال بعض النحاة إنه اسم ملغي لامحل له من الاعراب، وقال بعض البصريين إنه حرف لاستبعاد خلو الاسم عن الإعراب لفظاً ومحلاً. -أهـ من حاشية الشيخ زادة (١/١٠٤).

(٣) انظر القرطبي (١/١٤١).

(٤) انظر كتاب الكافية في النحو- تأليف جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب النحوي المالكي المتوفى سنة ٥٧٠هـ=٦٤٦م (٢/٢٦-٢٧) ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان-

(٥) هذا المثل هو الشطر الثاني من بيت من الشعر أورده الأزهري كشاهد على فلحت الحديد اذا قطعته البيت هو:

قد علمت خيلك أني الصحصحُ  إن الحديد بالحديد يفلحُ

لسان العرب (٢/٥٤٨) مادة(فلح).

وجاء البيت بهذا اللفظ في معاني القرآن للزجاج (١/٧٦)ولم أقف على قائله .

أضل أولئك هم الغافلون)[1] فإن التسجيل عليهم بالغفلة، وتشبيههم بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة لما في الأولى فهي من العطف بمفرد. وهم فصل عند البصريين[2] وعماد عند الكوفيين[3]، وفائدته الدلالة على أن الوارد بعده خبر لاصفة، وتأكيد النسبة واختصاص المسند بالمسند إليه، يعين قصر المسند على المسند إليه لأن المعنى قولك: زيد هو القائم أن القيام مقصور على زيد لايتجاوزه إلى غيره، ولاموضع له من الإعراب عند الخليل[4]. أو هو مبتدأ والمفلحون خبره، والجملة خبر أولئك وتعريف المفلحين للدلالة على أن المفلحين هم الناس الذين بلغك أنهم هم المفلحون في الآخرة. وأصل الفلاح القطع والشق ومنه المثل:

إن الحديد بالحديد يفلح[5] أي يقطع.

---

(١) الآية ١٧٩ من سورة الأعراف.

(٢) انظر تفسير القرطبي (١٨١/١) لم يقل ضمير فصل لأنه اختلف فيه فقال بعض النحاة إنه اسم ملغي لامحل له من الاعراب، وقال بعض البصريين إنه حرف لاستبعاد خلو الاسم عن الإعراب لفظاً ومحلاً. -أهـ من حاشية الشيخ زادة (١٠٤/١).

(٣) انظر القرطبي (١٤١/١).

(٤) انظر كتاب الكافية في النحو- تأليف جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب النحوي المالكي المتوفى سنة ٥٧٠هـ=٦٤٦م (٢٦/٢-٢٧) ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان-

(٥) هذا المثل هو الشطر الثاني من بيت من الشعر أورده الأزهري كشاهد على فلحت الحديد اذا قطعته البيت هو:

قد علمت خيلك أني الصحصحُ  إن الحديد بالحديد يفلحُ

لسان العرب (٥٤٨/٢) مادة(فلح).

وجاء البيت بهذا اللفظ في معاني القرآن للزجاج (٧٦/١)ولم أقف على قائله .

وسمي الزارع فلاحاً لأنه يشق الأرض فالمفلحون هم المقطوع لهم بالخيرات والخلود في الجنات، والفوز بالثواب والنجاة مما أعد الله لاعدائه من العقاب. وقيل أصل الفلاح الظفر بالبغية[1]. وقيل أصله البقاء[2]. قال بعض المفسرين: وأولئك هم المفلحون الباقون في الجنة لان الفلاح البقاء.

تنبيه : تأمل كيف نبه سبحانه وتعالى على اختصاص المتقين بنيل مالاينالاه أحد من وجوه شتى. وهي ذكر اسم الإشارة للتعليل مع الإيجاز، وتكريره، وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل لإظهار فضلهم والترغيب في اقتفاء أثرهم. وقرئ من ربهم بإدغام النون في الراء بغنة[3] وبغير غنة[4]. وعن عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قيل له :يارسول الله إنا نقرأ من القرآن فنرجو ونقرأ فنكاد أن نيأس فقال:«ألا أخبركم عن أهل الجنة وأهل النار؟ قالوا بلى يارسول الله قال:«الم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين إلى قوله«المفلحون» هؤلاء أهل الجنة قالوا :إنا نرجو أن نكون هؤلاء ثم قال«إن الذين كفروا سواءٌ عليهم أأنذرتهم» إلى قوله:«عظيم» هؤلاء أهل النار قالوا: لسنا هم يارسول الله؟ قال:«أجل» رواه ابن أبي حاتم بإسناد لابأس به[5]. هامش[وقد ورد في فضل هذه الآيات

---

(١) (٢) تفسير الخازن (٢٧/١) – ط دار الفكر بيروت.

(٣) قال ابن الجزري وقد وردت الغنة مع اللام والراء عن كل من القراء وصحت من طريق كتابنا نصاً وأداءً عن أهل الحجاز وهشام وعيسى بن وردان وروح وغيرهم. أهـ من تعليق تحقيق محمد غياث جنباز على كتاب الغاية في القراءات العشر(صفحة ٨٥).

(٤) هذا هو مذهب الجمهور من أهل الاداء والجلة من أئمة التجويد وهو الذي عليه العمل عند أئمة الأنصار. أهـ من تعليق غياث جنباز على كتاب الغاية في القراءات العشر (صفحة٨٥).

(٥) الدر المنثور(٧٢/١) وابن كثير (٤٧/١) بسند فيه ابن لهيعة وابن لهيعة هو عبدالله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي وهو عند أبي داود والترمذي والنسائي وقد تقدمت ترجمته.

وبناءً على ماتقدم فإنا لانحكم بصحة الحديث لان في سنده ابن لهيعة. ولم ينقل عنه في هذا الحديث من نثق انه أخذ عنه قبل إحراق مكتبته وهو عبيدالله بن المغيرة كما جاء في السند عند ابن ابي حاتم في تفسيره(٤٠/١/رقم ٨٦).

الشريفة أحاديث: منها ماروواه عبدالله بن أحمد بن حنبل في زوائد المسند [1] والحاكم[2] والبيهقي[3] عن أبي ابن كعب قال:«كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجاء أعرابي فقال: يانبي الله إن لي أخاً وبه وجع فقال: وماوجعه قال به لم[4] قال فائتني به فوضعه بين يديه فعوذه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بفاتحة الكتاب وأربع آيات من أول سورة البقرة وهاتين الآيتين.. وإلهكم إله واحد[5]. وآية الكرسي[6]، وثلاث من آخر سورة البقرة [7]، وآية من آل عمران -شهد الله أنه لا إله إلاَّ هو(8)- وآية من الأعراف -إن ربكم الله[9]- وآخر سورة المؤمنين[10] -فتعالى الله الملك الحق[11]- وآية من سورة الجن -وأنه تعالى جد ربنا[12]- وعشر آيات من أول الصافات[13] . =

(١) مسند الامام احمد (٦/١٥١/٢٠٦٧٠) طبعة دار احياء التراث العربي.

(٢) رواه الحاكم ولم يذكر فيه أربع آيات من أول البقرة وذكر اربع ايات من آخر سورة البقرة (٤/٤١٢-٤١٣) وقال الحديث صحيح محفوظ ولم يخرجاه وذكر الذهبي رواية للحديث ذكر فيها من سورة البقرة«وأربع آيات من سورة البقرة» فقط وقال عن سند الحديث:أبو جناب الكلبي ضعفه الدار قطني والحديث منكر.

(٣) في الدعوات الدر المنثور (١/٦٩).

(٤) اللمم محركة : الجنون، وصغار الذنوب، والملموم المجنون. أهـ من القاموس المحيط (صفحة ١٤٩٦).

(٥) هما الآية (١٦٣-١٦٤) من سورة البقرة .

(٦) من الاية ٢٥٥ من سورة البقرة .

(٧) هي الايات (٢٨٤-٢٨٥-٢٨٦) من سورة البقرة.

(٨) الآية ١٨ من سورة آل عمران .

(٩) الآية ٥٤ من سورة الأعراف .

(١٠) يعني سورة المؤمنون لأن اسماء السور تحكى.

(١١) الآية ١١٦ من سورة المؤمنون .

(١٢) الآية ٣ من سورة الجن .

(١٣) من قوله تعالى(والصافات صفاً) إلى قوله (فأتبعه شهاب ثاقب) الآية ١٠/من سورة الصافات .

وثلاث آيات من آخر سورة الحشر[1] ، وقل هو الله أحد[2] والمعوذتين [3] فقام الرجل كأنه لم يشتك قط»

وروى نحوه ابن السني في عمل اليوم والليلة من طريق عبدالرحمن بن أبي ليلى عن رجل عن أبي مثله[4]. وروى الدارمي[5] وابن الضرّيس[6] عن ابن مسعود قال: من قرأ أربع آيات من أول سورة البقرة وآية الكرسي وآيتين بعد آية الكرسي وثلاثاً من آخر سورة البقرة لم يقربه ولاأهله يومئذ شيطان ولاشيء يكرهه في أهله ولاماله ولايقرآن على مجنون إلاّ أفاق. وروى الدرامي [7] وابن المنذر[8] والطبراني[9] عنه قال : « من قرأ عشر آيات من

---

(١) الآيات ٢٢-٢٣-٢٤.

(٢) أي سورة الإخلاص.

(٣) سورة الفلق وسورة الناس.

(٤) الدر المنثور (٧٠/١).

(٥) في سننه (٤٤٨/٢) وقال كلمة و(آيتان) وحذف جملة (في أهله ولاماله) وقال كلمة ولا يقرأن بدلاً من(ويقرأن) -أهـ- من سنن الدارمي وابن الضريس هو أبو عبدالله محمد أيوب بن يحيى المعروف (بابن الضريس) بالتصغير، البجلي الرازي الحافظ، المتوفى بالري سنة أربع وتسعين ومائتين،، له كتاب فضائل القرآن- انظر الرسالة المستطرفة ص ٥٨.

(٦) الدر المنثور (٧٠/١).

(٧) في سننه (٤٤٨/٢) وقال كلمة«أربعاً» عوضاً عن«أربع» وكلمة«خواتيمها» بدلاً عن«خواتمها» -أهـ من مسند الدارمي- .

(٨) الدر المنثور (٧٠/١).

(٩) جاء في الحديث في المعجم الكبير(١٣٧/٩/رقم ٨٦٧٣) بلفظ: قال عبدالله : من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في بيت لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة حتى يصبح،أربع آيات من أولها وآية الكرسي وآيتين بعدها وخواتيمها.

قال المعلق حمدي السلفي: قال في المجمع (١١٨/١٠) ورجاله رجال الصحيح إلا أن الشعبي لم يسمع من ابن مسعود.

سورة البقرة في ليلة لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة حتى يصبح: أربع من أولها وآية الكرسي وآيتان بعدها وثلاث خواتمها أولها«لله مافي السموات». وروى الطبراني[1] والبيهقي[2] عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:«إذا مات أحدكم فلاتحبسوه وأسرعوا به إلى قبره، وليقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وعند رجليه بخاتمة سورة البقرة»[3]. صح أصل، وبعده قوله تعالى:

(٦) ﴿**إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون**﴾ لما ذكر الله سبحانه وتعالى خاصة عباده وخالصة أوليائه بصفاتهم التي أهلتهم للهدى والفلاح، عقبهم أضدادهم العتاة المردة الذين لاينفع فيهم الهدى ولاتغني عنهم الآيات والنذر، فإن قلت: لم فضلت قصتهم عن قصة المؤمنين، ولم تعطف كما في قوله تعالى:«إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم»[4] وغيره من الآي الكثيرة؟ قلت: لتباين هاتين القصتين في الغرض فإن الأولى سيقت لذكر الكتاب -وأنه هدى للمتقين والأخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال فبين الجملتين تباين في الغرض والأسلوب منهما على حد لامجال فيه للوصل، والكفر الجحود وأصله الستر والتغطية. وسمي الليل كافراً لأنه يستر الأشياء ويغطيها بظلمته وفي الشرع إنكار ماعلم بالضرورة[5]مجيء الرسول صلى الله عليه وآله

---

(١) بنحوه في المعجم الكبير (٤٤٤/١٢/رقم ١٣٦١٣) قال المعلق حمدي عبدالمجيد السلفي قال في المجمع (٤٤/٣) وفيه يحيى بن عبدالله البابلقي وهو ضعيف قلت: ومثله أيوب بن نهيك(٤٤٤/١٢).

(٢) روى البيهقي في شعب الإيمان رقم(٩٢٩٤) - ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

(٣) وزاد في الدر في نص الحديث أخيراً«في قبره» أهـ.

(٤) الايتان ١٣-١٤ من سورة الانفطار.

(٥) والمقصود بعلم بالضرورة أي بلا دليل أنها من دين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإن كانت متوقفة في أنفسها على النظر والاستدلال كالتوحيدوالنبوة والبعث والجزاءفإن كل واحد منها وإن كان نظرياً في نفسه، ولكن كونه من دينه عليه الصلاة والسلام معلوم بالضرورة فالشخص إنما يكون مؤمناً اذا صدق بجميع ذلك وأذعن بقلبه .أهـ من حاشية الشيخ زاده على البيضاوي (٨٥/١) قال النسفي في تفسيره في تعريف الكفر:(الكفر ستر الحق بالجحود) وهذا=

وسلم به. والتعريف في الذين إما للعهد والمراد بهم ناس بأعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة وأضرابهم[1] وإما للجنس ويراد بذلك من علم الله سبحانه وتعالى أنه لايؤمن[2]. ويجوز أن يكون للعموم والمعنى لايحصل الإيمان من جميعهم وإن حصل من بعضهم ويجوز أن يخاطب بالعام ويراد به الخاص[3].

= التعريف أفضل من تعريف الامام الكوكباني رحمه الله تعالى وذلك لانه الصق باللغة من حيث معنى الكفر، لكنا نأخذ على هذا التعريف أنه قد يجحد المرء حديثاً صحيحاً غير متواتر، أو حكماً شرعياً ظني الثبوت أو ظني الدلالة فقد يفسق أحياناً لكن لايكفر لأنه لم ينكر الشهادتين ولم يجحد آية قرآنية ولاحديثاً متواتراً ولاحكماً شرعياً قطعي الثبوت وقطعي الدلالة حتى يعتبر كافراً. فهذا التعريف جامع لامانع.

أما الإمام الجرجاني رحمه الله تعالى فقد قال: ومن أخل بالشهادة فهو كافر»-التعريفات (صفحة ٣٤)- ط كراتشي باكستان- ويعني بذلك الشهادتين رحمه الله تعالى لكنا نأخذ على هذا الكلام أنه ليس ملتصقاً باللغة من حيث المعنى والاشتقاق.

ونأخذ على تعريف الامام الكوكباني رحمه الله تعالى أن الإنسان قد ينكر حكماً مشهوراً ثبت بالنظر والاستدلال، ولكن إنكاره لايوصل للكفر، فتعريفه جامع وليس مانعاً والتعريف الصحيح هو الذي يكون جامعاً مانعاً لما سواه.

لذلك نرى ربط تعريف النسفي بتعريف الجرجاني كما يلي:

«الكفر ستر الحق بالجحود المخل بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» وبهذا يكون التعريف جامعاً لكل أفراد الكفر مانعاً من الدخول به لكل ماسواه والله أعلم.

(١) تفسير البيضاوي (١٠٧/١).

(٢) تفسير القرطبي (١٨٤/١).

(٣) لكن القرطبي رحمه الله عرض عدة أقوال ورجح هذا القول فقال(هي عامة ومعناها الخصوص فيمن حقت عليه كلمة العذاب، وسبق في علم الله أنه يموت على كفره) تفسير القرطبي(١٨٤/١) فهو يشمل كل كافر يموت على الكفر سواء في ذلك أبو جهل أو المغيرة أو أحبار اليهود أم غيرهم ممن ماتوا على الكفر وهو قول دقيق أدق من القول الأخير الذي قال به الإمام الكوكباني رحمه الله (فقد يطلق العموم ويراد به العموم).

قوله تعالى :(سواء عليهم) سواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ولا يثنى ولايجمع قال الشاعر[1]:

وليلٍ يقول الناس من ظلماته سواءٌ صحيحات العيون وعورها[2]

ولانهم استغنوا بتثنية سيّ عن التثنية. وحكى أبو زيد[3] تثنيته عن بعض العرب قالوا: سواءان[4] وذكر الفارسي[5] أيضاً أنهم قد كسروه على سواسية وهمزته مبدلة من ياء[6]. قوله تعالى:(أأنذرتهم): خوفتهم وحذرتهم والإنذار إعلام مع تخويف وتحذير، فكل منذر معلم وليس كل معلم منذر، والهمزة الاولى في(أأنذرتهم) للتسوية، وأصلها الاستفهام، والهمزة الثانية للتعدية، ويتعدى إلى اثنين قال تعالى:(إنا أنذرناكم عذاباً قريباً) [7] والثاني هاهنا محذوف تقديره أأنذرتهم عذاباً. قوله :أم لم تنذرهم، أم حرف عطف

(١) جاءالبيت في البحر المحيط (٤٤/١) ولم ينسبه لقائله ولم أقف على قائله والبحر المحيط هو تفسير لأبي حيان الأندلسي الغرناطي -ط دار الكتب بيروت.

(٢) العَوَرُ : ذهاب حس إحدى العينين، عور، كفرح، وعار يعار، واعور واعوار، فهو أعورج: عور وعيران وعوران -أهـ القاموس المحيط (صفحة ٥٧٣).

(٣) هو أبو زيد الأنصاري سعيد بن أوس بن ثابت الخزرجي الأنصاري اللغوي البصري، كان من أئمة الأدب وغلب عليه اللغات والنوادر والغريب، له كتب منها«القوس والترس» و«الإبل» و«اللغات» و«النوادر» و«الجمع والتثنية» و«المصادر».

وكانت وفاته بالبصرة سنة خمس عشرة ومائتين تقريباً.

وعمر عمراً طويلاً حتى قارب المائة رحمه الله تعالى -أهـ-.

وفيات الأعيان (٣٧٨/٢-٣٨٠).

(٤) البحر المحيط (٤٤/١).

(٥) هو الحسن بن أحمد بن عبدالغفار أبو علي الفارسي الأصل تجول في البلدان وذهب لبغداد وحلب وفيها سيف الدولة وأقام عنده له كتب كثيرة منها«الحجة -ط) الأول منه في علل القراءات توفي سنة ٣٧٧هـ -من الأعلام (١٧٩/٢).

(٦) تاج العروس (٥٤٧/١٩) ط دار الفكر-

(٧) الآية (٤٠) من سورة النبأ.

متصلة لمعادلتها الهمزة، ووقوع الجملة بعدها في تأويل المفرد أي سواء عليهم إنذارك وعدمه وسواء خبر إنّ، ومابعده مرتفع به على الفاعلية، كأنه قيل:إن الذين كفروا مستو عليهم إنذارك وعدمه، وسواء مبتدأ وأأنذرتهم أم لم تنذرهم خبره، ولاحاجة إلى رابط لانها المبتدأ في المعنى، ويحتمل العكس وهو أن يكون:أأنذرتهم أم لم تنذرهم مبتدأ وسواء خبر مقدم بمعنى إنذارك وعدمه سيان عليهم. فإن قلت: الفعل خبراً أبداً لامخبر عنه فكيف صح الإخبار عنه في هذا الكلام. قلت إنما يمتنع الإخبار عنه إذا أريد به تمام ماوضع له، أما إذا أطلق وأريد به اللفظ أو مطلق الحدث المدلول عليه ضمناً على الاتساع فهو كالاسم في الإضافة والإسناد إليه، كقوله تعالى:(يوم ينفع الصادقين صدقهم)[1] أي يوم نفع. وقولهم: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه[2]، أي سماعك بالمعيدي وقوله تعالى:(سواء عليهم أأنذرتهم) أي إنذارك. وقول الشاعر:

جزعت غَداة البين لما ترحلوا وحق لمثلي يابثينة يجزع[3]

---

(١) الآية ١١٩ من سورة المائدة .

(٢) يستعمل الادباء هذا المثل إذا سمعوا بشيء أو بشخص فتشوقوا لرؤيته ومعرفته فلما رأوه أصيبوا بخيبة أمل وهو مثل قديم ويقال إن أول من قاله المنذر بن ماء السماء. ولقد قاله عبدالملك ابن مروان تمثل به عندما رأى كثيّر عزة وكان شاعراً فحلاً ولكنه دميم الوجه قبيح المنظر فقال: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه - أهـ في كتاب الامثال الحموية للدكتور عبدالرزاق الكيلاني(صفحة ٣٠٨) طبعة مكتبة الرسالة الحديثة - عمان الاردن ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

(٣) البيت لجميل بثينة وقد جاء في ديوانه بلفظ:

جزعت حذار البين يوم تحملوا ومن كان مثلي يابثينة يجزع

وحذار البين: أي خوف الفراق.

انظر شرح ديوان جميل بثينة(صفحة ٤٠)تعليق سيف الدين الكاتب واحمد عصام الكاتب-ط دار مكتبة الحياة- وجاء بهذه النسبة في خزانة الأدب (٥٧٩/٨)-ط الهيئة المصرية العامة، ١٩٧٩-.

أي حق الجزع، وإنما عدل هنا عن المصدر إلى الفعل لما فيه من إيهام التجدد، وحسن دخول الهمزة وأم عليه، لتقرير معنى الاستواء وتأكيده فإنهما جردتا عن معنى الاستفهام، لمجرد الاستواء ، كما جردت حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم: اللهم اغفر لنا أيتها العصابة، يعني أن هذا جرى على صورة الاستفهام، ولا استفهام، كما أن ذلك جرى على صورة النداء ولانداء قوله: «لايؤمنون» جملة يحتمل أن تكون خبر إن، فيكون قوله تعالى(سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) جملة اعتراض، لامحل لها من الإعراب، سيقت للتأكيد، لان من أخبر الله عنه أنه لايؤمن استوى إنذاره وعدمه ويحتمل أن يكون خبراً ثانياً لإن فيكون سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم خبراً أول فله محل، ويحتمل أن يكون حالاً مؤكدة أو بدلاً عنه، ويحتمل أن يكون جملة تفسيرية لجملة سواء عليهم، لان عدم الإيمان هو استواء الإنذار وعدمه، فلامحل لها. وقرأ ابن عامر [1] وعاصم [2] وحمزة [3] والكسائي [4] بتحقيق الهمزتين في أأنذرتهم، وهي لغة تميم [5] وقرأ أبو جعفر[6] ونافع [7] وابن كثير [8] وأبو عمر [9] بتحقيق الاولى وتسهيل الثانية وهي لغة الحجاز [10] ولكن أبو عمرو [11] وقالون [12] عن نافع

---

(١) هذا عند ابن ذكوان أحد راويي ابن عامر- الغاية في القراءات مع التعليق صفحة ٨٩-

(٢) (٣) (٤) انظر البدور الزاهرة (صفحة ٢٠).

(٥) روح المعاني (١/١٣٠).

(٦) البدور الزاهرة (صفحة ٢٠).

(٧) لكن نافعاً له في رواية ورش وجهان كما سيمر وفي هذا القول شيء على ماذكره الكوكباني رحمه الله تعالى وقالون عن نافع لم يقل بهذا القول لم يقل (تسهيلا بلا ألف) .

(٨) (٩) البدور الزاهرة (صفحة ٢٠).

(١٠) البحر المحيط (١/٤٥) .

(١١) البدور الزاهرة (صفحة ٢٠) والصواب أن يقول لكن أبا عمر إلا إذا اعتبر أن النون ساكنة.

(١٢) البدور الاهرة (صفحة ٢٠).

وهشـــام[1] أدخلوا بينهما ألفاً. وروي عن ورش إبدال الثانية ألفاً وإدخال ألف بينهما[2] ورأى الزمخشري ذلك لحناً لما فيه من الجمع بين الساكنين على غير حده[3]، وحده أن يكون الاول حرف لين والثاني حرفاً مدغماً، نحو (ولا الضالين) . (٠٠٠)[4] ولان تخفيف الهمزة المتحركة [المفتوح][5] ماقبلها بين بين، فأما القلب ألفاً فهو تخفيف الهمزة الساكنة المتحرك ماقبلها نحو رأس، وردَّ بأن قراءة ورش صحيحة[6] لاتدفع ببعض المذاهب، لان منع الجمع بين الساكنين على غير حدهما، هو مذهب البصريين[7]، ثم حكى الله تعالى صفة من تقدم ذكرهم فقال عز من قائل

(٧) ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة﴾

الختم والكتم أخوان، لان في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم كتماً له وتغطية،

---

(١) وهشام هو أحد روايي ابن عامر وفي قراءة هشام هذا اختلف عنه- الغاية في القرءات العشر(صفحة ٨٩) هشام هذا هو هشام بن عمار بن نصير القاضي الدمشقي، ويكنى أبا الوليد، وتوفي سنة ٢٤٥هـ -أهـ البدور الزاهرة (صفحة ٩).

(٢) لكن لورش وجهين الاول بتسهيل الهمزة الثانية بينها وبين الألف مع إدخال ألف بينهما والثاني إبدالها ألفاً وحينئذٍ يلتقي ساكنان هذه الالف والنون التي بعدها فيمد مداً مشبعاً بقدر ثلاث ألفات -البدور الزاهرة (صفحة٢٠) والقراءات العشر (صفحة ٣).

(٣) الكشاف (١٥٤/١) ط البابي الحلبي - القاهرة ورد الجورجاني«اعتذر بأن من قلب الهمزة ألفاً أشبع الألف مقداراً زائداً على المعتاد ليكون ذلك فاصلاً بين الساكنين ومن المعروف بأن الالف المتحركة قد تقلب ألفاً على الشذوذ كقول حسان:

سألت هذيل رسول الله فاحشة أهـ حاشية الجرجاني على الكشاف(١٥٤/١-١٥٥).

(٤) هنا كلمة لم تقرأ .

(٥) في النسخة ب[المقترحة].

(٦) قلت قد مر معنا عزوها للقراءات العشر المتواترة عن ورش والله تعالى يقول(إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) الآية ٣ من سورة الزخرف. فليس لاحد ردها.

(٧) معاني القرآن للزجاج (٧٨/١).

لئلا يتوصل إليه ولايطلع عليه. والغشاوة فعالة من غشاه إذا غطاه، وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة، ولاختم ولاتغشية على الحقيقة، وإنما هو من باب المجاز، ويحتمل أن يكون من الاستعارة أو التمثيل، أما الاستعارة فأن يجعل قلوبهم بحيث لاينفذ فيها الحق، ولايخلص الى ضمائرها من قبل إعراضهم عنه، واستكبارهم وأسماعهم لأنها تمجه وتنبو عن الإصغاء إليه، وتعاف استماعه كأنهما مستوثق منها بالختم، وأبصارهم لأنها لاتجتلي آيات الله المنصوبة في الأنفس والآفاق كما تجتليها أعين المستبصرين.

كأنما غطي عليها وحيل بينها وبين الأبصار[1]. وأما التمثيل فإن تمثل حال قلوبهم حيث لم يستنفعوا بها في الأغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من أجلها بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها، بالختم والتغطية فإن قلت[2]: لم أسند الختم إلى الله تعالى إذ يلزم منه أن يكون سبحانه وتعالى مانعاً من قبول الحق بختم القلوب ومن التوصل إليه بختم الاسماع وكلاهما قبيح يمتنع صدوره عنه بدليل عقلي، وهو أنه تعالى مستغن عن القبيح وعالم بقبحه ويغناه عنه فيمتنع الصدور بحكمته لابخروجه عن قدرته

---

(١) حاول المصنف هنا أن يجعل الفعل غُطي، وحيل مبنيان للمجهول.. وفي الآية واضح أن الفعل ختم مبني للمعلوم والفاعل هو الله تعالى بنص الآية (ختم الله....).

(٢) وأما قوله (فإن قلت كيف أسند الختم إلى الله تعالى إلخ) فقد قال الإمام ناصر الدين أحمد الاسكندري مجيباً على نفي الكلام الذي قاله صاحب الكشاف (١٥٧/١) قال:«لقد انطوى كلامه هذا على ضلالات أعدها وأرادها: الاولى مخالفة دليل العقل على وحدانية الله تعالى ومقتضاه أن لاحادث إلا بقدر الله تعالى لاشريك له، والامتناع من قبول الحق جملة الحوادث، فوجب انتظامه في سلك متعلقات القدرة العامة التعلق بالكائنات والممكنات. الثانية : مخالفة النقل المضاهي لدليل العقل كأمثال قوله تعالى:(الله خالق كل شيء)١٦: الرعد، (هل من خالق غير الله)٣: فاطر وهذه الآية ايضاً، فإن الختم فيها مسند إلى الله تعالى نصاً، والمؤلف رحمه الله لايأبى ذلك ولكنه يدعي الإلتجاء إلى تأويلها لدليل قام عنده عليه، فإذا ثبت أن الدليل العقلي على وفق مادل عليه وجب إبقاؤه على ظاهره -أهـ من تعليق الإسكندري على الكشاف (١٥٧/١)-.

وبدلائل سمعية نطق بها التنزيل (وما أنا بظلام للعبيد)[1]. (وماظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين)[2] (إن الله لايأمر بالفحشاء)[3] ، ونظائر ذلك فإن نفي الظلم عنه ليس إلاَّ لقبحه [فيعم][4] القبائح كلها، ومن المعلوم أنه تعالى إذا لم يكن آمراً بالفحشاء، لم يكن فاعلاً لها أصلاً قلنا الجواب عنه من أوجه: الأول أن الإسناد إلى الله تعالى كناية عن فرط تمكن هذه الصفة، التي هي الهيئة الحادثة المانعة، وثبات رسوخها في قلوبهم وأسماعهم. فإن كونها كذلك يستلزم كونها مخلوقة لله تعالى، صادرة عنه، فذكر اللازم ليتصدر وينتقل منه إلى الملزوم الذي هو المقصود ألا ترى إلى قولهم فلان مجبول على كذا أو مفطور عليه ولايعنون به تحقيق خلقه عليه بل ثباته وتمكنه فيه[4] الثاني:أن [5] لايحمل الختم على الاستعارة على التمثيل المذكور بل على تمثيل آخر يكون وجهاً ثالثاً في الآية وهو أن تشبه حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي والنبوة عن الحق بحال قلوب محقق ختم الله عليها كقلوب الأغنام التي هي في خلوها عن النظر، كقلوب البهائم أو بحال قلوب البهائم أنفسها، أو بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى لاتعي شيئاً ولاتفقه، وليس له عز وجل فقل في تجافيها عن الحق ونبوها عن قبوله، وهو متعال عن ذلك. الثالث أن يحمل الختم على الاستعارة أو التمثيل السابق أولاً، ويجعل إسناده إلى الله تعالى مجاز من باب إسناد الفعل إلى المسبب له، فالخاتم في الحقيقة هو الشيطان أو الكافر نفسه[إلا][6] أنه سبحانه وتعالى لما كان هو الذي أقدره ومكنه أسند الختم إليه، كما أسند إلى الامير في قولهم: بنى الامير المدينة. الرابع أن الختم عبارة عن ترك القسر والإلجاء إلى الإيمان، فيجوز إسناده إلى الله تعالى؛ حقيقته وتحريره أن الختم على القلوب يستلزم ترك القسر والإلجاء

(١) الآية ٢٩ من سورة ق .

(٢) الآية ١١٨ من سورة النحل .

(٣) الآية ٢٨ من سورة الأعراف.

(٤) في النسخة ب [من] .

(٥) في النسخة ب [أنه].

(٦) في النسخة ب [لا].

إلى الإيمان؛ فمعنى ختم الله على قلوبهم ، أنه لم يقرهم عليه، وليس هذا المعنى أعني ترك القسر والإلجاء مقصود في نفسه، بل ينتقل منه إلى مقتضى حالهم الإلجاء والقسر على الإيمان، ثم لم يلجئهم ولم يقسرهم على الإيمان، لئلا ينتقض العرض في التكليف، وينتقل من هذا المقتضى إلى أن الآيات والنذر لاتغني عنهم، وأن الألطاف لاتجدي عليهم، وينتقل من عدم الإغناء والإجداء إلى تناهيهم في الإصرار على الضلال، فأطلق الختم على ترك القسر مجازاً مرسلاً، ثم كنى به عن ذلك التناهي فيكون هذا وجهاً مستقلاً في الآية. الخامس أن يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون:(بل قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه، وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب)[1] تهكماً واستهزاءً بهم، والإسناد إلى الله تعالى حينئذ حقيقة لانهم يجوزون إسناد القبيح إلى الله تعالى عن ذلك. السادس: أن ذلك الختم في الآخرة وإنما أخبر عنه بالماضي لتحققه، وتيقن وقوعه ويشهد له قوله تعالى:(ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً)[2].السابع: أن المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وهذا على قاعدة مذهب المعتزلة(٣). وأما على قاعدة مذهب الاشعرية[4] فلا قبيح بالنسبة إليه تعالى بل الافعال كلها بالقياس إليه سبحانه وتعالى سواء ولايتصور في أفعاله تعالى ظلم لان الكل منه وبه وإليه فله تعالى أن يتصرف في الاشياء كما يشاء وانما يوصف بالقبيح والظلم ونظائرها أفعال

---

(١) الآية ٥ من سورة فصلت .

(٢) الآية ٩٧ من سورة الاسراء .

(٣)إن مذهب المعتزلة في هذا الأمر يرجع إلى موضوع القبح والقبيح في نظرهم وعلاقته بالله سبحانه تعالى فقد حاولوا (كل الآيات الصريحة التي تبين أن الهدى والضلال بيد الله سبحانه وتعالى، حاولوا أن يأولوا إلى معان بعيدة عن صريح العبارة مع أن الله تعالى قال:(من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً) الاية ١٧ من سورة الكهف. وقال سبحانه:(من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون) الآية ١٧٨ من سورة الاعراف.

وقال سبحانه :(من يضلل فلا هادي له) الآية ١٨٦ من سورة الاعراف ومنها هذه الآية قال سبحانه(ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) الآية ٦ من سورة البقرة لقد ابتعد المعتزلة عن المعاني المباشرة الواضحة للآيات والتجؤوا إلى تأويلات بعيدة=

= كل ذلك لينفوا عنْ الله تعالى القبيح بنظرهم قال الإمام الجرجاني راداً عليهم:(أما على قاعدة أهل الحق فلا قبيح بالنسبة إلى الله تعالى، بل الافعال كلها بالنسبة إليه على سواء، ولايتصور في أفعاله ظلم لان الكل منه وبه وإليه، فله أن يتصرف في الاشياء كلها كما يشاء، وإنما يوصف بالقبح والظلم نظائرها أفعال العباد باعتبار كسبهم لها وقيامها بهم، لاباعتبار إيجاد الله إياهم فيهم. -أهـ- في حاشية الجرجاني على الكشاف (١٥٨/١) ونقول إن تصرف الإنسان في ملكه وفق شريعة الله تعالى لايعتبر ظلماً ومن ذلك مايصنع بالأنعام من قبل مالكيها فالله سبحانه تعالى عن الظلم علوا كبيراً يملك الإنسان والكون والحياة فلا يعتبر فعله ظلماً إذ هو ملكه جل جلاله وليس لنا نحن العبيد لله تعالى من شريعة نحاسبه عليها وصدق الله القائل:(لايسأل عما يفعل وهم يُسألون)٢٣: الأنبياء يُسألون عن الامتثال لشرع الله ودين الله في الأرض هذا دليل عقلي أخير وقبله سردنا عدداً من الأدلة النقلية في إثبات أن الهدى والضلال بيد الله تعالى ومن ذلك الختم وأمام أدلة العقل المقنعة وأدلة النقل الواضحة لايبقى إلا التسليم لله تعالى بقوله(ختم الله على قلوبهم على سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) والسنة بينت مافي القرآن قال تعالى:(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون) الآية ٤٤ من سورة النحل.

فهذا دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفيه الخير والتبيين كما مشى عليه أهل السنة والجماعة في مسألة (الهدى والضلال) فانصت إليه بارك الله فيك وأمن فإنه دعاء بالمأثور:(عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يكثر في دعائه أن يقول اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك. قالت: قلت: يارسول الله وإن القلوب لتتقلب قال: نعم مامن خلق الله من بشر من بني آدم إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله عز وجل فإن شاء الله أقامه وإن شاء أزاغه)،فنسأل الله أن لايزيغ قوبنا بعد إذ هدانا ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب. قلت يارسول الله ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي قال: بلى قولي: (اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن ماأحييتنا) قال الهيثمي رواه أحمد وإسناده حسن. أهـ مجمع الزوائد (١٧٦/١٠).

وعن نعيم بن همار الغطفاني قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:«مامن آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أن يزيغة أزاغه وإن شاء أن يقيمه أقامه

وكل يوم الميزان بيد الله يرفع أقواماً ويضع آخرين إلى يوم القيامة» رواه الطبراني ورجاله ثقات -أهـ مجمع الزوائد للهيثمي (٢١١/٧).

وعن سمرة بن فاتك الاسدي حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنحوه رواه الطبراني ورجاله ثقات -أهـ في مجمع الزوائد للهيثمي (٢١١/٧).

وعن أنس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكثر أن يقول:«يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، فقلت: يانبي الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال«نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء» وفي الباب عن النواس بن سمعان وأم سلمة وعائشة وأبي ذر. هذا حديث صحيح. وهكذا روى غير واحد عن الاعمش عن ابي سفيان عن انس روى بعضهم عن الأعمش عن ابي سفيان عن جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وحديث أبي سفيان عن أنس أصح -أهـ سنن الترمذي في شرح تحفة الاحوذي (٢٩١/٦-٢٩٢/٢٢٢٦) وهكذا تؤيد السنة المطهرة الصحيحة ظاهر الآيات الكريمة أن الهداية والضلالة بيد الله تعالى، والمقصود هنا هداية التوفيق وأما هداية التبيين والتوضيح كما مر فقد قامت الحجة بها على الناس أجمعين قال تعالى:(وهديناه النجدين) الآية١٠ من سورة البلد فقد بين للإنسان طريق الخير والشر عن طريق العقل والرسل والدعاة والكتب المنزلة فقامت الحجة على الناس أجمعين.

وهكذا أخذنا بدليل العقل في هذا الامر وبدليل الشرع من السنة بأحاديث صحيحه فمن اعتقد ماجاءت به السنة المطهرة فهو من أهل السنة ومن أهل القرآن وإلا . فلا عافانا الله تعالى.

قال القرطبي رحمه الله تعالى:«الختم يكون محسوساً كما بيّنا ومعنى كما في هذه الآية فالختم على القلوب عدم الوعي عن الحق سبحانه مفهوم مخاطباته والفكر في آياته وعلى السمع: عدم فهمهم للقرآن إذا تلى عليهم أو دعوا إلى وحدانيته وعلى الإبصار: عدم هدايتها للنظر في مخلوقاته وعجائب مصنوعاته؛ هذا معنى قول ابن عباس وابن مسعود وقتادة وغيرهم.

الثالثة : في هذه الآية أدل دليل وأوضح سبيل على أن الله سبحانه خالق الهدى والضلال، والكفر والإيمان ، فاعتبروا أيها السامعون، وتعجبوا أيها المفكرون من عقول القدرية القائلين بخلق إيمانهم وهداهم، فإن الختم هو الطبع فمن أين لهم الإيمان ولو جهدوا وقد طبع على قلوبهم وعلي سمعهم وجعل على أبصارهم غشاوة فمتى يهتدون أو من يهديهم من بعد الله إذا أضلهم وأصمهم

= وأعمى أبصارهم (ومن يضلل الله فماله من هاد)٣٣:الرعد وكان فعل الله ذلك عدلاً فيمن أضله وخذله، اذا لم يمنعه حقاً وجب له فتزول صفة العدل، وانما منعهم ماكان له أن يتفضل به عليهم لاماوجب لهم.

فإن قالوا: إن معنى الختم والطبع والغشاوة التسمية والحكم والإخبار بأنهم لايؤمنون، لا الفعل. قلنا: هذا فاسد، لان حقيقة الختم والطبع انما هو فعل مايصير به القلب مطبوعاً مختوماً: لايجوز ان تكون حقيقته التسمية والحكم؛ الا ترى أنه إذا قيل: فلان طبع الكتاب وختمه، كان حقيقة أنه فعل ماصار به الكتاب مطبوعاً ومختوماً، لا التسمية والحكم.

هذا مالا خلاف فيه بين أهل اللغة، ولأن الأمة مجمعة على أن الله تعالى قد وصف نفسه بالختم والطبع على قلوب الكافرين مجازاة لكفرهم؛ كما قال تعالى:(بل طبع الله عليها بكفرهم)١٥٥: النساء . وأجمعت الأمة على أن الطبع والختم على قلوبهم من جهة النبي عليه السلام والملائكة والمؤمنين ممتنع؛ لو كان الختم الطبع هو التسمية والحكم لما امتنع من ذلك الانبياء والمؤمنون؛ لانهم كلهم يسمون الكفار بأنهم مطبوع على قلوبهم، وأنهم مختوم عليها وأنهم في ضلال لايؤمنون؛ ويحكمون عليهم بذلك فثبت أن الختم والطبع هو معنى غير التسمية والحكم؛ وانما هو معنى يخلقه الله في القلب يمنع من الإيمان به؛ دليله قوله تعالى:(كذلك نسلكه في قلوب المجرمين. لايؤمنون به)١٢: الحجر وقال:(وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه)٢٧:الأنعام. أي لئلا يفقهوه، وماكان مثله -أهـ تفسير القرطبي(١/١٨٦-١٨٧).

(٤) نسبة إلى أبي الحسن الاشعري قال ابن خلكان: أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبدالله بن موسى بن بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ هو صاحب الأصول والقائم بنصرة مذهب السنة، وإليه تنسب الطائفة الأشعرية التي وقفت هي وأبو الحسن في وجه المعتزلة وأعداء الاسلام في عصرهم. وشهرته رحمه الله تغني عن الإطالة في تعريفه، ومولده سنة سبعين وقيل ستين ومائتين بالبصرة وتوفى سنة نيف وثلاثين سنة وقيل غير ذلك.

وقد صنف الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في مناقبه مجلداً.

وكان أبو الحسن الأشعري من المعتزلة ثم تاب بالمسجد الجامع في البصرة، ورقى كرسياً ونادى

العباد، باعتبار كسبهم لها وقيامها بهم، لاباعتبار إيجاد الله إياها فيهم، كما هو محقق في الكتب الكلامية[1]. قال السدي: ختم الله أي طبع الله[2]. وقال قتادة في هذه الآية استحوذ عليهم الشيطان إذ أطاعوه فختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة، فهم لايبصرون هدى ولايسمعون ولايفقهون ولايعقلون[3]. وقال ابن جريج: قال مجاهد: ختم الله على قلوبهم قال الطبع ثبتت الذنوب على القلب فحفت به من كل نواحيه،

---

= بأعلى صوته بتوبته من مذهب المعتزلة بآراء حددها. وكان فيه دعابة ومزاح كثير، وله من الكتب كتاب(اللمع) وكتاب (الموجز) وكتاب(ايضاح البرهان) وكتاب(التبيين على أصول الدين) وكتاب(الشرح والتفصيل في الرد على أهل الافك والتضليل) وهو صاحب الكتب في الرد على الملاحدة وغيرهم من المعتزلة والرافضة والجهمية والخوارج وسائر أصناف المبتدعة. قال أبو بكر الصيرفي: كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله الأشعري فجرحهم في أقماع السمسم. وقال أبو محمد علي بن حزم الأندلسي: إن أبا الحسن له من التصانيف خمسة وخمسون تصنيفاً. أ هـ من كتاب وفيات الاعيان (٣/٢٨٤-٢٨٧) بتصرف اختصار.

(١) قد شرحنا هذا الرأي سابقاً بما فيه الكفاية في الملاحظة قبل الماضية. وقد أوضح أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى انه لايجوز أن يكون في سلطان الله عز وجل من أكساب العباد مالايريده» وشرح ذلك شرحاً وافياً في كتاب الإبانه في أصول الدين(صفحة ٧٦-٧٧) ط دار القادري بيروت-.

(٢) تفسير ابن كثير (١/٤٨).

(٣) قال السيوطي رحمه الله تعالى:(أخرج عبدبن حميد عن قتادة في قوله(إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون) قال: أطاعوا الشيطان فاستحوذ عليهم، فختم الله على قلوبهم، وعلى سمعهم، على أبصارهم غشاوة، فهم لايبصرن هدى، ولايسمعون، ولايفقهون، ولايعقلون) -أهـ الدر المنثور (١/٧٣)-.

حتى تلتقي عليه فالتقاؤها عليه الطبع والطبع الختم[1]. قال وحدثني عبدالله بن كثير أنه سمع مجاهداً يقول الرّان أيسر من الطبع، والطبع أيسر من الإقفال، والإقفال أشد ذلك كله[2]. وقال الأعمش أرانا مجاهد بيده فقال: كانوا يرون أن القلب في مثل هذا -يعني الكف- فإذا أذنب العبد ذنباً ضم منه وقال بإصبعه الخنصر هكذا فإذا أذنب ضم وقال بأصبع أخرى فإذا أذنب ضم وقال بإصبع أخرى هكذا حتى ضم أصابعه كلها قال ثم يطبع الله عليه بطابع[3]. فإن قلت: لم خص هذه الأعضاء بالذكر؟ قلت: لأنها طريق العلم

(١) قال ابن جرير الطبري في تفسيره :«حدثنا القاسم بن الحسن، قال: حدثنا الحسين بن داود، قال حدثني حجاج، قال: حدثنا ابن جريج، قال: قال مجاهد: نبئت أن الذنوب على القلب تحف به من نواحيه حتى تلتقي عليه، فالتقاؤها عليه، الطبع، والطبع: الختم. قال ابن جريج: الختم، الختم على القلب والسمع) -أهـ تفسير ابن جرير الطبري(٢٥٩/١) لكن أحمد شاكر قد علق على الرواية قائلاً:«هذا من رواية ابن جريج عن مجاهد، والظاهر أنه منقطع، لان ابن جريج يروي عن مجاهد بالواسطة، كما سيأتي في الأثر بعده. وهذا الاثر ذكره ابن كثير.. ولكنه محرف فيه من الناسخ أو الطابع» أ هـ في التعليق على تفسير الطبري (٢٥٩/١) وإذا كان هنالك انقطاع فالمروي سنده ضعيف.

(٢) تفسير ابن كثير (٤٨/١) وتفسير الطبري (٢٥٩/١)- ط : دار المعارف مصر- .

(٣) تفسير ابن كثير (٤٨/١) لكن ابن كثير قال أخيراً « .. ثم قال: يطبع عليه بطابع» وهذا الاستدراك نفسه يقال بالنسبة لابن جرير فقد رواها كرواية ابن كثير خلافاً للكوكباني رحمه الله تعالى. وسند ابن جرير هو كما يلي«حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي قال: حدثنا يحيى بن عيسى، عن الاعمش، قال:...» أما عيسى بن عثمان فقد قال عنه ابن حجر العسقلاني: عيسى بن عثمان بن عيسى بن عبدالرحمن النهشلي الكوفي الكسائي، صدوق وهو عند الترمذي» أهـ تقريب التهذيب(صفحة ٤٣٩) باختصار أما يحيى بن عيسى النهشلي، الفاخوري الجرّار، الكوفي، نزيل الرملة، صدوق يخطئ ورمي بالتشيع وهو عند البخاري في الأدب المفرد ومسلموأبي داود والترمذي وابن ماجة)أهـ في تقريب التهذيب باختصار (صفحة ٥٩٥) أما الاعمش، قال إبن حجر العسقلاني«سليمان بن مهران الاسدي الكاهلي، ابو محمد الكوفي، الاعمش، ثقة حافظ عارف بالقراءات ورع لكنه يدلس وهو عند أصحاب الكتب الستة) أهـ تقريب التهذيب باختصار.

وبناءً على ذلك فسند الرواية صحيح عن مجاهد رحمه الله تعالى .

فالقلب محل العلم وطريقه إما السماع وإما الرؤية. قوله: وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم فتكون الأسماع داخلة في حكم الختم لافي حكم التغشية كقوله:(وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة)[1] ولو قفهم على سمعهم دون قلوبهم، وكرر الجار في قوله:(وعلى سمعهم) ليكون أدل على شدة[الختم](٢) في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم، ووحد السمع كما وحد البطن في قوله:

كلو في بعض بطونكم تعفوا فإن زمانكم زمن خميص[3]

للأمن عن اللبس، وذلك أن تقول: السمع مصدر في الأصل، والمصادر لاتجمع فلمح الاصل يدل عليه جمع الأذن في قوله تعالى:(وفي آذاننا وقر)[4] أو على تقدير مضاف ، أي وعلى حواس سمعهم، وقرأ أبو عمرو[5] والكسائي[6] بالإمالة في أبصارهم، والباقون بالتفخيم [7]. وقرئ غشاوة بالرفع على الابتداء عند سيبويه[8]، والمجرور المقدم وهو على

(١) الاية ٢٣ من سورة الجاثية.

(٢) في النسخة ب[الحكم] والصحيح ماكان في(أ) لانه ألصق بمعنى الآية.

(٣) أي كلوا في بعض بطونكم وأفرد البطن لأمن اللبس أي لاتملؤوها فإن أطعتموني عففتم عن الطعام وعف يعف بكسر عين المضارع من باب ضرب يضرب ثم قال فإن زمانكم أي أمرتكم بذلك لان زمانكم مجدب والخميص الضامر البطن فشبه الزمان المجدب بالرجل الجائع على طريق الكناية ووصفه بالخمص تخييل لذلك -أهـ من مشاهد الإنصاف (صفحة ٦٦).

ولقد أورد هذا البيت سيبويه في كتابه «كتاب سيبويه» فقال:«ومما جاء في الشعر على لفظ الواحد يراد به الجميع..» وأورد البيت قال عبدالسلام هارون في تعليقه على هذا البيت:«والبيت من الخمسين» التي لم يعرف لها قائل -أي من كتاب سيبويه- يقال أكل في بعض بطنه، إذا كان دون الشبع، وأكل في بطنه إذا امتلأ وشبع. والخميص: الجائع، أي زمان جدب ومخمصة» أهـ من كتاب سيبويه والتعليق عليه(١/٢١٠) قلت: وفي إيراد سيبويه للبيت كشاهد شاهد على أن البيت من شعر العرب الاصيل الذي يحتج به ولو لم نعرف له قائل والله تعالى أعلم.

(٤) الاية ٢٥ من سورة الأنعام.

(٥) القراءات العشر المتواترة (صفحة ٣).

(٦) في رواية الدروي عنه انظر القراءات العشر المتواترة (صفحة ٣).

(٧) لكن ورش بالتقليل بلا خلاف -انظر القراءات العشر المتواترة (صفحة ٣).

(٨) تفسير البيضاوي (١/١٢٣).

أبصارهم خبر مقدم، ليسوغ الابتداء بالنكرة، أو بالجار والمجرور عند الأخفش[1] وقرئ غشاوةٌ بالنصب، وهي مروية عن عاصم[2]. والنصب إما على تقدير: وجعل على أبصارهم غشاوة على طريقة: علفتها تبناً وماءً بارداً[3]. وقوله

إذا مالغانيات برزن يوماً  وزججن الحواجب والعيونا[4]

(١) أي رفع غشاوة بالجار والمجرور عند الأخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقوله يؤيده أي يؤيد رأي الأخفش رحمه الله ووجه التأييد أن الكلام على رأيه يكون جملة ظرفية والفعل أصل في العمل فلذلك ذهب اكثر النحاة رحمهم الله الى أن الظرف مقدر بالفعل فالتقدير في الاية الشريفة واستقرت على أبصارهم غشاوة فيحصل التناسب في ذلك بين المعطوف والمعطوف عليه بخلاف ماإذا حمل الكلام على الجملة الاسمية كما هو رأي سيبويه رحمه الله -أهـ من تفسير البيضاوي وتعليق الشيخ زادة (١/١٢٣/١٢٤).

(٢) لكن قراءة حفص وشعبة عن عاصم «غشاوةً» وهما راويا عاصم -انظر القراءات العشر المتواترة (صفحة ٣).

(٣) أي ختم.. وجعل كقولهم علفتها تبناً وماء بارداً  أي وأشربتها ماء بارداً

جاء هذا البيت كاملاً في تفسير ابن جرير الطبري وهو بتمامه:

علفتنها تبناً وماء بارداً  حتى شتت همالة عيناها.

وأنشده الفراء في معاني القرآن (١/١٤) ط عالم الكتاب بيروت الطبعة الثانية (١٩٨٠) كما انشده صاحب اللسان مادة«زجج» (٦/٢٠) ط دار احياء التراث العربي بيروت قال الفراء«انشدني بعض بني أسد يصف فرسه» وذكر البيت لكن الشطر الأول من البيت هو في ملحق ديوان ذي الرمة(صفحة٦٢٦) .

(٤) قال الجوهري :«والزجج دقة الحاجبين وطول. والرجل أزج وزججت المرأة حاجبها دققته وطولته.

وقول الشاعر: إذا ماالغانيات خرجن يوماً  وزججن الحواجب والعيونا

يعني وكحلن العيون -أهـ الصحاح(١/٣١٩) مادة زجج قال ابن منظور قال ابن بري: ذكر الجوهري عجز بيته على زججت المرأة حاجبها، وهو: وزججن الحواجب العيونا.

قال : هو للراعي وصوابه يزججن؛ وصدره :

وهزة نسوة من حي صدق  يزججن الحواجب والعيونا =

ورأيت زوجك في الوغى  متقلداً سيفاً ورمحاً[1]

أي وسقيتها ماءً بارداً وكحلن العيونا ومعتقلاً رمحاً أو على حذف الجار وإيصال الختم بنفسه إليه، والمعنى وختم على أبصارهم بغشاوة[2]،

﴿**ولهم عذاب عظيم**﴾ في الآخرة وقيل الأسر والقتل في الدنيا[3] والعذاب مثل النكال بناء معنى والعذاب كل مايُعني الإنسان ويشق عليه. وقال الخليل: العذاب مايمنع الإنسان من مراده ومنه الماء العذب لانه يمنع العطش[4] ويردعه ولذلك سمي نقاخاً لانه ينقخ العطش[5] ويكسره وفراتاً لانه يرفته على القلب[6]، ثم اتسع فيه ثم فسمي كل ألم فادح عذاباً.

---

= وبعده :

أنخن جمالهن بذات غسل  سراة اليوم يمهدن الكدونا

-أهـ لسان العرب لابن منظور مادة كلمة زجج(٢٨٧/١) ط دار صادر والبيت للراعي النميري واسمه عبيد بن حصين انظر منحة الجليل (٢٢١/٢) بتحقيق شرح بن عقيل محمد محيي الدين عبدالحميد ط المكتبة العصرية بيروت ١٤١٣-١٩٩٢م.

(١) تقديره وحاملاً رمحاً -لسان العرب ومادة كلمة زجج (٢٨٧/١) ط دار صادر والبيت ورد في لسان العرب مختلفاً عن ما أورد الكوكباني رحمه الله تعالى فقد جاء في لسان العرب:

ياليب زوجك قد غدا  متقلداً سيفاً ورمحاً

-أهـ نفس المكان السابق وجاء في تفسير القرطبي كما في لسان العرب انظر التفسير(١٩١/١) وقد ذكر المبرد البيت في الكامل ونسبه المحقق الدكتور محمد أحمد الدالي لعبد الله بن الزبعرى - انظر الكامل مع تحقيقه (٤٣٢/١) ط مؤسسة الرسالة) بيروت ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

(٢) هذا ماذهب إليه البيضاوي رحمه الله (١٢٤/١).

(٣) تمامه :«والعذاب الدائم في العقبى» أهـ تفسير البغوي (٤١/١).

(٤) تفسير البغوي (٤١/١) دون كلمة «ويردعه».

(٥) (٦) النقاخ : بالضم الماء العذب الذي ينقخ الفؤاد ببرده. قلت: معناه ينقفه أي يكسره -الفرات الماء العذب يقال ماء فرات ومياه فرات والفرات نهر بالكوفة -أهـ مختار الصحاح(صفحة ٦٧٥) وصفحة(٤٩٤) .

والعظيم نقيض الحقير، والكبير نقيض الصغير فكما أن الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير، ومعنى التوصيف به أنه إذا قيس بسائر مايجانسه قصر عنه جميعه، وحقر بالإضافة إليه[1] ومعنى التنكير في الآية أن على أبصارهم نوعاً من الأغطية، غير مايتعارفه الناس، وهو غطاء التعامي عن آيات الله ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لايعلم كنهه إلا الله[2]

(٨) ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر﴾ كما افتتح الله سبحانه بذكر الذين أخلصوا دينهم لله، ووطأت قلوبهم فيه ألسنتهم، ووافق سرهم علنهم،وفعلهم قولهم، ثم ثنى بأضدادهم الذين محضوا بالكفر ظاهراً وباطناً، ثم ثلّث بالذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، وهم أخبث الكفرة وأبغضهم إلى الله لأنهم خلطوا بالكفر تمويهاً تدليساً، وبالشرك استهزاءً وخداعاً، ولذلك طول سبحانه وتعالى في بيان خبثهم وجهلهم، واستهزائهم وتهكم[3] بأفعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم، وضرب لهم الأمثال، وأنزل فيهم (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار)[4]، وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا، كما تعطف الجملة على الجملة. قال ابن جريج: المنافق يخالف قوله فعله، وسره علانيته، ومدخله مخرجه، ومشهده مغيبه[5] ؛ وإنما نزلت صفات المنافقين في [السور][6] المدنية [7] لان مكة لم يكن فيها نفاق بل كان فيها خلافه، من الناس من كان

---

(١) تفسير البيضاوي (١/١٢٥).

(٢) تفسير البيضاوي بمعناها (١/١٢٥).

(٣) حيث قال سبحانه :(اشتروا الضلالة بالهدى) الآية ١٦ من سورة البقرة -انظر حاشية الجرجاني على الكشاف إذ نقل الكوكباني منه انظر حاشية الجرجاني(١/١٦٥) الله منزه عن التهكم لكنه يجازي عليه انظر تفسير الآية ١٥-.

(٤) قال تعالى:(إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً) النساء آية ١٤٥.

(٥) رواه ابن جرير الطبري (١/٢٧٠) وجاء في تفسير ابن كثير (١/٥٠).

(٦) في النسخة ب [السورة] والصواب ماجاء في أ.

(٧) ويستثنى من ذلك سورة العنكبوت فإنها مكية وذكر فيها المنافقون -انظر مباحث في علوم القرآن لمناع قطان ط مؤسسة رسالة بيروت ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م. وكان لابد للمؤمنين في مكة أن يأخذوا فكرة عن المنافقين قبل هجرتهم إلى المدينة وفي هذا تنبيه سابق لهم ليأخذوا حذرهم من المنافقين.

يظهر الكفر مستكرهاً وهو في الباطن مؤمن فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة وكان بها الأنصار من الأوس والخزرج، وكانوا في جاهليتهم يعبدون الأصنام على طريقة مشركي العرب، وبها اليهود من أهل الكتاب على طريقة أسلافهم، وكانوا ثلاث قبائل بنو قينقاع، حلفاء الخزرج وبنو النضير وبنو قريظة حلفاء الأوس فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة، وأسلم من أسلم من الأنصار من الأوس والخزرج، وقل من أسلم من اليهود إلا عبدالله بن سلام، رضي الله عنه ولم يك إذ ذاك نفاق أيضاً، لانه لم يكن للمسلمين بعد شوكة تخاف فلما كانت وقعة بدر العظمى أظهر الله تعالى كلمته أعلى الإسلام وأهله قال عبدالله بن أبي بن سلول وكان رأساً في المدينة، وهو من الخزرج، وكان سيد الطائفتين في الجاهلية، وكانا قد عزموا على أن يملكوه عليهم، فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأسلموا واستغنوا عنه، فبقي في نفسه من الإسلام وأهله فلما كانت وقعة بدر قال: هذا أمر قد توجه فأظهر الدخول في الإسلام، ودخل معه طوائف ممن هو على طريقته، وآخرون من أهل الكتاب فمن ثم وجد النفاق في أهل المدينة، ومن حولها من العرب[1].

والناس أصله أناس ويشهد لأصله إنسان وإنس وأناسي فحذفت همزته تخفيفاً كما قيل لوقه في ألوقه[2] وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لانكار ويجمع بينهما[3] وقوله[4]:

إن المنايا يطّلعـ ـن على الأناس الآمنينا[5]

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (١/٥٠).

(٢) الألوقه الزبدة بالرطب، وقيل الزبدة وحدها، يقال: لوق الطعام: إذا أصلح بالزبد، وهذا يدل على أن اللوقة لغة أخرى كما نقل في الصحاح عن أبي عبيد عن الكلبي إلا أن المصنف جعل لوق الطعام مأخوذاً من لوقة.. تخفيف ألوقة -أهـ حاشية الجرجاني على الكشاف(١/١٦٦).

(٣) أي لايكاد يجمع بين لام التعريف والهمزة.

(٤) ذكره ابن منظور في اللسان من غير ذكر القائل. انظر لسان العرب مادة(أنس) (٦/١١) طبعة دار صادر. كذلك الجوهري دون قائله انظر الصحاح مادة أنس ،وهو في هامش تاج العروس الطبعة الكويتية لذي جدن الحميري -تاج العروس مادة أنس.

(٥) شبه المنايا بأناس يبحثون عن من استحق الموت على طريق المكنية والاطلاع تخييل، والمعنى أن المنايا تأتي الناس على حين غفلة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها -أهـ في مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف (ص (١٢٥)-.

شاذ[1] وهو اسم جمع كرجال إذ لم يثبت فعال في أبنية الجموع مأخوذ من أنس لانهم يظهرون أي يبصرون ومنه قوله تعالى:(إني آنست ناراً)[2] أي أبصرت أو من أنس لانهم يستأنسون بأمثالهم[3][وأمن][4] النسيان كما قال تعالى:(ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي)[5] ولام التعريف فيه للجنس ومن في من يقول موصوفة إذ لاعهد وكأنه قال: ومن الناس يقولون: وقيل للعهد والمعهود هم الذين كفروا. ومن موصولة مراد بها عبدالله بن أبي بن سلول [6] لعنه الله وأصحابه ونظرائه، فإنهم من حيث أنهم صمموا على النفاق،

(١) وقد استشهد الجوهري بهذا البيت ولم يشر إلى شذوذ كلمة الأناس -انظر صحاح اللغة (٩/٩٠٥) مادة كلمة أنس.

(٢) الآية ٧ من سورة النحل .

(٣) قال القرطبي سمي إنساناً لانسه بحواء وقيل لانسه بربه فالهمزة أصلية قال الشاعر:

وماسمي إنساناً إلا لانسه ولا القلب إلا انه يتقلب

- أهـ تفسير القرطبي (١/١٩٣).

(٤) هذا خطأ كتابي في( أ) و(ب) والصحيح (أو من) قال القرطبي:«وقيل أصله من نسي، فأصل ناس نسي قلب فصار نسي تحركت الياء فانفتح ماقبلها فانقلب ألفاً ثم دخلت الألف واللام فقيل: الناس قال ابن عباس: نسي آدم عهد الله فسمي إنساناً إلى أن يقول رحمه الله قال الشاعر:

لاتنسين تلك العهود فإنما سميت إنساناً لانك ناسي. انتهى في تفسير القرطبي (١/١٩٢-١٩٣). (٥) الآية ١١٥ من سورة طه.

(٦) هو عبدالله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي، أبو الحباب المشهور بابن سلول، وسلول جدته لابيه من خزاعة، رأس المنافقين في الإسلام. من أهل المدينة. كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم وأظهر الإسلام بعد وقعة بدر، تقية ولماتهيأ النبي صلى الله عليه وسلم لوقعة أحد انخزل أبي وكان معه ثلاثمائة رجل، فعاد بهم الى المدينة. وفعل ذلك يوم التهيئ لغزوة تبوك وكان كلما حلت بالمسلمين نازلة شمت بهم، وكلما سمع بسيئة نشرها ولما مات سنة ٩ هـ تقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فصلى عليه فنزلت (ولاتصل على أحد منهم... الآية ٨٤ التوبة)- بتصرف من الأعلام (٤/٦٥).

دخلوا في جنس الكفار المختوم على قلوبهم، واختصاصهم بزيادة زادوها على الكفر. واختصاص الإيمان بالله واليوم الآخر بالذكر، تخصيص لما هو المقصود الأعظم من الإيمان وإيذان بأنهم منافقون فيما يظنون أنهم مخلصون فيه، لان القوم كانوا يهوداً وإيمان اليهود بالله ليس بإيمان، لقولهم«عزير ابن الله»[1]، وكذلك إيمانهم باليوم الآخر لانهم يعتقدونه على خلاف صفته. لقولهم: إن الجنة لايدخلها غيرهم[2] وإن النار لن تمسهم إلاَّ أياماً معدودة(٣) وفي تكرير الباء في و«باليوم الآخر» أنهم دعوا كل واحد من الإيمانيين على صفة الصحة والاستحكام. والمراد «باليوم الآخر» وقت الحشر إلى مالاينتهي أو إلى أن يدخل أهل الجنة[4] الجنة وأهل النار[5] النار لانه آخر الأوقات المحدودة.

﴿**وماهم بمؤمنين**﴾ إنكار لما ادعوه ونفي لما انتحلوا إثباته وكان أصله وماآمنوا لكنه عكس تاكيداً أو مبالغة في[التكذيب][6] لان إخراج ذواتهم من عداد المؤمنين أبلغ من نفي الإيمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك أكد النفي بالباء وأطلق الإيمان على معنى أنهم ليسوا من الإيمان في شيء قط لامن الإيمان بالله وباليوم الآخر ولا من الإيمان بغيرها.

(٩) ﴿**يخادعون الله والذين آمنوا**﴾ روى ابن أبي حاتم عن ابن جريج في قوله تعالى:(يخادعون الله والذين آمنوا) قال: يظهرون لا إله إلاَّ الله يريدون أن يحرزوا بذلك دماءهم وأموالهم، وفي أنفسهم غير ذلك [7].

---

(١) قال تعالى:(وقالت اليهود عزير ابن الله) الآية ٣٠ من سورة التوبة.

(٢) قال الله تعالى:(وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى) الآية ١١١ من سورة البقرة.

(٣) قال الله تعالى:(وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة) الآية ٨٠ من سورة البقرة.

(٤) (٥) بإضافة كلمة[إلى] مرتين في النسخة ب.

(٦) أما في ب [التاكيد بحجة الذكر] ولامعنى لهذا هنا.

(٧) تفسير ابن ابي حاتم (٤٦/١/رقم١٠٧) قال المعلق على التفسير إسناده حسن وهذا الخبر ذكره ابن كثير (٥١/١) وفي فتح القدير (٤٠/١) ونسبوه إلى ابن أبي حاتم.ورجال السند كلهم ثقات عن ابن جريج إلا أن محمد بن نور لم أجده في الميزان ولا الضعفاء ولاالجرح والتعديل وجدت في ميزان الاعتدال محمد بن نوار. لايعرف رقم ٨٢٧٢.

والخدع أن توهم غيرك خلافاً لما تخفيه من المكروه من قولهم ضب خادع، وخدع إذا أوهم الحارس إقباله عليه، ثم خرج من باب آخر، وأصله الخفاء ومنه المخدع للخزانة التي يخفى فيها المتاع. والمخادعة تكون بين اثنين. فإن قيل كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لاتصح لأنه العالم الذي لاتخفى عليه خافية لايخدع، والحكيم الذي لايفعل القبيح[1] لايخدع، والمؤمنون وإن جاز أن يخدعوا لم يجز أن يخدعوا ألا ترى إلى قوله:

واستمطروا من قريش كل منخدع  إن الكريم إذا خادعته انخدعا [2]

قلنا فيه وجوه؛ الاول: أن يقال كانت صور صنعهم مع الله تعالى حيث يظهرون الإيمان وهم كافرون صورة صنع الخادعين وصنع الله معهم حيث أمر بإجراء أحكام المسلمين عليهم، وهم عنده من عداد أشرار الكفرة صورة صنع الخادع، وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا أمر الله تعالى فيهم، فأجروا أحكامهم عليهم[3]. الثاني: أن يكون على حسب معتقدهم وظنهم أن الله عز وجل ممن يصح [خداعه][4] كقوله تعالى(وانظر إلى إلهك)[5] يعني على زعمك وظنك، لان من كان ادعاؤه الإيمان بالله نفاقاً لم

(١) وضحنا قديماً القبيح عند المعتزلة ورددنا عليهم.

(٢) ذكر شطره الأول ابن منظور ونسبه للفرزدق انظر لسان العرب مادة (مطر) (١٧٩/٥) وكذلك في صحاح اللغة (٨١٨/٢) مادة (مطر) غير انني لم اجده في ديوانه طبعة دار الكتاب اللبناني ١٩٨٣- طبعة دار صادر- وكانت العرب إذا أصابها جدب فزعت إلى قريش ليستسقوا لهم لأنهم ولاة بيت الله وحماة حرمه كما فعل قوم عاد لما قحطوا وكذلك استسقى عمر بالعباس عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم واستسقى أبو سفيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأجابه واستسقى له مع ماكان بينهما من العداوة يقول طلب القوم من كل منخدع من قريش المطر أي ان يطلب لهم المطر -أهـ في مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف (صفحة ٦٨).

(٣) لم يرتض الإمام الجرجاني رحمه الله تعالى هذا الرأي في التفسير ومما قاله:«إن المخادعة محمولة على حقيقتها لكنها ترجمة عن معتقدهم الباطل وظنهم الفاسد؛ كأنه قيل: يزعمون أنهم يخدعون الله وأنه يخدعهم -أهـ في حاشية الجرجاني على الكشاف(١٧١/١-١٧٢).

(٤) في النسخة ب[لخداعه] .

(٥) الآية ٦٧ من سورة طه.

يكن عارفاً بالله تعالى ولابصفاته. الثالث: قد ترد المفاعلة لا على معنى المشاركة كقولهم: قاتله الله وعافاه الله وعاقبت اللص وطارقت النعل والفعل متى غولب فيه فاعله جاء أبلغ وأحكم منه، إذا زاوله وحده من غير مغالب ولامبال لزيادة قوة الداعي إليه[1] ويعضده قراءة أبو حيوة[2](يخدعون الله والذين آمنوا)[3] . الرابع : أن يكون على حذف مضاف أي يخادعون رسول الله أو على أن معاملة الرسول معاملة الله تعالى من حيث أنه خليفته في أرضه والناطق عنه بأوامره ونواهيه كما قال

(١) وقد قال بهذا القول الامام البيضاوي وشرحه كشرح الكوكباني الشيخ زادة حاشية الشيخ زادة (١/١٣٢).

قلت لكن الإمام بن جرير لم يرض هذا القول فقال:«قيل: قد قال بعض المنسوبين إلى العلم بلغات العرب: إن ذلك حرف جاء بهذه الصورة أعني «يُخَادِع» بصورة «يُفَاعل» وهو بمعنى«يفعل» في حروف أمثالها شاذة من منطق العرب، نظير قولهم: قاتلك الله، بمعنى قتلك الله وليس القول في ذلك عندي كالذي قال، بل ذلك من التفاعل» الذي لايكون إلا من اثنين، كسائر مايعرف من معنى يفاعل ومفاعل» في كل كلام العرب.

وذلك أن المنافق يخادع الله عز وجل ثناؤه بكذبه بلسانه-على ماقد تقدم وصفه- والله تبارك اسمه خادعه بخذلانه عن حسن البصيرة بما فيه نجاة نفسه في آجل معاده كالذي أخبر في قوله:«ولايحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً» (سورة آل عمران:١٧٨)، وبالمعنى الذي أخبر أنه فاعل به بالآخرة بقوله:«يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب» سورة الحديد:١٣) تفسير الطبري (١/٢٧٤-٢٧٥).

(٢) هو شريح بن يزيد أبو حيوة الحضرمي الحمصي صاحب القراءة الشاذة ومقري الشام ، قد ذكره ابن حبان في الثقات وهو والد حيوة بن شريح الحافظ وله اختيار في القراءة ، مات سنة ثلاث ومائتين هجرية . أهـ من غاية النهاية في طبقات القراء (١/٣٢٥/رقم ١٤١٩) .

(٣) الكشاف (١/١٧٣) لكن هذه القراءة شاذة لم يقل بها القراء العشرة للقراءات المتواترة في كلمة«يخادعون» الاولى من هذه الآية انظر البدور الزاهرة(صفحة ١٧٢) وانظر القراءات العشر المتواترة (صفحة ٣) .

(إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله)[٢] [٣] . الخامس: أن يكون من قولهم أعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله[٤].

هامش:[وروى أحمد بن منيع[٥] في مسنده بسند ضعيف عن رجل من الصحابة أن قائلاً من المسلمين قال يارسول الله: مالنجاه غداً؟ قال: لاتخادع الله، قال: وكيف نخادع الله؟ قال أن تعمل بما أمرك الله به تريد به غيره، فاتقوا الرياء فإنه الشرك بالله، فإن المرائي ينادى يوم القيامة على رؤوس الخلائق بأربعة أسماء ياكافر يافاجر ياخاسر ياغادر ضل عملك وبطل أجرك فلاخلاق لك اليوم عند الله فالتمس أجرك ممن كنت تعمل له يامخادع وقرأ آيات من القرآن(فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً)[٦] الآية(إن المنافقين يخادعون الله) [٧] الآية(٨). وروى ابن جرير عن ابن وهب قال: سألت ابن زيد عن قوله:(يخادعون الله والذين آمنوا) قال: هؤلاء المنافقون يخادعون الله ورسوله والذين آمنوا

---

(١) الآية (٨٠) من سورة النساء .

(٢) الآية ١٠ من سورة الفتح.

(٣) وقد ذكر هذا القول الإمام القرطبي مع أقواله وقد عزاه للحسن وغيره-تفسير القرطبي(١/١٩٥) كما عزاه للحسن الإمام البغوي -تفسير البغوي (١/٤٢).

(٤) قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى :(وقيل ذكر الله هاهنا تحسين والقصد بالمخادعة.. آمنوا كقوله تعالى:(فأن لله خُمُسُه وللرسول)الآية ٤١: الأنفال - تفسير البغوي (١/٤٢).

(٥) هو أبو جعفر أحمد بن منيع بن عبدالرحمن البغوي، نزيل بغداد، الحافظ، المتوفي سنة ٢٤٤ هـ له مسند -انظر الرسالة المستطرفة (صفحة ٦٥) تأليف محمد بن جعفر الكتاني - ط دار البشائر الإسلامية بيروت ١٤٠٦هـ-١٩٨٦-.

(٦) الآية ١١٠ من سورة الكهف.

(٧) الآية ١٤٢ من سورة النساء.

(٨) الدر المنثور (١/٧٤ - ٧٥) وواضح أن الحديث فيه ضعف لإرساله فلم يذكر اسم الصحابي والله أعلم.

بما أظهروه وسألته عن قوله(ومايخدعون إلا أنفسهم ومايشعرون) أنهم ضروا أنفسهم بما أضمروا من الكفر والنفاق[1]. صح أصل] وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومثله(والله ورسوله أحق أن يُرضُوه)[2] وقوله تعالى:(إن الذين يؤذون الله ورسوله)[3] فوحد الضمير في يرضوه للدلالة على أن المقصود إرضاء الرسول، وإن ذكر الله للإشعار بأن الرسول من الله بمنزلة عظيمة واختصاص قوي حتى سرى[الإرضاء][4] إليه. وكذلك الحال في الإيذاء فإنهم لايؤذون الله تعالى حقيقة بل الرسول وحده فذكر الله لمجرد التوطئة والتمهيد. وجملة يخادعون مستأنفة أو بدل من قوله(من يقول آمنا) لانها في معناه ولامحل لها على التقريرين أو جملة حالية من فاعل يقول فمحلها نصب والعامل فيها يقول﴿**ومايخادعون إلا أنفسهم**﴾ أي ومايعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المتخادعين إلاَّ أنفسهم لان ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما

---

(١) لكن ابن جرير الطبري رحمه الله ذكره بروايته مرتين بشكل يختلف قليلاً عما ذكره الكوكباني رحمه الله تعالى وإليك الروايتين:

«حدثني يونس بن عبدالأعلى قال: أخبرنا ابن وهب قال: سألت عبدالرحمن بن زيد عن قول الله جل ذكره:«يخادعون الله والذين آمنوا» إلى آخر الآية، قال: هؤلاء المنافقون، يخادعون الله ورسوله والذين آمنوا، أنهم مؤمنون بما أظهروه» -أهـ تفسير الطبري (٢٧٣/١-٢٧٤).

أما الرواية الثانية لابن جرير فهي كما يلي:

«حدثني يونس بن عبدالأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب قال:سألت ابن زيد عن قوله:(ومايخدعون إلا أنفسهم ومايشعرون) قال: مايشعرون أنهم ضروا أنفسهم بما أسروا من الكفر والنفاق. وقرأ قول الله تعالى ذكره:(يوم يبعثهم الله جميعاً)٦:المجادلة، قال: هم المنافقون حتى بلغ(ويحسبون أنهم على شيء) (سورة المجادلة :١٨)، قد كان الإيمان ينفعهم عندكم» -أهـ تفسير الطبري(٢٧٨/١). قال ابن حجر رحمه الله:«عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم ضعيف وهو عند الترمذي وابن ماجه» -أهـ باختصار من تقريب التهذيب (صفحة ٣٤٠).

(٢) الآية ٦٢ من سورة التوبة .

(٣) الآية ٥٧ من سورة الاحزاب .

(٤) في النسخة ب[إلى الرضا].

يقول: فلان يضار فلاناً ومايضار إلاَّ نفسه أي دائرة الضرار راجعة إليه. وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو(ومايخادعون) باثبات الالف بلفظ المفاعلة[1] والباقون (ومايخدعون) بحذف الالف[2]، فيحتمل أن تكن المفاعلة في قراءة من قرأ[على بابها][3] فكأنهم يخدعون أنفسهم، حيث يمنونها الأباطيل. وأنفسهم كذلك تخدعهم بذلك.

ويحتمل أن يكون بمعنى القراءة الأخرى، فجيء بذلك على لفظ يفاعلون للمبالغة ﴿**ومايشعرون**﴾ أن الله يكشف سرهم، وأن[ضرر][4] المخادعة عائد عليهم. والجملة معطوفة على ومايخادعون، فلامحل لها. أو حال، فمحلها نصب أي ومايخدعون إلاَّ أنفسهم غير شاعرين إذ لو شعروا بأن خداعهم عائد[عليهم][5] لما فعلوا.

(١٠) ﴿**في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً**﴾

أصل المرض الضعف، لانه يضعف البدن، وسمي الشك في الدين مرضاً لانه يضعف الدين[6] وقال الضحاك عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، في هذه الآية(في قلوبهم مرض) قال شك فزادهم الله مرضاً قال شكا [7] وعن عكرمة وطاووس[8] في قلوبهم مرض يعني الرياء[9] قال

(١) البدور الزاهرة (صفحة ٢١) والنشر في القراءات العشر صفحة ٢٠٧.

(٢) البدور الزاهرة (صفحة ٢١) والنشر في القراءات العشر صفحة ٢٠٧.

(٣) في ب [بها على مابها] الصواب هو ماجاء في أ.

(٤) في ب [أضرار].

(٥) في ب [إليهم]والصواب عليهم لانها أبلغ.

(٦) انظر تفسير البغوي (٤٣/١).

(٧) تفسير ابن كثير (٥١/١) وقد رواه ابن جرير الطبري بقسمين في (٢٨٠/١) وفي (٢٨٢/١) وروى في القسم الثاني «فزادهم الله ريبة وشكا» .

(٨) هو طاووس بن كيسان اليماني أخذ التفسير عن عدد من الصحابة منهم عبدالله بن عباس وكان تقياً عابداً حتى قال عنه ابن عباس«إني لأظن طاووساً من أهل الجنة وكان تلميذاً له توفي بمكة وقد كان حاجاً - انظر التفسير والمفسرون (١١٢/١).

(٩) تفسير ابن كثير (٥١/١).

السدي عن ابن عباس وفي قلوبهم مرض قال: نفاق(فزادهم الله مرضا) قال نفاق[1] وهذا كالاول. وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم(في قلوبهم مرض) قال: هذا مرض في الدين، وليس مرضاً في الأجساد وهم المنافقون، والمرض الشك الذي داخلهم في الإسلام فزادهم الله مرضاً، قال: زادهم رجساً، وقرأ قوله تعالى(فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون[2]. وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم)[3] قال: شراً إلى شرهم وضلالة إلى ضلالتهم[4]. أقول: والمرض في القلب يجوز أن يكون حقيقة ومجازاً. والآية تحتملهما[5]. فالحقيقة أن يراد الألم كما يقال في جوفه مرض، والمجاز أن يستعار لبعض أغراض القلب، كالشك والجهل وسوء الاعتقاد، والغل والحسد والميل إلى المعاصي، والعزم عليها، لانها مانعة عن نيل الفضائل ومؤدية إلى زوال الحياة الحقيقية الأبدية، وغير

---

(١) تفسير ابن كثير (٥١/١) وجاء في تفسير الطبري عن الضحاك عن ابن عباس قال: المرض: النفاق(٢٨٠/١).

(٢) (٣) الآيتان ١٢٤ - ١٢٥ من سورة التوبة .

(٤) تفسير ابن كثير (٥١/١) قال ابن كثير رحمه الله:(وهذا الذي قاله عبدالرحمن رحمه الله حسن وهو الجزاء من جنس العمل وكذلك قاله الأولون وهو نظير قوله تعالى أيضاً(والذين اهتدوا زادهم هدى واتاهم تقواهم) الآية ١٧ من سورة محمد(٥١/١).

(٥) وهذا ماذهب إليه البيضاوي (١٣٤/١) وفي الحقيقة يقول الشيخ زادة: ... فإن الإنسان إذا صار ممتلئاً بالحسد والنفاق ومشاهدة ماهو المكروه عنده واستمر به ذلك ودام فربما صار ذلك سبباً لتغيير مزاج قلبه ووجعه وهذا مع كونه معنى حقيقياً لمرض القلب أبلغ من المجازي الذي لايرتكب إلا أبلغ من الحقيقة -أهـ حاشية الشيخ زادة (١٣٥/١) أقول قد لاتؤدي الأمراض النفسانية إلى مرض مؤلم للقلب فالأنسب والله أعلم الاخذ بقول عبدالرحمن بن زيد الذي رجحه ابن كثير وخاصة هو من باب تفسير القرآن بالقرآن وهو أهم مصادر التفسير فالله اعلم بمراده بآياته سبحانه.

ذلك ماهو فساد وآفة، شبه بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة فيما هو نقيض ذلك فإن قلوبهم كانت متأكلة تحرقاً على مافات من الرياسة وحسداً على مايرون من ثبات أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، استعلاء شأنه يوماً فيوماً، فزاد الله غمهم بما زاد في إعلاء أمره وإشادة ذكره. ومعنى زيادة الله إياهم مرضاً أنه كلما أنزل على رسول الوحي فسمعوه كفروا به، فازدادوا كفراً إلى كفرهم، فكأن الله الذي زادهم ماازدادوه إسناداً للفعل إلى المسبب له، كما أسند إلى السورة في قوله تعالى:(فزادتهم رجساً إلى رجسهم) لكونها سببا[1] أو كلما ازداد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نصرةً على الأعداء وتبسطاً في البلاد ازدادوا حسداً وغلاً وازدادت قلوبهم جبناً وخورا[2]قوله (فزاداهم الله) زاد يتعدى إلى مفعولين كأعطى وهو ههنا كذلك وقد يستعمل لازماً نحو زاد المال، وأمال حمزة وابن عامر الالف[3]، لانها منقلبة ولانه يكسر زايه نحو زدته. وكان نافع

---

(١) قال القرطبي«وقيل هو إخبار من الله تعالى عن زيادة مرضهم؛ أي فزادهم الله مرضاً إلى مرضهم» أهـ وباختصار (١٩٧/١) وقال القرطبي قبل ذلك:

(فزادهم الله مرضاً) قيل: هو دعاء عليهم . ويكون معنى الكلام زادهم الله شكاً ونفاقاً على كفرهم وضعفاً عن الانتصار عجزاً عن القدرة كما قال الشاعر:

يامرسل الريح جنوباً وصبا  إذا غضبت زيد فزادها غضباً

أي لاتهدها على الانتصار فيما غضبت منه. وعلى هذا يكون في الآية دليل على جواز الدعاء على المنافقين والطرد لهم؛ لأنهم شر خلق الله -أهـ تفسير القرطبي (١٩٧/١).

(٢) ذكر البيضاوي نحوه (١٣٦/١).

(٣) انظر الغاية في القراءات العشر (صفحة ٩٧) انظر كتاب الإقناع في القراءات السبع تأليف أبي جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري ابن الباذش المتوفى سنة ٥٤٠ هـ رحمه الله(٣٠٤/١) طبعة دار الفكر دمشق ١٤٠٣هـ لكن ذكر في الإقناع أن في رواية ابن ذكوان الإمالة وكذلك ذكر في البدور الزاهرة (صفحة ٢٥).

يشم الزاي الى الكسر[1]، والباقون لايميلونها[2]

﴿**ولهم عذاب أليم**﴾ أي مؤلم يقال ألم فهو أليم، كوجع فهو وجيع. وصف به العذاب للمبالغة كقوله

تحية بينهم ضرب وجيع[3].

وهو مجاز لأنه لايألم في نفسه وإنما يألم صاحبه ونظيره جد جده ﴿**بما كانوا يكذبون**﴾ أي بسبب تكذيبهم الله ورسوله ، وقرأ عاصم وحمزة و الكسائي يكذبون بفتح الياء والتخفيف [4] أي بسبب كذبهم . اذ قالوا : آمنا وهم غير مؤمنين وقرأ الباقون يُكَذِّبُوْن[4]من كذّبه ، لأنهم كانوا يكذبون رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ( وإذا خلوا إلى شياطينهم) أو من كذب الذي هو للمبالغة أو التكثير مثل بيّن الشيء و موّت البهائم والكذب هو الخبر عن الشيء على خلاف ماهو به [6] ، وهو حرام كله [7] لانه علل به استحقاق العذاب، حيث رتبه عليه.

---

(١) لم يذكره صاحب الإقناع (٣٠٤/١) وكذلك لم يذكره في كتاب القراءات العشر وإنما وضح فيه أن قراءة نافع كقراءة حفص عن عاصم (صفحة ٣).

(٢) ومنهم نافع – انظر القراءات العشر المتواترة (صفحة ٣).

(٣) الشطر الأول

وخيل قد دلفت لها بخيل

والبيت لعمرو بن معد كرب انظر شرح أبيات سيبويه للنحاس وتحقيقها لأحمد خطاب (صفحة ٢٨٢) وانظر ص ١٣٠ في ديوانه تحقيق هاشم الطعان بغداد ١٩٧٠.

(٤) حجة القراءات (صفحة ٨٨) القراءات العشر المتواترة (صفحة ٣) البدور الزاهرة (صفحة ٢١).

(٥) نفس المرجع في التعليق السابق.

(٦) تعريف الكذب هذا هو تعريف صاحب الكشاف (١٧٨/١).

(٧) روى الإمام مسلم(رحمه الله) في الصحيح : حديث حرملة بن يحيى اخبرنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب أخبرني حميد بن عبدالرحمن بن عوف أن أمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وكانت من المهاجرات الأول اللاتي بايعن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول«ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ويقول خيراً» قال ابن شهاب: ولم يرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث: الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها. صحيح مسلم في شرح النووي(١٥٨/١٦). قال الامام النووي: باب تحريم الكذب وبيان مايباح منه: بقوله صلى الله عليه وآله وسلم«ليس الكذاب الذي

(١١) ﴿وإذا قيل لهم لاتفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون﴾ الفساد خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح ضده[1]، وكلاهما يعمان كل ضار ونافع. قال السدي في تفسيره عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (وإذا قيل لهم لاتفسدوا في

---

يصلح بين الناس ويقول خيراً أو ينمي خيراً) هذا الحديث مبين لما ذكرناه في الباب قبله ومعناه ليس الكذاب المذموم الذي يصلح بين الناس بل هذا محسن. قوله( قال ابن شهاب ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها) قال القاضي لاخلاف في جواز الكذب في هذه الصور واختلفوا في المراد بالكذب المباح فيها ماهو فقالت طائفة على إطلاقه وأجازوا قول مالم يكن في هذه المواضع للمصلحة، وقالوا الكذب المذموم مافيه مضرة، واحتجوا بقول ابراهيم صلى الله عليه وسلم: بل فعله كبيرهم وإني سقيم وقوله انها أختي وقول منادي يوسف صلى الله عليه وسلم أيتها العير إنكم لسارقون قالوا، ولاخلاف أنه لو قصد ظالم قتل رجل هو عنده مختف وجب عليه الكذب في أنه لايعلم اين هو، وقال آخرون منهم الطبري لايجوز الكذب في شيء أصلاً قالوا وماجاء من الإباحة في هذا المراد به التورية واستعمال المعاريض لاصريح الكذب مثل أن يعد زوجته أن يحسن إليها ويكسوها كذا؛ وينوي إن قدر الله ذلك. وحاصله أن يأتي بكلمات محتملة يفهم المخاطب منها مايطيب قلبه، وإذا سعى في الإصلاح نقل عن هؤلاء الى هولاء كلاماً جميلاً ومن هؤلاء الى هؤلاء كذلك ووَرّى وكذا في الحرب بأن يقول لعدوه مات إمامكم الأعظم وينوي إمامهم في الأزمان الماضية، أو غداً يأتينا مدد أي طعام ونحوه هذا من المعاريف المباحة، فكل هذا جائز وتأولوا قصة إبراهيم ويوسف وماجاء من هذا على المعاريض والله أعلم. وأما كذبه لزوجته وكذبها له فالمراد به إظهار الود والوعد بما لايلزم ونحو ذلك فإما المخادعة في منع ماعليه أو عليها أو أخذ ماليس له أولها فهو حرام باجماع المسلمين والله أعلم. أهـ شرح النووي على مسلم(١٥٨/١٦) ط دار احياء التراث العربي بيروت الطبعة الثالثة.

(١) قال القرطبي «الفساد ضد الصلاح وحقيقته العدول عن الاستقامة إلى ضدها - أهـ (٢٠٢/١) ولاشك أنه إذا فسر الاعتدال بالاستقامة فتعريفه صحيح لكن تعريف القرطبي أدق رحمه الله.

الارض). قال الفساد في الأرض هو الكفر والعمل بالمعصية[1]. وقال أبو جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية: في قوله تعالى:(وإذا قيل لهم لاتفسدوا في الأرض) قال: يعني لاتعصوا في الأرض، وكان فسادهم ذلك معصيتهم الله تعالى، لانه من عصى الله في الأرض، وأمر بمعصية الله تعالى، فقد أفسد في الأرض، لان صلاح الأرض والسماء بالطاعة[2]. وهكذا قال الربيع بن أنس عن قتادة[3]. قال ابن جرير: أهل النفاق مفسدون في الأرض بمعصيتهم فيها ربهم، وركوبهم فيها مانهاهم عن ركوبه وتضييعهم فرائضه،

---

(١) ورد هذا في تفسير الطبري كمايلي:

حدثني به موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد قال: حدثنا أسباط، عن السدي في خبر ذكره، عن أبي ملك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس -وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله سلم-وإذا قيل لهم لاتفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون) هم المنافقون، أما(لاتفسدوا في الارض) فإن الفساد هو الكفر والعمل بالمعصية-أهـ (٢٨٨/١) .

(٢) لكن أبا جعفر الطبري رحمه الله رواه عن الربيع دون أبي العالية هكذا: حدثت عن عمار بن الحسن، قال: حدثنا بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع«وإذا قيل لهم لاتفسدوا في الارض» يقول: لاتعصوا في الأرض (قالوا إنما نحن مصلحون) قال: فكان فسادهم ذلك معصية الله جل ثناؤه، لان من عصى الله في الأرض أو أمر بمعصيته، فقد أفسد في الأرض، لان إصلاح الأرض والسماء بالطاعة(٢٨٨/١) -أهـ

(٣) لكن الذي في تفسير ابن كثير مختلف (٥٢/١) فهو كمايلي:

«وهكذا قال الربيع بن أنس وقتادة» لاعن قتادة.

وشكهم في دينه الذي لايقبل من أحد عملاً إلاَّ بالتصديق به، والايقان بحقيقته، وكذبهم على المومنين بدعواهم غير ماهم عليه مقيمون من الشك والريب، ومظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله إذا وجدوا إلى ذلك سبيلاً فذلك إفساد المنافقين في الأرض وهم يحسبون أنهم بفعلهم ذلك مصلحون[1]، وهذا الذي قاله حسن فإن من الفساد في الأرض اتخاذ المؤمنين الكافرين أولياء كما قال تعالى:(والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير)[2]. فقطع الله الموالاة بين المؤمنين والكافرين كما قال تعالى:(ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين، أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً؟)[3] ثم قال:(إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً)(٤) فالمنافق لما كان ظاهره الإيمان اشتبه أمره على المؤمنين فكان الفساد من جهة المنافق حاصلاً لانه هو الذي غر المؤمنين بقوله الذي لاحقيقة له ووالى الكافرين على المؤمنين ولو أنه استمر على حاله الأول لكان شره أخف. ولهذا قال الله تعالى:(وإذا قيل لهم لاتفسدوا في الارض قالوا إنما نحن مصلحون) أي يريد أن يداري الفريقين من المؤمنين والكافرين[نصطلح][5] مع هؤلاء وهؤلاء، كما قال تعالى:(مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء)[6]. وعن ابن عباس(وإذا قيل لهم

---

(١) تفسير الطبري (٢٨٩/١-٢٩٠).

(٢) الآية ٧٣ من سورة الانفال .

(٣) الآية ١٤٤ من سورة النساء .

(٤) الآية ١٤٥ من سورة النساء .

(٥) في ب [نصلح]والصواب ماجاء في (أ) لأن المنافقين لا يصلحون .

(٦) الآية ١٤٣ من سورة النساء.

لاتفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون) قال : يقولون : إنما نريد الصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب[1] قال الله:

(١٢) ﴿ألا إنهم هم المفسدون﴾ يعني هذا الذي [تعمدونه][2] وتزعمون أنه [صلاحاً][3] هو عين الفساد[4]. قوله تعالى:(وإذا قيل لهم) إذا ظرف زمان مستقبل غلب مجيئها شرطا[5]، وهي لما يتيقن وقوعه او رجح وجوده[6] ولايجزم بها إلا في الشعر [7]

(١) ورواه ابن إسحاق الدر المنثور(٧٧/١) وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٢/١/رقم ١٢٤) جاء سند الرواية في تفسير الطبري كما يلي: حدثنا به محمد بن حميد قال: حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله:(إنما نحن مصلحون) أي قالوا: إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب-أهـ (٢٩٠/١) قال الذهبي رحمه الله تعالى:«محمد بن حميد عند أبي داود والترمذي ابن ماجة، الرازي الحافظ.. من بحور العلم وهو ضعيف، قال يعقوب بن شيبة: كثير المناكير. وقال البخاري: فيه نظر وقال النسائي: ليس بثقة -أهـ في ميزان الاعتدال(٣/٥٣٠/٧٤٥٣) أما سلمة بن الفضل القرشي فهو عند أبي داود والترمذي روى عن حميد قال أبو حاتم منكر الحديث و قال أبو زرعة: لاأعرفه-أهـ في ميزان الاعتدال (٢/١٩١/٣٤٠٩) وقال السيوطي رحمه الله تعالى«طريق ابن عامر عن محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت عن عكرمة أو سعيد بن جبير عنه-اي ابن عباس- هكذا بالترديد، وهي طريق جيدة وإسنادها حسن. وقد أخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم» أهـ الإتقان في علوم القرآن تأليف جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى(٢٤٢/٢) من خلال دراستنا لسند المروي عن ابن عباس يتضح لنا أن سند الرواية ضعيف لوجود راويين في السند يضعفانها هما محمد بن حميد وسلمة بن الفضل والله أعلم.

(٢) في ب [يعتمدونه].

(٣) جاء في ب [صلاح] وهو خبر أن المرفوع وهو الصواب.

(٤) هذا من كلام المؤلف والله أعلم وأدل أمر على هذا هو خطأ الإعراب السابق بنسخة الأصل (أ) .

(٥) ( تفسير البحر المحيط (٦٠/١) لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الاندلسي الغرناطي ٦٥٤-٧٥٤هـ.

(٦) قال أبو حيان وإذا كانت حرفاً فهي لما تيقن أو رجح وجوده البحر المحيط (٦٠/١).

(٧) قال أبو حيان ويجزم بها في الشعر البحر المحيط (٦٠/١).

خلافاً للكوفيين، فإنهم أجازوا الجزم بها مطلقاً[1] والعامل فيها جوابها على مذهب الجمهور وهو قالوا(٢) وقيل العامل فيها مايليها وهو قيل ورده أبو البقاء بأنه في موضع جر بإضافتها إليه والمضاف إليه لايعمل في المضاف[3]، وقيل أصله قَوِلَ استثقلت الكسرة على الواو فحذفت وكسرت القاف لتنقلب الواو ياء[4] ولغة قريش فيه وفي مثله إخلاص كسر أوله[5] وبها قرأ الاكثر ولغة[كثير] [7] بن قيس وعقيل وبني أسد إشمام أوله وبها قرأ الكسائي وهشام [8] في قيل وغيض وحيل وسيء وسيئت وجيء وسيق[9] وحذف فاعل قيل للإبهام، فيحتمل أن يكون الله تعالى [أو رسوله أو المؤمنين][10] ومفعوله النائب عن الفاعل قيل هو لاتفسدوا وهذا على مذهب من يجوز وقوع الفاعل جملة[11] وقيل هو لهم[12] وهو بعيد لانه لايتم به الكلام ولبقاء جملة لاتفسدوا غير مرتبطة بما قبلها لانها حينئذ غير معمولة للقول ولامفسرة لمعموله. وقيل النائب عن الفاعل لاتفسدوا لأنه من باب الإسناد اللفظي [13] أي قيل هذا القول كقولهم زعموا مطية الكذب أي هذا

(١) لم أعثر على قول خاص للكوفيين في المسألة لكن قال ابن هشام عن إذا:«لاتعمل إذا الجزم إلا في ضرورة كقوله

استغن ما أغناك ربك بالغنى، وإذا تصبك خصاصة فتجمل

-أهـ مغني اللبيب لابن هشام الانصاري (٨٥/١) ط التقدم العلمي مصر-١٣٤٨هـ.

(٢) إلى هذا ذهب أبو البقاء إملاء مامن به الرحمن (صفحة ٢٥).

(٣) (٤) إملاء مامن به الرحمن (صفحة ٢٥).

(٥) (٦) البحر المحيط (٦٠/١) .

(٧) في النسخ ب [كثيرة] والصواب ماكان في أ.

(٨) المقصود إشمام القاف بالضم ومصادر ذلك في البحر المحيط (٦٠/١-٦١) لاسم القبائل واسم القراء البدور الزاهرة (صفحة ٢١) لشرح الإشمام واسم القراء.

(٩) وافقه نافع وابن ذكوان في سيء وسيئت وزاد ابن ذكوان حيل وساق -أهـ جميعاً من البحر المحيط (٦١/١).

(١٠) الذي في ب [ورسوله والمؤمنين] والصواب مافي أ.

(١١) وهذا عند الكوفيين وجمهور البصريين على خلافه البحر المحيط (٦١/١).

(١٢) إملاء مامن به الرحمن (صفحة ٢٥) ورد هذا أبو البقاء.

(١٣) إملاء مامن به الرحمن (صفحة ٢٥).

اللفظ[1] ولايختص هذا الإسناد بالاسم، بل يجوز فيه.

وفي الفعل والجرف والجمل ولجأ إليه جار الله[2]. ولهم على أنه غير نائب في محل نصب بالقول[3] وجملة: وإذا قيل لهم؛ يحتمل أن تكون مستأنفة من باب عطف الجمل فيكون كلاماً مستقلاً وعلى هذا لامحل لها وفي الكشاف أن تكون معطوفة على يكذبون فمحلها نصب، لعطفها على خبر[4] كان ثم قال: ويجوز أن تعطف على من يقول آمنا لانك إذا قلت: ومن الناس من إذا قيل لهم لاتفسدوا في الارض كان صحيحا[5]. وقوله تعالى:(قالوا إنما نحن مصلحون) . جواب إذا كما عرفت وهذا رد للناصح على طريق المبالغة.

والمعنى أنه لايصلح مخاطبتنا بذلك فإن شأننا ليس إلاَّ [الصلاح] [6] وإن حالنا

---

(١) قال الجرجاني رحمه الله (قوله زعموا مطية الكذب) قيل معناه أن الكلام المصدر بالزعم ومايشتق منه غير موثوق به لان الزعم هو القول بلا تثبت وتبيين. وقد يقال: معناه أن الكذاب مسند كذبه إلى غير معين، ويقال زعموا كذا وكذا لئلا يظهر اختراعه الكذب ويروجه، فلفظ زعموا مطية الكذب يتوصل بها إليه.أهـ حاشية الجرجاني علي الكشاف (١٨٢/١) .

(٢) الذي قاله الزمخشري كما يلي:

«فإن قلت: كيف صح أن يسند قيل إلى لاتفسدوا وآمنوا وإسناد الفعل إلى الفعل مما لايصح. قلت: الذي لايصح هو إسناد الفعل إلى معنى الفعل، وهذا إسناد له إلى لفظه كأنه قيل: وإذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام، فهو نحو قولك ضرب من ثلاثة أحرف ومنه زعموا مطية الكذب -أهـ تفسير الكشاف (١٨١/١-١٨٢).

(٣) إملاء مامن به الرحمن (ص ٢٥).

(٤) الكشاف (١٧٩/١) .

(٥) الكشاف (١٧٩/١) لكنه قال أخيراً والاول أوجه.

(٦) وفي ب [الإصلاح] وماجاء في ب صواب نظراً لأنهم ادعوا أنهم مصلحون من أصلح يصلح إصلاحاً فهو مصلح ، وهذا هو الموافق لما جاء ف يتفسير البيضاوي (١٣٩/١).

متمخضة عن شوائب الفساد، لانه إنما تفيد قصر مادخلت عليه مثل: إنما زيد منطلق، وإنما ينطلق زيد، وإنما قالوا ذلك لأنهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض، كما قال عز من قائل(أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً) (١)

﴿ **ألا إنهم هم المفسدون ولكن لايشعرون** ﴾ رداً لما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين أبلغ رد للاستئناف به وتصديره بحرفي التأكيد ألا المنبهة على تحقيق مابعدها فإن همزة الاستفهام التي هي للإنكار إذا دخلت على النفي أفادت تحقيقاً ونظيره(أليس ذلك بقادر)(٢) ولذلك لاتكاد تقع الجملة بعدها إلاَّ مصدرة بما يتلقى بها القسم(٣) وأختها أما التي من طلائع القسم (٤) قال:

أما والذي لايعلم الغيب غيره ويحيي العظام البيض وهي رميم(٥)،

---

(١) الآية ٧ من سورة فاطر .

(٢) الآية ٤٠ من سورة القيامة .

(٣) قال الكوكباني رحمه الله تعالى بقول الزمخشري وقول البيضاوي ولكن لم يرتض أبو حيان هذا القول فقال:«وقال ذلك الزمخشري والذي نختاره أن ألا للتنبيه حرف بسيط لان دعوى التركيب على خلاف الأصل ألا ترى أنك تقول ألا إن زيداً منطلق ليس أصله لا أن زيداً منطلق إذ ليس من تراكيب العرب بخلاف مانظر به من قوله تعالى(أليس ذلك بقادر) لصحة تركيب ليس زيد بقادر -أي لغة لا قرآناً- ولوجودها قبل رب وقبل ليت وقبل النداء وغيرها مما لايعقل فيه أن لانافية قال الشاعر :

ألا ياالقومي للخيال المشوق وللدار تنأى بالحبيب ونلتقي

-أهـ في البحر المحيط (٦١/١)

(٤) تفسير البيضاوي (١٤٠/١) مع الملاحظة السابقة وكذلك الكشاف (١٨٠/١) قال الجرجاني وذهب الاكثرون إلى أنها لاتركيب فيهما -أي في ألا- (١٨٠/١) من حاشية الجرجاني على الكشاف.

(٥) هذا البيت لحاتم الطائي وأصل أما مركبة من همزة الاستفهام ومالنافية فصارت حرفاً لاستفتاح القسم وتوكيد الكلام، وأقسم بالذي يعلم الغيب والضمائر وهو الله تعالى لان جواب القسم من هذا القبيل، وذكر البيض دفعاً لتوهم أنها المكسية باللحم، أو كناية عن طول مدتها عارية عنه فيشتد بياضها لجفاف دمها، وهي رميم بالية، واستواء المذكر والمؤنث في فعيل بمعنى

أما ، والذي أبكى وأضحك  والذي أمات وأحيا والذي أمره الامر(١)

وأن المقرر للنسبة وتعريف الخبر المفيد حصر المسند إليه في المسند وتوسيط الفصل المفيد تأكيد هذا الحصر لرد دعواهم الكاذبة في قولهم: إنما نحن مصلحون فإنهم لما قصروا أنفسهم على الصلاح قصر إفراد ناسب ردهم، أن يقصروا على الفساد قصر قلب، أي هم المقصرون على الفساد، ولاحظ لهم في الصلاح.

**(١٣) ﴿إذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس﴾** أي إيمان مثل إيمان الناس فالكاف نعت مصدر محذوف ومامصدرية وأجاز جار الله أن تكون كافة للكاف عن الجر كما

---

فاعل كما هنا قليل والكثير في الذي بمعنى مفعول -أهـ مشاهد الإنصاف (صفحة ١٠٩) وجاء البيت في شرح شواهد المغني للسيوطي وعزاه لحاتم الطائي (٢٠٧/١) والبيت التالي لهذا البيت:

أمـــا والـذي لايـعلم الغيـب غيـره  ويحيي العظام البيض وهي رميم

لقد كنت أطوي البطن والزاد يُشتهى  مخـــافـــة يوماً أن يقـال لئـيم

-أهـ ديوان حاتم الطائي (صفحة ٤٨) ط دار القلم بيروت شرحه الدكتور عمر فاروق الطباع-.

(١) أما والذي أبكى وأضحـــك والذي  أمات وأحياء والذي أمره الأمر

لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى  أليفين منها لايروعهـما الذعـر

لابي صخر عبدالله بن سلمى الهزلي وأما استفتاحية ومقدمة وطليعة لليمين والواو بعدها للقسم أي والذي أبكى وأضحك حقيقة أو الذي سر وضر كناية وهو أنسب بالمقام والذي أمره أي مقدرة هو المقدر النافذ أو الذي أمره إذا أراد شيئاً الأمر أي قوله كن ويروى أمر بلا لام. أي حق عظيم لقد تركتني جواب القسم اي صيرتني أحسد الوحش على رؤيتي متآلفين منها أي الوحش لانه في معنى الجماعة لايروعهما أي لايخيفهما لان الخوف يحل الروع بالضم وهو القلب وذعر ذعراً كتعب خاف خوفاً وذعرته ذعراً كضربته ضرباً أخفته أي لاتخيفهما الإخافة ويجوز أن يراد بالذعر الامر المخيف ويروى لايروعهما النفر أي لاينفر أحدهما من الآخر فيروعه بذلك- انظر مشاهد الإنصاف (صفحة ٤٠) وجاء البيت بنفس النسبة في حماسة أبي تمام (٧٧٢/٢) -ط دار الفكر-.

في«رب ما» وفيه نظر[1]. واللام في الناس يحتمل الجنس. أي الكاملون في الإنسانية العاملون بقضية العقل[2]. أو عبر بالناس عن المؤمنين، لأنهم الناس في الحقيقة، ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحق والباطل، كقول الشاعر:

ليس من الناس ولكنه يحسبه الناس من الناس[3]

---

(١) إلا أن الجرجاني قبل الوجهين فقال:(ما) في (كما) إن كانت كافة للكاف عن العمل مصححة لدخولها على الجملة كان التشبيه بين مضموني الجملتين: أي حققوا إيمانكم كما تحقق إيمانهم، وإن كانت مصدرية فالمعنى آمنوا إيماناً مشابهاً لإيمانهم -أهـ حاشية الجرجاني على الكشاف(١٨٢/١) لكن أبا حيان رحمه الله لم يرتض ذلك فقال:«وأجاز الزمخشري وأبو البقاء في مامن قوله كما آمن الناس أن تكون كافة للكاف عن العمل مثلها في ربما قام زيد وينبغي أن لاتجعل كافة إلا في المكان الذي لاتتقدر فيه مصدرية لان ابقاءها مصدرية مبق للكاف على مااستقر فيها من العمل وتكون الكاف إذ ذاك مثل حروف الجر الداخلة على ما المصدرية وقد أمكن ذلك في كما آمن الناس فلا ينبغي أن تجعل كافة» أهـ البحر المحيط (٦٧/١).

(٢) لكن الجرجاني رحمه الله لم يرتض هذا القول وقد قال الزمخشري أولاً فرد قائلاً«كما آمن الكاملون في الإنسانية وهم الجامعون لما بعد من خواص الانسان وفضائله، فهم لذلك يستحقون أن يحصر فيهم الجنس كأنهم الجنس كله، فهذا الحصر بالنظر إلى كما لهم، واذا لوحظ أن غير المؤمنين كالبهائم في فقد التمييز بين الحق والباطل بل ادنى مرتبة منها فلا يندرجون في الناس بل كان منحصراً في المؤمنين كان هذا حصراً بالنظر إلى نقصان من عداهم وقصورهم عن رتبة الانسانية -أهـ حاشية الجرجاني (١٨٢/١)-.

ويؤيد هذا القول مارواه إبن جرير عن الضحاك عن ابن عباس في قوله: واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس) يقول: اذا قيل لهم صدقوا كما صدق اصحاب محمد، قولوا : إنه نبي ورسول ، وانما نزل عليه حق، وصدقوا بالآخرة، وأنكم مبعوثون بعد الموت أهـ تفسير الطبري(٢٩٢/١). وعلى هذا أرجح أن المقصود هم المؤمنون من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذ الخطاب بعصرهم أول مانزل للمنافقين في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(٣) البيت في البحر المحيط (٦٧/١) ولم أقف على قائله.

ويحتمل العهد؛ والمراد به المهاجرون والأنصار أو عبدالله بن سلام وغيره ممن آمن من أهل الكتاب[1]، والمعنى آمنوا إيماناً مقروناً بالإخلاص، متمحضاً عن شوائب النفاق، مماثلاً لإيمانهم ﴿**قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء**﴾ الهمزة في أنؤمن للإنكار والسفهاء جمع سفيه كالحلماء جمع حليم والسفيه هو الجاهل الضعيف الرأي القليل المعرفة بمواضع المصالح والمضار[2] فإن قيل: كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم(أنؤمن كما آمن السفهاء؟) قيل: إنهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لاعند المؤمنين فأخبر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين بذلك ورد عليهم بقوله عز من قائل:﴿**ألا إنهم هم السفهاء ولكن لايعلمون**﴾ أنهم كذلك وإنما فصلت الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لانه قد ذكر السفه وهو جهل وكان ذكر العلم معه أنسب طباقاً[3] له ولان أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج إلى نظر واستدلال. وأما النفاق ومافيه من الفتن والفساد، فإنما يدرك بأدنى تفطن وتأمل، فيما يشاهد من أقوالهم وأفعالهم وقرأ أهل الكوفة والشام: السفهاء ألا إنهم[بتخفيف] الهمزتين. وكذلك في كل همزتين وقعتا في كلمتين؛ اتفقتا أو اختلفتا[4].الآخرون بتخفيف الاولى وتليين الثانية في

---

(١) ذكر هذين القولين الأخيرين البغوي في تفسيره (٤٤/١) .

(٢) تفسير ابن كثير (٥٣/١).

(٣) الطباق هو الجمع بين الشيء وضده في الكلام -أهـ البلاغة الواضحة لعلي الجارم ومصطفى أمين(صفحة ٢٨١) ط دار المعارف المصرية وهو من المحسنات البديعية..

(٤) لكن الصحيح هو تحقيق الهمزتين عند القراء الكوفيين وهم: عاصم وحمزة والكسائي وعند ابن عامر الشامي والله أعلم خطأ في الكتابة جاء في المخطوط (أ)و(ب) بلفظ كلمة [تخفيف] والصحيح انها [تحقيق] على ماقلت في تحقيق الهمزتين عند هؤلاء كتاب البدور الزاهرة(صفحة ٢١) وكتاب الارشادات الجلية في القراءات السبع من طريق الشاطبية (صفحة ٣٠) تأليف محمد محمد محمد سالم محيسن طبعة مكتبة الكليات الأزهرية عام ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤م وانظر البحر المحيط (٦٨/١).

المخطفين طلباً للحق[1]. وقرأ الحرميان وأبو عمرو بتحقيق الاولى وقلب الثانية واواً محضة[2]. قال أبو البقاء فراراً من توالي الهمزتين، وجعلت الثانية واواً لانضمام الاولى[3]. والله سبحانه وتعالى أعلم. هامش:[وقد روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله:«وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس.» أي صدقوا كما صدق أصحاب محمد أنه نبي ورسول. وأن ماأنزل عليه حق(قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) يعنون أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم (ألا إنهم هم السفهاء) يقول: الجهال (ولكن لايعلمون) يقول لايعقلون[4]. وروى ابن عساكر في تاريخه بسند واهٍ عنه، أنه قال:«آمنوا كما آمن الناس.» علي وأبو بكر وعمر وعثمان[5]. وروى ابن جرير عن ابن مسعود في قوله:«كما آمن السفهاء» قال: يعنون

---

(١)ولكن جاء في البدور الزاهرة : قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وابو جعفر ورويس بإبدال الهمزة الثانية واواً خالصة مفتوحة -أهـ (صفحة ٢١) ، وانظر الارشادات الجلية (صفحة ٣٠) قال قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتحقيق الهمزة الاولى و إبدال الهمزة الثانية واواً خالصة حالة وصل الهمزة الاولى بالثانية -أهـ.

(٢) البحر المحيط (٦٨/١) جاءات كما قال الكوكباني في البحر المحيط (٦٨/١) وهو نفس القول الذي استدركنا به في الملاحظة السابقة والحرميان هما عبدالله بن كثير المكي شيخ قراء مكة ونافع بن عبدالرحمن المدني القراءات العشر (٦٣٥).

(٣) إملاء مامن به الرحمن (صفحة ٣٦).

(٤) جاء في تفسير ابن ابي حاتم (٥٢/١/رقم١٢٧) عن ابن عباس(كما آمن الناس) صدقوا كما صدق أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه نبي ورسول وأن ماأنزل الله حق، وصدقوا بالاخرة وانكم تبعثون بعد الموت. وفي خبر آخر بنفس السند عن ابن عباس قالوا أنؤمن يقول: أنقول (٥٣/١/رقم ١٢٨) وبنفس السند أيضاً عن ابن عباس( قالوا أنومن كما آمن السفهاء) يقولون كما يقول السفهاء يعنون أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بخلافهم لدينهم. (٥٣/١/رقم ١٢٩).

(٥) جاء في الدر المنثور (٧٧/١) : (اخرج ابن عساكر في تاريخه بسندواه عن ابن عباس في قوله

اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم[1] صح أصل وبعده قوله تعالى:(وإذا لقوا الذين آمنوا) الخ. انتهى الهامش.

(١٤) ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا﴾فساق هذه الآية بخلاف ماسيقت له أول قصة المنافقين فليس بتكرير لان تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان

---

(امنوا كما آمن الناس) قال ابو بكر وعمر وعثمان وعلي أهـ وكان شأن الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم التواضع للمؤمنين فهذا ابو بكر الصديق يقول بعد انتقاء المهاجرين والانصار له خليفة للمسلمين يقول:«أيها الناس اني قد وليت عليكم ولست بخيركم..» وقال تعالى:(أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) -٥٤المائدة- فلاينبغي التقديم والتأخير بأسمائهم وينبغي كتابتها بحسب التسلسل التاريخي لزمن خلافة كل منهم رضوان الله عليهم أجمعين..

(١) تفسير الطبري (٢٩٤/١) لقد جاء في تفسير الطبري لابن جرير:

حدثني موسى بن هارون، قال حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني وعن ابن مسعود عن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم :(قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) يعنون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم -أهـ.

الملاحظ أن الروايتين اشتركتا في الرواية عن أسباط عن السدي قال الدكتور محمد حسين الذهبي رحمه الله تعالى:«أما طريق إسماعيل بن عبدالرحمن السدي الكبير تارة عن أبي مالك وتارة عن أبي صالح عن ابن عباس، وإسماعيل السدي مختلف فيه وحديثه عند أصحاب السنن الاربعة وقال السيوطي:(روى السدي عن الائمة مثل الثوري وشعبة لكن التفسير الذي جمعه رواه أسباط بن نصر وأسباط لم يتفقوا عليه ) الإتقان (١٨٨/٢) وابن جرير يورد في تفسيره كثيرا من تفسير السدي عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس ولم يخرج منه ابن أبي حاتم شيئاً: لانه التزم أن يخرج أصح ماورد) أهـ التفسير والمفسرون(٧٩/١).

أما رواية ابن مسعود رضي الله عنه فقد قال الذهبي عن سندها وعن السدي: أما طريق السدي الكبير مرة الهمداني عن ابن مسعود هذه الطريق يخرج منها الحاكم في مستدركه ويصحح مايخرجه، وابن جرير يخرج منها في تفسيره -أهـ التفسير والمفسرين (٨٨/١) أقول أما السدي فقد سبق أن قلنا فيه : صدوق يهم ورمى بالتشيع -أهـ في تقريب التهذيب (صفحة ١٠٨/رقم ٤٦٣) . أما أسباط بن نصر فقد قال عنه الذهبي: وثّقه ابن معين، وتوقف أحمد، وضعفه أبو نعيم وقال النسائي: ليس بالقوي -أهـ =

ماكانوا يعملون مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه الصادقين وإيهامهم أنهم معهم فإذا فارقوهم إلى شطار دينهم صدقوهم مافي قلوبهم[1].

روى الضحاك[2] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عبدالله بن أبي الخزرجي من رهط سعد بن عبادة إذا لقي سعداً قال: نعم الدين دين محمد فإذا رجع إلى قومه قال:«شدوا أيديكم بدين آبائكم». وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن عبدالله بن أبي وأصحابه خرجوا يوماً فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال:ابن أبي لاصحابه انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم، فأخذ بيد أبي بكر فقال: مرحباً بالصديق سيد بني تيم شيخ الإسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الغار والباذل نفسه وماله لرسول الله، ثم أخذ بيد عمر فقال: مرحباً بسيد بني عدي ابن كعب الفاروق القوي في الدين [3] ثم أخذ بيد علي فقال: مرحباً بابن عم رسول

---

في ميزان الاعتدال(١/٢٧٥/رقم٧١٢) وقال ابن حجر فيه صدوق كثير الخطأ يغرب -أهـ في تقريب التهذيب (صفحة ٣٢١/٩٨) وبناء على ماتقدم فإنني ارى التوقف عن قبول روايته كما توقف في حقه الامام أحمد رضي الله عنه لكن تحسين الرواية الثانية فإنها مقبولة لصحة السند لقبول السدي ومرة الهمداني فقد قال فيه ابن حجر:«مرة بن شراحيل الهمْداني بسكون الميم ، أبو إسماعيل عبدالكوفي، هو الذي يقال له مرة الطيب، ثقة عابد وهو عند أصحاب الكتب الستة -أهـ تقريب التهذيب (صفحة ٥٢٥/٦٥٦٢).

(١) الكشاف (١/١٨٤).

(٢) هو الضحاك بن مزاحم البلخي المفسر قال يحيى بن القطان: كان شعبة ينكر أن يكون الضحاك لقي ابن عباس قط قال ابن عدي: الضحاك بن مزاحم إنما عرف بالتفسير، فأما رواياته عن ابن عباس وأبي هريرة وجميع من روى عنه ففي ذلك كله نظر. وأما عبدالله بن أحمد فقال: سمعت أبي يقول: الضحاك بن مزاحم ثقة مأمون -توفي سنة ١٠٥هـ وقيل سنة ست -أهـ في ميزان الاعتدال(١/٢/٣٩٤٢) . نستنتج من ذلك أن روايته عن ابن عباس ضعيفة لإرسالها خاصة وقد قال عنه ابن حجر رحمه الله: صدوق كثير الإرسال -أهـ في تقريب التهذيب (٢٩٧٨/٢٨٠) لم أعثر على هذا القول في التفسير.

(٣) جاء في رواية الواحدي زيادة«الباذل نفسه وماله لرسول الله»

- انظر أسباب النزول للواحدي (صفحة ٣٢).

الله وختنه وسيد بني هاشم ماخلا رسول الله[فقال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه: ياعبدالله اتق الله ولاتنافق، فإن المنافقين في النار، وإنهم شر خلق الله، فقال مهلاً أبا الحسن إلي تقول هذا، والله إن إيماننا كإيمانكم][1] ثم تفرقوا فقال لاصحابه: كيف رأيتموني فعلت؟ فأثنوا عليه خيراً. فأنزل الله تعالى هذه الآية[2]. واللقاء المصادفة يقال: لقيته ولاقيته إذا صادفته واستقبلته[3] ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم﴾ من خلوت بفلان وإليه

(١) هذه زيادة لم تذكر في رواية الواحدي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس -انظر أسباب النزول للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري(صفحة ٣٢)طبعة دار المعرفة بيروت وانظر نفس الكتاب للمؤلف (ص٣٢) ط دار الكتاب العربي ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

(٢) جاءت في أسباب النزول للواحدي بنحوه دون الزيادة المشار إليها (صفحة٣٢) طبعة دار الكتاب وفي أولها قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.. إلخ. أما الكلبي فقد قال عنه ابن حجر:«محمد بن السائب بن بشر الكلبي، أبو النضر الكوفي، النسابة المفسر، متهم بالكذب ورمي بالرفض-أهـ في تقريب التهذيب (صفحة ٤٧٩/١ ٥٩٠) قال السيوطي رحمه الله عن طرق التفسير عن ابن عباس:«وأوهي طرقه طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، فإذا انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان السدي الصغير فهي سلسلة الكذب، وكثيراً مايخرج منها الثعلبي والواحدي لكن قال ابن عدي في الكامل: للكلبي أحاديث صالحة وخاصة عن أبي صالح وهو معروف بالتفسير، وليس لاحد تفسير أطول منه ولا أشيع»أهـ -الاتقان في علم القرآن(٢٤٢/٢).

قال الذهبي:«قال البخاري: أبو النضر الكلبي تركه يحيى وابن مهدي، ثم قال البخاري: قال علي: حدثنا يحيى عن سفيان قال لي الكلبي: كل ماحدثتك عن أبي صالح فهو كذب» أهـ في ميزان الاعتدال(٥٧٥/٣/رقم ٧٥٧٤) كل ذلك يدل أن رواية الكلبي ليست مقبولة بإطلاقها لكن أورد هذه الرواية السيوطي فقال أخرج الواحدي والثعلبي من طريق محمد بن مروان السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس» وذكر الرواية ثم قال أخيراً هذا الإسناد واهٍ جداً، فإن السدي الصغير كذاب وكذا الكلبي وأبو صالح ضعيف - ولم يذكر الزيادة في رواية الكوكباني رحمه الله -انظر لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي (صفحة ٧-٨) ط دار المعرفة بيروت.

(٣) تفسير البيضاوي (١٤٥/١) لكن قال أبو حيان رحمه الله تعالى:«واللقاء يكون بموعد وبغير موعد فإذا كان بغير موعد فهي مفاجأة ومصادفة» أهـ البحر المحيط(٦٨/١) وقال الشوكاني رحمه الله تعالى ومعنى لقيته ولاقيته: استقبلته قريباً) وفتح القدير (٤٣/١) وهذا مأرتاح له بعيداً عن كلمة المصادفة لان كل شيء بقدر الله تعالى.

إذا انفردت معه أو من خلاك ذم أي عداك ومضى عنك. ومنه القرون الخالية أو من خلوت به إذا سخرت منه[1] وعدي بإلى لتضمين معنى الانتهاء[2] أي إذا أنهوا السخرية بالمؤمنين إلى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول أحمد إليك فلاناً وأذمه إليك. ومنهم من قال إن إلى بمعنى مع وقيل بمعنى الباء[3]. قال السدي في تفسيره عن ابن عباس وعن مرة وعن ابن مسعود وناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم(إذا خلوا إلى شياطينهم) هم رؤوسهم في الكفر[4]، وقال الضحاك عن ابن عباس(وإذا خلوا إلى شياطينهم) إلى

---

(١) لكن أبا حيان رحمه الله لم يرتض هذا التفسير بمعنى سخرت منه إذ قال:«ويتعدى خلا بالباء وبإلى والباء أكثر استعمالاً وعدل إلى«إلى» لانها إذا عديت بالباء احتملت معنيين أحدهما الانفراد الثاني السخرية إذ يقال في اللغة خلوت به أي سخرت منه والإ لايحتمل إلا معنى واحد وإلى هنا على معناها-أ هـ البحر المحيط (٦٨/١).

(٢) هذا النقل من تفسير البيضاوي من قوله«خلوت بفلان..» (١٤٥/١) قال أبو حيان:«وإلى هنا على معناها من انتهاء الغاية على معنى تضمين الفعل أي صرفوا خلاهم إلى شياطينهم»-البحر المحيط (٦٨/١).

(٣) قال أبو حيان رحمه الله تعالى:«قال الاخفش خلوت إليه جعلته غاية حاجتي وهذا شرح معنى، وزعم قوم منهم النضر بن شميل الى هنا بمعنى مع أي خلو مع شياطينهم ومنه قول النابغة:

فلا تتركني بالوعيد كأنني  إلى الناس مطلي به القار أجرب

ولاحجة في ذلك وقيل إلى بمعنى الباء لان حروف الجر ينوب بعضها عن بعض وهذا ضعيف إذ نيابة الحرف عن الحرف لايقول بها سيبويه والخليل وتقرير هذا في النحو-أهـ البحر المحيط (٦٨/١-٦٩).

(٤) رواه ابن جرير بهذا السند وهذا اللفظ«حدثني موسى ابن هارون، قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك عن أبي صالح، عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :«وإذا خلوا إلى شياطينهم» أما شياطينهم، فهم رؤوسهم في الكفر -أهـ تفسير الطبري (٢٩٧/١) أما لمعرفة مدى صحة الرواية من هذين الطريقين فراجع ملاحظة رقم (٧)من صفحة (٢٢)، آخر تفسير الآية ١٣ من هذه السورة.

اصحابهم من المنافقين والمشركين[1]. هامش[وقيل هم خمس نفر من اليهود كعب بن الاشرف بالمدينة، أبو بردة في بني أسلم، وعبدالدار في جهنية، وعوف بن عامر في بني أسد، وعبدالله بن السوداء بالشام[2]، عن ابن عباس صح أصل وبعده قال ابن جريرهـ.الخ] انتهى الهامش. قال ابن جرير وشياطين كل شيء مردته وتكون الشياطين من الإنس والجن كما قال تعالى:(وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن، يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً)[3] وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم«نعوذ بالله من شياطين الإنس والجن فقلت يارسول الله وللإنس شياطين؟ قال نعم» رواه أحمد بن حنبل في مسنده[4].

وجعل سيبويه نونه في موضع من الكتاب أصلية، وفي آخر زائدة، والدليل على أصالتها اشتقاق من شطن، إذا بعد لبعده عن الصلاح

---

(١) تفسير ابن كثير (٥٤/١) طريق الضحاك بن مزاحم الهلالي عن ابن عباس طريق غير مرضية كما مر فروايته عن ابن عباس هذه ضعيفة لإرسالها لكن البخاري روى في صحيحه عن مجاهد«إلى شياطينهم» أصحابهم من المنافقين والمشركين -صحيح البخاري في فتح الباري(١١/٨).

(٢) ذكر البغوي هذا عن ابن عباس تفسير البغوي (٤٥/١) ولامانع من أن يكون هؤلاء من رؤوس الكفر وليسوا كلهم والله أعلم.

(٣) جاء قول ابي جعفر رحمه الله كما يلي:

«والشيطان في كلام العرب: كل متمرد من الجن والإنس والدواب وكل شيء وكذلك قال ربنا جل ثناؤه:(وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس الجن)- الانعام : ١١٢- فجعل من الإنس شياطين، مثل الذي جعل من الجن.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وركب برذوناً فجعل يتبختر به، فجعل يضربه فلايزداد إلا تبختراً، فنزل عنه وقال: ماحملتموني إلا على شيطان! مانزلت عنه حتى أنكرت نفسي»-أهـ- تفسير الطبري(١١١/١) - في تبيين معنى الاستعاذة.

(٤) جاء في مسند الإمام أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه (٣٦٥/٥-٣٦٦) قال الهيثمي ومداره على علي بن يزيد وهو ضعيف فجمع الزوائد(١٥٩/١) وجاء في مسند أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه(١٧٨/٥و١٧٩) قال الهيثمي«فيه المسعودي وهو ثقة ولكنه اختلط» مجمع الزوائد(١٦٠/١).

والخير، ويشهد له قولهم: تشيطن ، وزائدة من شاط يشيط إذا هلك[1] قال الشاعر:

وقد يشيط على أرماحنا البطل[2].

﴿قالوا إنا معكم﴾قال عكرمة عن ابن عباس إنا على مثل ماأنتم عليه[3]. ومخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية وهي آمنا وشياطينهم بالجملة الاسمية هي إنا معكم الموكدة بإن لانهم قصدوا بالاولى دعوى حدوث الإيمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ماكانوا

---

(١) تفسير الكشاف (١٨٤/١).

(٢) هذا الشطر الثاني من بيت للشعر للأعشى البيت بتمامه

قد نخضب العير من مكنون فائله وقد يشيط على أرماحنا البطل

خضبه يخضبه: لوّنه- قاموس ص ١٠٣.

فائل قال ابن منظور تفيل إذا سمن كأنه قيل ورجل فيّل اللحم كثيره-لسان العرب مادة فأل- شاط يشيط أي هلك-صحاح اللغة مادة شيط (١١٣٨/٣) جاء البيت وعزي للأعشى في تفسير القرطبي (٩٠/١) وفي لسان العرب مادة شيط(٣٣٨/٧) ط دار صادر وصحاح اللغة للجوهري مادة شيط(١١٣٨/٣) وروى البيت في ديوانه بلفظ: قد نَطْعَن العير في مكنون فائله.. والعير: حمار الوحش الفائل: عرق يجري من الجوف الى الفخذ ومكنون الفائل هو الدم . والفارس الحاذق يعتمد بالطعن في الخرية وهي النقرة في الورك الاعظم فيها تنفذ الى الجوف ومن روى (قد نطعن العير في مكنون) فقد أخطأ إذ كيف يطعن في الدم؟! أهـ ديوان الاعشى الكبير شرح وتعليق د. محمد حسين صفحة ٣٦٠ البيت ٦٠ من القصيدة السادسة ط. مكتبة الآداب بالجماميز المطبعة النموذجية.

(٣) تفسير ابن كثير بهذا السند قال محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد ابن جبير عن ابن عباس. (٥٤/١) قال السيوطي رحمه الله تعالى عن هذا السند:«وهي طريق جيدة وإسنادها حسن. وقد أخرج منها ان جرير في تفسيره وابن أبي حاتم كثيراً-الاتقان(٢٤٢/٢).

عليه من الكفر[1] ﴿إنما نحن مستهزئون﴾ تأكيد معنوي لما قبله[2] ولايشكل بأن التأكيد المعنوي بألفاظ مخصوصة لان ذلك إنما هو في المفردات.

وأما في المركّبات. فالتأكيد المعنوي فيها الإتيان بكلام يفيد معنى الاول بعينه وهنا كذلك، فإن قولهم إنا معكم أفاد أنهم معهم في جميع ماهم عليه فأكد بقوله: إنما نحن مستهزؤن، لان معنى المعية في الحقيقة هو رفع توهم أن يكونوا مع المؤمنين. ألا ترى أنه لو قيل إنا معكم لامعهم لكان تأكيداً معنوياً وإنما نحن مستهزؤن معناه، أو بدل منه، لان من حقر الإسلام فقد عظم الكفر[3]. أو استئناف فكأن الشياطين قالوا لهم لما قالوا إنا معكم إن صح ذلك فما بالكم تدعون الإيمان وترافقون المؤمنين، وتشهدون مشاهدهم، وتدخلون مساجدهم، فأجابوا إنما نحن مستهزؤن ساخرون[4] بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه إنما نكون معهم في الظاهر، لنشاركهم في أموالهم ونتكح بناتهم، ونطلع على أسرارهم، ونحفظ أولادنا ونساءنا من أيديهم. وقرئ مستهزؤن بتخفيف الهمزة على الاصل وبقلبها ياء لانكسار ماقبلها[5]

(١٥) ﴿الله يستهزئ بهم﴾ يجازيهم على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء باسمه

---

(١) تفسير البيضاوي (١/١٤٥).

(٢) تفسير البيضاوي (١/١٤٦).

(٣) وقال بالبدل وبالتعليل بنفسه البيضاوي (١/١٤٦).

(٤) تفسير البيضاوي (١/١٤٦).

(٥) قال أبو حيان رحمه الله: «وقرئ مستهزئون» بتحقيق الهمزة وهو الاصل، وبقلبها ياء مضمومة لانكسار ماقبلها، ومنهم من يحذف الياء تشبيهاً بالياء الاصلية-أهـ في البحر المحيط باختصار(١/٦٩) قال ابو علي الحسن بن أحمد الفارسي: حمزة يقف على مستهزؤون بغير همز وكأنه يريد الهمز، ويشير إلى الزاي بالكسر كما كان يفعل في الوصل، وهذا لايضبطه الكتاب. والباقون يصلون بالهمز ويقفون أيضاً كما يصلون-أهـ من كتاب الحجة في علل القراءات- ط الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

كما سمي جزاء السيئة سيئة [1] في قوله تعالى :(وجزاء سيئة سيئة مثلها) [2] وقوله:(فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه)[3] (نسوا الله فنسيهم)[4] (ويخادعون الله وهو خادعهم)[5] وماأشبه ذلك ومنه قول عمرو بن كلثوم[6]:

ألا لايَجْهَلَنْ أحدٌ علينا فنجهلَ فوق جهلِ الجاهلينا[7]

أي نكافيهم على الجهل إذ الجهل لايمتدح به، وقيل الله يستهزئ بهم يرجع وبال الاستهزاء عليهم، فيكونوا كالمستهزَئِ بهم، أو ينزل بهم الحقارة والهون الذي هو لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ إما في الدنيا بإجراء أحكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالإمهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان، وإما في الآخرة

---

(١) تفسير البيضاوي (١٤٦/١).

(٢) الآية ٤٠ من سورة الشورى

(٣) الآية ١٩٤ من سورة البقرة.

(٤) الآية ٦٧ من سورة التوبة.

(٥) الآية ١٤٢ من سورة النساء.

(٦) عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب من بني تغلب أبو الاسود: شاعر جاهلي وكان من أعز الناس نفساً، ساد قومه(تغلب) وهو فتى وعمّر طويلاً، وهو الذي قتل الملك عمرو بن هند، أشهر شعره معلقته فيها من الفخر والحماسة العجب الكثير، مات بالجزيرة الفراتية سنة ٤٠ قبل الهجرة نحو ٥٨٤م - أهـ من الاعلام (٨٤/٥)- .

(٧) وذكر البيت القرطبي في تفسيره لعمرو بن كلثوم أيضاً(٢٠٧/١) والبيت من معلقته المشهورة ص١١٨ وقال الشارح فيه: أي لايسفهن أحد علينا فنسفه فوق سفههم أي نجازيهم بسفههم جزاء يربي عليه فسمي جزاء الجهل جهلاً لازدواج الكلام وحسن تجانس اللفظ . باختصار من شرح المعلقات السبع للزوزني ص١١٨ وانظر البيت في ديوان عمرو بن كلثوم(صفحة ٨٧) - ط دار القلم بيرت بتحقيق الدكتر عمر فاروق الطباع-.

فباب يفتح لهم إلى الجنة فيسرعون نحوه فإذا صاروا إليه سد عليهم[1] قال ابن عباس[2] وزاد بعض المفسرين فيرجعون بحسرة مارجع بمثلها أحد فيقولون: ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ماأريتنا من ثوابك وماأعددت لأوليائك كان أهون علينا، فيقول: ذلك أردت بكم، كنتم إذا خلوتم بارزتموني بالعظائم وإذا لقيتم الناس تراؤونهم خلاف مافي قلوبكم، هبتم الناس ولم تهابوني، وأجللتم الناس ولم تجلوني، وتركتم للناس ولم تتركوا لي، فاليوم أذيقكم العذاب مع ما حرمتم من الثواب[3].. قال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا قسم النور على الصراط أعطى المنافقين مع المؤمنين نوراً حتى إذا صاروا إلى الصراط طفي نورهم، وذلك قوله تعالى:(الله يستهزئ بهم) حيث يعطيهم مالا يتم ولاينتفعون به كما قال تعالى:(يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم) [4][5] الآية .

---

(١)كل هذه الأقوال جاءت في تفسير(الله يستهزئ بهم) من تفسير القرطبي(١/١٤٦-١٤٧).

(٢) وذلك مما أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس في رواية منها:«يقول الله «الله يستهزئ بهم» في الآخرة، يفتح لهم باباً في جهنم من الجنة ثم يقال لهم: تعالوا فيقبلون يسبحون في النار، والمؤمنون على الأرائك وهي السرر في الجمال ينظرون إليهم، فإذا انتهوا إلى الباب سد عنهم، فضحك المؤمنين منهم فذلك قول الله(الله يستهزئ بهم) في الآخرة، ويضحك المؤمنون منهم حين غلقت دونهم الأبواب فلذلك قوله(فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون)الآية ٣٤ من سورة المطففين -أهـ من الدر المنثور(١/٧٨)-.

(٣) ذكره الشيخ زاده في حاشيته على تفسير البيضاوي بنحوه في حديث شريف رواه عدي بن حاتم رضي الله عنه.حاشية الشيخ زاده(١/١٤٧).

(٤) الآية ١٣ من سورة الحديدو تتمتها:(قيل ارجعوا وراء كم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب).

(٥) روى هذا عطاءٌ عن ابن عباس في حاشية الشيخ زادة بنحوه مع زيادة(١/١٤٧). وعطاء هذا هو عطاء بن أبي رباح بفتح الراء والموحدة ، واسم أبي رباح : أسلم، القرشي مولاهم، المكي، ثقة فقيه فاضل لكنه كثير الإرسال وقيل إنه تغير بأخرة ولم يكثر ذلك منه وهو عند أصحاب الكتب الستة» -أهـ من تقريب التهذيب(صفحة ٣٩١/٤٥٩١) روى عن ابن عباس وابن عمر وابن عمرو بن العاص وغيرهم أدرك مائتين من الصحابة وقال فيه أبو حنيفة: مارأيت فيمن لقيت أفضل من عطاء، ولالقيت فيمن لقيت أكذب من جابر الجعفي، ويعتبر عطاء من مدرسة التفسير التي قوامها على عبدالله بن عباس

– انظر التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي(١/١١٣)فسند الخبر صحيح .

وقال الحسن[1] معنى (الله يستهزئ بهم) يظهر المؤمنين على نفاقهم، وإنما استؤنف قوله تعالى:(الله يستهزئ بهم)، ولم يعطف على ماقبله لأنه ليس من مقولهم. فلو عطف عليه لزم شريكه في كونه مقول قالوا إنا معكم، فيلزم أن يكون مقول قول المنافقين؛ وهذا باطل، لانه ليس من مقولهم. وهو استئناف في غاية الجزالة والفخامة. وفيه أن الله تعالى هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ، الذي ليس استهزاؤهم إليه باستهزاء، ولايحفل به لحقارته في مقابلة ماينزل بهم من النكال، ويحل بهم من الهوان، وفيه أن الله تعالى هو الذي يتولى الاستهزاء بهم، انتقاماً للمؤمنين، ولايحوجهم أن يعارضوهم باستهزاء مثله ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم إنما نحن مستهزؤن، لأن المضارع يفيد حدوث الاستهزاء حالاً فحالاً، وتجدده حيناً بعد حين وهكذا كانت نكاية الله تعالى فيهم كما قال تعالى:(أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين)[2]، ﴿**ويمدهم في طغيانهم يعمهون**﴾ قيل: من مد الجيش وأمده؛ اذا زاده وقواه[3]، وكذلك مد الدواة وأمداها زادها مايصلحها، لامنّ المد في العمر[4] والإملاء والإمهال ، فإنه يعدى باللام كأملي لهم، ويدل عليه قراءة ابن كثير(ويُمِدُّهم)[5] وقيل: أصله نمد لهم بمعنى يملي لهم، ويمد في أعمارهم[6]، كي ينتهبوا ويطيعوا. فما زادوا إلاّ طغياناً وعمهاً، فحذفت اللام، وعدي الفعل

---

(١) لكني وجدت أن قول الحسن في البحر المحيط بنحو ماروى عن عذابهم في الآخرة كما مر في سد باب يفتح لهم إلى الجنة...إلخ (١/٧٠).

(٢) الآية ١٢٦ من سورة التوبة .

(٣) تفسير البيضاوي (١/١٤٨).

(٤) قال البيضاوي «لامن مد العمر فإنه يتعدى باللام كأملي لهم»(١/١٤٨).

(٥) ويمدهم بضم الياء وكسر الميم وهي قراءة شاذة لابن محيصن وشبل وتروى عن ابن كثير-انظر كتاب البحر المحيط(١/٧٠) وانظر كتاب القراءات الشاذة لعبد الفتاح القاضي صفحة ٢٧ إذ رواها عن ابن محيصن. ولم ترو في القراءات العشر المتواترة عن ابن كثير. انظر كتاب القراءات العشر المتواترة للشيخ محمد كريم راجح صفحة ٣، فبناء على ذلك هي قراءة شاذة.

(٦) لكن مر معنا أن البيضاوي قال في (ويمدهم) لامن مد العمر فإنه يتعدى باللام كأملي لهم تفسير البيضاوي(١/١٤٨).

بنفسه كما في قوله تعالى:(واختار موسى قومه)[1] قال السدي عن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وناس من الصحابة قالوا: يمدهم: يملي لهم[2]. وقال مجاهد: يزيدهم[3]. قال ابن جرير: والصواب نزيدهم على وجه الإملاء والترك لهم في عتوهم وتمردهم. كما قال تعالى:(ونقلب أفئدتهم وأبصارهم، كما لم يؤمنوا به أول مرة، ونذرهم في طغيانهم يعمهون)[4][5] فإن قيل: كيف جاز أن يوليهم الله مدداً في الطغيان، وهو فعل الشيطان[6]، فلايجوز إسناده إلى الله تعالى قلنا: إما أن يحمل على أنهم لما منعهم الله تعالى ألطافه التي يمنحها المؤمنين، وخذلهم بسبب كفرهم وإصرارهم وسد طرق التوفيق على أنفسهم، فتزايدت بسببه قلوبهم ريناً وظلمة، كما تزايد قلوب المؤمنين انشراحاً ونوراً أسند ذلك إلى الله تعالى إسناد الفعل إلى المسبب[7]، وإما على منع القسر والإلجاء وإما على أن يسند فعل الشيطان إلى الله تعالى والتخلية بينه وبين إغواء عباده وإضافة الطغيان إليهم، لئلا يتوهم أن إسناد الفعل إلى الله تعالى على الحقيقة، فإن الطغيان والتمادي في الضلال، بما اقترفته أنفسهم واجترحته أيديهم، فالله تعالى برئ منه. ومصداق ذلك أنه لما أسند المد إلى الشياطين، أطلق الغي ولم يقيده بالإضافة في قوله عز من قائل(وإخوانهم يمدونهم في الغي)[8]،والطغيان بالضم والكسر كلُقيان ولِقيان تجاوز

---

(١) الآية ١٥٥ من سورة الاعراف.

(٢) جاءت هذه الرواية في تفسير ابن جرير مع السند كمايلي:

حدثني به بن موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السدي في خبر ذكره، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود، عن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم:(يمدهم) يملي لهم -أهـ تفسير الطبري(١/٣٠٦-٣٠٧) قد بينا القول في هذه الرواية في آخر تفسير الآية ١٣ من هذه السورة وفيها أن أسباط ليس بالقوي وفيها أن طريق السدي عن مرة عن ابن مسعود يصحح بها الحاكم في مستدركه.

(٣) تفسير ابن كثير(١/٥٥).

(٤) الآية ١١٠ من سورة الأنعام.

(٥) تفسير الطبري(١/٣٠٧-٣٠٨).

(٦) قوله «فكيف جاز» يعني أن ايلاء المدد في الطغيان من الأفعال القبيحة التي تسند للشياطين حاشية الجرجاني على الكشاف باختصار.(١/١٨٨-١٨٩).

(٧)(٨) قال الآلوسي رحمه الله تعالى:

(يمدهم في طغيانهم) يزيدهم ويقويهم فيه، وإلى ذلك ذهب البيضاوي وغيره، والحق أن الإمهال هذا محتمل وإليه ذهب الزجاج وابن كيسان والوجهان مخدوشان، فقد ورد -عند من يعول عليه من أهل اللغة كل منهما ثلاثياً ومزيداً ومعدى بنفسه وباللام وكلاهما من أصل واحد ومعناهما يرجع إلى الزيادة كمّاً أو كيفاً، وفي الصحاح مد الله في عمره ومده في غيه أمهله وطول له. ونسبة المد الى الله تعالى -بأي معنى كان عند أهله حق- حقيقة إذ هو سبحانه وتعالى الموجد للأشياء المنفرد باختراعها على حسب مااقتضته الحكمة ورفعت له أكفها الاستعدادات، ونسبته إلى غيره سبحانه وتعالى في قوله عز شأنه(وإخوانهم يمدونهم في الغي)-٢٠٢ -الاعراف نسبة التوفي إلى ملك الموت في قوله تعالى:(يتوفاكم ملك الموت) مع قوله جل وعلا(الله يتوفى الأنفس) السجدة ١١ -أهـ من تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني(١/١٥٩-١٦٠) لابي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي.

- قال محمود رحمه الله (فإن قلت ماالنكتة في إضافة الطغيان إليهم إلخ)-ومثله الكوكباني- قال أحمد رحمه الله: كل فعل صدر من العبد اختياراً فله اعتباران: إن نظرت إلى وجوده وحدوثه وماهو عليه من وجوه التخصيص فانسب ذلك إلى قدرة الله وحده وإرادته لاشريك له، وإن نظرت إلى تميزه عن القسر الضروري فانسبه من هذه الجهة إلى العبد وهي النسبة المعبر عنها شرعاً بالكسب في أمثال قوله تعالى-بما كسبت أيديكم- وهي المتحققة أيضاً إذا عرضت على ذهنك الحركتين الضرورية الرعشية مثلاً والاختيارية، فإنك تميز بينهما لامحالة بتلك النسبة. فإذا تقرر تعدد الاعتبار فمدهم في الطغيان مخلوق لله تعالى فأضافه إليه، ومن حيث كونه واقعاً منهم على وجه الاختيار المعبر بالكسب أضافه إليهم ففرع على أصول السنة بحسن ثمار فروعك في الجنة لاكما تفرع القدرية، فإنهم يجنون ولكن على أنفسهم، ألهمنا الله التحقيق وأيدنا بالتوفيق -أهـ- الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال للإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري المالكي (١/١٩٠) ط مصطفى البابي الحلبي.

من خلال ماتقدم من أدلة أقول أن معنى(ويمدهم) يأتي بتفسيرين وهو يزيدهم أو يمهلهم ولا أستطيع ترجيح أحدهما على الآخر فلكل دليله عند أهل السنة والجماعة والله تعالى أعلم.

الحد في العصيان والغلو في الكفر، وأصله تجاوز الشيء عن مكانه. قال تعالى:(إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية)[1] وقرئ شاذاً (في طِغيانهم) بكسر الطاء[2]. والعمة مثل العمى، إلاَّ أن العمى عام في العين والقلب قال تعالى:(فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)[3] والعمه في القلب فقط ويقال: عمه الرجل يعمه عموهاً فهو عمه، إذا تحير وتردد في الأمر قال: الضحاك عن ابن عباس(في طغيانهم يعمهون) في كفرهم يترددون[4]. وقال ابن جرير(في طغيانهم يعمهون) في ضلالتهم وكفرهم الذي قد غمرهم دنسه وعلاهم رجسه يترددون حيارى[5]. وفي طغيانهم متعلق بـ(يمدهم) أو بـ (يعمهون)، وفي الحجة[6] حكى أبو الحسن[7] طغا -يطغو- وقالوا: يطغى ففتحوا في المضارع لأجل

(١) الآية ١١ من سورة الحاقة.

(٢) وهي قراءة زيد بن علي رحمه الله تعالى-الكشاف (١٨٩/١).

- البحر المحيط (٧٠/١).

(٣) الاية ٤٦ من سورة الحج.

(٤) رواها ابن جرير في تفسيره كما يلي:«حدثت عن المنجاب قال حدثنا بشر عن أبي رَوْق، عن الضحاك عن ابن عباس في قوله:(يعمهون) قال: يترددون) تفسير الطبري(٣١٠/١) والملاحظ أن ابن جرير قد بدأ برواية فيها انقطاع لما قال حُدِّثْتُ عن المنجاب إضافة إلى ذلك أن طريق الضحاك بن مزاحم الهلالي إلى ابن عباس منقطعة راجع تفسير الآية ١٤ من هذه السورة.

(٥) وتابع ابن جرير قوله رحمه الله تعالى:«يترددون حيارى ضلالاً، لايجدون إلى المخرج منه سبيلاً، لأن الله قد طبع على قلوبهم ختم عليها، وأعمى أبصارهم عن الهدى وأغشاها، فلا يبصرون رشداً ولايهتدون سبيلاً» -أهـ تفسير الطبري(٣١٠/١).

(٦) الحجة هو كتاب اسمه الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي-ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

(٧) هو أبو الحسن علي بن عيسى بن علي الرماني النحوي المتكلم، أحد الأئمة المشاهير، جمع بين علم الكلام والعربية وله تفسير القرآن الكريم ولد سنة ٢٩٦ هـ وتوفي سنة ٣٨٤هـ رحمه الله تعالى وأصله من سر من رأى -أهـ- وفيات الأعيان(٢٩٩/٣).

حرف الحلق، كما قالوا: في صفوت يصفو، أو محوت يمحو، وألف منقلبة عن ياء، فيمن قال: طغيت، وعن الواو فيمن قال: طغوت[1] وحكي طغِيت بكسر الغين تطغى، ويكسر على هذا حرف المضارعة فيقال: يطغى دون مضارع طغوت وطغيت بالفتح. وعن الكسائي: إمالة طغيانهم[2]، وحجته وقوع الياء قبل الألف والكسرة بعدهما وأحدهما موجب للإمالة، فكيف إذا اجتمعا لم يمنع حرف الإستعلاء المضموم، وهو الطاء لمجيئ الياء بعده وتراخيه عن الألف بحرفين. ويعمهون جملة فعلية في موضع نصب على الحال، من ضمير نمدهم، أو من ضمير طغيانهم، لأنه مصدر مضاف إلى الفاعل ومنع أبو البقاء أن يكون في طغيانهم، ويعمهون حالين من ضمير(يمدهم) قال لأن العامل الواحد لايعمل في حالين[3]. انتهى

وهذا مقيد بأن يكون صاحبها واحد كالآية فإن تعدد تعددت الحال وإن اتحد العامل نحو : لقيت زيداً مصعداً منحدراً، فمصعد حال من زيد، ومنحدراً حال من ضمير الفاعل وهو التاء.[4]

**(١٦) ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾** ومن اشترى الضلالة بالهدى، اختيارها عليه، واستبدالها به على سبيل الاستعارة، لأن الاشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر ومنه قول أبي النجم[5]:

---

(١) انظر (٢٧٥/١). من كتاب الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الحسن بن أحمد الفارس تحقيق علي النجدي ناصف والدكتور عبد الحليم النجار والدكتور عبد الفتاح الشلبي الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٣هـ - ١٩٩٣م.

(٢) البحر المحيط (٧٠/١) وهي رواية الدوري عن الكسائي -انظر الإرشادات الجليلة (صفحة ٣٢) وكتاب القراءات العشر المتواترة (صفحة ٣).

(٣) إملاء مامن به الرحمن(صفحة ٢٧).

(٤) ليس هذا مقبول فالحال ليس في التاء للفاعل إنما من المفعول به زيداً فالمنحدر ليس الفاعل.

(٥) هو الفضل بن قدامة العجلي، أبو النجم من بني بكر بن وائل: من أكابر الرجاز ومن أحسن الناس إنشاداً للشعر، نبغ في العصر الأموي وكان يحضر مجالس عبدالملك بن مروان وولده هشام قال أبو عمرو بن العلاء : كان ينزل سواد الكوفة وهو أبلغ من العجاج في النعت. توفي سنة ١٣٠هـ -أهـ الاعلام (١٥١/١)- وشب له .

أخذت بالجمة رأساً أزعرا * وبالثنايا الواضحات الدردرا

وبالطويل العمر عمراً حيدرا * كما اشترى المسلم إذا تنصّرا[1]

فاستعار أبو النجم لفظ الاشتراء لاستبدال النصرانية بالإسلام لمشابهته إياه في مطلق الاستبدال. قال ابن عباس رضي الله عنهما(أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) قال: الكفر بالإيمان [2] وقيل الشك بالإيمان[3] وقيل الجهل بالعلم[4] وقيل: النفاق بالإخلاص، وقيل:الدنيا بالآخرة،[5]، وقيل النار بالجنة[6]، ومعناه أن اختيار الدنيا ضلال، والعمل بما يوجب النار ضلال، واختيار الآخرة هدى، والعمل بما تنال الجنة هدى وقال مجاهد:(أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) قال: آمنوا ثم كفروا[7] وحاصل أقوال المفسرين. أن المنافقين عدلوا عن الهدى واعتاضوا عنه بالضلال وسواءفي ذلك من كان منهم قد حصل له إيمان ثم رجع عنه إلى الكفر كما قال تعالى : (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم) [8] ومن عداهم، لأن الدين القيم هو فطرة الله التي فطر

---

(١) الجمة كثيرة الشعر والباء للبدل وزعر كتعب فهو أزعر أي قليل الشعر ويقال للموضع الذي لانبات فيه، والثنايا مقدم الأسنان والمراد الثغر كله ،والدردر بالفتح مغارز الاسنان ،والحيدر القصير، واشترى استبدل والمراد أنه أخذ امرأة عجوزاً قبيحة بدل امرأة شابة جميلة وروى أن جبلة بن الايهم قدم مكة فطاف بالكعبة فوطئ رجل إزاره فلطمه فشكى إلى عمر رضي الله عنه فحكم بالقصاص من جبلة، فاستمهله إلى الغد ، وهرب ليلاً إلى الروم ، وتنصر بعد الإسلام ، ثم ندم على مافعل فضرب به المثل -أهـ مشاهد الإنصاف (صفحة٤٠) ولم أجد مرجعاً لنسبةالبيت لقائله.

(٢) رواه ابن جرير قال حدثنا محمد بن حميد قال: حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس:(أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) أي الكفر بالإيمان -أهـ(٣١٢/١) سبق أن أشرنا إلى ضعف الرواية بسبب ضعف محمد بن حميد وسلمة بن الفضل في آخر تفسير الآية(١١٦).

(٣) - (٦) البحر المحيط (٧٢/١).

(٧) تفسير الطبري (٣١٢/١).

(٨) الآية ٣ من سورة المنافقون.

الناس عليها. وهم ولدوا على الفطرة كما جاء في الخبر،فكل من ضل فهو يستبدل خلاف الفطرة[1] قوله:(اشتروا) أصله اشتريوا فقلبت الياء ألفاً، ثم حذفت لئلا يلتقي ساكنان وبقيت الفتحة دالة على الألف المحذوفة، ولاترجع الألف وإن تحركت الواو لأن حركتها عارضة، وقيل سكنت الياء لثقل الضمة عليها، ثم حذفت فراراً من التقاء الساكنين، وضمت الواو فرقاً بينها وبين الاصلية[2]: نحو لو استطعنا[3] وقيل ضمت لأن الفتحة هنا أخف من الكسرة، لانها من جنس الواو[4]، وقيل لأنها حركة الياء المحذوفة[5]، وقيل لانها ضمير فاعل، فضمت كالتاء في قمت[6] وقرأ يحيى بن يعمر بكسر الواو، على أصل التقاء الساكنين[7]، والله سبحانه وتعالى أعلم.﴿فما ربحت تجارتهم﴾ترشيح للاستعارة الواقعة في قوله(الذين اشتروا الضلالة بالهدى) فإنه لما استعار الاشتراء رشحه بذكر مايلائمه ويشاكله وهو الربح والتجارة ونحوه.

---

(١) لم أجده ولكن يستفاد معناه من حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:«كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدعاء» رواه البخاري في صحيحه في فتح الباري(٣/٢٩٠/رقم١٣٨٥) ورواه مسلم بنحوه في صحيحه(٤/٢٠٤٧).

(٢) (٣) حاشية الشيخ زاده (١/١٥٠) وقال في نحو استقاموا

(٤) معاني القرآن للزجاج (١/٨٩).

(٥) قاله الفراء – حاشية الشيخ زاده (١/١٥٠).

(٦) إملاء مامن به الرحمن (صفحة ٢٧).

(٧) تفسير القرطبي (١/٢١٠) وتفسير ابن عطية (١/١٧٦) لكن هذه قراءة شاذة وليست من القراءات العشر المتواترة – انظر كتاب البدور الزاهرة (صفحة ٢٢) ومعلوم أن يحيى بن يعمر ليس من القراء العشرة ولامن رواتهم انظر البدور الزاهرة (صفحة ٧-٩) لترى القراء العشرة ورواتهم ويحيى بن يعمر هو أبو سليمان وقيل أبو سعيد العدواني الوشقي النحوي البصري، كان تابعياً، لقي عبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس هو أحد قراء البصرة عالم بالقرآن والنحو أخذ النحو عن أبي الاسود الدؤلي وكان يفضل أهل البيت من غير تنقيص لذي فضل من غيرهم وله مناظرة مع الحجاج انتصر عليه فيها ورضي الحجاج بمقال أبي سليمان رحمه الله –أهـ باختصار وفيات الاعيان (٦/١٧٣/١٧٦).

ولمارأيت النســـر عـز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري[1] [2]

فإن الشاعر لما شبه الشيب بالنسر بعلاقة طول العمر والشعر الفاحم بالغراب لسواده استعار النسر للشيب وابن داية الذي هو الغراب للشباب، ثم رشح الاستعارتين بما يلائمهما من ذكر التعشيش والوكرين فإنه استعار التعشيش للحلول والنزول في الوكرين للفودين، أعنى جانب الرأس[3] فلأنهما للشعر بمنزلة الوكرين للغراب، وقيل أراد بهما الرأس واللحية، وهما ترشيحان للاستعارتين المذكورتين، وذلك أن الترشيح هو ماقرن بما يلائم المستعار منه، ويشاكله بأن يذكر ملائم الشبه به مع لفظ المستعار وهو مما يقوي أمر المجاز ويحسنه ﴿**فما ربحت تجارتهم**﴾ والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء والربح الفضل على رأس المال، وإسناده إلى التجارة وهو لأربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل

---

(١) جاش له صدري جواب لما وهو من جاشت القدر تجيش أي غلت والمراد بغليان الصدر اضطرابه -أهـ حاشية الشيخ زادة(١/١٥٢) وشرحه المرزوقي من دون عزو قائلاً: شبه الشيب بالنسر يجامع مع البياض واستعاره له تصريحاً وشبه الشباب بالغراب وهو ابن داية يجامع السواد كذلك وعزه يعزه عزاً كنصره نصراً إذا غلبه وقهره ،والتعشيش في الوكرين ترشيح للاستعارتين، والمراد بهما الرأس واللحية، ويحتمل أن التركيب كله استعارة تمثيلية يقول لما رأيت الشيب غلب الشباب وحل محله تحرك لأجله قلبي واضطرب فالصدر مجاز ويروى جاشت له نفسي. انظر مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف للمرزوقي (ص٤٠) ط دار المعرفة بيرت.

(٢) لم أقف على قائله، وذكر في المرجعين السابقين دون نسبة.

(٣) كان الأولى أن يقول جانبي الرأس .

ولمشابهتها إياه من حيث أنها سبب الربح والخسران. وجملة (فما ربحت) معطوفة بالفاء على جملة اشتروا صلة الذين، وقال: بعضهم دخلت الفاء لما في الذين من معنى الشرط، والتقدير إن اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم[1]، ورد بأن الذين هنا ليس مبتدأ حتى يشبه الشرط الذي يكون مبتدأ فتدخل الفاء في خبره[2]، بل هو خبر أولئك ولايجوز ان يكون الذين مبتدأ ثانيا وقوله فما ربحت خبره والجملة خبر أولئك لأن الجملة ليس فيها عائد على أولئك، ولأن صلة الذين وهي اشتروا ماضية فلاتدخل الفاء في خبر الموصول والله سبحانه وتعالى أعلم. ﴿وماكانوا مهتدين﴾ لطرق النجاة أو التجارة فإن المقصود منها سلامة رأس المال والربح، وهؤلاء قد أضاعوا الطلبين لأن رأس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف، فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم، واختل عقلهم، ولم يبق لهم رأس مال يتوسلون به إلى إدراك الحق ونيل الكمال، فبقوا خاسرين آيسين عن الربح فاقدين الاصل. قال ابن جرير: حدثنا بشر[3] حدثنا يزيد[4] حدثنا سعيد عن قتادة (فما ربحت تجارتهم وماكانوا مهتدين)[5] قد رايتموهم خرجوا من الهدى إلى الضلالة، ومن الجماعة إلى الفرقة، ومن الأمن إلى الخوف، ومن السنة إلى البدعة، وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة بمثله سواء[6]

**(١٧) ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً﴾** لما بين بقوله تعالى:(ومن الناس من يقول آمنا) إلى ههنا حقيقة حال المنافقين عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير، فإنه

---

(١) (٢) البحر المحيط (٧٢/١).

(٣) هو بشر بن معاذ كما جاء في تفسير الطبري (٣١٦/١).

(٤) هو يزيد بن زريع كما جاء في تفسير الطبري (٣١٦/١).

(٥) في تفسير الطبري«قد والله رأيتموهم» (٣١٦/١)

(٦) تفسير ابن أبي حاتم (٦٠/١/رقم١٥٧) –ط الاولى ١٤٠٨هـ مكتبة الدار بالمدينة المنورة .

أوقع في القلب[وأقمع][1] للخصم الألد، لأنه يريك المتخيل في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد، ولأمر ماأكثر الله تعالى في كتبه الأمثل، وفشت في كلام الأنبياء والحكماء، والمثل في الأصل بمعنى النظير يقال مثْل [ومثَل][2] ومثيل كَشبْه وشبِه وشَبيْه ثم استعير لكل حال أو قصة أو صفة لها شأن وفيها غرابة، فمعنى(مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً) حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد ناراً، وكذلك قوله تعالى(مثل الجنة التي وعد المتقون)[3] أي وفيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة الشأن، ثم أخذ في بيان عجائبها.

وقوله تعالى:(ولله المثل الأعلى) [4] أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلال. قال ابن كثير: وفي هذا المثل دلالة على أنهم آمنوا ثم كفروا كما أخبر الله تعالى عنهم في غير هذا الموضع[5]، وقد حكى هذا الذي قلنا، الفخر الرازي في تفسيره عن السدي[6] ثم قال: والتشبيه في غاية الصحة لأنهم بإيمانهم اكتسبوا أولاً نوراً، ثم بنفاقهم ثانياً أبطلوا ذلك النور فوقعوا في حيرة عظيمة فإنه لاحيرة أعظم من حيرة الدين[7]. وقال: قد زعم ابن

---

(١) في النسخة ب[أجمع] والصواب مافي أ.
(٢) ليست هذه الكلمات في النسخة ب .
(٣) الآية ٣٥ من سورة الرعد.
(٤) الآية ٦٠ من سورة النحل.
(٥) تفسير ابن كثير (٥٦/١).
(٦) وتفسير الفخر الرازي نقل الكلام عن محمد السدي بالمعنى مختصراً وليس باللفظ التفسير الكبير(٧٣/٢) للإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى.
(٧) و تفسير الرازي رحمه الله تعالى (٧٣/٢) ثم تابع قائلاً : «لأن المتحير في طريقه لأجل الظلمة لايخسر إلا القليل من الدنيا، وأما المتحير في الدين فإنه يخسر نفسه في الآخرة أبد الآبدين» -أهـ.

جرير أن المضروب لهم المثل ههنا لم يؤمنوا في وقت من الأوقات، واحتج بقوله تعالى:(ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين) والصواب أن هذا إخبار عنهم في حال نفاقهم وكفرهم، وهذا لاينفي أنه كان حصل لهم إيمان قبل ذلك ثم سلبوه [1] قال ابن كثير [2] : ولم يستحضر ابن جرير رحمه الله تعالى هذه الآية ههنا وهي قوله تعالى: (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لايفقهون) [3] فلهذا وجه ابن جرير هذا المثل بأنهم استضاؤوابماأظهروه من كلمة الإيمان أي في الدنياثم أعقبهم ظلمات يوم القيامة[4]، ويؤيد ماقاله ابن جرير مارواه علي بن الحسن[5] عن ابن عباس وقوله تعالى:(مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً) قال: هذا مثل ضربه الله للمنافقين أنهم كانوا يعتزون بالإسلام فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفيء،فلما ماتوا سلبهم الله تعالى ذلك العز كما سلب صاحب النار ضوءه[6] وقال عبدالرزاق عن عمر عن قتادة:(مثلهم كمثل الذي

---

(١) تفسير الطبري (٣٢٥/١) نقل ابن كثير هذا بالمعنى لا باللفظ ومن عجيب القول أن يقول ابن جرير في ذلك.:«وذلك قول إن قاله، لم تدرك صحته إلا بخبر مستفيض أو ببعض المعاني الموجبة صحته. فأما في ظاهر الكتاب فلا دلالة على صحته، لاحتماله من التأويل ماهو أولى به منه» -أهـ (٣٢٥/١) ولقد فطن ابن كثير رحمه الله إلى الرد عليه من القرآن الكريم من ظاهر الكتاب كما سيأتي.

(٢) تفسير ابن كثير نقل الكلام بالمعنى لا باللفظ (٥٤/١) ط دار الفكر.

(٣) الآية ٣ من سورة المنافقون.

(٤) تفسير الطبري (٣٢٥/١-٣٢٦).

(٥) الصواب أنه علي بن أبي طلحة كما سيأتي.

(٦) جاءت الرواية في تفسير الطبري (٣٢١/١) مع السند كما يلي:

«حدثنا به المثنى بن إبراهيم، قال: حدثنا أبو صالح، قال : حدثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس:«مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً» إلى آخر الآية: هذا مثل ضربه الله للمنافقين أنهم كانوا يعتزون بالاسلام فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفيء، فلما ماتوا سلبهم الله ذلك العز، كما سلب صاحب النار ضوءه(وتركهم في ظلمات) يقول: في عذاب

استوقد ناراً فلما أضاءت ماحوله)فهي لا إله إلاَّ الله أضاءت لهم فأكلوا وشربوا وأمنوا في الدنيا ونكحوا النساء، وحقنوا [1] دماءهم حتى إذا ماتوا ذهب الله بنورهم ، وتركهم في ظلمات لايبصرون [2] . وقال سعيد عن قتادة : في هذه الآية المعنى أن المنافق تكلم بلا إله إلاَّ اله فأضاءت له في الدنيا فناكح بها المسلمين وغازاهم بها

---

-أهـ-قال ابن حجرالعسقلاني رحمه الله تعالى:«علي بن أبي طلحة:سالم مولى بني العباس، سكن حمص، أرسل عن ابن عباس ولم يره، صدوق قد يخطئ وهو عند مسلم وأبي داود والنسائي وابن ماجة -أهـ باختصار تقريب التهذيب (صفحة ٤٠٢/رقم٤٧٥٤) من هنا نعلم أنها رواية منقطعة إذ لم ير علي بن أبي طلحة ابن عباس رحمهما الله تعالى ومع ذلك فقد قال السيوطي وهي عند البخاري عن أبن صالح-أي عن أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس- وقد اعتمد عليها في صحيحه كثيراً فيما يعلقه عن ابن عباس وقال قوم: إنما أخذه عن مجاهد أو سعيد بن جبير -أي بواسطة- قال ابن حجر عنه: بعد أن عرفت الواسطة وهو ثقة فلا ضير في ذلك -أهـ الاتقان باختصار-أما المثنى بن ابراهيم هذا فهو كما قال أحمد شاكر:«أما المثنى شيخ الطبري فهو المثنى بن إبراهيم الآملي، يروي عنه الطبري كثيراً في التفسير والتاريخ» في التعليق على الطبري(١/١٧٦).

لكن هذه الرواية نقلها السيوطي في الدر المنثور(١/٨١) عن ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والصابوني في المائتين عن ابن عباس رضي الله عنهما وجاء الخبرفي تفسير ابن عباس المسمى صحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير القرآن الكريم . حققها راشد عبدالمنعم الرجّال -ط مؤسسة الكتب الثقافية بيروت - ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

(١) تفسير عبدالرزاق بنحوه(١/٣٩) - ط مكتبة المرشد الرياض ١٩٣٩م -١٤١٠هـ-

(٢) رواه ابن جرير الطبري بهذا السند:

«حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبدالرزاق، قال : أخبرنا معمر، عن قتادة ثم ذكر الرواية عن قتادة رحمه الله.

أقول هذا السند صحيح:

أما الحسن بن يحيى فهو الحسن بن أبي ربيع الجرجاني واسم أبي الربيع يحيى نزيل بغداد روى عن عبدالرزاق وهو صدوق سئل أبي عنه فقال: شيخ -أهـ الجرح والتعديل

ووارثهم[1]. وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى:(مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً) إلى آخر الآية قال: هذه صفة المنافقين كانوا قد آمنوا حتى أضاء الإيمان في قلوبهم كما أضاءت النار لهؤلاء الذين استوقدوا ثم كفروا فذهب الله بنورهم فانتزعه كما ذهب بضوء هذه النار فتركهم في ظلمات لايبصرون[2]، ومثلهم مبتدأ وكمثل خبره، ويتعلق الكاف

---

باختصار(٣/٤٤رقم١٨٨) وأما عبدالرزاق فهو عبدالرزاق بن همام بن نافع الامام، أبو بكر الحميري مولاهم الصنعاني أحد الأعلام الثقات قال جالست معمر بن راشد سبع سنين -أهـ في ميزان الاعتدال(٢/٦٠٩/رقم٥٠٤٤) وقال عنه ابن حجر العسقلاني :«ثقة حافظ مصنف شهير عمي في آخر عمره فتغير وكان يتشيع» -أهـ من تقريب التهذيب(صفحة ٣٥٤/رقم ٤٠٦٤).

وأما معمر هو«معمر بن راشد أبو عروة أحد الأعلام الثقات له أوهام معروفة وقال يحيى بن معين هو من أثبتهم عن الزهري. وقال أحمد: ليس يضم إلى معمر أحد إلا وجدته فوقه. وقال عبدالرزاق: كتبت عن معمر عشرة آلاف حديث وعن معمر؛ قال: طلبت العلم سنة مات الحسن، وسمعت من قتادة ولي أربع عشرة سنة ولقيت الزهري بالرصافة» -أهـ في ميزان الاعتدال (٤/١٥٤/رقم٨٦٨٢) او بعد هذه الدراسة عن رجال السند فالسند صحيح.

(١) رواها ابن جرير في تفسيره كمايلي: حدثني بشر بن معاذ قال: حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قوله(مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ماحوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لايبصرون) وأن المنافق تكلم بلا إله إلا الله، فأضاءت له في الدنيا، فناكح بها المسلمين، وغازى بها المسلمين ووارث بها المسلمين، وحقن بها دمه وماله فلما كان عند الموت، سلبها المنافق، لأنه لم يكن لها أصل في قلبه، ولاحقيقة في علمه -أهـ (١/٣٢٢ - ٣٢٣).

(٢) جاء السند لهذه الرواية في تفسير الطبري كمايلي:

«حدثني يونس بن الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال حدثني عبد الرحمن بن زيد..» سبق أن وضحنا أن عبدالرحمن بن زيد بنفسه ضعيف قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى عنه«عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم ضعيف وهو عند الترمذي وابن ماجة» -أهـ باختصار تقريب التهذيب (صفحة ٣٤٠/رقم ٣٨٦٥) قال الذهبي:«قال أبو يعلى الموصلي: سمعت يحيى بن معين يقول: بنو زيد بن أسلم ليسوا بشيء وقال البخاري: عبدالرحمن ضعفه علي جداً، وقال النسائي:ضعيف وقال أحمد : عبدالله ثقة، والآخران ضعيفان» -أهـ في ميزان

بمحذوف [1] أي كائن كمثل. وقال ابن عصفور[2] في شرح الجمل لايتعلق بشيء: قال وكذلك الحروف الزائدة ولولا الجارة هامش.[وقال ابن عطية[3] الخبر الكاف قال هي على هذا اسم كما في قول الأعشى[4]:

---

الاعتدال(٢/٥٦٤/رقم٤٨٦٨) اختلف العلماء في الأخذ بتفسير التابعي وقد أثبت الدكتور محمد حسين الذهبي الأقوال في ذلك في كتابه التفسير والمفسرون وقال أخيراً«والذي تميل إليه النفس: هو أن قول التابعي في التفسير لايجب الأخذ به إلا إذا كان ممالا مجال للرأي فيه، فإنه يؤخذ به حينئذٍ عند عدم الريبة فإن ارتبنا فيه بأن كان يأخذ من أهل الكتاب فلنا أن نترك قوله ولانعتمد عليه أما إذا أجمع التابعون على رأي فإنه يجب علينا أن نأخذ به ولانتعداه إلى غيره» -أهـ(١/١٢٨-١٢٩) باختصار والذي أراه أنه أخذ ذلك من قوله تعالى «ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم» كما مر.

(١) رملاء مامن به الرحمن ( صفحة ٢٧) .

(٢) هو علي بن مؤمن بن محمد بن علي، العلامة ابن عصفور النحوي الحضرمي الإشبيلي حامل لواء العربية بالأندلس، أخذ عن الأستاذ أبي الحسن الدَّباج ثم عن الأستاذ أبي علي الشَّلَوْبين وكان أصبر الناس على المطالعة لايمل ذلك، وأقرأ بإشبيلية وشريش ومالقه ومُرسية. قال ابن الزبير: لم يكن عنده مايؤخذ عنه سوى العربية ولاتأهل لغير ذلك، ومن تصانيفه كتباً كثيرة منها:«الممتع» و«المفتاح» و«الهلال» و«شرح الجمل» وغير ذلك. ولد سنة ٥٩٧هـ وتوفي سنة ٦٦٩هـ -أهـ وفيات الأعيان باختصار (٣/١٠٩-١١٠) ولم أعثر على شرح الجمل.

(٣)ابن عطية (٤٨١هـ-٥٤٢هـ=١٠٨٨م-١١٤٨م) عبدالحق ابن غالب بن عبدالرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، أبو محمد: مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة. عارف بالأحكام والحديث، له شعر. ولي قضاء مرية، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملثمين. وتوفي بلورقة. له«المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» في عشر مجلدات وغير ذلك -أهـ الأعلام باختصار (٣/٢٨٢).

(٤) الأعشى: هو عامر بن الحارث بن رباح الباهلي من همدان: شاعر جاهلي. يكنى«أبا قحطان» أشهر شعره رائية له، في رثاء أخيه لأمه «المنتشر بن وهب» أوردها البغدادي برمتها وقيل اسمه: عمر- الاعلام (٣/٢٥٠).

أينتهون ولن ينهى ذوي شطط * كالطعن يذهب فيه الزيت والفُتُلُ [1] [2]

قال في المجيد [3]: وأجاز أن يكون الخبر محذوفاً أي مستقر والكاف حرف قال ولايجوز ذلك في بيت الأعشى لأن المحذوف فاعل أي شيء كالطعن، والفاعل لايجوز حذفه عند الجمهور[4]، وجوز الأخفش حذفه[5]] وقيل الكاف ههنا زائدة كما في قوله فأصبحوا مثل(كعصف مأكول) [6]، وهذا لأن المثل والمثل بمعنى فتكون الكاف زائدة وإلاّ كان معناه مثلهم مثل الذي، ولأن المعنى تشبيه المثل بالمثل لابمثل المثل، ورد بأن المثل يكون بمعنى القصة والحال كما قدمناه فلايحتاج إلى زيادة الكاف، والله سبحانه تعالى أعلم، فإن قلت: لِمَ أعاد الضمير أولاً مفرداً على الذي في قوله استوقد وقوله حوله ثم جمعاً في قوله بنورهم، فأورد جار الله السؤال على وجه آخر قال: فإن قلت: كيف مثل الجماعة بالواحد[7] فالجواب من وجوه، أحدهما أن الذي أجري مجرى من في وقوعه على الأحد والجمع عن الأخفش وأبي علي الفارسي[8] فأعاد الضمير أولاً على لفظه ثم على معناه وفيه نظر.

---

(١) تفسير ابن عطية (١٧٨/١).

(٢) وجاء البيت في تفسير القرطبي (٢١١/١) والمعنى:لاينهى أصحاب الجور مثل طعن جانف؛ أي نافذ إلى الجوف يغيب فيه الزيت والفتل وقد ورد في ديوانه بلفظ(هل تنتهون ولاينهى ذوي شطط) انظر ديوان الأعشى(ص١٤٩)- طبعة المؤسسة العربية للطباعة والنشر بيروت-.

(٣) لم أقف على هذا الكتاب.

(٤) (٥) منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل(٤٣١/١) لمحمد محيي الدين عبدالحميد- المكتبة العصرية بيروت-.

(٦) قال أبو حيان:«وأبعد من زعم أن الكاف زائدة مثلها في قوله فصيروا مثل كعصف مأكول» البحر المحيط(٧٦/١).ورقم الآية ٥ من سورة الفيل .

(٧) الكشاف (١٩٦/١).

(٨) الذي جاء في كتاب «تفسير النهر الماد من البحر لأبي حيان الأندلسي الغرناطي»:«مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً» أي قصتهم ووصفهم مثل وصف الذي استوقد ناراً أي الجمع الذي استوقد

والثاني أن الذي بمعنى الذين كما في قوله تعالى:(وخضتم كالذي خاضوا)[1] وقول الشاعر:[2]

وإن الذي حانت بفلجٍ دماؤُهم  هم القوم كلّ القوم ياأمّ خالدِ [3]

الثالث : إن قصدت حسن المستوقدين، أو أريد الجمع أو الفوج الذي استوقد ناراً على أن المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم تشبيه الجماعة بالواحد إنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد، ونظيره قوله تعالى:(مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا)[4] وقوله تعالى:(وماخلقكم ولابعثكم إلاّ كنفس واحدة)[5] وقوله تعالى:(ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت)[6]. وقال بعضهم: المستوقد واحد لجماعة معه.

واستوقدبمعنى أوقد.ذكره أبو زيد[7] كاستجاب بمعنى أجاب[8] وقيل للطلب[9] فيحتاج

---

ناراً يدل على ذلك قوله(ذهب الله بنورهم) فالذي وصف لفرد في معنى الجمع وليس الذي مُثل من لفظاً ومعنى كما نقل عن أبي علي والاخفش،وهذا الكتاب هو على هامش البحر المحيط للمؤلف نفسه (٧٤/١).

(١) الآية ٦٩ من سورة التوبة .

(٢) الشاعر هو أشهب بن رميلة انظر كتاب سيبويه(١٨٧/١) وانظر لسان العرب مادة(فلح) (٣٤٩/٢)ط دار صادر وشرح شواهد المغني(٥١٧/٢) -ط دار الحياة-.

(٣) والفلج موضع بين البصرة وضرية مذكر، وقيل هو واد بطريق البصرة إلى مكة، ببطنه منازل للحاج وفلج يختلف عن الفلوجة إذ الفلوجة قرية من قرى السواد-أي سواد العراق.

قال ابن بري: النحويون يستشهدون بهذا البيت على حذف النون من الذين لضرورة الشعر،الاصل فيه وإن الذين -أهـ من لسان العرب باختصار وتصرف مادة فلج(٣٤٩/٢) طبعة دار صادر.

(٤) الآية ٥ من سورة الجمعة.

(٥) الآية ٢٨ من سورة لقمان.

(٦) الآية ١٩ من سورة الاحزاب.

(٧) تفسير النهر الماد(٧٤/١) أبو زيد هذا هو أبو زيد الانصاري البصري اللغوي وقد مرت ترجمته.

(٨) تفسير القرطبي (٢١٢/١).

(٩) تفسير النهر الماد (٧٤/١).

إلى تقدير جملة أخرى، أي استدعوا ناراً فأوقدوا، والاول أظهر. قال جار الله: وقود النار سطوعها وارتفاع لهبها ومن أخواته[وقل][1] في الجبل إذا صعد علا. والنار جوهر لطيف مضيئ حار محرق، والنور ضوءها وضوء كل نير، وهو نقيض الظلمة، واشتقاقها من نار ينور إذا نفر لأن فيها حركة واضطراباً، والنور مشتق منها[2] ﴿فلما أضاءت ماحوله﴾ أي حول المستوقد قال السدي في تفسيره عن ابن عباس وعن ناس من الصحابة« فلما أضاءت ما حوله » من قذى، وأذى فأبصره حتى عرف مايتقي منها فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره فأقبل لايدري مايتقي فكذلك المنافق كان في ظلمة فأسلم فعرف الحلال الحرام الخير والشر[3]. وهذا مما يؤيد كلام ابن كثير فيما سبق أنهم آمنوا ثم كفروا، والفاء للتعقيب عاطفة لجملة الشرط على جملة الصلة. ولما هنا اسم هي ظرف زمان، وكذلك في كل موضع وقع بعدها الماضي، وكان لها جواب والعامل فيها. جوابها. قال جار الله: الإضاءة فرط الإنارة، ومصداق ذلك قوله تعالى:(هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً)[4] [5] -أهـ. والأشهر في أضاء أنه يستعمل لازماً ومتعدياً. وقيل يستعمل متعدياً فقط[6] على أنه متعد تكون همزته للنقل، وفاعله ضمير النار، ومامفعوله هي موصولة وصلتها حوله، وهو ظرف معمول لفعل محذوف، أي أضاءت النار الذي استقر حوله.

وأما على أن أضاء لازم فقيل: الضمير في أضاءت للنار، ومازائدة وحوله ظرف

---

(١) جاء في النسخة ب[وقد] والصحيح ماجاء في ب موافقاً لما في الكشاف(١٩٧/١).

(٢) -أهـ- كلام الزمخشري (١٩٧/١).

(٣) تفسير ابن كثير (٥٦/١) بنحوه لكن في ابن كثير بتوسع.

(٤) الآية ٥ من سورة يونس.

(٥) الكشاف(١٩٧/١-١٩٨).

(٦) في حاشية الجرجاني على الكشاف ذكر القولين(١٩٨/١) لكن قال أبو حيان :«والأظهر أن مامفعول أي أضاءت النار المكان الذي حوله» أهـ تفسير النهر الماد (٧٤/١).

معمول للفعل[1] وقيل: ليس فيه ضمير والفاعل ماالموصولة [وأنث][2] على المعنى أي فلما أضاءت الجهة[3]. ﴿ذهب الله بنورهم﴾جواب لما، والضمير عائد على الذي وجمع حملاً على المعنى،[4]، وقيل جوابها محذوف لفهم المعنى أي خمدت فالضمير عائد إلى المنافقين[5] قال جار الله: وجاز حذفه لاستطالة الكلام مع أمن الإلباس. اعترض بأن الكلام لا استطالة فيه[6]، وبأن المحذوف لادليل عليه فلا يؤمن اللبس، وبأن تقديره لاحاجة إليه لأن ذهب كاف في الجواب، ثم على أن الجواب محذوف فذكر جار الله في ذهب وجهين: أحدهما أنه استئناف جواب سؤال مقدر كأنه قيل مابالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفأت ناره فقيل ذهب الله بنورهم، وثانيهما: أنه بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان[7]، واعترض بأن جملة التمثيل وهي(مثلهم كمثل الذي استوقد) اسمية وذهب فعلية ولاتبدل جملة فعلية من اسمية اتفاقاً وإنما تبدل من فعلية[8]. وأيضاً فالبدل على نية تكرير العامل الجملة الأُولى لا موضع لها من الإعراب لانها لم تقع موقع المفرد فلاتكون الثانية بدلاً منها(9)، قلنا: في هذا نظر لأنه رحمه الله تعالى لم يرد والله أعلم البدل الصناعي، وإنما أراد أن جملة ذهب مبنية لجملة المثل، وأطلق عليها اسم البدل لما كانت مبنية للأولى

---

(١) حاشية الجرجاني (١٩٨/١).

(٢) في النسخة ب[وأتت] والصواب الموافق لسياق الكلام ماجاء في أ.

(٣) هذا يستنبط من حاشية الجرجاني استنباطاً(١٩٨/١) .

(٤) انظر تفسير البيضاوي (١٥٦/١).

(٥) وإلى هذا ذهب الزمخشري في الكشاف (١٩٩/١).

(٦) حاشية الجرجاني على الكشاف (١٩٨/١).

(٧) تفسير الكشاف (١٩٩/١).

(٨) انظر النهر الماد (٧٥/١).

(٩) انظر النهر الماد (٧٥/١).

كما أن البدل مبين للمبدل منه[1] وإسناد الإذهاب إلى الله تعالى إما لأن الكل يفعله[2] أو لأن الإطفاء يحصل بسبب خفي[3] أو أمر سماوي كريح أو مطر أو للمبالغة. ولذلك عدي الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك. قال تعالى(فلما ذهبوا به)[4] (إذاً لذهب كل إله بما خلق)[5] ومنه ذهبت به الحيل، والمعنى أخذ الله نورهم وأمسكه ومايمسك الله فلامرسل له فهو أبلغ من الإذهاب[6]، ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ لقوله(فلما أضاء ت) إلى النور لأنه أبلغ لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوء هم لاوهم الذهاب بالزيادة وبقي مايسمى نوراً والغرض إزالة النور عنهم رأساً ألا ترى كيف عقبه طريقة التوكيد بقوله عز من قائل:(وتركهم في ظلمات لايبصرون)[7] قال السدي في تفسيره ﴿وتركهم في ظلمات لايبصرون﴾ كانت الظلمة

---

(١) إذن هو مبين من حيث المعنى وكذلك الصفة بالنسبة للموصوف والحال بالنسبة لصاحب الحال لا إعرابه بدلاً، لان ذلك اتفاق علماء النحو كما قال أبو حيان رحمه الله تعالى:(وأما أن تبدل جملة فعلية من جملة اسمية فلا أعلم أحداً أجاز ذلك» النهر الماد(٧٥/١).

(٢) تفسير البيضاوي (١٥٩/١).

(٣) أورد القول البيضاوي فجاء في حاشية الشيخ زاده قوله « أو لان الإطفاء حصل بسبب خفي» .
جواب ثان للإيراد المذكور تقريده أن ذلك الإسناد مجازي من قبيل إسناد الفعل إلى المسبب أي موجد سببه مع أن حقه أن يسند إلى سببه الحقيقي أي فاعله الذي لو أسند إليه الفعل كان حقيقة لكنه صرف عنه وأسند الى فاعله المجازي -أهـ باختصار (١٥٧/١).

(٤) الآية ١٥ من سورة يوسف.

(٥) الآية ٩١ من سورة المؤمنون.

(٦) انظر تفسير البيضاوي (١٥٨/١) والكشاف(٢٠١/١) لكني أتعجب من أخذ الزمخشري بهذا القول الذي لايتفق مع المعتزلة ونظرتهم إلى الحسن والقبح بالنسبة لله تعالى وقد سار الكوكباني على هذا الرأي في تفسيره وهذا موافق لاهل السنة والجماعة.

(٧) انظر تفسير البيضاوي (١٥٨/١) والكشاف (٢٠٠/١).

نفاقهم[1] فهم لايبصرون هدى ولايستقيمون على حق وقال علي بن[أبي طلحة][2] عن ابن عباس وتركهم في ظلمات لايبصرون في عذاب إذا ماتوا[3] وقال الحسن البصري: وتركهم في ظلمات لايبصرون فذلك حين يموت المنافق فيظلم عليه عمله عمل السوء فلايجد له عملاً من خير عمل به يصدق به قول لا إله إلا الله[4]. وترك وإن كان في الاصل يتعدى إلى مفعول واحد لأنه بمعنى طرح وخلى لكنه في الآية ضمن معنى صير فأجرى مجرى أفعال القلوب فعدي إلى مفعولين: الأول هم، والثاني في ظلمات كقول عنترة[5]:

فتركته جزرَ السباع يَنُشْنهُ ما بين قلة رأسه والمعصم[6]

---

(١) تفسير ابن كثير (٥٧/١).

(٢) في النسخة ب[طلحة] والصواب الموافق للنقل ماجاء في أ.

(٣) تفسير ابن كثير (٥٧/١) قلنا وأخذ برواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس البخاري في صحيحه تعليقاً راجع تفسير الآية ١٧.

(٤) تفسير ابن كثير (٥٧/١).

(٥) هو عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد العبسي مات قبل الهجرة بـ٢٠ سنة نحو ٦٠٠م أشهر فرسان العرب في الجاهلية ومن شعراء الطبقة الاولى، من أهل نجد. أمه حبشية اسمها زبيبة، سرى إليه السواد منها، كان من أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفساً، يوصف بالحلم على شدة بطشه، وفي شعره رقة وعذوبة، اجتمع في شبابه بامرئ القيس الشاعر، وشهد حرب داحس والغبراء وعاش طويلاً وقتله الاسد الرهيص أو جبار بن عمرو الطائي -أهـ من الاعلام باختصار(٩١/٥).

(٦) وروى الشطر الثاني:

يقضمن خمس بنانه والمعصم،

نص في كون ترك فيه بمعنى صير معدى إلى مفعولين لان جزر السباع معرفة لايحتمل الحال بخلاف ماقي الآية فإنه يجوز أن يكون ترك فيها بمعنى طرح وخلى ويكون قوله بظلمات لايبصرون حالين مترادفين أو متداخلين، وجزر السباع اللحم الذي تأكله السباع يقال تركوهم جزراً بالتحريك إذا قتلوهم وصيروهم طعمة للسباع والجزر فعل بمعنى مفعول لانه معد لان تجرزه السباع بأنيابها كما يجزر القصاب بالحديد، والنوش مصدر ناش ينوش أي تناول

إلا أن ترك في البيت نص في كونها بمعنى صير لان جزر السباع معرفة لايحتمل الحال بخلاف الآية لجواز أن يكون ترك بمعنى طرح وخلى وفي ظلمات حال من مفعوله، وجملة لايبصرون في موضع الحال إما من ضمير تركهم أو من الضمير المستكن في ظلمات، وتكون حالاً مؤكدة لانه من ترك في ظلمة لايبصر، وإنما يذكر مفعول لايبصرون ولاينبغي أن يقدر لان المقصود نفي الإبصار عنهم مطلقاً والله سبحانه تعالى أعلم.

(١٨) ﴿صم بكم عمي﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس(صم بكم عمي) يقول: لايسمعون الهدى، ولايبصرونه، ولايعقلونه[١] وكذلك قال أبو العالية[٢] وقتادة[٣]، وإنما نزل الذين اشتروا الضلالة بالهدى منزلة الصم البكم العمي وإن كانت حواسهم سليمة لسدهم المسامع عن الإصاخة إلى الحق عدم النطق به والتبصر في الآيات. والعرب تنزل صحيح

---

والقضم بمقدم الاسنان لا بالأضراس والمعصم موضع السوار من الساعد يقول قتله وصيره طعمة للسباع حتى تناولته أكلته بمقدم أسنانها -أهـ حاشية الشيخ زادة(١/١٥٨-١٥٩).

والبيت جاء في حاشية الشيخ زادة وهو من معلقة عنترة البيت رقم(٥٠) -أهـ شرح المعلقات السبع للإمام الأديب القاضي المحقق أبي عبدالله الحسن بن أحمد بن الحسين الزوزني(صفحة ١٢٧) ط دار الكتاب العربي بيروت لبنان والشطر الثاني بمعلقته

يقضمن حسن بنانه والمعصم.

وقد ورد اللفظ الأول للبيت في ديوانه وقلة رأسه أعلاه -أهـ من ديوان عنترة بن شداد العبسي بتحقيق وشرح عبدالمنعم عبدالرؤوف الشلبي، تقديم إبراهيم الأبياري ط دار الكتب العلمية.

(١) جاء اللفظ في تفسير ابن كثير(صم بكم عمي) يقول لايسمعون الهدى: ولايعقلونه -أهـ(١/٥٧).

(٢) تفسير ابن كثير (١/٥٧).

(٣) تفسير ابن كثير (١/٥٧).

القوى والحواس منزلة سؤمها إذا لم يعمل بمقتضاه قال الشاعر:

صـم إذا سمعـوا خيـراً ذكـرت بـه  وإن ذكـرت بسـوء عندهم أذِنوا[1]

وقال الآخر: أصمُّ عن القول الذي لاأريده  وأسمـع خلق الله حين أريـد[2]

وإطلاق الصم والبكم والعمي على المنافقين لايسمى استعارة عند المحققين من علماء البيان لذكر المستعار له وهم المنافقون بل تشبيهاً بليغاً. كقولك: زيد أسد وقول زهير:

لـدى أسـد شـاكـي السـلاح مقـذّفٍ  لـه لبـد أظفـاره لم تقلـمِ[3]

---

(١) يسبق هذا البيت بيت ويتبعه بيت كما يلي:

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحاً  مني وماسمعوا من صالح دفنوا

صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به  وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

جهلاً علي وجبناً من عدوهم  لبئست الخلتان الجهل والجبن

وهذا من أبيات الحماسة -أهـ من تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات للأستاذ محب الدين الخطيب(صفحة ٥٤٧). وقد نسبه لقعنب بن أم صاحب.

أما في لسان العرب فقد ذكر البيت الأول والثاني بنفس النسبة لسان العرب مادة أذن(١٤٨/٦) ط المصورة عن طبقة بولاق للدار المصرية للتأليف والترجمة. وقد ورد البيت في ديوان الحماسة برقم(٢) من قصيدة رقم(٦٠٢) قال الشارح: ارتفع صم على انه خبر مبتدأ محذوف كأنه قال هم صم أي يتصامون عما نسب إليه من الخصال الصالحة. قال: ومتى ذكرت بشر أدركوه وعلموه ويقال أذن يأذن أذناً قال بسماع يأذن الشيخ له ويجوز اشتقاقه من الأذن الحاسة انظر شرح ديوان الحماسة للمرزوقي(١٤٥٠/٣-١٤١٥) تحقيق أحمد امين وعبدالسلام هارون الطبعة الثانية طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

جاء البيت بالنسبة في صحاح اللغة(٢٠٦٨/١) مادة(أذن).

(٢) جاء البيت في حاشية الشيخ زادة تفسير البيضاوي (١٦١/١) ولم أقف على قائله.

(٣) البيت رقم (٣٧) من معلقة زهير بن أبي سلمى، شاكي السلاح وشائك السلاح وشاك السلاح أي تام السلاح كله من الشوكة وهي العدة والقوة. مقذف: أي يقذف به كثيراً الى الوقائع والتقذيف

وإنما تطلق الاستعارة حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلواً عنه صالحاً.

لأن يراد المنقول عنه المنقول إليه لدلالة الحال، أو فحوى الكلام، ومن ثم ترى المغلقين السحرة[1] يتناسون التشبيه ويضربون عنه صفحاً كما قال أبو تمام[2]:

ويَصْعَدُ حتى يظن الجهول بأن له حاجة في السماء[3]

وههنا وإن طوي ذكره لحذف المبتدأ لكنه في حكم المنطوق فلايسمى استعارة ونظيره

---

مبالغة القذف، واللبد، جمع لبدة الأسد وهي ماتلبد من شعره على منكبيه (يقول) عند أسد تام السلاح يصلح لأن يرمى به إلى الحروب والوقائع يشبه أسد له لبدتان لم تقلم براثنه ويريد أنه لايعتريه ضعف ولايعيبه عدم شوكة كما أن الأسد لايقلم براثنه -أهـ من كتاب شرح المعلقات السبع(صفحة ٧٧) لابي عبدالله الحسن بن أحمد بن الحسين الزوزني-ط دار الكتاب العربي وانظر أيضاً ديوان زهير بن أبي سلمى بشرح أبي العباس أحمد الشيباني ص٢٣ -ط دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٦٣هـ - ١٩٤٤م.

(١) هكذا كتبت الكلمتان في المخطوطين أ و ب والأنسب أن يقال: المنافقين الكفرة.

(٢) أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث كان أوحد عصره في ديباجة شعره وحسن أسلوبه، وله كتاب«الحماسة» التي دلت على غزارة فضله وإتقان معرفته بحسن اختياره، وله مجموع أخر سماه«فحول الشعراء» وله كتاب«الاختيارات من شعر الشعراء». مَدَحَ الخلفاء وأخذ جوائزهم وجاب البلاد. ولم يزل شعره غير مرتب حتى جمعه أبو بكر الصولي، ورتبه على الحروف، ثم جمعه علي بن حمزة الأصبهاني، ولم يرتبه على الحروف بل على الأنواع ولد أبو تمام سنة ١٩٠هـ وتوفي سنة ٢٣١هـ رحمه الله تعالى - أ هـ من وفيات الأعيان (١١/٢)-.

(٣) وجاء في ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي بلفظ:

ويصعد حتى يظن الجهول أن له منزلاً في السماء

وجاء في شرحه ويروى (حاجة في السماء).

انظر ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي (١٣٤/٤) البيت برقم (٥٨) قصيدة (١٨٠)، -ط دار المعارف الطبعة الثالثة القاهرة (١٩٨٣م)-.

أسـد علـي وفـي الحـروب نعـامـة  فتخـاءُ[1] تنفـر من صفيـر الصافـر[2]

وقرأ الجمهور برفع الثلاثة[3] على إضمار مبتدأ أي هم صم بكم عمي، وهي أخبار متباينة لفظاً لكنها في معنى خبر واحد لأن مآلها إلى عدم قبولهم الحق وهم سمعاء الآذان فصحاء الألسن نظراء الأعين. وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه وحفصة أم المؤمنين رضي الله عنها بنصب الثلاثة[4] وخرجوه على وجوه أحدهما أنها منتصبة على الحال من مفعول تركهم[5]، أو من ضمير يبصرون،[6] أو بفعل محذوف[نحوه] [7] أي أعني[8] أو على الذم أي

---

(١) في النسخة ب [قبحاً] والصواب ماجاء في أ.

(٢) وبعده بيت آخر للشاعر يقول فيه:

هلا كررت على غزالة في الوغى  بل كان قلبك في جناحي طائر

هذان البيتان هما لعمران بن حطان. وأسد علي: أي أنت أسد والنعام يضرب به المثل في الجبن فيقال: إنه لاجبن من نعامة والفتخاء تأنيث الافتخ والفتخ هو انفراج ولين في الاصابع. وغزالة: امرأة شبيب الخارجي قيل إن الحجاج قتل شبيباً الخارجي، فدخلت امرأته غزالة الكوفة في ثلاثين فارساً ومعها ثلاثون ألف مقاتل، فصلت الغداة وقرأت البقرة وحاربته سنة وهزمت الحجاج وهي تمشي خلفه فالشاعر يقول: هو أسد علي وفي الحروب مثل النعام جبناً ينفر من صفير الصافر.

والصفير: صوت المكاء، ثم وبخه وعيره. وقال: هلا حملت على هذه المرأة في الوغى، بل كان قلبك في الوجيب والخفقان من الحزن في جناحي طائر -أهـ في شرح شواهد الكشاف(صفحة/٣٩٤-٣٩٥).

وجاء البيتان بنسبة في الكامل والتعليق عليه (٩٢٩/٢)- ط مؤسسة الرسالة تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي. وفي الاغاني (١٥٠/١٦) -ط دار الفكر-.

(٣) الصحيح أن القراءات العشر المتواترة على ذلك - انظر البدور الزاهرة (صفحة ٢٣) والقراءات العشر المتواترة (صفحة ٤).

(٤) تفسير القرطبي (٢١٤/١) والبحر المحيط (٨٢/١).

(٥) تفسير القرطبي (٢١٤/١) وقال«فعلى هذا المذهب لايحسن الوقف على«يبصرون».

(٦) ذكر هذا البحر المحيط وقال :«وفي ذلك نظر» (٨٢/١) ومكان النظر هو: كيف هم لايبصرون «صماً وبكماً وعمياً» فلايبصرون يناسبها«عمياً» فقط ولايناسبها وصفهم بأنهم«صماً وبكماً». والله أعلم

(٧) في النسخة ب [نحو].

(٨) البحر المحيط (٨٢/١).

أذم صماً بكماً عمياً[1]، ﴿ **فهم لايرجعون** ﴾ قال ابن عباس: لايرجعون إلى الهدى[2]. وكذلك قال الربيع بن أنس[3]، وقال السدي: لايرجعون إلى[السلام] [4] وقال قتادة: فهم لايرجعون لايتوبون ولاهم يذكرون[5]، وهي جملة خبرية معطوفة على التي قبلها مرتبة عليها، وقال أبو البقاء مستأنفة[6] وقيل في محل نصب على الحال وهو خطأ[7]؛ لأن مابعد الفاء لايكون حالاً إذ الفاء للترتيب والحال مقارنة لاترتيب فيها

(١٩) ﴿ **أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق** ﴾ هذا مثل آخر ضربه الله للمنافقين عطف على الذي استوقد ناراً؛ والتقدير أو كمثل ذوي صيب لقوله تعالى: (يجعلون أصابعهم في آذانهم) وأو للتساوي مثل جالس الحسن أو ابن سيرين فإنها تفيد التساوي في حسن المجالسة، المعنى سواء شبهتهم بهذا أو بهذا فهو مطابق[لحالهم][8] أو بهما جميعاً، أو تكون للتخيير أي: إن شئت شبهتهم بهذا وإن شئت بهذا، وقيل إنها بمعنى الواو كقوله تعالى:(ولاتطع منهم آثماً أو كفورا)[9] وقيل بمعنى قوله تعالى:(أو يزيدون)[10] وهذا على مذهب الكوفيين[11]، والكاف من قوله تعالى(أو كصيب) في موضع رفع لأنها

---

(١) انظر تفسير القرطبي (٢١٤/١) والبحر المحيط (٨٢/١).

(٢) (٣) تفسير ابن كثير (٥٧/١).

(٤) لكن هذا في ب أيضاً والذي في تفسير ابن كثير وقال السدي بسنده«صم بكم عمي فهم لايرجعون إلى الإسلام. (٥٧/١).

(٥) تفسير ابن كثير (٥٧/١).

(٦) (٧) إملاء مامن به الرحمن (صفحة٢٨).

(٨) في النسخة ب [فالهم].

(٩) الآية ٢٤ من سورة الإنسان.

(١٠) الآية ١٤٧ من سورة الصافات.

(١١) وإلى هذا ذهب الكوفيون في أحد أقوالهم. البحر المحيط (٨٣/١).

معطوفة على ماموضعه رفع وهو قوله تعالى:(كمثل الذي استوقد)، والصيب المطر قاله ابن مسعود، وابن عباس، وناس من الصحابة، وأبو العالية، ومجاهد، وسعيد بن جبير وقتادة والسدي وغيرهم من المفسرين[1]. وقال الضحاك: هو السحاب[2] من صاب يصوب إذا انحط من علو إلى سفل وأصله صيوب بكسر الواو على وزن فيعل، فأبدلت الواو ياء وأدغمت الياء الأُولى فيها فقيل:صيب وتنكيره لأنه أريد به نوع من المطر شديد، وفائدة ذكر السماء والصيب لايكون إلا منها أنه جاء بالسماء معرفة فنفى أن يتصوب من سماء؛ أي من أفق واحد من بين سائر الآفاق لأن كل أفق من آفاقها سماء كما أن كل طبقة من الطباق سماء في قوله(وأوحى في كل سماء أمرها)[3] والدليل عليه قوله:

فأوه لذكراها إذا ماذكرتها  ومن بعد أرض بيننا وسماءِ [4]

---

(١) تفسير ابن كثير (٥٧/١) . منهم الحسن البصري وعطية العوفي وعطاء الخراساني تفسير ابن كثير (٥٧/١).

(٢) تفسير ابن كثير (٥٨/١) قال ابن كثير والأشهر هو المطر نزل من السماء.

(٣) الآية ١٢ من سورة فصلت .

(٤) لم أقف على قائله

وجاء بلانسبة في حاشية الشيخ زاده (١٦٥/١) ومعاني القرآن للفراء(٢٣/٢) وتاج العروس (١٠/١٩) مادة أو ٥.

قال الشيخ زادة رحمه الله في البيت:

فأوه لذكراها إذا ماذكرتها  ومن بعد أرض بيننا وسماء

والرواية الصحيحة أوه بسكون الواو وكسر الهاء وربما قلبوا الواو ألفاً وقالوا آه من كذا، وربما شددوا الواو وكسروها، وسكنوا الهاء وقالوا أوّه من كذا، وعلى التقادير كلها هي كلمة توجع تستعمل مع اللام، أي توجعت لذكر الحبيبة ومن بعدها بحيث وقع بيني وبينها قطعة أرض وقطعة سماء تقابل تلك القطعة من الأرض، فالمراد بالأرض بعضها وبالسماء بعضها فلذلك نكرها ليدل على الفردية لو عرفهما لدل على أن جميع قطع الارض وآفاق السماء حال بينه وبينها، وذلك غير متصور، ولما صح إطلاق السماء على كل ناحية وأفق منها جيء بها في الآية معرفة باللام الاستغراقية: ليفيد العموم ... -أهـ (١٦٥/١) من حاشية الشيخ زادة.

والمعنى أنه غمام مطبق أخذ بآفاق السماء. وقوله:(فيه ظلمات) ضمير فيه يعود على الصيب وظلمات مرتفع بالظرف على الفاعلية؛ لأنه قد اعتمد بوقوعه صفة لصيب أو حالاً منه لاختصاصه بقوله:(من السماء) لأنه متعلق به أو صفة له وجوزوا أن تكون الظلمات مبتدأ وفيه خبر مقدم، والجملة صفة لصيب والأول أولى؛ لأن الوصف بالمفرد أحسن من الوصف بالجملة. قوله:(ورعد وبرق) الرعد تصويت السحاب عند اصطاك أجرامه، والبرق لميعه وكلاهما مصدر في الأصل كأنه قيل إرعاد وإبراق ولذلك لم يجمعا. وقال أمير المؤمنين علي[1]، وابن عباس[2]، وكثير من المفسرين: الرعد إسم ملك يسوق السحاب والبرق

---

(١) قال ابن جرير حدثني المثنى قال حدثنا الحجاج بن منهال، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن المغيرة بن سالم، عن أبيه، أو غيره أن علي بن أبي طالب قال: الرعد ملك. تفسير الطبري(١/٣٤٠)، عندما جاء في السند أو غيره أفاد الشك من المغيره بن سالم في الراوي ما أن يكون أباه أو مجهول. وهذا يؤدي لضعف سند الخبر.

(٢) هنالك في ابن جرير ثلاث روايات عن ابن عباس:

الأولى : حدثت عن المنجاب بن الحارث، قال: حدثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: الرعْد ملك من الملائكة اسمه الرعد، وهو الذي تسمعون صوته -أهـ تفسير الطبري(١/٣٣٩) قد أوضحنا أن طريق الضحاك إلى ابن عباس منقطعة في التعليق رقم (١) على الصفحة ١٢٤، قال الدكتور محمد حسين الذهبي:«فإذا انضم إلى ذلك رواية بشر بن عمارة عن أبي الروق عن الضحاك فضعيفه لضعف بشر» أهـ التفسير والمفسرون(١/٨٠)-.

الرواية الثانية : حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا عبدالملك بن حسين، عن السدي، عن أبي مالك، عن ابن عباس، قال: الرعد، ملك يزجر السحاب بالتسبيح والتكبير -أهـ تفسير الطبري (١/٣٣٩)-.

عبدالملك بن حسين: هو أبو مالك النخعي الواسطي، اشتهر بكنيته وبها ترجم بالتهذيب(١٢:٢١٩)، وترجمه ابن أبي حاتم باسمه(٢/٢/٣٤٧) وهو ضعيف ليس بشيء -أهـ من تعليق أحمد شاكر على تفسير ابن جرير (١/٣٣٩)

لمعان سوط من نور يزجر به الملك السحاب وقيل: الصوت زجر السحاب[1]، وقيل: تسبيح الملك[2] وقيل: الرعد نطق الملك والبرق ضحكه[3]، وقال شهر بن حوشب: الرعد ملك يزجي السحاب، فإذا تبددت ضمها فإذا اشتد غضبه طار من فيه النار فهي الصواعق[4]. وإنما جاءت هذه الأشياء منكرات لأن المراد نوع منها. كأنه قيل فيه ظلمات داجية، ورعد قاصف

---

الرواية الثالثة :

وحدثنا الحسن بن محمد، قال: حدثنا علي بن عاصم، عن ابن جريج، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: الرعد اسم ملك، وصوته هذا تسبيحه، فإذا اشتد زجره السحاب اضطرب السحاب واحتك، فتخرج الصواعق من بينه -أهـ تفسير الطبري(٣٣٩/١).

قال الذهبي رحمه الله تعالى:«علي بن عاصم بن صهيب، أبو الحسن الواسطي، مولى آل أبي بكر الصديق ولد سنة خمس ومائه قال يعقوب بن شيبة: كان من أهل الدين والصلاح والخير البارع، وكان شديد التوقي. أنكر عليه كثرة الغلط والخطأ مع تماديه على ذلك. قال أحمد: أما أنا فأخذت عنه؛ كان فيه لجاج، ولم يكن متهماً. وقال ابن معين: ليس بشيء وقال النسائي: متروك الحديث وقال البخاري: ليس بالقوي عندهم يتكلمون فيه. مات سنة ٢٠١هـ -أهـ

باختصار من ميزان الاعتدال :(١٣٥/٢-١٣٦/رقم٥٨٧٣).

ونلاحظ أن الروايات الثلاث ضعيفة الأسانيد في سند الأولى ضعيفان وفي الثانية والثالثة قيل ببعض رجال سنديهما: ليس بشيء.

(١) مر معنا بإحدى روايات ابن عباس الماضية:«ملك يزجر السحاب بالتسبيح والتكبير».

(٢) تفسير ابن عطية (٨٤/١) قال وقيل: الرعد ملك هذا الصوت تسبيحه.

(٣) تفسير الآلوسي (١٧٣/١).

(٤) جاء في تفسير ابن جرير:«حدثني نصر بن عبدالرحمن الازدي قال حدثنا محمد بن يعلى، عن أبي الخطاب البصري، عن شهر بن حوشب قال: الرعد، ملك موكل بالسحاب يسوقه، كما يسوق الحادي الإبل، يسبح كلما خالفت سحابة سحابة صاح بها، فإذا اشتد غضبه طارت النار من فيه، فهي الصواعق التي رأيتم» أهـ تفسير الطبري(٣٣٩/١).

قال أحمد شاكر رحمه الله تعالى في تعليقه على سند الحديث محمد بن يعلى: هو السلمي الكوفي

ويرق خاطف ﴿ يجعلون أصابعهم في آذانهم﴾ الضمير في يجعلون لأصحاب الصيب. وهو وإن حذف لفظه وأقيم الصيب مقامه. كما قال تعالى:(وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون)[1] أي وكم من أهل قرية لأن المحذوف باق معناه وإن سقط لفظه فيجوز أن يعول عليه كما عول حسان[2] رضي الله عنه في قوله:

يسقون من ورد البريص عليهم  بردى يصفق بالرحيق السلسل[3]

---

ولقبه«زنبور» وهو ضعيف وقال البخاري «يتكلمون فيه» -أهـ من التعليق على تفسير الطبري(٣٣٩/١).

وأخيراً قال القرطبي رحمه الله تعالى وروي عن ابن عباس أنه قال: الرعد ريح تختنق بين السحاب فتصوت ذلك الصوت -أهـ في تفسير القرطبي(٢١٧/١) وقال أبو حيان رحمه الله تعالى:والرعد الصوت المزعج المسموع من جهة السماء» -أهـ تفسير النهر الماد(٩٤/١).

(١) الآية ٤ من سورة الاعراف.

(٢) هو حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري الشاعر يكنى أبا الوليد وقيل أبا عبدالرحمن يقال له شاعر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:«اهجهم -يعني المشركين- وروح القدس معك» وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حسان:«اللهم أيده بروح القدس لمناضلته عن المسلمين» وكان حسان شاعر الانصار في الجاهلية وشاعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النبوة وشاعر اليمن كلها في الإسلام، وقد مدح السيدة عائشة بشعره ورد خبر الإفك عنها. وذكروا من جبنه أشياءً مستبشعه رووها عن ابن الزبير أنه حكاها عنه كرهت ذكرها لنكارتها، ولم يعيره أحد بالشعر بجبنه مما يدل أنه بريئ منه. أعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيرين أَمَة قبطية فولدت له عبدالرحمن بن حسان، عاش مائة وعشرين سنة منها ستون في الجاهلية وستون في الإسلام -أهـ من كتاب الاستيعاب في أسماء الأصحاب لابن عبدالبر القرطبي المالكي(٣٣٤/١) -ط دار الكتاب العربي بيروت-.

(٣) البيت لحسان بن ثابت رضي الله عنه يذكر فيه أزماناً كانت موارد اللذات له والمؤانسة مع الملوك الغسانيين وهي قصيدة مشهورة وقبل البيت:

لله در عصابة نادمتهم  يوماً بجلق في الزمان الأول

أولاد جفنة حول قبر أبيهم  قبر ابن مارية الكريم المفضل

بيض الوجوه كريمة أحسابهم  شم الأنوف من الطراز الأول.

حيث أرجع ضمير يصفق إلى ماء بردى مع أنه غير مذكور، ولامحل لقوله يجعلون لكونه مستأنفاً لأنه لما ذكر الرعد والبرق دل على مايؤذن بالشدة والهول فكأن قائلاً قال: كيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل: يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق، ثم قال: كيف حالهم مع ذلك البرق؟ فقيل: يكاد البرق يخطف أبصارهم. قال جار الله: فإن قلت: رؤوس الإصبع هو الذي يجعل في الآذان فهلا قيل أناملهم قلت: هو من الاتساعات في اللغة التي لايكاد الخاطر يخطرها كقوله تعالى: (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم)[1] (فاقطعوا أيديهما)[2] أراد البعض الذي هو إلى المرافق والذي هو إلى الرسغ، وأيضاً ففي ذكر الأصابع من المبالغة ماليس في ذكر الأنامل. فإن قلت: فالأصابع الذي يسد بها الآذان

---

-أهـ شرح شواهد الكشاف (صفحة ٤٧٤-٤٧٥) وذكر البيضاوي البيت ونسبه لحسان بن ثابت رضي الله عنه أيضاً(١٦٧/١) ولسان العرب مادة برص(٦/٧) طبعة دار صادر جاء فيه:

وبريص: نهر في دمشق وفي الحكم والبريص نهر بدمشق، قال: ابن دريد: وليس بالعربي الصحيح وقد تكلمت به العرب؛ قال حسان بن ثابت:

يسقون من ورد البريصَ عليهمُ  بردى يصفَّقُ بالرحيق السلسل

-أهـ من لسان العرب مادة برص، قال المعلقون على لسان العرب في الحاشية قوله«والبريص نهر بدمشق» قال في ياقوت بعد ذكر بيتين مانصه: وهذان الشعران يدلان على أن البريص اسم الغوطة بأجمعها، ألا تراه نسب الأنهار إلى البريص وكذلك حسان فإنه يقول يسقون ماء بردى وهو نهر دمشق من ورد البريص -أهـ لسان العرب وحاشيته(٦/٧) مادة (برص) والرحيق: الخمر أو أطيبها، أو أفضلها، أو الخالص، أو الصافي -القاموس(صفحة١١٤٤) السلسل: الماء العذب أو البارد -القاموس(صفحة ١٣١٣) ومعنى يصفق أي يخلط ويمزج والسلسل: أي البارد السهل الدخول الى الحلق، انظر ص١٨٣ ديوان حسان بن ثابت الانصاري شرح الديوان وصححه محمد عزت نصر الله -ط دار إحياء التراث العربي -بيروت-.

(١) الآية ٦ من سورة المائدة.

(٢) الآية ٣٨ من سورة المائدة.

أصبع خاصة فلِم ذكر الاسم العام دون الخاص؟ قلت: لأنّ السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها أولى بآداب القرآن ألا ترى أنهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة، والسباحة والمهللة ﴿من الصواعق﴾ متعلق بيجعلون أي: من أجل الصواعق يجعلون أصابعهم في آذانهم[1] كقوله تعالى:(وهبنا له من رحمتنا)[2] أي من أجل رحمتنا والصواعق جمع صاعقة قال ابن عطية قال الخليل: هي الدفعة الشديدة من صوت الرعد تكون معها أحياناً قطعة نار يقال إنها من المخراق الذي بيد الملك[3]. وقيل مايخرج من فمه عند غضبه[4] وقيل الصاعقة قطعة عذاب مهلك ينزله الله تعالى على [ما][5] يشاء[6] فكل عذاب مهلك صاعقة، قيل هي نار لطيفة جديدة لاتمر بشيء إلاّ أهلكته[7] لكنها سريعة الجمود، والتاء للمبالغة كما في الرواية أو مصدر كالكاذبة والعافية، وعن سالم عن عبدالله بن عمر عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال:«اللهم لاتقتلنا بغضبك ولاتهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك»[8]

---

(١) تفسير الكشاف (٢١٧/١).

(٢) الآية ٥٣ من سورة مريم.

(٣) (٤) تفسير ابن عطية (١٨٤/١-١٨٥).

(٥) في النسخة ب[من].

(٦) انظر تفسير البغوي (٤٩/١).

(٧) قال القرطبي:«قال أبو زيد الصاعقة نار تسقط من السماء في رعد شديد» تفسير القرطبي(٢١٩/١).

(٨) الحديث رواه الترمذي فقال: حدثنا قتيبة أخبرنا عبدالواحد بن زياد عن حجاج بن أرطأة عن أبي مطر عن سالم بن عبدالله بن عمر عن أبيه: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال:«اللهم لاتقتلنا بغضبك ولاتهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك» هذا حديث غريب لانعرفه إلامن هذا الوجه -أهـ من سنن الترمذي في تحفة الأحوذي (٢٩٠/٩/رقم٣٦٧٨)-.

قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى:«أبو مطر شيخ لحجاج من أرطأة، مجهول» -أهـ في تقريب التهذيب(صفحة ٦٧٤/رقم٨٣٧٣) قال الذهبي:«أبو مطر عند الترمذي عن سالم بن عبدالله لايُدرى

﴿ **حذر الموت** ﴾ نصب على المفعول له كقول حاتم[1]:

وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض عن شتم اللئيم تكرما[2]

ويجوز أن يكون مصدراً أي يحذرون حذر الموت[3] ﴿ **والله محيط بالكافرين** ﴾ إحاطة

---

لايُدرى من هو وعنه حجاج بن أرطاة ميزان الإعتدال(٤/٥٧٤/رقم ١٠٦٠٩) وذكره البخاري في الأدب المفرد وفي سنده أبو مطر هذا -الأدب المفرد(صفحة/١٤٥) ط منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان-.

وقد أشار الإمام النووي رحمه الله تعالى الى ضعف هذا الحديث في سنن الترمذي وقال بعد ذلك:«وروينا بالإسناد الصحيح في (الموطأ) عن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال:«سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته» وروى الإمام الشافعي رحمه الله في «لأم» باسناده الصحيح عن طاووس الإمام التابعي الجليل رحمه الله أنه كان يقول إذا سمع الرعد: سبحان من سبحت له قال الشافعي: كأنه يذهب إلى قول الله تعالى:(ويسبح الرعد بحمده) الآية١٣ من سورة الرعد-انظر في كتاب الأذكار للنووي(صفحة ١٥٤).

(١) هو حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني، أبو عدي: فارس، شاعر، جواد، جاهلي، يضرب المثل بجوده. كان من أهل نجد، وزار الشام فتزوج من ماوية بنت حجر الغسانية، ومات في عوارض(جبل في بلاد طيء) قال ياقوت: وقبر حاتم عليه. شعره كثير ضاع معظمه، وبقي منه ديوان صغير وأخباره كثيرة متفرقة في كتب الأدب والتاريخ. وأرخوا وفاته في السنة الثامنة بعد مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتعادل٤٦ قبل الهجرة و٥٧٨م -أهـ الأعلام للزركلي بتصرف-(٢/١٥١).

(٢) قال ابن منظور :«قال الجوهري: الكلمة العوراء القبيحة، وهي السقطة قال حاتم:

واغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض عن شتم اللئيم تكرما

-أهـ باختصار لسان العرب مادة عور(٤/٦١٥) ط دار صادر-.

والبيت في ديوانه بلفظ... وأصفح من شتم اللئيم تكرما

- وجاء في البيت أيضاً انظر ديوان حاتم الطائي صفحة (١١١) طبعة الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، ١٩٦٩.. وجاء البيت بهذه النسبه في الكامل (١/٣٨١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/٩٦).

الله تعالى بالكافرين مجاز. والمعنى أنهم لايفوتونه[1] كما لايفوت المحاط به المحيط به حقيقة. وقيل: والله محيط بالكافرين بعلمه، وقدرته[2]، فيجازيهم يوم القيامة وأصل الإحاطة بالشيء الإحداق به من جميع جهاته ومنه الحائط.

والأصل والله محيط بهم، فوضع الظاهر موضع المضمر والجملة اعتراضية لامحل لها.

**(٢٠) ﴿يكاد البرق يخطف أبصارهم﴾** استئناف ثان كأنه جواب لمن يقول: كيف حالهم مع مثل ذلك البرق؟ فقيل يكاد البرق يخطف أبصارهم، ويكاد مضارع كاد التي من أفعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه، لكنه لم يوجد إما لفقد شرط أو لعروض مانع، وليس من أفعال المقاربة مايستعمل مضارعه إلا كاد وأوشك[3]، قال في المجيد[4]: وطفق حكاه الجوهري[5] وهذه الأفعال من باب كان ترفع الاسم وتنصب الخبر إلاَّ أن خبرها لايكون إلاَّ فعلاً مضارعاً وقد جاء اسماً وهو قليل كقول الشاعر:[6]

فأبت إلى فهم وماكدت آئباً  وكم مثلِها فارقتها وهي تَصْفِرُ[7]

(١) تفسير القرطبي(٢٢١/١) قال القرطبي ومنه قوله تعالى:«وأُحِيطَ بثمره»الآية٤٢ من سورة الكهف.

(٢) انظر تفسير ابن كثير(٥٨/١) مع اختلاف بسيط لا يعول عليه. وجاء في صحيح البخاري عن مجاهد:«محيط بالكافرين» الله جامعهم -أهـ(١١/٨) في باب التفسير-.

(٣) البحر المحيط (٨٨/١).

(٤) لم أقف على هذا الكتاب.

(٥) حيث ذكر مضارعاً لطفق - انظر الصحاح للجوهري مادة طفق (١٥١٧/٤)-.

(٦) قال محمد محيي الدين عبدالحميد تعليقاً على البيت في شرح ابن عقيل:«هذا البيت لتأبطَ شراً -ثابت بن جابر بن سفيان- من كلمة مختارة، اختارها أبو تمام في حماسته» من تعليق محمد محيي الدين عبدالحميد(٣٠٠/١) على شرح ابن عقيل -ط المكتبة العصرية بيروت ١٩٩٢م-. والبيت بهذه النسبة. في اللسان مادة «كيد» (٣٨٣/٣).

(٧) أبت: رجعت- فهم: اسم قبيلة -تصفر: أراد تتأسف وتتحزن على إفلاتي منها، بعد أن ظن أهلها أنهم قد قدروا علي -يقول: إني رجعت إلى قومي بعد أن عز الرجوع إليهم، وكم مثل هذه الخطة فارقتها، وهي تتأسف وتتعجب مني كيف أفلت منها -أهـ من المرجع قبل السابق- وقد ورد البيت بنفس النسبة في ديوان الحماسة لأبي تمام تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالرحيم عسيلان، قصيدة رقم(١١) البيت رقم(٩) (٧٢/١) -ط إدارة الثقافة والنشر ١٩٨١م، ١٤٠١هـ-.

ويخطف في محل نصب خبر كاد والخطف الأخذ بسرعة ﴿**كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا**﴾ استئناف ثالث كأنه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارَتَيْ خفوق البرق وخفيته؟ فأجيب بذلك. وكل: ظرف، ومامصدرية، والزمان محذوف، وسرت الظرفية إلى كل لإضافتها إلى ما المصدرية الظرفية أي كل وقت أضاء وجاءت ماهنا على الغالب من وصلها بالماضي هو أضاء. وتختص عن سائر الموصولات الحرفية بنيابتها عن ظرف زمان كما في الآية وأضاء في محل خفض بإضافة كل إليه وهو عند المبرد[1] متعد؛ أي كلما أضاء لهم البرق الطريق فيحتمل أن يكن ضمير فيه عائداً على المفعول المحذوف أو على البرق أي مشوا في نوره ومطرح لمعانه، وإن جعل أضاء لازماً فيتعين عود فيه على البرق ويؤيده قراءة ابن أبي عبلة[2] (كلما ضاء لهم) [3] بلاهمز. والعامل في كلما مشوا. قال جار الله: وأظلم يحتمل أن يكون غير متعد وهو الظاهر، وأن يكون متعدياً منقولاً من ظلم الليل ويشهد له قراءة ابن قطيب[4] (أظلم) على مالم يسم فاعله[5] وقال أبو تمام:

هـمـا أظلما حالي ثُمَّتَ أجلَيا ظَلاميهما عن وجهِ أمرد أشيبِ[6]

---

(١) انظر تفسير القرطبي (٢٢٣/١) ط دار إحياء التراث ١٤٠٥هـ.

(٢) مرت ترجمته.

(٣) الكشاف للزمخشري (٢٢٠/١).

(٤) يزيد بن قطيب السكوني الحمصي روى عن أبي بحرية وعنه الوليد بن سفيان بن أبي مريم وصفوان بن عمرو ويحيى بن عبيد، ذكره ابن حبان في الثقات -أهـ تهذيب التهذيب(٣١٠/١١).

(٥) الكشاف (٢٢٠/١).

(٦) ذُكر البيت لأبي تمام في البحر المحيط (٩٠/١) وفي الكشاف (٢٢٠/١) وفي تفسير البيضاوي وحاشية الشيخ زادة(١٧٠/١) قال الشيخ زادة:«وماقبل هذا البيت قوله

أحاولتِ إرشادي فعقلي مرشدي أم استَتْمتِ تأديبي فدهري مؤدبي

والهمزة في أحاولت للإنكار والخطاب للعاذلة وأم استمت عطف على قوله أحاولت والاستيام افتعال

قال: وهو وإن كان محدثاً لايستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فيجعل مايقوله بمنزلة مايرويه، ألا ترى إلى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة. فيقنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه[1]، ومعنى قاموا وقفوا[وثبتوا][2] في مكانهم ومنه قامت السوق إذا ركدت، وقام الماء إذا جمد، وهو العامل في إذا على المشهور. ومعنى الكلام عند ابن عباس رضي الله عنهما على مانقله ابن عطية وغيره كلما سمع المنافقون القرآن وظهرت لهم الحجج أنسوا ومشوا معه فإذا نزل من القرآن مايعمون فيه ويضلون به ويكلفون به قاموا أي ثبتوا على نفاقهم[3]قال ابن اسحاق حدثني محمد بن محمد[4] عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس (يكاد البرق يخطف أبصارهم) أي لشدة ضوء الحق(كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا) أي كلما ظهر لهم من الإيمان شيء استأنسوا به واتبعوه وتارة تعرض لهم الشكوك أظلمت قلوبهم فوقعوا حائرين[5]، وقال علي بن أبي طلحة: عن ابن عباس كلما أضاء لهم مشوا فيه يقول: كلما أصاب المنافقين من عز الإسلام

---

من السوم ومعناه التطلب أي التكلف في الطلب، يخاطب العاذلة وهي المرأة اللائمة ويقول لها منكراً على محاولتها إرشاده واستيامها تأديبه ماكان ينبغي لك الإقدام في الإرشاد والتأديب، والفاء تعليل لمحذوف اي لاتحاولي شيئاً منهما، فإن في إرشاد العقل وتأديب تصاريف الدهر كفاية في إرشاد كل رشيد وتأديب كل سعيد -أهـ من حاشية الشيخ زادة (١/١٧٠) والبيت برقم ١٣ في ديوانه قصيدة رقم (١١) (١/١٥٠) انظر ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي تحقيق محمد عبده عزام-الطبعة الثالثة ط دار المعارف بمصر ١٩٧٢-.

(١) الكشاف (١/٢٢١) لكن قال الجرجاني: واعترض عليه بأن قبور الرواية مبني على الضبط والوثوق واعتبار القول والاستشهاد به مبني على معرفة الأوضاع اللغوية والإحاطة بقوانينها. ومن البين أن إتقان الرواية لإستلزم إتقان الدراية -أ هـ باختصار من حاشية الجرجاني على الكشاف.

(٢) في النسخة ب [وأثبتوا].

(٣) تفسير ابن عطية (١/١٨٨-١٨٩).

(٤) الصواب محمد بن أبي محمد.

اطمأنوا إليه وإن أصاب الإسلام نكبة قاموا ليرجعوا إلى الكفر. كقوله تعالى:(من الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به)[1] [2] ﴿**ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم**﴾ أي ولو شاء الله أن يذهب سمعهم بقصف الرعد وأبصارهم بوميض البرق لذهب بهما، فحذف مفعول شاء لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء وأراد حتى لايكاد يذكر إلاَّ في الشيء المستغرب كقوله:

ولو شئت أن أبكي دماً لبكيته  عليه ولكنْ ساحة الصبر أوسع[3]

وقوله عز وجل : ( لو أردنا أن نتخذ لهواً ) [4] ( لو أراد الله أن يتخذ ولداً ) [5] قال صاحب التبيان:[6] حسن ذكره إن كان السامع منكراً لذلك أو كالمنكر فيقصد إلى إثباته عنده فإن لم يكن منكراً أو كالمنكر فالحذف[7]،وقيل: إنما حسن ذكره في الآية والبيت لعود الضمير عليه إذ [ لولم ] [8] يذكر لم يكن للضمير مايعود عليه والحاصل أن حذف مفعول شاء وأراد مع لو هو الغالب،

---

(٥) تفسير ابن كثير (٥٨/١).

(١) الآية ١١ من سورة الحج.

(٢) تفسير ابن كثير (٥٨/١).

(٣) هذا البيت للبحتري – حاشية الشيخ زادة (١٧١/١) ولم أجده في ديوان البحتري رغم أن الشيخ زاده نسبه له ولكن وجدت أنه للشاعر الخريمي في الكامل (١٣٦٢/٣) – ط مؤسسة الرسالة وعزا المحقق لديوانه.

(٤) الآية ١٧ من سورة الأنبياء.

(٥) الآية ٤ من سورة الزمر.

(٦) هو أبو البقاء العكبري وقد ترجمناه وكتابه هذا له اسمان«التبيان في إعراب القرآن» و «إملاء مامن به الرحمن» كما مر وهنالك كتاب باسم التبيان في آداب حمله القرآن للإمام النووي رحمه الله.

(٧) لم اقف عليه للعكبري في كتابه «الإملاء» ولا في كتاب الإمام النوي «التبيان»

وذكره لأحد ثلاثة أوجه إما للاستغراب وهو قول جار الله رحمه الله تعالى[1]، وإما لكونه منكراً، أو كالمنكر، وإما لعود الضمير عليه وفيه نظر لأن الضمير لم يعد عليه وإنما عاد على معموله وهو دماً ولهواً في الآية وأيضاً الأخرى وهي(لو أراد الله أن يتخذ ولداً) ليس فيها ضمير يعود عليه ولا على معموله والله أعلم. وقرأ حمزة بإمالة شاء[2] وجاء حيث وقع الانكسار[فاء][3] الفعل إذا أخبرت عن نفسك. قلت: شئت وجئت والباقون بالفتح وهي لغة الحجاز ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ فاعل لما يشاء على قدر ماتقتضيه الحكمة، ولهذا قل أن يوصف غير الله تعالى بالقدير والمقتدر واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته أو على مقدار ماتقتضيه مشيئته، والظاهر أن التمثيلين جميعاً من قبيل التمثيلات المركبة دون المفردة. وهو القول الفصل والمذهب الجزل وهو أن تشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت أجزاؤه، وتلاصقت حتى صارت شيئاً واحداً بأخرى مثلها كقوله جل وعلا(مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا)[4] فإنه تعالى شبه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التوراة بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة وتساوي الحالتين عنده في حمل أسفار الحكمة وحمل ماسواها من الأوقار لايشعر من ذلك إلاّ بما [يمر][5] من الكد والتعب، والغرض منهما تمثيل حال المنافقين في الحيرة والشدة بما يكابده من طفئت ناره بعد إيقادها في ظلمة أو بحال من أخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد قاصف، وبرق خاطف، وصواعق مهيلة ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد وهو أن تأخذ أشياء فرادى فتشبهها بأمثالها كقوله

---

(١) انظر الكشاف (٢٢١/١).

(٢) الإرشادات الجلية (صفحة ٣٠) الإقناع (٣٠٢/١-٣٠٤) وزاد ابن ذكوان على حمزة وهو أحد راويي ابن عامر الشامي وزاد صاحب كتاب القراءات العشر : وخلف باختياره.

(٣) في النسخة ب [في] .

(٤) الآية ٥ من سورة الجمعة .

(٥) في النسخة ب[يشعر].

تعالى(ومايستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور)[1]

وقول امرئ القيس[2]:

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العُناب والحشفِ البالي[3]

أراد بأن يشبه في الأول ذوات المنافقين بالمستوقدين وإظهارهم الإيمان باستيقاد النار ومانتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الأموال والأولاد وغير ذلك بإضاءة النار ماحول المستوقدين وزوال ذلك عنهم بإهلاكهم. فساء حالهم بإطفاء نارهم الذهاب بنورهم، وفي

---

(٥) في النسخة ب[يشعر].

(١) الآية ٢١ من سورة فاطر .

(٢) امرؤ القيس (نحو ١٣٠-٨٠ ق.هـ = نحو ٤٩٧-٥٤٥م) امرؤ القيس بن حُجر بن الحارث الكندي، من بني آمل المرار: أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يماني الأصل. مولده بنجد، أو بمخلاف السكاسك باليمن اشتهر بلقبه، واختلف المؤرخون في اسمه فقيل حُندُج وقيل مليكه وقيل عدي، وكان أبوه ملك أسد وغطفان، وأمه أخت المهلهل الشاعر، فلقنه المهلهل الشعر، فقاله وهو غلام، وجعل يشبب ويلهو ويعاشر صعاليك العرب . قتل أبوه فأراد أن يثأر له فلم يستطع لتدخل الفرس عن طريق المنذر ملك العراق، واستعان بقيصر الروم فوعده ومطله ثم أرسل له حلة منسوجة بالذهب مسمومة مات بها في أنقرة. وقد جمع بعض ماينسب إليه من شعر في ديوان صغير مطبوع وكثر الإختلاف في ماكان يدين به ولعل الصحيح أنه كان على المزدكية -أهـ من الأعلام باختصار -(٢/١١-١٢) والشعر والشعراء لابن قتيبة ط دار إحياء العلوم ١٤٠٤هـ١٩٨٤م.

(٣) يقول : كأن الرطب من قلوب الطير وماجاءت به العقاب حديثاً العناب وهو الزفيزف وكان مايبس منها وقدم الحشف وهو بالي التمر ودنيه وتقدير البيت كأن قلوب الطير رطبة العناب وكأنها يابسة الحشف البالي وإنما خص قلوب الطير لأنها أطيب لحوماً فاذا صادت العقاب الطير جاءت بقلوبها الى فراخها وأشار بقوله رطباً ويابساً الى كثرة ماتأتي به من القلوب حتى تفصل عن الفراخ، وقد قيل إن الجوارح لاتأكل قلوب الطير ولاسائر حشوة بطونها -أهـ ديوان امرئ القيس وشرحه للشنتمري (ص ١٢٢) طبعة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.

الثاني أنفسهم بأصحاب الصيب وإيمانهم المشوب بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات رعد وبرق وإن كان نافعاً في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضرراً، وكذلك إظهار الإيمان لاينفع مع إبطان الكفر، وتماديهم في الغي والإعراض عن الهدى بجعل الأصابع في الآذان من الصاعق حذر الموت لأنهم في إعراضهم عن الحق وتصاممهم من استماعه بمنزلة من يسمع الصاعقة فخاف الهلاك، وتحيرهم لشدة الأمر وجهلهم لما يؤتون ويذرون بأنهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع خوف أن يخطف أبصارهم فخطوا خطاً يسيرة ثم إذا خفي وفتر لمعانه بقوا[متقيدين][1] لاحراك لهم، وقيل شبه دين الإسلام الذي به الحياة الأبدية بالصيب الذي به حياة الأرض، ومافيه من الظلمات بما في إسلامهم من إبطان الكفر، ومافيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق ومايصيب الكفرة من الإفزاع والبلايا[والفتن][2] من جهة أهل الإسلام بالصواعق. [ تنبيه ] [3] وذهب أكثر المفسرين[4] وابن جرير[5] إلى أن هذين المثلين مضروبان لصنف واحد من المنافقين وأو في

---

(١) في النسخة ب [متعذرين].

(٢) في النسخة ب [والفتن] .

(٣) في النسخة ب [تنبيها] والصواب مافي أ.

(٤) على أنها في الآية الاولى«مثلهم كمثل» في المنافقين أولاً وأخيراً كما جاء في تفسير الطبري عن قتادة (٣٢٣/١) ومجاهد (٣٢٣/١) والضحاك.

وعلى أنها فيمن آمنوا ثم كفروا عن ابن عباس وابن مسعود انظر تفسير الطبري (٣٢٢/١) أما الآية الثانية«أو كصيب من السماء» فقد ذهب ابن عباس أنها في المنافقين أولاً وأخيراً(٣٤٨/١،٣٤٩) أما الضحاك فقد ذهب أن البرق الإيمان والظلمات الضلال انظر (٣٥١/١) من تفسير الطبري ومثله عبدالرحمن بن زيد انظر (٣٥١/١) تفسير الطبري.

أما عطاء فقد ذهب أنها مثل للكافر انظر (٣٥١/١) من تفسير الطبري.

(٥) ترجيح ابن جرير في تفسيره هو أن الآية الأولى في المنافقين أولاً وأخيراً انظر التفسير(٣٢٤/١-٣٢٥) وترجيح ابن جرير في المثال الثاني أنه في نفاق المنافقين أولاً وأخيراً انظر (٣٥٢/١-٣٥٣) ولم يسبق لهم إيمان عنده.

قوله:«أو كصيب» إما للتساوي أو للتخيير أو بمعنى الواو كما تقدم، وذهب ابن كثير في تفسيره إلى أن المثل الآخر ضربه الله تعالى لضرب آخر من المنافقين؛ وهم قوم يظهر لهم الحق تارة ويشكون تارة أخرى فقلوبهم في حال شكهم وكفرهم وترددهم كصيب[1]، ثم قال: فإذا تقرر هذا صار الناس أقساماً: مؤمنون خلص وهم الموصوفون بالآيات الأربع في أول البقرة، وكفار خلص وهم الموصوفون بالآيتين بعدها، ومنافقون وهم قسمان؛ خلص وهم المضروب لهم المثل الناري ومنافقون يترددون تارة يظهر لهم لمع من الإيمان وتارة يخبو وهم أصحاب المثل المائي وهم أخف حالاً من الذين قبلهم[2]. وهذا المقام يشبه من بعض الوجوه ماذكر في سورة النور من ضرب مثل المؤمن ماجعل الله في قلبه من الهدى والنور بالمصباح في الزجاجة التي كأنها كوكب دري وهي قلب المؤمن المفطور على الإيمان واستمداده من الشريعة الخالصة الصافية الواصلة إليه من غير كدر ولاتخليط كما سيأتي تقريره في موضعه إن شاء الله تعالى، ثم ضرب مثل العباد من الكفرة الذين يعتقدون أنهم على شيء وليسوا على شيء. وهم أصحاب الجهل المركب في قوله تعالى:(والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً)[3] الآية، ثم ضرب مثل الكفار الجهال الجهل البسيط[4] وهم الذين قال فيهم(أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)[5]، فقسم الكفار الى قسمين داعية ومقلد كما ذكرهما في أول سورة الحج ( ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولاهدى ولاكتاب منير) [6] قال: ( ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان

---

(١) تفسير ابن كثير (١/٥٨).

(٢) تفسير ابن كثير (١/٥٩).

(٣) الآية ٣٩ من سورة النور.

(٤) لكن لايوصف هذا الجهل بالبسيط فيمكن أن تقول«الجهل الأقل من الماضي».

(٥) الآية ٤٠ من سورة النور.

(٦) الآية ٨ من سورة الحج والآية ٢٠ من سورة لقمان.

مريد)[1] وقد قسم تعالى المؤمنين في أول سورة الواقعة وآخرها وفي سورة الإنسان الى قسمين:سابقون وهم المقربون[2] وأصحاب اليمين[3] وهم الأبرار[4] فنخلص من مجموع هذه الآيات الكريمات أن المؤمنين صنفان مقربون وأبرار، وأن [الكافرون][5] صنفان دعاة ومقلدون، وأن المنافقين أيضاً صنفان منافق خالص ومنافق فيه شعبة من نفاق كما جاء في الصحيحين[6]عن عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:(ثلاث من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه واحدة كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان» استدلوا به على أن الإنسان قد يكون فيه

(١) الآية ٣ من سورة الحج.

(٢) بقوله تعالى:(السابقون السابقون أولئك المقربون) الآية (١٠-١١) من سورة الواقعة.

(٣) بقوله تعالى:(وأصحاب اليمين ماأصحاب اليمين) الآية ٢٧ من سورة الواقعة وقال تعالى في أواخر الواقعة:(فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين) الآيات من الآية ٨٨-٩١.

(٤) قال تعالى:(إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا) الآية ٥ من سورة الإنسان.

(٥) في النسخة بـ[الكفار] وهو الصواب لان«الكافرون» اسم إن منصوب ويلزم كتابتها الكافرين.

(٦) أما في البخاري عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:«أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» صحيح البخاري في فتح الباري(١/١١١/رقم٣٤) ورواه مسلم بلفظ«أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر» صحيح مسلم في شرح النووي (٢/٤٦) ورواه الترمذي بنحو رواية مسلم سنن الترمذي في تحفة الأحوذي (٧/٣٢٢/رقم٢٧٦٨) قال وإنما معنى هذا عند أهل العلم نفاق العمل -أهـ ورواه النسائي بنحو رواية مسلم، وللنسائي لفظ آخر ولكن بغير رواية عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل موقوف إذ قال النسائي: عن أبي وائل قال: قال عبدالله: «ثلاث من كن فيه فهو منافق إذا حدث كذب وإذا ائتمن خان وإذا عد أخلف فمن كانت فيه واحدة منهن لم تزل فيه خصلة من النفاق حتى يتركها» -أهـ من سنن النسائي(٨/١١٦- ١١٧).

شعبة من إيمان وشعبة من نفاق، وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:«القلوب ثلاثة قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، وقلب أغلف مربوط على غلافه، وقلب مصفح: فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن فسراجه فيه نوره وأما القلب الأغلف فقلب الكافر عرف ثم أنكر، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق، ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم فأي المدتين غلبت على الأخرى غلب عليه» رواه أحمد[1] بسند جيد[2] والله سبحانه تعالى أعلم. لما ابتدأ الله تعالى بذكر الكتاب وبين أن الناس فيه على ثلاث فرق مؤمن به وكافر ومنافق أقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هنا للسامع تنشيطاً له واهتماماً بأمر العبادة وتفخيماً لشأنها فقال عز من قائل:

(٢١) ﴿يأيها الناس اعبدوا ربكم﴾ قال ابن عباس [3] والحسن[4] إن كل شيء نزل فيه (يأيها الناس) فهو خطاب لأهل مكة.

---

(١) جاء في مسند أحمد حديث«القلوب أربعة قلب أجرد..» (١٧/٣) وقال عنه الهيثمي، رواه أحمد والطبراني في الصغير وفي إسناده ليث بن أبي سليم مجمع الزوائد (٦٣/١).

(٢) وابن كثير أورد الحديث به لفظ«القلوب أربعة» (٥٧/١) وقال عن إسناده:«وهذا إسناد جيد حسن» لكن السند الذي ذكره الإمام أحمد وابن كثير عن الإمام أحمد فيه ليث بن أبي سليم وقال فيه صاحب تقريب التهذيب:«الليث بن أبي سليم بن زنيم، بالزاي، والنون، مصغر واسم أبيه أيمن، وقيل أنس، وقيل غير ذلك، صدوق اختلط جداً ولم يتميز حديثه فترك، وهو عند البخاري في معلقاته وهو عند مسلم وأصحاب السنن الأربعة» -أهـ باختصار (صفحة ٤٦٤). قال الذهبي:«قال أحمد مضطرب الحديث، ولكن حدث عنه الناس. وقال يحيى والنسائي: ضعيف. وقال ابن معين أيضاً: اختلط في آخر عمره وقال أبو بكر بن عياش: كان ليث من أكثر الناس صلاة وصياماً، وإذا وقع على شيء لم يرده» من ميزان الإعتدال (٤٢٠/٣).

(٣) البحر المحيط (٩٤/١).

(٤) لكن الرازي قال في تفسيره (٨٢/٢): حكي عن علقمة والحسن أنه قال: كل شيء في القرآن (يأيها الناس) فإنه مكي وماكان(يأيها الذين آمنوا) فبالمدينة. أهـ والمعروف أن سورة البقرة مدنية. فجاء الخبر عن الحسن بصيغة التضعيف في تفسير الرازي.

و(ياأيها الذين آمنوا) فهو خطاب لأهل المدينة، وهو ههنا خطاب عام في كل مكلف؛ لأن الجموع وأسماءها المحلاة باللام للعموم حيث لاعهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها. والتوكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى(فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس)[1] واستدلال الصحابةرضي الله عنهم بعمومها شائعاً ذائعاً[2] فالناس يعم الموجود من وقت النزول ومن [سيوجد][3] لماتواتر من دينه صلى الله عليه وآله وسلم أن مقتضى خطابه وأحكامه شامل للفريقين ثابت إلى يوم القيامة إلاَّ ماخصه الدليل، ومارووي عن ابن عباس والحسن أن كل شيء نزل فيه ياأيها الناس فهو خطاب لأهل مكة الخ فلايوجب تخصيصه بالكفار، وقوله(اعبدوا ربكم) تذللوا له وتقربوا إليه[4] بالعبادة قال ابن عباس: كلما ورد في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد لربكم[5]، وياحرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلاً له منزلة البعيد إما لتعظيمه كقول الداعي: يارب ويالله وهو أقرب إليه من حبل الوريد أو لغفلته وسوء فهمه وإن قرب تنزيلاً له منزلة من بعد، أو للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه، وحرف النداء مع المنادى جملة مفيدة لأنه نائب مناب فعل، وأي جعلت وصله إلى نداء مافيه الألف اللام لأن إدخال ياعليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي تعريف.

وأما قول الشاعر: فيا الغلامان اللذان فرا إياكما أن تكسباني شراً[6]

---

(١) الآية ٣٠ من سورة الحجر.

(٢) الصواب أن يقول شائع ذائع.

(٣) في النسخة ب [يستوجد].

(٤) قد سبق بيان معنى العبادة في تفسير الفاتحة عند قوله تعالى:(إياك نعبد).

(٥) تفسير البغوي (٥١/١) قال ابن جرير رحمه الله تعالى:«والذي أراد ابن عباس -إن شاء الله- بقوله في تأويل قوله:«اعبدوا ربكم) وحدوه، أي أفردوا الطاعة والعبادة لربكم دون سائر خلقه.

تفسير الطبري (٣٦٣/١).

(٦) البيت في شرح ابن عقيل (١٤٣/٣) - ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية -لكن ذكر كلمة[تعقبانا] عوضاً عن كلمة «تكسباني».

أما قائل هذا البيت فغير معروف كما قال المعلقون الثلاثة على شرح ابن عقيل،عاصم بهجت البيطار

وقوله : عباس يالملك المتوج الذي  عرفت له بيت العلا عدنان[1]

فشاذ. وأعطى حكم المنادى وأجرى عليه ذي اللام المقصود بالنداء وصفاً موضحاً التزم رفعه إشعاراً بأنه المقصود وهذا هو المختار عند المحققين وإليه يشير كلام ابن الحاجب في كافيته حيث قال: والتزموا رفع الرجل لأنه المقصود بالنداء وأقحمت هاء التنبيه تأكيداً وتعويضاً عما يستحقه أي المضاف إليه. قال جار الله: فإن قلت لم كثر في كتاب الله النداء على هذه الطريقة قلت: لاستقلاله بأوجه من التأكيد وأسباب من المبالغة لأن كلما نادى الله له عباده من أوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده واقتصاص أخبار الأمم الدارجة عليهم وغير ذلك مما نطق به كتابه أمور عظام، وخطوب جسام، ومعان عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها، وهم عنها غافلون فاقتضت الحال أن ينادَوا بالآكد[2] الأبلغ ﴿الذي خلقكم﴾ صفة جرت عليه تعالى لمجرد الثناء والتعظيم إن كان الخطاب عاماً ويحتمل التقييد والتوضيح إن خص الخطاب بالمشركين. وأريد بالرب الاسم المشترك فيه رب السماوات والارض سبحانه وتعالى والأصنام التي كانا يسمونها أرباباً[3] والخلق اختراع الشيء على غير مثال سبق [4] ﴿والذين من قبلكم﴾ في محل نصب عطف على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة أخرجت مخرج المقرر عندهم إما

وعبدالفتاح الغندور وحسن عبده الرمسي». بنفس الطبعة والصفحة في شرح ابن عقيل. وجاء البيت في كتاب الإيضاح شرح المفصل لأبي عمرو عثمان بن عمرو المعروف بابن الحاجب النحوي(٢٧٥/١) ولم أقف على قائله ط مطبعة العاني -بغداد.

(١) لم أقف على قائله وجاء البيت بلا نسبة في همع الهوامع للسيوطي (٤٧/٣) تحقيق عبدالعال مكرم-نشر جامعة الكويت.

(٢) الكشاف (٢٢٦/١).

(٣) لكنها في الآية خاصة بالله لقوله تعالى(ربكم الذي خلقكم).

(٤) لكن قال الإمام الشوكاني رحمه الله:(وفي أصل معنى الخلق وجهان: أحدهما التقدير، يقال: خلقت الاديم للسقاء إذا قدرته قبل القطع قال زهير:

ولانت تفري ماخلقت وبعـ  ـض القوم يخلق ثم لايفري

الثاني: الإنشاء والاختراع والإبداع -أهـ فتح القدير (٥٠/١).

لاعترافهم به كما قال تعالى:(ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله)[1] أو لتمكنهم من العلم به بأدنى نظر قوله﴿ **لعلكم تتقون** ﴾ حال من الضمير في اعبدوا كأنه قال اعبدوا ربكم راجين أن تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح، ولعل هنا للترجي بالنسبة إلى المخاطبين أي؛ افعلوا ذلك راجين لأنه لايجوز أن يحمل على رجاء الله تقواهم، لأن الرجاء لايجوز على عالم الغيب والشهادة. وقيل هي بمعنى كي تعليل للخلق أي خلقكم لكي تتقوا كما قال تعالى:(وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)[2] وغلَّب المخاطبين على الغائبين في اللفظ. والمعنى على إرادتهم جميعا[3]، لما ذكر الله سبحانه تعالى الاحتجاج على المكلفين بخلقهم أحياء قادرين لأنه سابقة أصول النعم ومقدماتها السبب في التمكن من العبادة والشكر وغيرهما، عقب ذلك بذكر الأرض والسماء تنبيهاً على مافيهما من عجيب خلقه ولطيف صنعه، والتنبيه على النعمة ليكون لهم ذلك دليلاً[ومعتبرا] [4] إلى النظر الموصل إلى التوحيد والاعتراف بنعمه، فيقابلوها بموجب الشكر، ويتفكروا في خلق أنفسهم وخلق مافوقهم وتحتهم وأن أشياءً من هذه المخلوقات كلها لاتقدر على إيجاد شيء منها فيتيقنوا عند ذلك أن لابد لها من خالق ليس كمثله شيء فقال عز من قائل:

**(٢٢)** ﴿ **الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء** ﴾ يعني بساطاً ساكناً دائم

---

(١) الآية ٨٧ من سورة الزخرف.

(٢) الآية ٥٦ من سورة الذاريات.

(٣) قال الإمام ناصر الدين أحمد الأسكندري المالكي رحمه الله:

«الصحيح والسنة أن الله تعالى أراد من كل أحد ماوقع منه خير وغيره، ولكن طلب الخير والتقوي منهم أجمعين، والطلب والأمر عند أهل السنة مباين للإرادة، ألهمنا الله صواب القول وسداده» -أهـ في الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال (١/٢٣٠).

(٤) في النسخة ب [متعبراً] والصواب ماكان في أ.

السكن ليمكنكم التصرف عليه وقرأ يزيد الشامي[1]، (الذي جعل لكم الأرض بساطاً)[2] وقرأ طلحة[3] مهادا[4] والسماء بناءٌ يعني مضروبة عليكم.. هامش[وروى ابن جرير[5] وابن أبي حاتم[6] عن ابن مسعود وأناس من الصحابة

---

(١) هو يزيد بن قرة أبو خالد الحضرمي الشامي، روى حروف الحمصيين عن شريح بن يزيد، روى الحروف عنه أحمد بن حماد القاضي وسمع منه عبدالله بن أبي داود -أهـ غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد الجزري المتوفي سنة ٨٣٣هـ -دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م عني بنشره: ج. برجترا سر- (٣٨٢/٢).

(٢) الكشاف (٢٣٤/١) والبحر المحيط (٩٧/١) وهي قراءة شاذة.

(٣) والقارئ هو طلحة بن عبدالله: الشيخ الإمام المجود النحوي علم الدين الحلبي شيخ القراء في حلب. ولد سنة نيف وستين وستمائة وقدم علينا سنة اثنتين وتسعين فبحث مدة على الشيخ مجد الدين في القصيرة.

ثم ارتحل الى الشيخ موفق الدين محمد بن أبي العلا، فقرأ عليه ببعلبك القراءات، وقرأ على غيره ومهر في القراءات والعربية وتخرج به جماعة ببلده، توفي في وسط سنة خمس عشرين وسبعمائة، أهـ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي الطبعة الثامنة عشرة رقم ١٢(٥٧٩/٢) ط دار التأليف بمصر ١٩٦٩.

(٤) الكشاف (٢٣٤/١) والبحر المحيط (٩٧/١) وهي قراءة شاذة.

(٥) قال ابن جرير حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السدي في خبر ذكره، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم:«الذي جعل لكم الأرض فراشاً» فهي فراش يمشى عليها، وهي المهاد والقرار تفسير الطبري (٣٦٥/١) والتتمه بنحوه (٣٦٧/١) قد وضحنا قبول هذا السند.

(٦) ورد في تفسير ابن ابي حاتم بلفظ: حدثنا أبو زرعة حدثنا عمر بن حماد حدثنا اسباب عن السدي (الذي جعل لكم الأرض فراشاً) أما فراشاً فهي فراش يمشى عليها وهي المهاد والقرار(٧٨/١/رقم٢٢٣) وبنفس السند عن السدي (والسماء بناءً) اما السماء وبناءً فبناء السماء

رضي الله عنهم في قوله : ( الذي جعل لكم الأرض فراشاً ) ، أي تمشون عليها وهي المهاد والقرار ، ( والسماء بناءً ) ، قال: كهيئة القبة وهو سقف الأرض . صح أصل انتهى هامش.

والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم، والبناء مصدر سمي به المبني بيتاً كان أو قبة أو خباءً، ومنه قولهم بنى على امرأته لانه كان إذا تزوج الرجل امرأة ضرب عليها خباء جديداً، والموصول مع صلته إما أن يكون في محل نصب وصفاً ثانياً لربكم، وأجاز أبو البقاء أن يكون بدلاً منه[1] وجوز مكي نصبه بإضمار أعني، وهو مردود، وجوز أيضاً نصبه مفعول تتقوا وهو ركيك[2]، وإما في محل رفع خبر مبتدأ محذوف أي هو الذي جعل، والقطع فيه جائز لأنه صفة مدح، ويجوز أن يكون مبتدأ أو خبر فلا تجعلوا، وجعل يتحمل أن تكون بمعنى صير فمفعولاه الأرض وفراشاً وبمعنى خلق يكون فراشاً وبناءً حالين والله سبحانه وتعالى أعلم﴿**وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم**﴾عطف على جعل، وخروج الثمار بقدرة الله تعالى ومشيئته ولكن جعل سبحانه وتعالى الماء الممزوج بالتراب سبباً في إخراجها ومادة لها كالنطفة في الحيوان بأن أجرى عادته بإفاضة صورها وكيفيتها على المادة الممزوجة منها وأبدع في الماء قوة فاعلة وفي الأرض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما أنواع الثمار[3]، وهو تعالى قادر على أن

---

على الارض كهيئة القبة وهي سقف على الارض وروى عن قتادة بنحو ذلك (١/٧٩/رقم٢٢٥) ضمن مامر يعلم أن ابن ابي حاتم لم يروه عن ابن مسعود مباشرة وإنما ذكره عن السدي لكن السدي أخذه عن مرة الهمداني عن ابن مسعود كما جاء عند الطبري(١/٣٦٧).

(١) إملاء مامن به الرحمن (صفحة ٢٠).

(٢) انظر تفسير ابن عطية (١/١٩١).

(٣) قال الله تعالى (فأخرج به) فالمخرج الحقيقي هو الله تعالى فالفاعل الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى قال الله تعالى (والله خلقكم وماتعملون) ويحتمل أن تكون مافي الآية هذه مصدرية فيكون تقدير الكلام خلقكم وعملكم، ويحتمل أن تكون بمعنى الذي تقديره والله خلقكم والذي تعملونه. وكلا القولين متلازمان والاول أظهر كما رواه البخاري في كتاب أفعال العباد عن علي المديني عن

يوجد الأشياء كلها بلا أسباب ومواد كما أبدع نفوس الأسباب والمواد لكن في اتحاد الأشياء مدرّجاً لها من حال إلى حال، ونقلاً من مرتبة إلى مرتبة حكماً ودواعي[1] تجدد فيها لأولي الأبصار من عباد الله عبراً وافتكاراً وزيادة طمأنينة وسكون إلى عظيم قدرته وغريب حكمته ليس في ايجادها دفعة من غير ترتيب وتدريج. ومن في(من السماء) لابتداء الغاية سواء أريد بالسماء السحاب فإن ماعلاك سماء، أو الفلك فإن المطر يبتدئ من السماء إلى السحاب ومنه إلى الأرض[2]، وتتعلق بأنزل[أو بمحذوف][3] فيكون في محل نصب على الحال من ماء لانه نعت له لو تأخر[4] [فلما] قدم صار حالاً، وماء أصله موه لقولهم في جمعه أمواه وفي تصغيره مويه ثم قلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ماقبلها فقيل ماه ثم أبدلوا من الهاء همزة وليس بقياس. ويحد الماء بأنه جوهر سيال به قوام الحيوان، وقيل هو جوهر رطب يلزمه اعتماد سفلي، وفي حده نظر لأن الغرض بالتحديد التعريف، وكل شيء يحد به الماء فالماء أعرف وأشهر[5]، والباء في به سببية،والهاء عائدة على الماء.

---

حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً قال:«إن الله تعالى يصنع كل صانع وصنعته» معنى الآية الأخيرة في تفسير ابن كثير (٤/١٥-١٦).

الآية رقم ٩٦ من سورة الصافات والدليل الثاني قوله تعالى:(فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى) (١٧: الانفال) فهذه الآية صريحة في أن الله هو صاحب الفعل في هذا القتل وهذا الرمي -وبناءً على ماتقدم لايصح القول بالقوة المودعة في علم التوحيد المستفاد من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فالذي أخرج الثمرات حقيقة هو الله بلفظ الآية(أخرج) وكلمه (به) للهاء الضمير والتي ترجع للماء جاءت مجازاً قال ذلك أبو حيان رحمه الله في تفسيره البحر المحيط (١/٩٨).

(١) كان عليه أن يقول ودواع لأنه اسم منقوص نكرة مرفوع.

(٢) دليل على نزول المطر من السماء إلى السحاب في نص الآية (وأنزل من السماء ماء) فهذا القول مردود والله أعلم لانه لاحجة له.

(٣) في النسخة بـ[المحذوف] والصحيح مافي أ لأن أنزل ليست المحذوف.

(٤) في النسخة بـ[فلم].

(٥) الملاحظ أن الإمام الكوكباني رحمه الله تعالى عرف حده ثم توقف بالامر للاشتهار أما الماء في العلم الحديث، فقد عرف الماء بأنه تركيب كيماوي من الهيدروجين والاوكسجين بنسب معينة منهما تم الاتحاد بينهما $H_2O$.

ومن في قوله تعالى(من الثمرات) للتبعيض، قال جار الله: شهادة قوله تعالى(فأخرجنا به من كل الثمرات)[1] ولأن المُنكَّرين أعني: ماءً ورزقاً يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية. فكأنه قيل: وأنزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا به بعض الثمرات لتكون رزقكم، هذا هو المطابق لصحة المعنى لانه لم ينزل من السماء الماء كله[2]، ولاخرج بالمطر جميع الثمرات[3]، ولاجعل الرزق كله في الثمرات، ويجوز أن تكون للبيان كقولك أنفقت من الدراهم ألفاً [وأل][4] في الثمرات لتعريف الجنس، وجمع لاختلاف أنواعه، وذهب جار الله إلى أن الثمرات جمع قلة، وموضع الثمار جمع كثرة، عكس قروءٍ لأن الجموع يقع بعضها موقع بعض لالتقائها في الجمعية[5]. واعترض بأن ال للعموم فيفيد الثمرات مايفيد الثمار ولا[حاجة][6] إلى ارتكاب وضع جمع موضع آخر ومن رد على من انتقد على حسان رضي الله عنه في قوله:

لنا الجَفَناتُ الغرُّيلمعْنَ في الضُّحى  وأسيافُنا يَقْطُرْنَ من نجدةٍ دما[7]

حيث قال: إن الجفنات وأسيافنا جمع قلة فكان حقه الجفان والسيوف بأن الأول معرف بأل فيعم والثاني بالإضافة فيعم. قلت وقد ذكر جار الله رحمه الله تعالى قبل هذا وجهاً آخر هو أن المراد بالثمرات جمع ثمرة والمراد بها الثمار في قولهم: أدركت ثمرة

(١) الآية ٥٧ من سورة الاعراف.

(٢) (٣) : وأصدق دليل على ذلك في عصرنا تحلية مياه البحر ثم استخدامه في الزراعة وهي ليست من مطر السحاب وصادق هذا مافي القرآن الكريم والله أعلم ورحم الله شيخنا الكوكباني لالتصاقه بألفاظ الآية كلمة كلمة لإعطاء معنى الآية لذلك لم تزل به القدم ولاخالف ماقاله العلم الحديث.

(٤) في النسخة ب[وقال] والصواب ما في أ.

(٥) انظر الكشاف (٢٣٥/١). إلا أن جار الله لم يقل عكس قروء وإنما قال: كقوله-و- ثلاثة قروء.

(٦) في النسخة ب [حد].

(٧) جاء البيت بلفظ (بالضحى) بدل(في الضحى) في ديوان حسان بن ثابت والجفنات: القصاع، والغر: البيض من كثرة الشحم وبياض اللحم. يصف حسان قومه بالندى والبأس يقول: جفاننا معدة للأضياف وسيوفنا تقطر دماً لكثرة ممارستنا للحروب.. انظر شرح ديوان حسان بن ثابت لعبد الرحمن البرقوقي ص٤٢٧ طبعة دار الأندلس بيروت١٩٧٨- وجاء البيت بلفظ ديوان حسان بنسبة في الكامل(٧٢٤/٢)-ط مؤسسة الرسالة-.

بستانه أي ثماره. ورجحه بقراءة من قرأ هنا من الثمرة على التوحيد[1]، إذ المراد بها الثمار[2] والله أعلم.

وإنتصاب رزقاً مفعول أخرج إن كان من الثمرات متعلقاً بأخرج وإن كان من الثمرات في محل مفعول به فرزقاً حال إن أريد به المرزوق، أو مفعول له إن أريد به المصدر، ولكم صفة رزقاً إن أريد به المرزوق أو مفعول إن جعل مصدراً كأنه قيل رزقاً أعطاه إياكم.

﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾ أي: لاتصيروا ولاتسموا فيكون متعدياً إلى مفعولين وهما: لله وأنداداً. ولا: للنهي وهو متعلق بالأمر أي اعبدوا ربكم فلاتجعلوا له أنداداً. أو بلعل أي خلقكم لكي تتقوا تخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه. وتكون لا للنفي وتجعلوا منصوب جواب لعل كنصب فَأَطَّلِعَ في وقوله تعالى:«لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى»[3] وفي رواية حفص عن عاصم أو بالذي جعل لكم إذا رفعته على الإبتداء وتكون لا للنهي ووقوع النهي خبر على تأويل مقول فيه لاتجعلوا لله أنداداً والفاء للسببية دخلت [عليه][4] لتضمين المبتدأ معنى الشرط. والمعنى من خصكم بهذه النعم الجسام والآيات العظام ينبغي أن لايشرك به، والأنداد جمع ند، والند المثل. قال جار الله: ولايقال إلا للمثل المخالف المناوئ قال جرير:

أتيماً تجعلون إلي نداً  ومايتم[5] لذي حسب نديد[6]

---

(١) قراءة محمد بن السميفع «من ثمرة» -الكشاف (٢٣٥/١).

(٢) انظر الكشاف (٢٣٥/١).

(٣) الآية ٣٦ من سورة غافر.

(٤) في النسخة ب[عليهم].

(٥) في الكشاف ومانيم وفي ديوان جرير وهل تيم ومافي المخطوط أ و ب لايناسب وزن البيت.

(٦) الكشاف (٢٣٧/١) وجاء في الأغاني(٩٥/١٤) ط دار الفكر وجاء في ديوانه بلفظ

أتيم تجعلون إلي ندا  وهل تيم لذي حسب نديد

النديد: الشبيه يقال فلان ند فلان إذا كان شبيهاً به. وفي نسخة: أتيماً -أهـ شرح ديوان جرير صفحة ٦٤ تأليف محمد إسماعيل عبدالله الصاوي -ط منشورات دار مكتبة الحياة بيروت.

ونادت الرجل خالفته ونافرته وفسره ابن عطية بالمضاهي كان مثلاً أو خلافاً أو ضداً[1] [وروى ابن جرير[2] وابن أبي حاتم[3] عن ابن عباس في قوله تعالى:(فلاتجعلوا لله أنداداً) قال أشباهاً، وروى الطستي[4] عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق قال له: أخبرني عن قوله عز وجل(أنداداً) قال: الأشباه والأمثال قال: وهل تعرف العرب ذلك قال:نعم أما سمعت قول لبيد[5] شعراً:

أحمد الله فلا ند له  بيديه الخير ماشاء فعل[6]

---

(١) تفسير ابن عطية (١٩٢/١) إذ قال رحمه الله تعالى:واحد الأنداد: ند. وهو المقاوم والمضاهي كان مثلاً أو خلافاً أو ضداً ومن حيث قاوم وضاهى فقد حصلت مماثلة له -أهـ وكلمة«نادت» في نفس العبارة السابقة لاتناسب وزن فَاعَلَ والصواب ماجاء في اللسان: ناددت فلاناً إذا خالفة -أهـ مادة نده

(٢) تفسير الطبري (٣٦٩/١) وهذه رواية عن الضحاك عن ابن عباس وقد أشرنا لضعفها.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٢٢٩/٨١/١).

(٤) اسمه أبو الحسن عبدالصمد بن علي بن محمد بن مكرم المعروف بابن الطستي هذا ماجاء في السند من جلال الدين السيوطي إلى راوي الحوار بين الطرفين انظر الإتقان(١٥٨/١).

(٥) هو لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري: أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية من أهل عالية نجد. أدرك الإسلام، وفد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعد من الصحابة، ومن المؤلفة قلوبهم، وترك الشعر، فلم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً، وسكن الكوفة، وعاش عمراً طويلاً وهو أحد أصحاب المعلقات. وكان كريماً: نذر أن لاتهب الصبا إلا نحر وأطعم جمع بعض شعره في ديوان مطبوع صغير -أهـ بتصرف من الاعلام (٢٤٠/٥) ومن الإصابة هي تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني رحمه الله (٧٥٤٣/٣٠٧/٣).

(٦) انظر الدر المنثور (٨٧/١-٨٨) وانظر الإتقان(١٦٢/١) علماً أن جلال الدين السيوطي أورد الأبيات في مسائلة نافع لابن عباس بسنده (١٥٧/١-١٧٥) وانظر شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري للدكتور إحسان عباس ص(٣٦) -ط التراث العربي الكويت ١٩٦٢م-.

وروى عبد بن حميد عن قتادة في قوله(انداداً) قال: شركاء[1] وروى ابن جرير عن قتادة في قوله تعالى:(فلاتجعلوا لله أنداداً) أي عدلاء[2]. وأنتم تعلمون أن الله خلقكم وخلق السموات والأرض. صح أصل وبعده قوله: وأنتم تعلمون»] انتهى هامش.

﴿وأنتم تعلمون﴾ مبتدأ وخبر في موضع الحال من ضمير تجعلوا[3]. ومفعول تعلمون مطروح[4] أي: والحال أنكم من أهل العلم والنظر وإصابة الرأي، فلو تأملتم أدنى تأمل اضطركم عقلكم إلى إثبات موجد للممكنات متفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات.

أو منوي أي وأنتم تعلمون بطلان ذلك. أو تعلمون مابينه وبينها من التفاوت.

أو تعلمون أنها لاتفعل مثل فعله كقوله عز وجل(هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء)[5] وقال مجاهد: (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) أنه إله واحد في التوراة والإنجيل[6] عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم«أي الذنب أعظم» ؟ قال:«أن تجعل لله نداً وهو خلقك» قلت:«إن ذلك لعظيم» قلت: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك» قلت:ثم أي؟ قال:أن«تزاني حليلة جارك» رواه البخاري[7] ومسلم[8] وكذلك حديث معاذ«أتدري ماحق الله على عباده أن يعبدوه لايشركوا به

---

(١) الدر المنثور (٨٨/١).

(٢) تفسير الطبري (٣٦٨/١).

(٣) (٤) إملاء مامن به الرحمن (صفحة ٣١).

(٥) الآية ٤٠ من سورة الروم.

(٦) الدر المنثور (٨٩/١).

(٧) رواه البخاري بنحوه في شرح فتح الباري (٤٤٧٧/١٣/١) ط المكتبة السلفية.

(٨) بنحوه. انظر صحيح مسلم في شرح النووي(٧٩/٢-٨٠) ورواه النسائي في سننه بنحوه (٨٩/٧-٩٠).

ورواه أبو داود في سننه بنحو (٣٠٣/٢-٣٠٤/رقم٢٣١٠).

شيئاً» الحديث[1]. وعن الحارث الاشعري[2] رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:«إن الله أوحى إلى يحيى بن زكريا عليهما السلام[بخمس] كلمات أن يعمل بهن ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن فكأنه أبطأ بهن، فأتاه عيسى عليه السلام فقال: إن الله أمرك بخمس كلمات أن تعمل بهن وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن فإما أن تخبرهم، وإما أن أخبرهم فقال: ياأخي لاتفعل فإني أخاف إن سبقتني بهن أن يخسف بي أو أعذب قال: فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد ، وقعد أعلى الشرفات فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله أوحى إلي بخمس كلمات أن أعمل بهن وأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن أوّلهن: أن تعبدوا الله لاتشركوا به شيئاً فإن مثل ذلك مثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بورق أو ذهب فجعل يعمل ويؤدي غلته إلى غير سيده فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك، وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولاتشركوا به شيئاً، وأمركم بالصلاة فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده مالم يلتفت فإذا صليتم فلا تلتفتوا، وأمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك، وأن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وأمركم بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو، فشدوا يديه إلى عنقه، وقدموه ليضربوا عنقه فقال لهم: هل لكم أن أفتدي نفسي منكم، فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه، وأمركم بذكر الله كثيراً وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو مسرعاً في أثره فأتى حصناً حصيناً فتحصن فيه وإن العبد أحصن مايكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله»

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في فتح الباري (٣٥٩-٣٦٠/رقم٧٣٧٣) بلفظ عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يامعاذ، أتدري ماحق الله على العباد؟ قال: الله ورسوله أعلم قال: أن يعبدوه ولايشركوا به شيئاً، أتدري ماحقهم عليه؟ قال الله ورسوله أعلم قال: أن لايعذبهم» -أهـ من صحيح البخاري في فتح الباري ورواه مسلم في صحيحه(٥٩/١) بنحوه.

(٢) قال الترمذي رحمه الله قال محمد بن إسماعيل -يعني البخاري- الحارث الأشعري له صحبة وله غير هذا الحديث -أهـ سنن الترمذي في تحفة الأحوذي (١٣٢/٨).

رواه احمد[١] والترمذي[٢] والنساني لبعضه[٣] وابن خزيمة في صحيحه[٤] وابن حبان في صحيحه[٥] والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين[٦] وقال الترمذي: حديث حسن صحيح[٧] والدليل منه قوله وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولاتشركوا به شيئاً، وهذه الآية دالة على التوحيد وقد استدل بها كثير من المفسرين كالرازي[٨] وغيره[٩] على وجود الصانع سبحانه تعالى وهي دالة على ذلك بطريق الاولى من تأمل الموجودات السفلية والعلوية واختلاف أشكالها وألوانها وطباعها ومنافعها يحكم بها على قدرة خالقها وحكمته وعلمه وإتقانه وعظيم سلطانه وعزته، كما قال بعض الاعراب وقد سئل ماالدليل على وجود الرب تعالى فقال سبحان الله إن البعرة لتدل على البعير، وإن أثر الأقدام لتدل على المسير فسماء ذات أبراج ،وأرض ذات أفجاج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير[١٠].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٣٠/٤) بنحوه. -ط المكتب الإسلامي بيروت.

(٢) رواه الترمذي بنحوه وفيه زيادة عن نص الكوكباني ودون زيادة(وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولاتشركوا به شيئاً) ولكن له زيادة«وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن..» وذكر الزيادة -أهـ سنن الترمذي في تحفة الاحوذي (١٢٩/٨-١٣٢).

(٣) في السنن الكبرى ببعضه انظر تحفة الاشراف (٣/٣/رقم ٣٢٧٤) وقد كان ذكر أن الترمذي قد رواه.

(٤) بنحوه (١٩٥/٣ -١٩٦/١٨٩٥).

(٥) في الإحسان (١٤/رقم٦٢٣٣) ولفظ أول الحديث«إن الله أمرني بخمس كلمات أعمل بهن».

(٦) رواه الحاكم في مستدركه في باب الصوم (٤٢١/١).

(٧) قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب -أهـ سنن الترمذي في تحفة الأحوذي (١٣٢/٨) .

(٨) تفسير الرازي (١١٣/١).

(٩) تفسير ابن كثير (٦٢/١) فله مقالة واسعة في ذلك من شعر ونثر رحمه الله تعالى.

(١٠) تفسير ابن كثير (٦١/١-٦٢).

(٢٣) ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله﴾ لما احتج سبحانه وتعالى للتوحيد عقبه بما هو الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو القرآن فقال(وإن كنتم في ريب) شك وتهمة مما نزلنا من القرآن على عبدنا يعني محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأتوا بسورة كائنة من مثل القرآن في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم والإخبار عن الغيوب، وهذا هو المختار، وهو قول مجاهد وقتادة وأكثر المفسرين، ونقله فخر الدين الرازي عن عمر وابن مسعود وابن عباس[١]. وقال بعضهم:فأتوا بسورة من مثله أي من مثل محمد صلى الله عليه وآله وسلم: يعني من رجل أمّي[٢] والأول أصح وقد تحداهم تعالى بهذا في غير موضع من القرآن فقال تعالى في سورة يونس (وماكان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين. أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين)[٣] وقال في سورة هود(أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين)[٤].

وقال تعالى في سورة سبحان(قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)[٥] وكل هذه الآيات مكية، ثم تحداهم بذلك أيضاً في المدينة[٦] فقال: في هذه الآية:(وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا

---

(١)،(٢) تفسير ابن كثير (٦٣/١).

(٣) الآية ٣٧ ، ٣٨ من سورة يونس .

(٤) الآية ١٣ من سورة هود .

(٥) الآية ٨٨ من سورة الإسراء.

(٦) وهذا الإيضاح من الإمام الكوكباني رحمه الله تعالى من الأهمية بمكان لأن التحدي كان والإسلام ليس له دولة والمؤمنين بمحنة، ثم جاء التحدي في المدينة وقت عز الإسلام ودولته وليس لقائل أن يقول: إن التحدي كان في زمن حكم الإسلام للجزيرة بل كان التحدي مكياً ومدنياً ولازال مستمراً يقرع آذان الكفرة ورؤوسهم بهذا التحدي السافر المكين الثقيل على أنفسهم.

بسورة من مثله» وإنما قال تعالى:(مما نزلنا) على لفظ التنزيل دون الإنزال؛ لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم، وكان نزوله نجوماً سورة بعد سورة وآية غبَّ آية على حسب الوقائع ولم ينزله الله تعالى من السماء إلى الدنيا جملة واحدة كما حكى عنهم فقال:(وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة)[1] وكأن الواجب تحديهم على هذا الوجه إزاحة للشبهه[وإلزاماً][2] للحجة، وأضاف العبد إليه تعالى تنويهاً بذكره وتنبيهاً على أنه مختص به منقاداً لحكمه[3] صلى الله عليه وآله وسلم، والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي أقلها ثلاث آيات، وهي وإن جعلت واوها أصلية منقولة من سور المدينة لأنَّها محيطة بطائفة من القرآن محدودة محوزة على حيالها محتومة على فنون من العلم احتواء سور المدينة على مافيها أو من السورة التي هي الرتبة قال النابغة[4]:

ولرهط حَرَّابٍ وقَدْ سورةً ... في المجدِ ليس غرابُها بِمُطارِ[5]

---

(١) الآية ٣٢ من سورة الفرقان .

(٢) في النسخة ب [والتزاماً] والصحيح ماجاء في أ.

(٣) المقصود أن الله تعالى اختص بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو انقاد لحكم الله تعالى وأمره صلى الله عليه وسلم.

(٤) النابغة ( – نحو ١٨ ق هـ = نحو ٦٠٤م) زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة: شاعر جاهلي، من الطبقة الاولى. من أهل الحجاز. وكان أبو عمر بن العلاء يفضله على سائر الشعراء. وهو أحد الأشراف في الجاهلية. كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. وكان الأعشى وحسان والخنساء يعرضون شعرهم على النابغة. شعره كثير جمع بعضه في ديوان مطبوع –أهـ من الاعلام باختصار (٣/٥٤-٥٥).

(٥) ذكر البيت للنابغة في لسان العرب مادة كلمة(سور)(٤/٣٨٥) ط دار صادر إلا أنه قال«ولآل» عوضاً عن«لرهط» والمعنى أن لهؤلاء أثر المجد وعلامته وارتفاعه ولايستطيع الغراب أن يصعد لمكانهم السامي.وورد في الديوان رقم (٧) باللفظ الأول قصيدة رقم(٥) قال المحقق في التعليق حراب وقد: رجلان من بني أسد والسورة المنزلة الرفيعة وقوله (ليس غرابها بمطار) أي شرفهم =

وقال : ألم ترَ أنَّ الله أعطاك سورةً ترى كل ملْكٍ دونها يتذبذب[1]

يريد شرفاً ومنزلة، لأن السورة بمنزلة المنازل والمراتب يرقى فيها القارئ أو لرفعة شأنها وشرف مَحلها، وإن جعلت واوها مبدلة من الهمزة فمن السورة التي هي البقية والقطعة من الشيء. لأنها قطعة وطائفة من القرآن الفائدة في تقطيع القرآن سوراً إفراد الأنواع لأن الجنس إذا انطوى تحته أنواع واحتمل على أصناف كان أحسن وأفخم من أن يكون شيئاً واحداً، وتنشيط القارئ تسهيل الحفظ والترغيب فيه فإنه إذا ختم سورة ثم أخذ في أخرى كان أنشط له وأهز لعطفه وأبعث على الدرس كالمسافر إذا علم أنه قطع ميلاً أو طوى بريداً، والحافظ إذا حذق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله حظاً تاماً وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ماحفظه، ويبتهج به إلى غير ذلك من الفوائد والمنافع ﴿وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ أي واستعينوا على ذلك بمن شئتم من دون الله والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر والقائم بالشهادة قال ابن عباس: شهداؤكم أعوانكم[2]، وقال السدي عن أبي مالك: شركاؤكم[3]،

---

= ثابت باقٍ وليس بزائل . أنظر ديوان النابغة الذبياني ص ٥٥ - ٥٦ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم طبعة دار المعارف بمصر.

(١) ذكر البيت للنابغة ابن منظور في لسان العرب مادة سور (٣٨٦/٤) ط دار صادر معناه كما قال اللسان: أعطاك رفعة وشرفاً ومنزلة والبيت في ديوان النابغة برقم (٩) من قصيدة في مدح النعمان بن المنذر ، قال المحقق في شرح البيت ، السورة : - المنزلة الرفيعة وقوله ( يتذبذب ) أي يتعلق ويضطرب وهذا مثل، وإنما يريد أن منازل الملوك دون منزلته، فكأنهم متعلقون دونه -أهـ ديوان النابغة الذبياني (ص٧٣) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط دار المعارف مصر سلسلة ذخائر العرب ١٤٧٧هـ.

(٢) (٣) تفسير ابن كثير (١٥٨/١) .

وقال مجاهد: (وادعوا شهداءكم) أي ناس يشهدون لكم أنكم عارضتم القرآن[1]، ومعنى دون أدنى مكان من الشيء ومنه تدوين الكتب لأنه إدناء البعض[2] من البعض[3]، ودونك هذا أي خذه من أدنى مكان منك، ثم استعير للتفاوت في الأحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو أي في الشرف والعلم،ومنه الشيء الدون، ثم اتسع فيه فاستعمل في كل مجاوزة حد إلى حد وتخطي حكم إلى حكم. قال الله تعالى:(لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين)[4] أي لايتجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين، وقال أمية بن أبي الصلت[5]:

---

(١) انظر تفسير القرطبي (٢٣٣/١) .

(٢) (٣) لكن كان الأولى بالإمام الكوكباني رحمه الله تعالى ألا يعرف بعضاً بالألف واللام للخروج من الخلاف اللغوي لقول ابن منظور الآتي :«واستعمل الزجاجي بعضاً بالألف واللام فقال: وإنما قلنا البعض والكل مجازاً وعلى استعماله الجماعة له مسامحة، وهو في الحقيقة غير جائز يعني أن هذا الاسم لاينفصل من الإضافة قال أبو حاتم : قلت للأصمعي رأيت في كتاب ابن المقفع: العلم كثير ولكن أخذ البعض خير من ترك الكل، فأنكره أشد الإنكار وقال: الألف واللام لايدخلان في بعض وكل لانهما معرفة بغير ألف ولام. وفي القرآن العزيز : وكل أتوه داخرين. قال أبو حاتم: ولاتقول العرب:الكلولا البعض، وقد استعمله الناس حتى سيبويه والأخفش في كتبهما لقلة علمهما بهذا النحو فاجتنب ذلك فإنه ليس من كلام العرب. وقال الأزهري: النحويون أجازوا الألف واللام في بعض وكل، وإن أباه الأصمعي» -أهـ لسان العرب مادة بعض (١١٩/٧).

(٤) الآية ٢٨ من سورة آل عمران .

(٥) أمية بن أبي الصلت ( - ٥هـ) (.. - ٦٢٦م) أمية بن عبدالله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي: شاعر جاهلي حكيم، من أهل الطائف قدم دمشق قبل الإسلام، وكان مطلعاً على الكتب القديمة يلبس المسوح تعبداً. وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية. ورحل إلى البحرين فأقام ثماني سنين ظهر في أثنائها الإسلام، وعاد إلى الطائف، فسأل عن خبر محمد بن عبدالله. صلى الله عليه وآله وسلم، فقيل له: يزعم أنه نبي فخرج حتى قدم عليه بمكة، وسمع منه آيات من القرآن وانصرف عنه، فتبعته قريش تسأله عن رأيه فيه، فقال:(أشهد أنه على حق قالوا: فهل تتبعه؟ قال: حتى أنظر في أمره. وخرج إلى الشام. وهاجر رسول الله إلى المدينة، وحدثت وقعة بدر، وعاد أمية من الشام، يريد الإسلام، فعلم بمقتل أهل بدر =

يانفس مالك دون الله من واقي ولا للسع بنات الدهر من راقي[1]

أي إذا تجازت وقاية الله فلا يفيدك غيره. وبنات الدهر حوادثه ونوائبه. وقوله تعالى:(من دون الله) متعلق بادعوا في موضع حال من الشهداء أي متفردين عن الله، والمعنى وادعوا إلى معارضته من حضركم أو رجوتم معونته من إنسكم وجنكم وآلهتكم غير الله، فإنه لايقدر على أن يأتي بمثله إلاّ الله. وقوله تعالى:(إن كنتم صادقين) أنه من كلام البشر وجوابه محذوف يدل عليه جواب (وإن كنتم) أي إن كنتم صادقين فافعلوا ذلك.

هامش[وروى ابن أبي حاتم عن الحسن في قوله (وإن كنتم في ريب) قال: هذا قول الله لمن شك من الكفار فيما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم[2]، وروى عبدالرزاق[3] وعبد بن حميد[4] وابن جرير[5] وابن أبي حاتم[6] عن قتادة في قوله:(وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) قال: في شك(فأتوا بسورة من مثله) قال: من مثل القرآن حقاً وصدقاً

---

وفيهم ابنا خال له. فامتنع وأقام في الطائف إلى أن مات وعلماء اللغة لايحتجون به لورود ألفاظ في شعره لاتعرفها العرب، وهو أول من جعل في أول كتبه: باسمك اللهم، فكتبتها قريش -أهـ من الأعلام (٢٣/٢).

(١) جاء البيت في حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي (١٩٦/١) والشاعر يخاطب نفسه مالك من واق متجاوزةً وقاية الله ثم شبه الشاعر مصائب بنات الدهر بلسع الزنابير وغيرها التي لا رقية منها من راق، وبنات الدهر هي مصائبه، وذكر نسبة البيت لنفس الشاعر المرزوقي في شرحه على شواهد الكشاف . انظرالكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف للإمام أحمد بن حجر العسقلاني - ط دار المعرفة بيروت- ص ٨٢.

(٢) بنحوه مختصراً تفسير ابن أبي حاتم (٨٣/١/رقم٢٣٧).

(٣) جاء في تفسير عبدالرزاق الصنعاني: بسورة من مثل هذا القرآن(١٤٠/١) ولم يذكر أنه فسر قوله تعالى(في ريب) في شك في تفسيره.

(٤) الدر المنثور (٨٩/١).

(٥) قال ابن جرير عن قتادة«فأتوا بسورة من مثله» يعني بمثل هذا القرآن حقاً وصدقاً لاباطل فيه ولا كذب (٣٧٤/١).

(٦) جاء الخبر في تفسيره في جزئين الأول (٨٣/١/رقم ٢٣٦) والثاني (٢٣٩/٨٤/١).

لاباطل فيه ولاكذب وروى ابن جرير[1] وابن أبي حاتم[2] عن مجاهد(فأتوا بسورة من مثله) قال: من مثل القرآن (وادعوا شهداءكم) قال: ناس يشهدون لكم إذا أتيتم بها أنها مثله. وروى ابن إسحاق[3] وابن جرير[4] وابن أبي حاتم[5] عن ابن عباس في قوله :(وادعوا شهداءكم) قال: أعوانكم على ماأنتم عليه(فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا) فقد بين لكم الحق. صح أصل وبعده] -أهـ هامش-.

قوله عز من قائل:

**(٢٤) ﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة﴾** لما أرشدهم إلى الجهة التي منها يتعرفون أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وماجاء به حتى يعثروا على حقيقته وسره وامتياز حقه من باطله رتب عليه ماهو كالفذلكة له، وهو أنكم إذا اجتهدتم في معارضته وعجزتم جميعا عن الإتيان بسورة من مثله ظهر أنه معجز والتصديق به واجب فآمنوا به واتقوا العذاب المعد لمن كذب. فعبر عن الإتيان بالفعل لأنه فعل من الأفعال يعم الإتيان وغيره إيجازاً ولو لم يعدل عن لفظ الإتيان، إلى لفظ الفعل لايستطيل أن يقال فإن لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة من مثله، وينزل لازم الخزي منزلته في قوله:(فاتقوا النار) والمعنى فاتقوا الكفر الذي من لازم دخول النار على سبيل الكناية تقرير للمكنى عنه وتهويلاً لشأن العناد وتصريحاً بالوعيد مع الإيجاز. وتصدير الشرطية بإن التي للشك والحال يقتضي إذا التي للوجوب لأن القائل سبحانه وتعالى لم يكن شاكاً في عجزهم ولذلك نفى إتيانهم معترضاً بقوله تعالى (ولن تفعلوا) بين

---

(١) تفسير الطبري (٣٧٤/١) هذا الشق الأول من الرواية أما الشق الثاني فقد جاء عن مجاهد:(وادعوا شهدائكم) ناس يشهدون -أهـ تفسير الطبري (٣٧٦/١).

(٢) جاء في تفسير ابن أبي حاتم في خبرين الاول في (٨٤/١/رقم ٢٣٨) الثاني(٨٥/١/رقم٢٤٣) بلفظ (وادعوا شهدائكم) قالوا: ناس يشهدون به.

(٣) فتح القدير للشوكاني (٥٣/١).

(٤) تفسير الطبري (٣٧٦/١) في هذا قسم من الحديث والقسم الآخر في (٣٧٩/١) .

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (٥٤/١/ رقم ٢٤١).

الشرط والخزي تهكما[1] بهم، تفعلوا جزم بلم دون إن لأن لم واجبة العمل مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول، بخلاف إن فإنها قد يليها الاسم كما في قوله تعالى:(وإن أحد من المشركين استجارك فأجره)[2]، ولأن(لم) لما صيرته ماضياً صارت كالجزء منه، وحرف الشرط كالداخل على المجموع فكأنه قال: فإن تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما. ولن كلا في نفي المستقبل إلاّ أن في لن توكيد وتشديد، تقول لصاحبك لا أقيم غداً، فإن أنكر عليك قلت: لن أقيم غداً، كما يقول: أنا مقيم وإني مقيم قال في الجنى الداني: ولايلزم أن يكون نفيها مؤبداً خلافاً للزمخشري، أقول: وقد ذكر ابن كثير في تفسيره أن لن لنفي التأبيد في المستقبل أي ولن تفعلوا ذلك أبداً. قال:وهذه معجزة أخرى وهو أنه أخبر تعالى خبراً جازماً قاطعاً مقدماً غير خائف ولامشفق أن هذا القرآن لايعارض بمثله أبدا[3]، وهي حرف بسيط عند سيبويه[4]، والخليل في أحد الروايتين عنه[5]، وفي رواية أخرى عنه أنها مركبة من لا أن[6]، وعند الفراء أصلها لا فأبدلت ألفها نونا[7] وجملة لن تفعلوا اعتراضية كما تقدم، فلا محل لها من الإعراب ولايصح أن تكون حالاً لأن الجملة الحالية لاتدخل عليها لن.

وقوله(فاتقوا) جواب الشرط والوقود بفتح الواو إسم لما توقد به النار وبالضم مصدر. هامش[وروى عبد بن حميد عن مجاهد أنه كان يقرأ كل شيء في القرآن(وقودها) برفع الواو الاولى إلاّ التي في (والسماء ذات البروج) (والنازعات) بنصب الواو[8]] انتهى

---

(١) كان عليه أن يقول على سبيل التهكم في لغة العرب والأفضل أن يقول في إعجاز وتحدي لهم.

(٢) الآية ٦ من سورة التوبة

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٦٣/١) ولم أجد الجنى الداني لكن «لن» أحياناً تفيد التأبيد في الدنيا لاالتأبيد الدائم لقوله تعالى لموسى«لن تراني» الأعراف ١٤٣- وأحياناً تفيد التأبيد دائماً كما في هذه الآية، لانه تواترت الأحاديثعن رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة- انظر تفسير ابن كثير (٣٥٤/٢) وتاج العروس (٥١٥/١٨) مادة لن مع زيادة وتصرف.

(٤) - (٧) تفسير البيضاوي (٢٠١/١).

(٨) ليس في الدر المنثور «والنازعات» - (٩٠/١) وليس فيها كلمة وقود.

لكن قال ابن عطية رحمه الله وقرأ الحسن بن أبي الحسن ومجاهد، وطلحة بن مصرف، وأبو =

هامش. وقد جاء المصدر بالفتح كالطهور. قال نجم الأئمة الرضي ولم يأت الفعول مصدراً بفتح الفاء إلا خمسة أحرف، توضأتَ وضوءاً وتطهرت طَهوراً ولعتَ وَلوعاً وقدت النار وَقوداً وقبل قَبولاً كما حكى سيبويه[1] وزاد غيره الوَلوغ والعَلوق[2]. وقرئ شاذاً في سورة قاف(ومامسنا من لَغوب)[3] وقد نظمها القاضي عبدالرحمن الحيمي[4] فقال:

ولم يأت من وزن الفعول مصادر  سوى خمسة قال الرضي ولاسوى

وَضوء طَهور والوَلوع وَقودهم  قَبولهم والمرء يحفظ ماروى[5]

ونظم القاضي أحمد بن صالح ابن أبي الرجال[6] مازاد على الخمسة فقال:

---

= حيوة(وَقودها) بضم الواو في كل القرآن إلا أن طلحة استثنى الحرف الذي في البروج -أهـ تفسير ابن عطية (١٩٦/١).

(١) شرح شافية ابن الحاجب (١٠٩/١) والمؤلف رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي المتوفي سنة ٦٨٦ هـ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٥هـ.

(٢) جاء في تاج العروس ماولغ اليوم ولوغاً أي لم يطعم شيئاً مادة ولغ (٧٢/١٢) وجاء في صحاح اللغة والمنية عَلوق وعلاقة (١٥٣٠/٤) مادة علق ولم أجد غير ذلك.

(٣) الآية ٣٨ من سورة ق .

(٤) هو القاضي عبدالرحمن بن نهشل الحيمي الحافظ الكبير العلامة الشهير كان من العلماء الجامعين بين علم المعقول والمنقول، وله اشتغال بالتدريس في الأمهات ونشرها، وقد أخذ عنه الناس واشتهر، ومن تلامذته العلامة حسن أحمد الجلال ومن مشايخه الحسن بن شمس الدين ويحيى بن أحمد الصابوني توفي في ٢٧ ربيع الأول /١٠٦٨هـ بصنعاء -أهـ باختصار من كتاب«البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» للإمام محمد بن علي الشوكاني المتوفي سنة ١٢٥٠هـ- ط دار المعرفة بيروت (٣٤٠/١).

(٥) لم أحد مرجعاً لهذين البيتين.

(٦) هو صالح بن محمد بن علي بن محمد.. ابن علي بن الحسن المعروف بأبي الرجال، يرجع نسبه رحمه الله إلى الخليفة الصحابي عمر بن الخطاب ولد سنة ١٠٢٩هـ في اليمن،برع في كثير من المعارف وهو صاحب (مطلع البدور ومجمع البحور) . ترجم فيه لأعيان الزيدية فجاء كتاباً حافلاً. ولولا كمال عنايته واتساع اطلاعه لما تيسر له جمع ذلك الكتاب لتعذر تحصيل المراجع من أيدي ورثتها في بلاد اليمن إذ ذاك توفي رحمه الله في ٢٥/ربيع الأول / ١٠٩٢ -أهـ في البدر الطالع (٥٩/١-٦٠).

وزيد وَلوغ الكلب ثم عَلوقهم وغيرهما والعدل يقبل ماروى[1].

وقال السيد الأجل زيد بن محمد بن الحسن [2].

فَعول بفتح الفا مصادر خمسة وَضوء طَهورٍ والولوغ وَقود

قَبول ومازادالرضي وغيـــرُه عَلوقاً وَلوغاًواللَّغوب يزيد [3].

وقرىء شاذاً بالضم على أنه مصدر ولابد من حذف مضاف على هذا لانه مصدر أي [وقود][4] احتراق الناس والحجارة وهي جمع حجر كحمالة جمع حمل، وهو قليل غير منقاس.. والمراد بها حجارة الكبريت العظيمة السود الصلبة المنتنة وهي أشد الأحجار حراً إذا حميت أجارنا الله منها. وعن ابن مسعود في قوله تعالى : (وقودها الناس والحجارة) قال : هي حجارة من كبريت خلقها الله يوم خلق السموات والأرض في السماء[5] الدنيا يعدها للكافرين رواه ابن جرير واللفظ له [6] ورواه ابن أبي حاتم [7].

---

(١) لم أجد له مرجعاً .

(٢) هو السيد زيد بن محمد بن الحسن. بن الإمام القاسم بن محمد المحقق الكبير شيخ مشايخ صنعاء في عصره في العلوم الآلية بأسرها ولد سنة ١٠٧٥هـ وكان يؤهل للإمامة ويرجى لها،وقد برع في علم المعاني والبيان وشرحه المجاز لمختصر الشيخ لطف الله الغياث الذي سماه (الإيجاز) وقد برع في علم المعاني والبيان، وكان له اعتقاد في الصوفية ودفاع عنها، مات رحمه الله سنة ١١٢٣هـ - أهـ في البدر الطالع (١/٢٥٥) .

(٣) لم أقف على هذا في مرجع، وكتاب الإيجاز لم يطبع. ولم أصل للمخطوط.

(٤) في النسخة ب [ووقود] .

(٥) في تفسير الطبري «في السماء الدنيا» (١/٣٨١) .

(٦) تفسير الطبري (١/٣٨١) .

(٧) تفسير ابن أبي حاتم (١/٨٥/رقم ٢٤٥) .

والحاكم في مستدركه وقال على شرط البخاري ومسلم[1]. وقال السدي في تفسيره عن ابي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة في قوله (وقودها الناس والحجارة) قالوا أما الحجارة فهي حجارة في النار من كبريت أسود يعذبون به مع النار[2]. وقال مجاهد : حجارة من كبريت أنتن من الجيفة[3] وقال ابن جريج : حجارة من كبريت أسود في النار[4]، وقيل : المراد بها حجارة الأُصنام والانداد والتي كانت تعبد من دون الله تعالى كما قال تعالى : (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم)[5]. عذبوا بها كما عذب الكافرين بما كنزوه حكاه غير واحد من المفسرين[6]. ورجحه جار الله وفخر الدين الرازي على الاول[7] هامش [وروى ابن مردويه[8] والبيهقي في شعب الإيمان[9] عن أنس رضي الله عنه قال : «تلا رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم هذه الآية (وقودها الناس والحجارة) قال : أوقد عليها ألف عام حتى احمرت وألف عام حتى ابيضت والف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لايطفأ لهبها» وروى ابن

---

(١) جاء اللفظ في مستدرك الحاكم كما يلي :

«..عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال إن الحجارة التي سمى الله في القرآن وقودها الناس والحجارة )حجارة من كبريت خلقها الله تعالى عنده كيف يشاء أو كما يشاء» هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه – أهـ مستدرك الحاكم (٢٦١/٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٦١/١) ط دار الفكر – أشرنا سابقاً إلى صحة سند رواية مرة عن ابن مسعود رضي الله عنه .

(٣) تفسير ابن كثير (٦١/١) ط دار الفكر .

(٤) انظر تفسير ابن كثير (٦٤/١) ط دار المعرفة .

(٥) الآية ٩٨ من سورة الانبياء .

(٦) حكاه القرطبي انظر (٢٣٥/١) وحكاه الرازي ورجحه على القول بحجارة الكبريت تفسير الرازي (١٢٣/١) .

(٧) بل وردا القول الأول بحجة انظر الكشاف (٢٣٥/١) وتفسير الرازي (١٢٣/١) .

(٨) الدر المنثور (٩٠/١) .

(٩) رواه البيهقي في شعب الإيمان (رقم ٧٩٩)

أبي شيبة[١] والترمذي[٢] وابن مردويه[٣] والبيهقي[٤] عن أبي هريرة رضي الله عنه مثله مرفوعاً. وروى مالك[٥] وأحمد[٦] والبخاريد[٧] ومسلم[٨] عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : «نار بني آدم التي توقدون جزء من سبعين جزءاً من جهنم قالوا : يارسول الله إن كانت لكافية قال : فإنها قد فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها» صح أصل وبعده] انتهى هامش. فإن قيل لم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم[٩] وههنا معرفة قلنا تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها ناراً موصوفة بهذه الصفة، ثم نزلت هذه بالمدينة مشاراً بها الى ماعرفوه أولاً. فإن قلت : سورة التحريم مدنية بالاتفاق ويدل على ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يدخل بعائشة ولم يتزوج ميمونة إلا في المدينة قلت : لا يمنع ذلك ان يقال : إن هذه الآية التي ذكرت فيها النار نزلت بمكة ونزل باقيها بالمدينة، أو إنها مما نزل مرتين

---

(١) الدر المنثور بنحوه (٩٠/١) لكن بدون لفظ «لا يطفأ لهبها».

(٢) سنن الترمذي في تحفة الأحوذي (٢٧١٧/٢٦٦/٧) بنحوه ولكن بدون لفظ «لا يطفأ لهبها» ثم قال الترمذي وحديث أبي هريرة في هذا موقوف أصح ولا أعلم أحداً رفعه غير يحيى ابن كثير عن شريك أهـ قلت وإن روي موقوفاً فله حكم المرفوع لانه لا يدرك بالرأي، لكن قال عبدالقادر أرنؤوط عن الحديث إسناده ضعيف - جامع الاصول (٥١٣/١٠/رقم ٨٠٥٦).

(٣) الدر المنثور (٩٠/١) بدون الزيادة «لا يطفأ لهبها».

(٤) في كتاب البعث (صفحة ٢٨٥/ رقم ٤٩٨) ط المكتبة الثقافية بيروت ١٤٠٦هـ ١٩٨٦ م

(٥) في الموطأ بنحوه (صفحة ٩٩٤) - ط المكتبه الثقافية بيروت ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م

(٦) في مسنده (٣١٣/٢، ٤٦٧) .

(٧) في صحيحه في فتح الباري (٣٨٠/٦-٣٨١/ رقم ٣٢٦٥) .

(٨) في صحيحه (٢١٨٤/٤/ رقم ٢٨٤٣) .ورواه بن ماجة في سننه )(٤٣٢٠/١٤٤٥/٢)

(٩) المقصود قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا قوا انفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة..) الآية ٦ من سورة التحريم .

﴿أعدت للكافرين﴾ هيئت لهم وجعلت [عدة][1] لعذابهم، والجملة مستأنفة أو في موضع الحال من النار. وقال بعض الفضلاء: الاولى أن تكون جملة أعدت لا موضع لها من الإعراب، وكأنها جواب سؤال مقدر كأنه قيل: لمن أعدت النار الموصوفة؟ قيل للكافرين ولما ذكر الله سبحانه وتعالى الكفار وأعمالهم وما أعدلهم من العذاب والنكال قفاه ببشارة عباده المؤمنين الذي جمعوا بين التصديق والأعمال الصالحة من فعل الطاعة، فقال عز من قائل :

(٢٥) ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ فإن قلت : علام عطف وبشر ولم يتقدمه أمر ولا نهي يصح عطفه عليه، قلنا : ليس المقصود بالعطف الأمر حتى يطلب له مشاكل من أمر ونهي يعطفه عليه وهذا هو على الصحيح في أن عطف الجمل لا يشترط فيه اتفاق معانيها، فيجوز عطف الخبر على غيره وبالعكس وهو مذهب سيبويه[2]، قال امرؤ القيس :

وإن شفائي عبرة أن سفحتها  وهل عند رسم دارس من معوّل [3]

---

(١) في النسخة ب [عمدة] .

(٢) انظر البحر المحيط (١/١١٠) .

(٣) البيت من معلقة امرؤ القيس بلفظ :

وإن شفائي عبرة مهراقة  فهل عند رسم دارسٍ من معول

قال الزوزني: المراق والمهراق: المصبوب وقد أرقت الماء وهرقته وأهرقته أي صببته، والمعول المبكي وقد أعول الرجل إذا بكى رافعاً صوته به، والمعول المعتمد والمتكل عليه أيضاً. والعبرة: الدمع وجمعها عبرات (يقول) وأن برئي من دائي ومما أصابني وتخلصي مما دهمني يكون بدمع أصبه ثم قال: هل من معتمد ومفزع عند رسم قد درس، أو هل موضع بكاء عند رسم دارس. وهذا استفهام يتضمن معنى الإنكار والمعنى عند التحقيق ولا طائل في البكاء في هذا الموضوع لأنه لا يرد حبيباً ولا يجدي على صاحبه بخير، أولا أحد يعول عليه ويفزع إليه في مثل هذا الموضع (وتلخيص المعنى) وأن مخلصي مما بي بكائي ثم قال: ولا ينفع البكاء من رسم دارس – أهـ شرح المعلقات السبع لأبي عبدالله الزوزني (صفحة١٧) وقد ورد في ديوانه بنفس لفظه في المعلقة وهو البيت رقم(٦) من قصيدة:

قفا نبكي من ذكرى حبيب ومنزل  بسقط اللوى بين الدخول فحومل

انظر ديوان امرؤ القيس بشرح الشنتمري تعليق ابن أبي شنب (ص٦٢ –٦٣) ط الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

فالمقصود في الآية عطف حال من آمن بالقرآن، ووصف ثوابه على حال من كفر به، وكيفية عقابه على ما جرت عادة الله تعالى من أن يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطاً لاكتساب ما ينجي وتثبيطاً عن اقتراف ما يُردي. وأجاز جار الله ان يكون (وبشر) معطوف على (فاتقوا) ليكون عطف أمر على أمر، كما يقول : يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم، وبشر يا فلان بني أسد بإحساني إليهم. والمأمور بالبشارة هو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويجوز أن يكون كل واحد على البشارة كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «بشر المشائين الى المساجد في الظلَم بالنور التام يوم القيامة»[1] لم يأمر بذلك واحداً بعينه، بل كل واحد مأمور به، وهذا وجه حسن لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمه وفخامة [شأنه][2] محقوق بأن يبشر به والبشارة الخبر السار، فإنه يظهر أثر السرور في البشرة، ولذلك قال العلماء: البشارة هو الخبر الاول، حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فأخبروه فرادى عتق أولهم، ولو قال من أخبرني عتقوا جميعاً وأما قوله تعالى : (فبشرهم بعذاب أليم)[3] فعلى التهكم والاستهزاء[4] من قبيل استعارة أحد الضدين للآخر تنزيلاً للتضاد منزلة التناسب، فنزلت البشارة التي تستعمل في الخبر السار منزلة النذارة،

---

(١) رواه ابن ماجة في سننه (١/٢٥٦-٢٥٧/ رقم٧٨١) والحديث مروي عن أنس رفعه وجاء الحديث في الزوائد مرفوعاً من رواية أبي سعيد الخدري وزيد بن حارثة وابن عباس وابن عمرو وأبي موسى الاشعري كلها بأسانيد فيها ضعف. إلا ماجاء عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الله ليضيء للذين يتخللون الى المساجد في الظلم بنور ساطع يوم القيامة». رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن. وعن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من مشى في ظلمة الليل إلى المسجد لقي الله عزوجل بنور يوم القيامة» رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات - أهـ من مجمع الزوائد للهيثمي باختصار (٢/٣٠) وبناءً على ذلك فإن الروايات الضعيفة تتقوى بهذين الحديثين والله أعلم.

(٢) في النسخة ب [بيانه].

(٣) الآية ٢١ من سورة آل عمران.

(٤) ليس للإمام الكوكباني رحمه الله ان يقول ذلك قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: «والتبشير الإخباري يظهر أثره على البشرة - وهي ظاهر الجلد - لتغيرها بأول خبر يرد عليك: ثم الغالب ان يستعمل في السرور مقيداً بالخبر المبشر به، وغير مقيد أيضاً. ولا يستعمل في الغم والشر إلا

وعطف العمل في قوله (وعملوا الصالحات) على الإيمان مرتباً للحكم عليهما إشعاراً بأن السبب في استحقاق هذه البشارة [مجموع الأمرين][1]، والجمع بين الوصفين وتنبيهاً على أن الاعتقاد لا يغني من دون العمل هنا وهناك فالإيمان أس والعمل الصالح كالبناء عليه، ولاغناء للأس مالم يكن بناء، كما لابناء مالم يكن له أس، ولذلك قل ما ذكرا مفردين، وفيه دليل على أن الاعمال خارجة عن مسمى الإيمان، إذ الاصل ان الشيء لا يعطف على نفسه، وما هو داخل فيه، والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى الاسماء في إيلائها العوامل، قال الحطيئة[2] :

كيف الهجاء وما تنفك صالحة  من آل لَأْم بظهر الغيب تأتيني[3]

---

مقيداً منصوصاً على الشر المبشر به: قال الله تعالى: «فبشرهم بعذابٍ أليم» أهـ تفسير القرطبي (٢٣٨/١) قال ابن منظور رحمه الله تعالى: «والبشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير وإنما تكون بالشر إذا كانت مقيدة كقوله تعالى: (فبشرهم بعذاب أليم) قال ابن سيده: والتبشير يكون بالخير والشر كقوله تعالى: (فبشرهم بعذاب أليم) – أهـ مادة كلمة بشر من لسان العرب (١٦/٤) ط دار صادر.

بناء على ذلك فكلمة بشر هي في الآية على حقيقتها اللغوية لا تهكماً ولا استهزاء تعالى الله عن ذلك.

(١) في النسخة ب [مجموع من كلا الامرين].

(٢) الحطيئة (...–نحو ٤٥هـ=...–٦٥٦م) جرول بن أوس بن مالك العبسي، أو مُلكية: شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والاسلام كان هجاءً عنيفاً، لم يكد يَسْلَم من لسانه أحد. وهجا أمه وأباه ونفسه وأكثر من هجاء الزبرقان بن بدر، فشكاه الى عمر بن الخطاب، فسجنه عمر بالمدينة، فاستعطفه بأبيات، فأخرجه ونهاه عن هجاء الناس – أهـ في الاعلام (١١٨/٢).

(٣) والبيت للحطيئة لما سئل أن يهجو حارثه بن لأم الطائي المعروف بابن السعدي وكان سببه أن وفود العرب حشروا بين يدي النعمان بن المنذر، فأحضر حللاً من حلل الملوك قال إني ملبسها غداً لمن أردت، فلما كان الغد لم يرتحل ابن سعدي من رحله إليه فقيل له في ذلك؟ فأجاب بأني إن كنت المراد فسأطلب، وإن كان غيري فأجمل الأحوال أن لا أكون حاضراً، فبعث إليه النعمان أن ائتنا آمناً مما تخاف والبسه الحلل وأكرمه، فحسده سادات العرب من قومه وغيرهم وبعثوا إلى=

وهي من الأعمال ما سوغه الشرع وحسنه، وتأنيثها[1] على تأويل الخصلة أو الخلة واللام فيها للجنس. قوله تعالى : (أن لهم جنات) مفعول ثان لبشر لأنه يتعدى إلى مفعولين أحدهما بنفسه وهو الذين والثاني بحرف الجر وهو أن لهم، وحذف منه حرف الجر لأن حذفه مع أن وإن قياس مطرد ومحل أن ومعمولها بعد حذفه جر قال سيبويه[2] والفراء[3] أو نصب قاله الخليل[4] والكساني.[5] والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظل بالتفاف أغصانه، وسميت بذلك لأن الشجر يَجُنها أي يسترها، ومنه الجن لسترها عن عيون الناس، والجنون لأنه يستر العقل، وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان، وقيل سميت جنة لانه يستر في الدنيا ما أعده الله فيها للمتقين من أفنان النعم كما قال تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين)[6] وجمعها وتنكيرها لأن الجنان على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما سبع[7] [وروى ابن ماجة[8] وابن أبي الدنيا في صفة

---

الحطيئة يضمنون له مائة بعير لو هجاه، فقال: كيف أهجو فتى شسع نعلي منه أو نحو من هذا، وأنشد البيت، جعل ظهر الغيب مركباً وأضاف إليه الظهر. وجعل الظهر مقحماً: أي متلبساً بالغيب ثم أدخل كناية لهذه الغيبة لان الغائب كأنه وراء ظهر – أهـ شرح شواهد الكشاف (صفحة٥٤٤).

جاء البيت في البحر المحيط (١١١/١) وفي الكشاف (٢٥٥/١) وقد جاء في ديوانه بلفظ..

....اذا ذُكِرتَ بظهر الغيب تأتيني وذكر الشارح انه يروى : من آل لاي.

– انظر ديوان الحطيئة بشرح أبي سعيد السكري، قصيدة رقم (٥٣) بيت رقم (١) صفحة ١٧٤. طبعة دار صادر بيروت ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م–.

(١) قال معاذ بن جبل عن العمل الصالح: «ما احتوى على أربعة العلم والنية والصبر والإخلاص» وقال سهل بن عبدالله: (ما وافق الكتاب والسنة) – أهـ في البحر المحيط (١١١/١).

(٢)–(٥) البحر المحيط (١١٢/١).

(٦) الآية ١٧ من سورة السجدة .

(٧) البحر المحيط (١١٢/١).

(٨) رواه ابن ماجة بنحوه مع زيادة قال المعلق فؤاد عبدالباقي على الحديث: «في الزوائد في إسناده مقال والضحاك المعافري الدمشقي، ذكره ابن حبان في الثقات. وقال الذهبي في طبقات التهذيب=

الجنة[1] والبزار[2] وابن أبي حاتم[3] وابن حبان[4] والبيهقي[5] وابن مردويه[6] عن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «ألا هل مشمر للجنة فإن الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلألا وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام في أبد في دار سليمة وفاكهة خضرة» الحديث، والاحاديث في وصف الجنة كثيرة جداً. صح أصل] أهـ هامش.

قوله تعالى (تجري من تحتها الانهار) أي من تحت أشجارها كما تراها جارية تحت

---

=مجهول وسليمان بن موسى مختلف فيه وباقي رجال الإسناد ثقات» - أهـ (٢/١٤٤٨-١٤٤٩/٤٣٣٢) قلتُ: قال ابن حجر رحمه الله: «الضحاك المعافري الدمشقي مقبول وهو عند ابن ماجة» أهـ باختصار من التقريب وإذا كان الذهبي لا يعرفه فإن ابن حجر قد عرفه.

اما لفظ رواية ابن ماجة فهو كما يلي :

«ألا مشمر الى الجنة؟ فإن الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلألا، وريحانه تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وفالجهة كثيرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة. في مقام أبداً في حبْرة ونضْرة. في دور عالية سليمة بهية» قالوا: نحن المشمرون لها، يارسول الله! قال «قولوا : إن شاء الله» ثم ذكر الجهاد وحض عليه.

(١) (٢) الترغيب والترهيب للمنذري (٤/٩٥٥) - ط مكتبة الجمهورية العربية.

(٣) الدر المنثور (١/٩١-٩٢) ثم هنالك زيادة «وخيرة ونعمة، في محلة عالية بهية قالوا : نعم يارسول الله. قال : قولوا إن شاء الله. قال القوم: إن شاء الله..» أهـ من الدر المنثور.

(٤) في صحيحه في الإحسان (١٦/رقم ٧٣٨١).

(٥) رواه البيهقي في كتاب البعث والنشور (صفحة ٢٣٣/رقم٣٩١) مع زيادة - ط مؤسسة الكتب الثقافية بيروت - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م-.

(٦) الدر المنثور (١/٩١-٩٢).

الاشجار النابتة على شواطئها، وعن مسروق[1] أنهار الجنة تجري في غير أخدود[2] وعن أنس بن مالك قال : تظنون أن لانهار الجنة أخدوداً في الأرض لا والله إنها لسياحة على وجه الأرض، أحد حافتيها فيها اللؤلؤ والأخرى الياقوت، وطينه المسك الإذفر. هامش [وعن أنس بن مالك أيضاً قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «لعلكم تظنون أن أنهار الجنة أخدوداً في الأرض لا والله إنها لسائحة على وجه الأرض حافتاه خيام اللؤلؤ وطينها المسك الإذفر. قلت : يارسول الله ما الإذفر؟ قال : الذي لا خلط معه» رواه ابن مردويه[3] وأبو نعيم[4] والضياء المقدسي[5] كلاهما في صفة الجنة عن أنس مرفوعاً وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «لعلكم تظنون أنهار الجنة» الحديث تمت] انتهى هامش. رواه ابن أبي الدنيا موقوفاً ورواه غيره مرفوعاً والموقوف أشبه بالصواب[6] وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «أنهار الجنة تجري من تحت تلال أو من تحت

---

(١) هو أبو عائشة مسروق بن الاجدع بن مالك بن أمية الهمداني الكوفي العابد سأله عمر يوماً عن اسمه فقال له: اسمي مسروق بن الأجدع فقال عمر: الأجدع شيطان، أنت مسروق بن عبدالرحمن روى مسروق عن الخلفاء الأربعة وابن مسعود وأبي بن كعب وغيرهم وكان شريح القاضي يستشيره في معضلات المسائل وقد حدث مسروق بما يدل على أنه استفاد الكثير من التفسير عن أستاذه ابن مسعود فقال: كان عبدالله يعني ابن مسعود يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا فيها ويفسرها عامة النهار. أما ثقته وعدالته فأمر اعترف به علماء الجرح والتعديل، فقال ابن معين: ثقة لايسأل عن مثله وقال ابن سعد: كان ثقة وذكره ابن حبان في الثقات وقد أخرج له أصحاب الكتب الستة - أهـ التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي (١/١١٩-١٢٠).

(٢) البحر المحيط (١/١١٢) أخرج هذا في كلام له أبن المبارك وابن أبي شيبة وابن أبي حاتم. انظر الدر المنثور (١/٩٥).

(٣) (٥) الدر المنثور (١/٩٥).

(٤) في الحلية (٦/٢٠٥) ط. الخانجي بمصر والحديث مقبول عند الإمام المتقي الهندي - انظر كنز العمال (٥/٦٥٦).

(٦) الترغيب والترهيب للمنذري (٤/٩٩٣) بنحوه.

جبال المسك» رواه ابن حبان في صحيحه[١] هامش [وعن ابن عباس قال : إن في الجنة نهراً يقال له البيدخ عليه قباب من ياقوت تحته جواري نابتات، يقول أهل الجنة انطلقوا بنا إلى البيدخ فيجيئون فيتصفحون تلك الجواري، فإذا أعجب [أحد][٢] منهم بجارية مس معصمها فتبعته وتنبت مكانها أخرى» رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة[٣] وروى أحمد[٤] والدار قطني[٥] عن المعتمر بن سليمان قال : «إن في الجنة نهراً ينبت الجواري الأبكار» وروى البيهقي في البعث عن أبي هريرة قال: إن في الجنة نهراً طول الجنة حافتاه العذارى قيام متقابلات يغنين بأحلى أصوات يسمعها [الخلق][٦] حتى ما يرون ان في الجنة لذة مثلها قلنا : يا أبا هريرة وماذلك الغناء قال : إن شاء الله التسبيح والتحميد والتقديس والثناء على الرب[٧] وروى ابن عساكر في تاريخه عن أنس مرفوعاً «في الجنة نهر يقال له الريان عليه [قبة][٨] من مرجان لها سبعون ألف باب من ذهب وفضة لحامل القرآن[٩]. صح] انتهى هامش. واللام في الأنهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيها الماء الجاري، أو للعهد والمعهود هي الانهار المذكورة في قوله تعالى: (أنهار من ماء غير آسن)[١٠] والآية. قال جار الله أو يراد أنهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الإضافة

---

(١) في الإحسان (١٦/رقم ٧٤٠٨) ولكن كلمة «تخرج» عوضاً عن «تجري».

(٢) في الترغيب والترهيب «رجل» (٩٦٢/٤).

(٣) الترغيب والترهيب (٩٦٢/٤).

(٤) (٥) الدر المنثور (٩٥/١).

(٦) في كتاب البعث للبيهقي (الخلائق).

(٧) رواه البيهقي بنحوه في كتاب البعث (صفحة ٢٢٩/ رقم ٣٨٣).

(٨) في الدر المنثور [مدينة] (٩٥/١).

(٩) الدر المنثور (٩٥/١).

(١٠) الآية ١٥ من سورة محمد.

كقوله تعالى (واشتعل الرأس شيباً)[١] [٢]، واورد عليه بأن ما ذكره من التعويض ليس مذهب البصريين[٣] بل هو مذهب الكوفيين[٤]، وعليه خرج بعض الناس (مفتحة لهم الأبواب)[٥] أي أبوابها[٦] والنهر أصله السعة سمي نهراً لسعته، قال الشاعر :[٧]

ملكت بها كفي فأنهرت فتقها  يرى (قائماً)[٨] من دونها ما وراءها[٩]

والمراد [بالانهار][١٠] ماؤها على الإضمار أو المجاز أو المجاري أنفسها وإسناد الجري إليها مجازكما في قوله تعالى : [وأخرجت الارض أثقالها][١١] ﴿**كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً**﴾ جملةفي محل نصب صفة لجنات، أو في محل رفع على تقدير مبتدأ محذوف أي هن وتعود على الجنات، أو هم كلما رزقوا، ويعود على الذين آمنوا، والأحسن في هذه الجملة أن تكون مستأنفة لا محل لها من الإعراب، وكأنه لما قيل إن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار وقع في [خلد][١٢] السامع أثمارها مثل أثمار الدنيا أم أجناس أخر فأريح ذلك بقوله (كلما رزقوا منها) وكلما نصب على الظرف، ورزقاً مفعول به، ومن

---

(١) الآية ٤ من سورة مريم.

(٢) الكشاف (٢٥٩/١).

(٣) (٤) (٦) البحر المحيط (١١٣/١).

(٥) الآية ٥٠ من سورة ص.

(٧) الشاعر هو قيس بن الخطيم كما جاء في القرطبي (٢٣٩/١) ولسان العرب مادة نهر (٢٣٣/٥) ط دار صادر وتاج العروس (٥٧٠/٧) مادة نهر أيضاً.

(٨) الذي في القرطبي ولسان العرب وتاج العروس [قائم] نفس المرجع السابق وهو الصواب.

(٩) قال ابن منظور: «وأنهر الطعنة وسعها، قال قيس بن الخطيم -وذكر البيت- ملكت أي شددت وقويت. ويقال: طعنه طعنة أنهر فتقها أي وسعه؛ وانشد أبو عبيد قول أبي ذؤيب وأنهرت الدم أي أسلته»- أ.هـ لسان العرب مادة «نهر» (٢٣٧/٥) ط دار صادر-.

(١٠) في النسخة ب [الأنهار].

(١١) الآية ٢ من سورة الزلزلة.

(١٢) في النسخة ب [خلة].

الاولى والثانية لإبتداء الغاية واقعان موقع الحال، وأصل الكلام ومعناه كل حين أو مرة رزقوا مرزوقاً مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدأ من الجنات، وابتدائه منها بابتدائه من ثمره فصاحب الحال الاولى رزقاً وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال، ويتعلقان برزقوا على أن المجرور الثاني بدل من الأول بدل الإشتمال ولا يقتضي الفعل حرفي جر بمعنى واحد بالعطف والبدل والله تعالى أعلم ﴿**قالوا هذا الذي رزقنا من قبل**﴾ هذا إشارة الى نوع مارزقوا والمعنى هذا مثل الذي رزقنا من قبل بدليل (وأتوا به متشابهاً) وهذا كقولك أبو يوسف أبو حنيفة تريد أنه لإستحكام الشبه، كأن ذاته ذاته والجملة في محل مفعول بالقول. وقيل مبني لقطعه عن الإضافة أي من قبله قيل في الدنيا، وهكذا قال قتادة[1] وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم[2] ونصره ابن جرير[3] وإنما [جعل][4] ثمرة الجنة من جنس ثمرة الدنيا لان الإنسان بالمألوف آنس، والى المعهود أميل، وإذا رأى مالم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه، وقيل في الجنة أي من قبل هذا [لشدة][5] مشابهة بعضه بعضاً فإذا رزقوا ثمرة بعد أخرى ظنوا أنها الأولى، كما حكي عن الحسن أن أحدهم يؤتى بالصحيفة فيأكل منها، ثم يؤتى بأخرى فيراها مثل الأولى،فيقول ذلك الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف[6] ﴿**وأتوا به متشابهاً**﴾ وأتوا به جملة في موضع الحال من

---

(١) (٢) انظر تفسير ابن جرير (٣٨٦/١).

(٣) تفسير الطبري (٣٨٧/١-٣٨٨) .

(٤) في ب [حصل] والصواب جعل.

(٥) في ب [الشك] والصواب لشدة.

(٦) هذا القول جاء بالحرف ليحيى ابن أبي كثير في تفسير الطبري كما يلي :

«حدثنا القاسم بن الحسين قال: حدثنا الحسين بن داود، قال: شيخ من المصيصة عن الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال: ...) ذكر نفس اللفظ تفسير الطبري (٣٨٧/١) وفي السند رجل مجهول وهو شيخ من المصيصة وعزاه ابن كثير أيضاً الى يحيى بن كثير - انظر تفسير ابن كثير(٦٤/١) طبعة دار الفكر.

ويرجع القول الاول بالرواية والدراية.

.....

١- اما الرواية : قال ابن جرير: حدثني موسى بن هارون قال حدثنا عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم: قالوا: «هذا الذي رزقنا من قبل»، قال: إنهم أتوا بالثمرة في الجنة، فلما نظروا اليها قالوا: هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا - أهـ من تفسير الطبري (٣٨٦/١) وقد أشرنا سابقاً إلى صحة الرواية عن السدي الكبير عن مرة عن ابن مسعود وقد ضعفنا في النقل الرواية المنقولة عن يحيى بن أبي كثير فثبتت هذه الرواية نقلاً عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

٢- اما الدراية فقد أشار الى عدم صحة القول الثاني ابن جرير إذ قال (وهذا التأويل مذهب من تأول الآية. غير أنه يدفع صحته ظاهر التلاوة. والذي يدل على صحة ظاهرالآية ويحقق صحته، قول القائلين: ان معنى ذلك: هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا وذلك أن الله جل ثناؤه قال: (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً)، فأخبر جل ثناؤه أن من قيل أهل الجنة كلما رزقوا من ثمرة الجنة رزقاً، أن يقولوا: هذا الذي رزقنا من قبل. ولم يخصص بأن ذلك من قيلهم في بعض ذلك دون بعض. فإذا كان قد أخبر جل ذكره عنهم أن ذلك من قيلهم في كل ما رزقوا من ثمرها، فلاشك أن ذلك من قيلهم في أول رزق رزقوه من ثمارها أتوا به بعد دخولها الجنة واستقرارهم فيها، الذي لم يتقدمه عندهم من ثمارها ثمرة، فإذ كان لا شك أن ذلك من قيلهم في أوله، كما هو من قيلهم في أوسطه وما يظنوه - فمعلوم أنه محال أن يكون من قيلهم لأول رزق رزقوه من ثمار الجنة: هذا الذي رزقنا من قبل هذا من ثمار الجنة!! وكيف يجوز أن يقولوا لاول رزق رزقوه من ثمارها ولما يتقدمه عندهم غيره: هذا هو الذي من قبل؟ إلا أن ينسبهم ذو غَيَّةٍ وضلال إلى قيل الكذب الذي قد طهرهم الله منه، أو يدفع دافع أن يكون ذلك من قيلهم الأول رزق رزقوه منها من ثمارها، فيدفع صحة ما أوجب الله صحته بقوله: (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً)، من غير نصب دلالة على أنه معنّي به حال من أحوالهم دون حال.

فقد تبين بما بينا أن معنى الآية كلما رزق الذين آمنوا وعملوا الصالحات من ثمرة من ثمار الجنة في الجنة رزقاً قالوا: هذا الذي رزقنا من قبل هذا في الدنيا - انظر تفسير الطبري (٣٨٧/١-٣٨٨) مع زيادة تصرف.

فاعل قالوا، وقد مقدرة أي قالوا وقد أتوا، وحذفها فصيح في الجملة الحالية الماضية وضمير به عائد على الرزق ومتشابهاً حال من ضمير به قال ابن عباس[١] ومجاهد[٢] متشابهاً في الألوان مختلفاً في الطعم وقال الحسن[٣] وقتادة[٤] (متشابهاً) يشبه بعضه بعضاً في الجودة أي كلها خيار لارداءة فيها، وقال محمد بن كعب القرطبي : يشبه ثمرة الدنيا غير أنها أطيب.[٥] وقال ابن عباس : ليس في الدنيا مما في الجنة غير الأسامي[٦]. وقال عبدالرحمن بن زيد في قوله تعالى (وأتوا به متشابهاً) قال: يعرفون أسماءه كما كانوا في الدنيا التفاح بالتفاح والرمان بالرمان وقالوا في الجنة (هذا الذي رزقنا من قبل) في الدنيا (وأتوا به متشابهاً) يعرفونه وليس هو مثله في الطعم[٧] هامش[وروى ابن جرير عن ابن مسعود وناس من الصحابة في قوله: (كلما رزقوا منها من ثمرة في الجنة فنظروا إليها فقالوا: هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا وأتوا به متشابهاً في اللون والمرأى وليس يشبه في الطعم[٨] وروى مسدد [٩] في مسنده وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال :ليس في الدنيا مما في الجنة شيء إلا الأسماء»[١٠] وروى عبدالرزاق عبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد في قوله تعالى (متشابهاً) قال: في اللون مختلفاً في الطعم»[١١] وروى عبد بن حميد وابن جرير عن الحسن في قوله (متشابهاً) قال: خيار كله

---

(١) (٢) (٣) انظر الدر المنثور (٩٦/١).

(٤) الدر المنثور (٩٦/١) وتفسير الطبري (٣٨٩/١-٣٩٠).

(٥) هذا القول باللفظ من قول قتادة كما جاء في تفسير البغوي (٥٥/١).

(٦) تفسير الطبري (٣٩٢/١) بلفظ «ليس في الدنيا من الجنة شيء إلا الاسماء» أهـ.

(٧) تفسير الطبري (٣٩٢/١).

(٨) رواه ابن جرير عن ابن مسعود بسند قد أشرنا سابقاً إلى صحته. عند التعليق رقم ٧ على الصفحة ١٢٢.

(٩) هو مسدد بن مسرهد بن مسربل بن مستورد البصري المتوفي سنة ٢٢٨هـ. وله مسند في مجلد لطيف وله آخر قدره ثلاث مرات وفيه كثير من الموقوف والمقطوع، أهـ باختصار الرسالة المستطرفة(صفحة ٦٢).

(١٠) تفسير ابن أبي حاتم بنحوه (٨٩/١/رقم ٣٦١). وجاء في فتح القدير (٥٥/١). ورواه ابن جرير في تفسيره بنحوه (٢٥١/١)- ط دار الفكر-

(١١) بنحوه في تفسير عبدالرزاق (٤١/١) وفتح القدير (٥٥/١) ورواه ابن جرير في تفسيره (٣٩٠/١).

يشبه بعضه بعضاً لارذل فيه الم تروا إلى ثمار الدنيا كيف ترذلون بعضه»[1] وروى عبد إبن حميد وابن جرير عن قتادة نحوه[2] صح أصل وبعده] انتهى هامش. فإن قيل: التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس: ليس في الجنة من أطعمة الدنيا إلا الاسماء قلت: التشابه بينهما حاصل في الصورة التي هي مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو كاف في إطلاق التشابه عن [جابر] [3] ابن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله علي وآله وسلم (أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوّطون ولا يمتخطون ولا يبزقون، يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس، طعامهم ذلك جشاء كريح المسك» رواه مسلم[4] وأبو داود[5] وعن زيد بن أرقم قال: جاء رجل من أهل الكتاب الى النبي صلى الله عليه واله وسلم فقال: يا أبا القاسم تزعم ان أهل الجنة يأكلون ويشربون قال: نعم والذي نفس محمد بيده لإن[6] أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع قال: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة، وليس في الجنة أذى قال: تكون الحاجة رشحاً يفيض من جلودهم كرشح المسك فيضمر بطنه» رواه أحمد بن محمد بن حنبل[7] والنسائي ورواته محتج بهم في الصحيح[8] ورواه ابن حبان في

---

(١) فتح القدير (٥٥/١) ورواه الطبري في تفسير مختصراً (٣٨٩/١).

(٢) فتح القدير (٥٥/١) ورواه الطبري في تفسيره بنحوه (٣٨٩/١ - ٣٩٠).

(٣) ليست هذه الكلمة في النسخة ب وهو موجود كما في الملاحظة التالية.

(٤) الحديث جاء في صحيح مسلم كما يلي اخبرني ابو الزبير انه سمع جابر بن عبدالله يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يأكل اهل الجنة فيها ويشربون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يبولون ولكن طعامهم ذاك جشاء كرشح المسك. يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس» وفي رواية «ويلهمون التسبيح والحمد كما تلهمون النفس» أ هـ صحيح مسلم قال فؤاد عبدالباقي في تعليقه على الحديث «جشاء» هو تنفس المعدة من الامتلاء (٢١٨١/٤).

(٥) في سننه (٤٧٤١/٢٣٦/٤) مختصراً بلفظ: «عن جابر قال: قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقولك «إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون».

(٦) في الترغيب والترهيب [إن] (٩٧٣/٤).

(٧) في مسند أحمد (٣٦٧/٤-٣٧١).

(٨) في تفسيره (٢٧٣/٢-٢٧٤/رقم٤٩٨) بنحوه جاء في تحقيق تفسير النسائي في تخريج الحديث القول بأن اسناده صحيح ورجاله رجال الصحيحين سوى ثمامة بن عقبة المُحلّمي وهو ثقة وقد صرح بالسماع من زيد عند الدارمي وأحمد. انظر (٢٧٣/٢) تفسير النسائي تحقيق سيد الحليمي وصبري الشافعي.

صحيحه[1] والحاكم[2] ولفظهما «أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجل من اليهود فقال: يا أبا القاسم ألست تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ويقول لأصحابه: إن أقرّلي بهذا خصمته. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «بلى والذي نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والشهوة والجماع فقال له اليهودي: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة فقال له صلى الله عليه وآله وسلم «حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك فإذا البطن قد ضمر» ولفظ النسائي نحو[3] هذا وعن أنس بن مالك رضي الله عنه يرفعه قال : إن أسفل أهل الجنة أجمعين من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم مع كل خادم صحفتان واحدة من فضة وواحدة من ذهب ، في كل صحفة لون ليس في الأخرى مثلها ، يأكل من آخره كما يأكل من أوله ، يجد لآخره من اللذة والطعم ما لايجد لأوله ، ثم يكون [4] ذلك رشح مسك وجشاء مسك لايبولون ولايتغوطون ولا يمتخطون» رواه ابن أبي الدنيا واللفظ له والطبراني ورواته ثقات[5] ﴿ **ولهم فيها أزواج مطهرة** ﴾ مما يستقذر من النساء ويذم من أحوالهن كالحيض والنفاس والبصاق والمخاط والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فإن التطهير يستعمل في الأجسام والأخلاق والأفعال. وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى : (ولهم فيها أزواج مطهرة ) قال : من الحيض والغائط والنخامة والبزاق رواه الحافظ أبو بكر ابن مردويه [6] عن شعبة عن قتادة عن أبي نضر عن أبي سعيد وهو حديث غريب [7] قد رواه الحاكم في مستدركه وقال:

---

(١) صحيح ابن حبان في الإحسان (٧٤٢٤/١٦).

(٢) الترغيب والترهيب (٩٧٤/٤).

(٣) وقد مر في الملاحظة (٨) من الصفحة الماضية.

(٤) في الترغيب والترهيب. «ثم يكون فوق».

(٥) ذكر ذلك الهيثمي انظر مجمع الزوائد (٤٠١/١) والمنذري في الترغيب والترهيب (٩٧٥/٤).

(٦) (٧) تفسير ابن كثير (٦٤/١) ط دار الفكر.

صحيح على شرط الشيخين قال ابن كثير وهذا الذي ادعاه فيه نظر[1] هامش [وروى وكيع[2] وعبدالرزاق[3] وعبد بن حميد[4] وابن جرير[5] عن مجاهد في قوله (ولهم فيها أزواج مطهرة) قال من الحيض والغائط والبول والمخاط والنخامة والبزاق والمني والولد» صح أصل وبعده] انتهى هامش.

وقرأ زيد بن علي عليه السلام «مطهرات»[6] قال جار الله وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات ومنه بيت الحماسة:

وإذا العذارى بالدخان تَقَنَّعَتْ  واستعجلت نَصْبَ القدور فَمَلَّتِ[7]

فلا جمع على اللفظ، والإفراد على تأويل الجماعة، والزوج يقال للذكر والأُنثى وهو في

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله تعالى وقد رواه الحاكم في مستدركه عن محمد بن يعقوب عن الحسن بن علي بن عفان عن محمد بن عبيد به وقال صحيح على شرط الشيخين وهذا الذي ادعاه فيه نظر فان عبدالرزاق بن عمر البزيعي هذا قال فيه أبو حاتم بن حبان البستي لا يجوز الاحتجاج به «قلت» والاظهر أن هذا من كلام قتادة كما تقدم والله أعلم – أهـ تفسير ابن كثير (٦٤/١).

(٢) الدر المنثور (٩٨/١).

(٣) قال عبدالرزاق في تفسيره عن مجاهد قال: لا يبلن ولا يتغوطن ولا يحضن ولا يلدن ولا يمنين ولا يبزقن) (٤١/١).

(٤) الدر المنثور (٩٨/١).

(٥) تفسير الطبري (٣٩٦/١) بنحوه ولم يذكر المخاط.

(٦) الكشاف (٣٦٢/١).

(٧) البيت لمسلمة بن ربيعة بن جفنة -كما في ديوان الحماسة بيت رقم (٧) من قصيدة رقم ١٧٨- أما قوله ملت : اي خبزت المليل وهو أن تجعل العجين في الرماد الحار حتى يدرك ويؤكل والقمع جمع قمعة وهي قطعة السنام – أهـ – في شرح شواهد الكشاف (صفحة ٣٥٠).

قال الشيخ زادة العذارى جمع عذراء وهي البكر وقوله بالدخان تقنعت أي اتخذته قناعاً لانفسهن على وجوههن حين مباشرتهن لطبخ اللحم والشاهد سيق من أجل ان يبين أن الأفعال الثلاثة مع كونها مسندة الى العذارى وهو جمع فإنها أخرت جميعاً – ط حاشية الشيخ زادة (٢١٢/١) وجاء في ديوان الحماسة بلفظ: ....واستعجلت نصب القدور فملت (٥٥٠/٢) شرح ديوان الحماسة لأبي تمام للمرزوقي تحقيق أحمد أمين وعبدالسلام هارون – ط لجنة التأليف والترجمة ١٩٦٨.

الاصل لما له قرين من جنسه كزوج الجن. عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم او موضع قيده يعني سوطه من الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الارض لملأت ما بينهما ريحاً ولأضاءت ما بينهما ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها) رواه البخاري[1] ومسلم[2] والطبراني مختصراً بإسناد جيد إلا أنه قال: (ولتاجها على رأسها خير من الدنيا وما فيها)[3] ، النصيف الخمار وعن أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «في الجنة لسوقاً ليس فيها بيع ولاشراء إلا الصور من الرجال والنساء فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها وإن فيها لمجتمع الحور العين ينادين بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها نحن الخالدات فلا نبيد أبداً ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً فطوبى لمن كان لنا ونحن له» رواه الترمذي[4] وقال : حديث غريب [5] والبيهقي [6] ورواه البغوي في تفسيره [7] ﴿وهم فيها خالدون﴾ دائمون لما كان معظم

---

(١) رواه البخاري بنحوه في فتح الباري في كتاب الرقاق (١١/٤٢٥/رقم٦٥٦٨) المكتبة السلفية جاءت بلفظ «أو موضع قدم» عوضاً عن «او موضع قيده».. ومقدمة الحديث عن أنس أن أم حارثة أتت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد هلك حارثة يوم بدر أصابه صهم غرب فقالت: يارسول الله قد علمت موقع حارثة من قلبي، فإن كان في الجنة لم أبك عليه، وإلا سوف ترى ما أصنع. فقال لها: هبلت أجنة واحدة هي؟إنها جنان كثيرة، وإنه الفردوس الاعلى» وقال: غدوة في سبيل الله أو روحة خير...» الحديث بنحوه.

(٢) رواه مسلم في كتاب الإمارة عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لغدوة في سبيل الله أو روحة، خير من الدنيا وما فيها».

(٣) الترغيب والترهيب للمنذري (٤/٩٨٧) ورواه الترمذي بنحوه وقال حديث صحيح وأخرجه أحمد وابن ماجة. تحفة الأحوذي (٥/٢٣٥،٢٣٦/رقم ١٦٩٩) أما رواية ابن ماجة عن أنس فقد جاءت كرواية مسلم انظر سنن ابن ماجة (٢/٩٢١/رقم ٢٧٥٧).

(٤) جاء الحديث بنحوه في مكانين عند الترمذي في تحفة الأحوذي (٧/٢٢٣/رقم٢٦٧٤) للقسم الاول وكذلك (٧/٢٤١/رقم٢٦٨٩) للقسم الثاني.

(٥) لكن قال الترمذي عن القسم الاول: حسن غريب قال عبدالقادر ارنؤوط معلقاً إسناده ضعيف وجامع الاصول (١٠/٥١٢) وقال الترمذي في القسم الثاني : حديث غريب وقال وفي الباب عن أبي هريرة وابي سعيد وأنس لذلك قال عبدالقادر أرنؤوط إسناده ضعيف ولكن له شواهد بمعناه... يمكن ان يرتقي بها أهـ جامع الاصول (١٠/٥٠٩/٨٠٥٠) بنحوه.

(٦) رواه البيهقي في البعث (صفحة ٢٢٦ / رقم ٣٧٦).

(٧) تفسير البغوي بنحوه كل الحديث في قسم واحد (١/٥٦-٥٧) ط دار الفكر.

اللذات الحسية مقصورة [على [1] ] المساكن والمطاعم والمناكح على مادل عليه الاستقراء، وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام فإن كل نعمة جليلة إذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية كما قال الشاعر [2] :

لاَ طِيبَ للعيشِ مادامتْ مُنَغَّصَةً  لَذَّاته بادِّكارِ الموتِ والهرمِ [3]

بشر المؤمنين بها ومثل ما أعدّ لهم في الآخرة بأبهى ما يستلذ به منها وأزال عنهم عند خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعيم والسرور. والله المسؤول أن يجعلنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنه جواد كريم بر رحيم. عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة ينادي منادٍ إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلاتهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً، وذلك قول الله تعالى (ونودوا أن

---

(١) في ب [عن] والصحيح ما كان في أ.

(٢) (٣) قال محيي الدين عبدالحميد: البيت من الشواهد التي لم يعين احد ممن اطلعنا على كلامه قائلها. ومعنى (ادكار) تذكر، وأصله (إذتكار) فقلبت تاء الافعال ذالاً ثم قلبت الذال دالاً ثم أدغمت الدال في الذال.

(طيب) المراد به اللذة وما ترتاح اليه النفس وتهفو نحوه، (منغصة) اسم مفعول من التنغيص وهو التكدير.

ومعنى البيت: لا يرتاح الانسان الى الحياة ولا يستطيب العيش ما دام يتذكر الايام التي تأتي عليه بأوجاعها وآلامها ومادام لا ينسى أنه مقبل لا محالة على الشيخوخة والموت ومفارقة أحبائه وملاذه أهـ بتصرف من منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل لمحمد محي الدين عبدالحميد (٢٥٤/١) مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٤م. وجاء البيت بلانسبة في الهمع (١١٧/١) وشرح ابن عقيل (٢٥٤/١). وجاء البيت بلا نسبة في الهمع (١١٧/١) وشرح ابن عقيل (٢٥٤/١)

تلكم الجنة أورثتموها بما كمنتم تعملون)[1] رواه مسلم[2] والترمذي[3] وعن أبي هريرة قال: قلنا يارسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا عن الجنة ما بناؤها قال: «لبنة ذهب ولبنة فضة، وملاطها المسك، حصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا

---

(١) الآية ٧ من سورة الاعراف.

(٢) هذه الرواية نقلها المؤلف والله أعلم عن الترغيب والترهيب للمنذري (٤/١٠٤٠) وقال المنذري بعدها رواه مسلم والترمذي لكن ما جاء في مسلم هو كما يلي:-

١- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبه وأبوكريب (وتقاربا في اللفظ) قالا: حدثنا ابو معاوية عن الاعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح (زاد أبو كريب) فيوقف بين الجنة والنار فيقال: يا أهل الجنة! هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت. قال ويقال: يا أهل النار! هل تعرفون هذا؟ قال فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت قال فيؤمر به فيذبح قال ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت).

قال ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون» الآية ٣٩ من سورة مريم - وأشار بيده الى الدنيا - أهـ صحيح مسلم (٤/٢١٨٨).

٢- حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الاعمش عن أبي صالح، عن أبي سعيد. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «إذا أدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، قيل: ياأهل الجنة» ثم ذكر بمعنى حديث أبي معاوية. غير أنه قال: «فذلك قوله عز وجل» ولم يقل: ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يذكر أيضاً وأشار بيده إلى الدنيا -أهـ صحيح مسلم (٤/٢١٨٩).

(٣) روى الترمذي عن صهيب رضي الله عنه في قوله تعالى: (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) الآية١٦ من سورة يونس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «اذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد إن لكم عند الله موعداً. قالوا: ألم يبيض وجوهنا وينجنا من النار ويدخلنا الجنة؟ قالوا: بلى فيكشف الحجاب، قال: فو الله ما أعطاهم شيئاً أحب اليهم من النظر اليه» سنن الترمذي في تحفة الأحوذي (٧/٢٢٥/رقم٢٦٧٦).

يبأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا ينفنى شبابه» رواه أحمد واللفظ له[1] والترمذي[2] والبزار[3] والطبراني في الأوسط[4] وابن حبان في صحيحه[5] وهو قطعة من حديث عندهم[6] وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي منادٍ ياأهل الجنة فيشرئبون، وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه، ثم ينادي منادٍ ياأهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا فيقولون نعم وكلهم قد رآه، فيذبح بين الجنة والنار ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلاموت، ثم قرأ «وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون»[7] وأشار بيده الى الدنيا» رواه البخاري[8] ومسلم[9] والنسائي[10] والترمذي[11] ولفظه قال: «إذا كان يوم القيامة أتيَ بالموت كالكبش الأملح فيوقف بين الجنة والنار، فيذبح وهم ينظرون، فلو أن أحداً مات فرحاً

(١) رواه احمد في مسنده (٣٠٥/٢) بزيادة لفظ (الإزفر) بعد لفظ (الزعفران).

(٢) سنن الترمذي في تحفة الأحوذي (١٩٢/٧-١٩٥) وذكر في آخر الحديث أن هذا حديث ليس إسناده بذلك القوي، وليس عندي بمتصل وقد روى هذا الحديث باسناد آخر عن أبي هريرة -أهـ السنن للترمذي وقال الشارح تعليقاً على القول: لأن في سنده زياد الطائي وهو مجهول ومع هذا رواه عن أبي هريرة مرسلاً أهـ تحفة الاحُوذي (١٩٥/٧).

(٣) (٤) الترغيب والترهيب (٩٥٠/٤).

(٥) في الإحسان (١٦/رقم٧٣٨٧).

(٦) الترغيب والترهيب (٩٥٠/٤).

(٧) الآية ٣٩ من سورة مريم.

(٨) بنحوه في صحيحه في فتح الباري (٢٨٢/٨/رقم ٤٧٣٠) باب «وأنذرهم يوم الحسرة» من كتاب التفسير.

(٩) بنحوه (٢٨٤٩/٢١٨٨/٤).

(١٠) في تفسيره (٣٠/٢-٣١) بنحوه.

(١١) في سننه (٩٦/٤) وقال هذا حديث حسن.

لمات أهل الجنة ولو أن أحداً مات حزناً لمات أهل النار» قوله: يشرئبون أي يمدون أعناقهم لينظروا وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار فيذبح ثم ينادي منادٍ يا أهل الجنة لا موت يا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً الى فرحهم، وأهل النار حزناً الى حزنهم وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يدخل الله أهل الجنة الجنة ويدخل أهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت كل خالد فيما هو فيه» رواه البخاري[1] ومسلم[2]

(٢٦)﴿ إن الله لايستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة﴾ قال السدي في تفسير عن ابن عباس وعن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة[3] لما ضرب الله تعالى هذين المثلين يعني قوله (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً) وقوله (أو كصيب من السماء) الآيات الثلاث قال المنافقون: الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الامثال فأنزل الله هذه الآية الى قوله (هم الخاسرون)[4] وقال عبدالرزاق: عن معمر عن قتادة[5] لما ذكر الله العنكبوت والذباب قال

---

(١) رواه البخاري الرواية الاولى في باب صفة الجنة والنار من كتاب الرقاق صحيح البخاري في فتح الباري (٦٥٤٨/٤٢٣/١١) روى البخاري الرواية الأخرى في كتاب الرقاق في صحيح البخاري في فتح الباري (٦٥٤٤/٤١٤/١١) بنحوه.

(٢) روى مسلم الرواية الأولى (٢١٨٩/٤) بنحوه عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما وجاءت الرواية الثانية عن نافع عن عبدالله قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: وذكر الحديث (٢١٨٩/٤) واللفظ لمسلم.

(٣) جاءت الرواية في تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى بهذا السند: «قال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة..» وهذا السند أشرنا الى أنه مقبول من طريق السدي عن مرة الهمداني عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) تفسير ابن كثير (٦٥/١).

(٥) سبق أن تكلمنا عن قتادة أنه عند أصحاب الكتب الستة فهو ثقة ضابط لكنه رمي بشيء من القدر.

المشركون ما بال العنكبوت والذباب يذكران وعابوا ذكره فأنزل الله هذه الاية[1] فإن قلت كيف انتظام هذه الآية بما قبلها على هذا القول قلت: لما ذكر القرآن، وتحداهم به، ورتب عليه وعيد من كفر به، ووعد من آمن به بعد ظهور أمره شرع في جواب ما طعنوا به فيه فقال: (إن الله لا يستحيي) أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضةترك من يستحي أن يمثل بها لحقارتها. والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم. وإنما جاز وصف الباري تعالى به ولا يجوز عليه التغيير والخوف والذم كما جاء في الحديث «إن الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم أن يعذبه»،[2] «إن الله حي كريم يستحيي إذا رفع العبد يديه أن يردهما صفراً حتى يضع فيهما خيراً»[3] الحديث لأن المراد به الترك اللازم الانقباض كما أن

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٦٥/١).

(٢) الذي وجدته في مجمع الزوائد للهيثمي: عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الله عزوجل يستحي من ذي الشيبة المسلم إذا كان مسدداً لزوماً للسنة أن يسأل الله فلا يعطيه» رواه الطبري في الأوسط وفيه صالح بن راشد وثقة ابن حبان وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات (١٤٩/١٠).

(٣) رواه الترمذي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين» وقال هذا حديث حسن غريب. ورواه بعضهم ولم يرفعه وعلق صاحب تحفة الأحوذي على قول الترمذي حسن غريب بقوله وأخرجه أبو داود والبيهقي في الدعوات الكبير وصححه الحاكم - أهـ تحفة الأحوذي (٣٨١/٩-٣٨٢).

جاء في سنن أبي داود عن سلمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريم يستحي من عبده اذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً» (٧٩/٢/رقم ١٤٨٨).

وجاء في سنن ابن ماجة عن سلمان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده أن يرفع إليه يديه فيردهما صفراً (أو قال خائبين)» (١٢٧١/٢/ رقم ٣٨٦٥)

والحديث قد روي من طريق آخر عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله تعالى حي كريم يستحي من عبده أن يرفع يديه فيردهما صفراً ليس فيهما شي» رواه أبو يعلي والطبراني في الاوسط وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر وقد وثق على ضعفه وبقية رجالهما رجال الصحيح - أهـ مجمع الزوائد للهيثمي (١٤٩/١٠).

المراد من رحمته وغضبه إصابة المعروف والمكروه [اللازمين][1] في لغتيهما ونظيره قول المتنبي يصف إبلاً :

إذا ما استَحْيَنَ الماء يَعْرِضَ نفسه كَرِعْنَ بِسَبَتٍ في إناءٍ من الوردِ[2]

وإنما عدل في الآية عن الترك الى الاستحياء على سبيل الاستعارة التبعية لما فيه من التمثيل والمبالغة كما استعار الشاعر لما لايصح حقيقة منه وهي الإبل وتحتمل الآية أن يكون مجيؤه على سبيل المشاكلة فإن الكفار لما قالوا: أما [يستحيي][3] رب محمد أن يضرب مثلاً بالذباب والعنكبوت طابق السؤال بالجواب فقال تعالى: (إن الله لايستحيي) أي لا يترك أن يضرب مثلاً ما وهو فن من الكلام بديع وطراز عجيب ومنه قول أبي تمام:

من مبلغ أفناء يعرب كلها أني بنيت الجار قبل المنزل[4]

---

(١) في النسخة ب [اللازم].

(٢) وقوله استحين على لغة من يقول استحى بحذف احدى الياءين لكثرة الإستعمال واللام في قوله الماء للعهد الذهني ويعرض نفسه حال من الماء أو صفة له والسبت بكسر السين المهملة الجلد الذي سبت أي قطع شعره ودبغ بالقرظ وهو ورق السلم، والسبت ههنا مستعار لمشافر الإبل شبهت بالسبت للينها وأراد بإناء من الورد المنهل الذي على حافاته أي أطرافه الورد يصف الإبل وكثرة الماء عندها وأنها لا تشرب عطشاً بل حياء من الماء فإنها كثيراً ما عرض الماء نفسه عليها وهي تستحي منه، فتكرع بمشافرها التي كالسبت وشبهت الحفرة التي فيها الماء المحفوفة بالأزهارالتي تركتها السيول بالإناء وكرعن شربن بأفواههن يقال كرع في الماء كروعاً إذا تناوله بفيه من موضعه، وضمير استحين للإبل اي إذا ما تركن ورد الماء تركا مثل ترك من يستحي أن يرده لكثرة عرض نفسه عليها فانه لا عرض ولا استحياء في الحقيقة، فهو استعارة تمثيلية تبعية متفرعة على المجاز المرسل – أهـ في حاشية الشيخ زادة (٢١٧/١– ٢١٨) وعزاه للمتنبي وجاء البيت في ديوانه برقم ١٧ انظر شرح ديوان المتنبي وضعه عبدالرحمن البرقوقي (١٦٥/٣) ط الاولى دار الكتاب العربي بيروت جاء في البيت في تفسير البيضاوي (٢١٧/١) بلا نسبة.

(٣) في النسخة ب [يستحي].

(٤) قد جاء بلفظ: من مبلغ أفناء يعرب كلها أني ابتنيت الجار قبل المنزل

في ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي (٤٩/٣) –ط دار المعارف الطبعة الرابعة ١٩٨٢.

وقول الآخر: قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه  قلت اطبخوا لي جبة وقميصاً [1]

وقرأ الجمهوري بيائين[2] وهي لغة الحجاز[3] وابن كثير في رواية «يستحي» بياء واحدة[4] وهي لغة تميم[5] والأكثر على أن المحذوف من يائه الأولى وهي عين الكلمة، وقيل الثانية وهي لام الكلمة، ثم نقلت حركة الياء الباقية الى فاء الكلمة، فصار وزنه يستغل على أن المحذوف عينه، او يستفع على أن المحذوف لامه[6] وأن وصلتها في محل جر عند الخليل[7] بإضمار من، ونصب بإفضاء الفعل إليه بعد حذفها عند سيبويه[8] على الخلاف المتقدم في قوله تعالى (أن لهم جنات) و (ما) في قوله (ما بعوضة) إبهامية صفة لمثل[9] وهي التي إذا اقترنت بالنكرة زادتها إبهاماً وشياعاً وعموماً كقولك: أعطني كتاباً أيّ كتاب كان أو مزيده للتوكيد[10] كالتي في قوله تعالى: (فبما رحمة من الله)[11] وأجاز الفراء وثعلب أن تكون نكرة منصوبة بدلاً من مثلا[12] وفي نصب مثلاً وبعوضة[13] أقوال: احدها للفراء[14] : إن مثلاً مفعول يضرب وبعوضة صفة لما إذا جعلت مابدلاً من مثلاً الثاني أن مثلاً مفعول وبعوضة عطف بيان للمثل، أو بدلاً منه وهو المختار الثالث: أن بعوضة مفعول

---

(١) جاء البيت بلا نسبة في كتاب عقود الجمان في علم المعاني والبيان لجلال الدين السيوطي (صفحة ١٠) ط دار الفكر، وجاء في كتاب علوم البلاغة صفحة ٣٢٥ لمؤلفه أحمد مصطفى المراغي وعزاه للشاعر أبي الرقعمق.

(٢) وهي القراءة المتواترة للقراء العشرة. انظر القراءات العشر المتواترة (صفحة ٥).

(٣) البحر المحيط (١/١٢٠).

(٤) لكنها رواية ابن محيصن – انظر القراءات الشاذة لعبد الفتاح القاضي (صفحة ٢٨) وقد اعتبر عبدالفتاح القاضي هذه القراءة من القراءات الشاذة.

(٥) القراءات الشاذة (صفحة ٢٨) والبحر المحيط (١/١٢١).

(٦) البحر المحيط (١/١٢١).

(٧) (٨) انظر إملاء ما من به الرحمن (صفحة ٢٣).

(٩) – (١٠) البحر المحيط (١/١٢٢).

(١١) الآية ١٥٩ من سورة آل عمران

(١٢) البحر المحيط (١/١٢٢).

(١٣) كما هي قراءة الجمهور البحر المحيط (١/١٢٢).

(١٤) البحر المحيط (١/١٢٢).

يضرب ومثلاً حال منها لأنه نكرة مقدم عليها. الرابع: أن مثلاً مفعول أول ليضرب وبعوضة مفعوله الثاني. الخامس: أن مثلاً مفعول يضرب وبعوضة منصوب على إسقاط الجار أي ما بين بعوضة فما فوقها[١] ، وقرأ الضحاك[٢] وإبراهيم ابن أبي عبلة[٣] ورؤبه[٤] بعوضة[٥] بالرفع؛ وعلى هذا تحتمل ما وجوهاً أخر إما موصولة حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تعالى: (تماماً على الذي أحسن)[٦] فبعوضة خبر مبتدأ محذوف أي هو بعوضة والجملة صلة ما[٧] وقيل ان «ما» زائدة أو صفة و «بعوضة» خبر مبتدأ محذوف وتكون الجملة كالتفسير لما انطوى عليه الكلام السابق[٨] وقيل ان «ما» استفهامية مبتدأ وبعوضة الخبر كما يقال: فلان لا يبالي بما وهب ما دينار ودينارانِ[٩] والبعوض فعول من البعض صغار البق سميت بعوضة لانها بعض البق ﴿فما فوقها﴾ عطف على بعوضة والمعنى فما دونها في الصغر والحقارة، كما اذا وصف الرجل باللؤم والشح فيقول السامع: نعم هو فوق ذلك يعني فيما وصفت، ويجوز أن يكون معنى فما فوقها فما هو أكبر منها، ونظيره في احتمال الوجهين مارواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما من مسلم يشاك بشوكة فما فوقها إلا كتبت له درجة ومحيت عنه بها خطيئة»[١٠] الحديث ﴿فأما الذين آمنوافيعلمون أنه الحق من ربهم﴾ أما حرف يفصل ما

---

(١) ذكر هذه الأقوال صاحب البحر المحيط (١/١٢٢).

(٢) (٣) (٤) البحر المحيط (١/١٢٣).

(٥) هو رؤبة بن عبدالله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي، أبو الجحاف أو أبو محمد راجز من الفصحاء المشهورين من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، سمع من أبي هريرة رضي الله عنه، كان أكثر مقامه في البصرة وأخذ عنه أعيان أهل اللغة وكانوا يحتجون بشعره ويقولون بإمامته في اللغة. مات في البادية وقد أسن وله «ديوان رجز مطبوع» وفي الوفيات: لما مات رؤبة قال الخليل: دفنا الشعر واللغة والفصاحة انظر الأعلام للزركلي (٣/٣٤) ومعجم الأدباء لياقوت الحموي (١١/١٤٩) – ط دار الفكر بيروت ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

(٦) الآية ١٥٤ من سورة الأنعام.

(٧) (٨) (٩) البحر المحيط (١/١٢٣).

(١٠) رواه مسلم بنحوه (٤/١٩٩٢).

أجمل ويؤكد ما به صدر ويتضمن معنى الشرط ولذلك تجاب بالفاء، ولا تحذف من الجواب إلا للضرورة كقوله:

أما القتال لا قتال لديكم[1]

أو مع قول محذوف يسدل عليه محكيه كقوله تعالى: (وأما الذي كفروا أفلم تكن آياتي)[2] أي فيقال لهم، ألم تكن آياتي وقوله تعالى: (فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم)[3] أي فيقال لهم أكفرتم، وإنما كان لزومها لأما كلياً وإن كان [للشرط][4] [أكثرياً][5] لتدل على تضمنها معنى الشرط بخلاف الشرط الصريح فإنه لايحتاج إلى دليل. قال سيبويه: أما زيد فمنطلق معناه: مهما يكن من شيء فزيد منطلق، أي هو منطلق لا محالة[6] قال نجم الدين الرضي: المراد من قوله معناه مهما يكن من شيء [بيان][7] المعنى البحث[8] ، وإن أما تفيد لزوم مابعدها لما قبلها لأنه كان في الأصل كذلك بل الأصل إن يكن من شيء فحذف الشرط فزيدت ما وأدغمت النون في الميم وفتحت همزة حرف الشرط فقيل أما وفي تصدير الجملتين به إحماد أي إظهار -حمد- لأمر المؤمنين بعلمهم

---

(١) هذا شطر بيت من الشعر وهو هجو في بني أسد تمامه:

فأما القتال لاقتال لديكم ولكن سيراً في عراض المواكب

مغني اللبيب لابن هشام صفحة ٥٣ ) ط التقدم العلمي بمصر بتصرف - وانظر شرح ابن عقيل (٣٥٩/٢) ط المكتبة العصرية صيدا، بيروت - قال محمد محيي الدين عبدالحميد في شرحه على شرح ابن عقيل: «وهو من كلام الحارث بن خالد المخزومي»- أهـ منحة الجليل في نفس الطبعة على شرح ابن عقيل قال في منحة الجليل: «عراض» جمع عرض بمعنى الناحية والمواكب الجماعة ركبانا ومشاة، وقيل ركاب الإبل للزينة - أهـ .

(٢) الآية ٣١ من سورة الجاثية.

(٣) الآية ١٠٦ من سورة آل عمران.

(٤) ليست هذه الكلمة موجودة في ب ولا يستقيم معنى الجملة إلا بها.

(٥) في أ [أكثريا] وفي النسخة ب [أكثر]

(٦) انظر تفسير البيضاوي (٢١/١).

(٧) في النسخة ب [فبان] والصواب ما كان في أ.

(٨) شرح الكافية (٣٩٧/٢).

وذم للكافرين على قولهم، والضمير في أنه للمثل، والحق الثابت الذي لايسوغ إنكاره يعم الأعيان الثابتة والأفعال الصائبة والأقوال الصادقة من قولهم حق الأمر إذا ثبت ووجب وقال تعالى: (حقت كلمة ربك)[1] وثوب محقق محكم النسيج. هامش[وروى ابن جرير[2] وابن أبي حاتم[3] عن أبي العالية في قوله (فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم) قال يؤمن بها المؤمنون ويعلمون أنه الحق من ربهم، ويهديهم الله به، ويعرفه الفاسقون فيكفرون به. صح أصل ويعده] انتهى هامش. ﴿**وأما الذين كفروا فيقولون**﴾[كان من حقه][4] وأما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمة، لكن لما كان قولهم هذا دليلاً واضحاً على كمال جهلهم عدل إليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه ﴿**ماذا أراد الله بهذا مثلاً**﴾ في (ماذا أراد الله) وجهان أحدهما: أن تكون ما استفهامية مرفوع المحل بالابتداء، وذا بمعنى الذي، وأراد صلته وعائده محذوف أي أراده، وذا مع صلته خبر ما وتقديره أي شيء أراده الله وجوابه مرفوع على المختار ليكون مطابقاً للسؤال ومنه قول الشاعر:[5]

---

(١) الآية ٣٣ من سورة يونس، والآية ٦ من سورة غافر.

(٢) (٣) لكن لم أجد هذه الرواية عن أبي العالية في تفسير ابن جرير الطبري إنما وجدت قولاً مشابهاً لمجاهد قال ابن جرير رحمه الله تعالى:

«حدثنا محمد بن عمرو قال: حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: (فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم) الآية، قال: يؤمن بها المؤمنون، ويعلمون أنها الحق من ربهم، ويهديهم الله بها، ويضل بها الفاسقون. يقول: يعرفه المؤمنون فيؤمنون به، ويعرفه الفاسقون فيكفرون به» – أهـ تفسير الطبري (٤٠٧/١).

والظاهر أن الإمام الكوكباني رحمه الله تعالى نقل هذه العبارة المنسوبة إلى ابن جرير وابن أبي حاتم من الدر المنثور (١٠٤/١) فقد جاء به «واخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي العالية في قوله (فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق) أي إن هذا المثل الحق (من ربهم) وأنه كلام الله من عنده» –أهـ – وهذا خطأ في النقل عن ابن جرير والله أعلم لكن وجدت في تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى ما يلي «وقال ابو العالية (فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم) يعني هذا المثل – أهـ تفسير ابن كثير (٦٦/١) ط دار الفكر .

(٤) لا أعلم لهاتين الكلمتين معنى هنا.

(٥) الشاعر هو لبيد كما في لسان العرب عند مادة نحب (٧٥١/١) ط دار صادر.

ألا تسألان المرءَ ماذا يحاول  أنحبٌ فيقضى أم ضلال وباطلُ [1]

والثاني: أن تكون ماذا بكمالها اسماً واحداً بمعنى أي شيء، أو أن ما بمعنى أي شيء وذا زائدة فتكون ماذا في محل نصب على أنه مفعول أراد وقدم [عليه][2] لتضمنه معنى الاستفهام وجوابه منصوب على المختار لمطابقة السؤال وقد قرئ في قوله تعالى: (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو)[3] بالرفع والنصب[4] على الوجهين وقوله تعالى: (ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً)[5] والإرادة نقيض الكراهة، وهي مصدر أردت الشيء إذا طلبته نفسك، ومال إليه قلبك[6] وفي حدود المتكلمين الإرادة معنى [يوجد] للحي حالاً لا جلها يقع منه الفعل على [وجه] دون وجه وقد اختلفوا في معنى إرادته سبحانه وتعالى فقيل إرادته لأفعاله أنه غير ساه ولا مكره ولأفعال غيره أمره بها فعلى هذا لم تكن المعاصي بإرادته[7]

---

(١) النحب: أشد البكاء كالنحيب وقد نحب كمنع، وانتحب، والخطر العظيم، والمراهنة - أهـ القاموس المحيط (صفحة ١٧٤) والمقصود هنا الخطر العظيم لذلك قال أَنَحْبٌ فيقضى أي فيهلك. وهذا البيت مطلع قصيدة من رثاء النعمان بن المنذر.

أنظر شرح ديوان لبيد بن ربيعة قصيدة (٣٦) ص (٢٥٤) للطوسي ط سلسلة التراث العربي الكويت ١٩٦٢م -تحقيق الدكتور إحسان عباس ونسب البيت للبيد السيوطي في شرح شواهد المغني (٧١١/٢) وابن قتيبة في المعاني الكبير (١٢٠١/٣).

(٢) ليست هذه الكلمة في النسخة ب موجودة.

(٣) الآية ٢١٩ من سورة البقرة.

(٤) قرأ بالرفع أبو عمرو وقرأ الباقون بالنصب (العَفْوَ) - انظرالقراءات العشر المتواترة (صفحة ٢٤) وانظر الإرشادات الجليلة (صفحة ٦٠).

(٥) الآية ٣٠ من سورة النحل.

(٦) قال أبو حيان رحمه الله تعالى: والإرادة بالتفسير اللغوي وهي ميل القلب إلى الشيء يستحيل نسبتها الى الله تعالى.

(٧) كان عليه أن يقول لم تكن المعاصي برضاه سبحانه فما يحدث شيء في الكون إلا بقدر من الله سبحانه وتعالى وتعريف الإرادة لله تعالى نقله من تفسير البيضاوي (٢٢٣/١) والله أعلم قال الشيخ زاده معلقاً على هذه العبارة الأخيرة «وهو مخالف» اشتهر من أن ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وأنه لا يجري في ملكه إلا ما يشاء (٢٢٣/١) ولقد قدمت أن أساس الخلاف في هذه =

تعالى ومثلاً)نصب على التمييز كقولك لمن أجاب بجواب غثٍّ ما أردت بهذا جواباً ولمن حمل سلاحاً رديئاً كيف تنتفع بهذا سلاحاً أو على الحال أي متمثلاً كقوله تعالى:(هذه ناقة الله لكم آية)[1] ﴿يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً﴾ جواب ماذا جملتان متعاطفتان جاريتان مجرى التفسير والبيان للجملتين السابقتين المصدرتين بأما وان فريق العالمين بأنه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين كلاهما موصوف بالكثرة، وأن العلم بكونه حقاً من باب الهدى الذي إزداد به المؤمنون نوراً الى نورهم[2] وأن الجهل يحسن مورده من باب الضلالة التي زادت الجهلة خبطاً في ظلماته[3] وإسناد الإضلال الى الله تعالى إسناد الفعل الى السبب لان الضلال والهدى كان عند ضرب المثل[4] ﴿وما يضل به﴾الضمير في الثلاثة عائد على المثل وقرأ زيد بن علي عليه السلام(ويضل به كثيراً ويهدى به كثير ومايضل به إلا

---

= المُسَلَّمَة هو النظرة الخاطئة عند المعتزلة للقبح والقبيح عندهم عند تفسير قوله تعالى (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) الآية ٧ من سورة البقرة.

وإذا قلنا لأن القدر هو إرادة الله تعالى وعلمه الأزَلِيان كان علينا أن نمسك في موضع التوسع فيما لا ينبغي لصفة الإرادة لله تعالى على أنها من القدر عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول اله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا وإذا ذكر النجوم فأمسكوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا» رواه الطبراني وفيه سهر بن عبدالملك وثّقه ابن حبان وغيره وفيه خلاف، وبقية رجاله رجال الصحيح، وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يزال أمر هذه الامة مواتياً أو مقارباً أو كلمة تشبهها مالم يتكلموا في الولدان والقدر» رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط ورجال البزار رجال الصحيح - أهـ الحديث من مجمع الزوائد للهيثمي مع التعليق عليهما (٢٠٢/٧).

(١) الآية ٦٤ من سورة هود.

(٢) ولا شك أن ذلك بهداية الله تعالى لهم.

(٣) (٤) ولا شك أن الله بيده الهداية والضلال وقد بحثنا هذا في تعليقنا على تفسير الآية ٧ من سورة البقرة قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى: «حدثني موسى بن هرون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: ابن عباس - وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (يضل به كثيراً) يعني المنافقين، (ويهدي به كثيراً) يعني المؤمنين. فيزيد هؤلاء ضلالاً إلى ضلالهم، لتكذيبهم بما قد علموه حقاً يقيناً من المثل الذي ضربه الله لما ضربه له، وأنه =

الفاسقون) على البناء للمفعول في الأفعال الثلاثة[1] ﴿إلا الفاسقين﴾ الخارجين عن حد الإيمان كقوله تعالى: (إن المنافقين هم الفاسقون)[2] من قولهم فسقت الرطبة عن قشرتها إذا خرجت وأصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة:

يذهبن في نجد وغوراً غائراً  فواسقاً عن قصدها جوائرا[3]

والفاسق في الشرع الخارج عن أمر الله تعالى بارتكاب الكبيرة وروى ابن جرير عن ابن مسعود وناس من الصحابة في قوله تعالى: (يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً) يعني المؤمنين (وما يضل به إلاّ الفاسقين) قال هم المنافقون.[4] وروى ابن أبي حاتم عن ابن

---

=لما ضربه له موافق، فذلك إضلال الله إياهم به (ويهدي به) يعني المثل، كثيراً من أهل الإيمان والتصديق، فيزيدهم هدى الى هداهم وايماناً الى إيمانهم. لتصديقهم بما قد عملوه حقاً ويقيناً أنه موافق ما ضربه الله له مثلاً، وإقرارهم به. وذلك هداية من الله لهم به) أهـ تفسير الطبري (٤٠٨/١).

(١) البحر المحيط (١٢٦/١).

(٢) الآية ٦٧ من سورة التوبة.

(٣) جاء البيت في حاشية الشيخ زاده لرؤبة وقال بعد «النجد ما ارتفع من الأرض والغور ضده، والجوائر جمع جائرة من الجور بمعنى الميل عن القصد لا بمعنى الظلم، وغوراً عطف على محل في نجد يصف نوقاً متعسفات في مشيتهن جائرات عن الطريق المستقيم يمشين في المفاوز ويملن عن الطريق المستقيم وينهبن تارة في نجد وأخرى في غور - أهـ (٢٢٥/١) وفي الإنصاف روى معكوساً وقيل لذي الرمة يصف نوقاً تمشي في المفاوز خارجات عن طريق الاستقامة مجاوزات حده وبين ذلك بقوله يذهبن وروى يهوين أي يسرعن تارة في مكان مرتفع وتارة في غور أي في مكان كثير الانخفاض فغوراً نصب على الظرفية غائراً وصف مؤكد أهـ مشاهد الإنصاف (ص٤٢) والبيت غير موجود في ديوان ذي الرمة لذا فالراجح أنه ليس له بل لرؤبة العجاج كما عزاه محمد علي النجار في تحقيقه للخصائص هذا وقد استشهد بشطره ابن جني انظر الخصائص (٤٣٢/٢) تحقيق محمد علي النجار -ط دار الهدى للطباعة والنشر بيروت-. وجاء في تاج العروس مادة «فسق» بلا نسبة.

(٤) انظر الخبرين الاول (٤٠٨/١) والثاني (٤٠٩/١) في تفسير ابن جرير وقد أشرنا سابقاً الى صحة هذا الخبر بسنده الصحيح إلى ابن مسعود.

عباس في قوله تعالى: (ومايضل به إلا الفاسقين) قال يعرفه الكافرون فيكفرون به[1] وروى ابن جرير عن قتادة قال: فسقوا فأضلهم الله بفسقهم[2] صح أصل] انتهى هامش.

﴿الذين ينقضون عهد الله﴾ الذين في محل نصب نعت للفاسقين أو على القطع أي أذم الذين ويجوز أن تكون في محل رفع على القطع أي هم الذين أو على الابتداء والخبر قوله(أولئك هم الخاسرون) وعلى هذا تكون هذه الجملة كأنها كلام مستأنف لا تعلق لها بما قبلها، والظاهر خلافه والمراد بهم الناقضين لعهد الله أحبار اليهود ومنافقيهم[3] وقيل الكفار جميعاً[4] والنقض فسخ التركيب وأصله في طاقات الحبل واتساع استعمال النقض في إبطال العهد من حيث إن العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط أحد المتعاهدين بالآخر، قال في الكشاف[5] ومنه قول ابن التيهان[6] في بيعة العقبة: يارسول الله إن بيننا وبين القوم حبلا[7] ونحن قاطعوها فنخشى إن الله أعزك وأظهرك أن ترجع إلى

---

(١) الدر المنثور (١٠٤/١).

(٢) تفسير الطبري (٤٠٩/١).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٦٧/١) إذ قال وقال آخرون هي في كفار أهل الكتاب والمنافقين منهم.

(٤) تفسير ابن كثير (١٧٩/١).

(٥) الكشاف (٢٦٨/١).

(٦) هو أبو الهيثم مالك بن التيهان والتيهان اسمه مالك بن عمرو بن عبدالأعلم بن عامر بن زعوراء بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري حليف بني عبدالأشهل كان أحد النقباء ليلة العقبة ثم شهد بدراً واختلف في وقت وفاته فذكر خليفة عن الأصمعي قال سألت قومه فقالوا مات في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا لم يتابع عليه قائله، وقيل إنه توفي سنة عشرين أو إحدى وعشرين، وقيل إنه أدرك صفين وشهدها مع علي وهو الأكثر وقال ابن البرقي ذهبت عينه يوم اليرموك ومات في زمن معاوية - أهـ باختصار من الإستيعاب في أسماء الاصحاب للفقيه المحدث القرطبي المالكي (١٩٩/١) - ط دار الكتاب العربي بيروت.

(٧) الذي في الكشاف «حبالاً» بخلاف النسخة (أ) و(ب) والصحيح مافي الكشاف لمطابقته لرواية كعب بن مالك رضي الله عنه.

قومك[1] فيشبه العهد بالحبل استعارة بالكناية، وإثبات النقض للعهد إستعارة تحقيقية، وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكت عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمز إليه بذكر شيء من لوازمه فينبه بذلك الرمز على مكانه كقولك: شجاع يفترس أقرانه وعالم يفترق منه الناس ففيه تنبيه على أن الشجاع أسد والعالم بحر والعهد الموثق واليمين[2]، وأعهد إليه في كذا إذا أوصاه به، واختلف المفسرون في معنى العهد الذي وصف هؤلاء الفاسقين بنقضه،فقال بعضهم: هو وصية الله إلى خلقه وأمره إياهم بما أمرهم به من طاعته ونهيه إياهم عما نهاهم عنه من معصيته في كتبه وعلى لسان رسله، ونقضهم ذلك هو ترك العمل به. وقال آخرون: بل هي [في][3] كفار أهل الكتاب. والمنافقين منهم وعهد الله الذي نقضوه هو ما أخذه عليهم في التوراة من العمل بما فيها واتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذا بعث والتصديق به وماجاء به من عند ربهم، ونقضهم ذلك هو جحودهم به [بعد][4]

---

(١) هنالك رواية مطولة في سيرة ابن هشام نأخذ منها السند والخبر المشار إليه في تفسير الكوكباني رحمه الله تعالى: قال ابن إسحاق حدثني معبد بن كعب، أن أخاه عبدالله بن كعب حدثه أن أباه كعب ابن مالك حدثه، قال كعب: فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى اله عليه وآله وسلم، أبو الهيثم بن التيهان، فقال: يارسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالاً، وإنا قاطعوها -يعني اليهود- فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال..» أهـ سيرة ابن هشام (١/٤٤٠ .٤٤٢). أما ابن إسحاق فقد أشرنا الى انه صدوق إذا صرح بالسماع كما فعل هنا. وأما معبد بن كعب بن مالك الانصاري السلمي بفتحتين المدني، مقبول وهو عند البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة انظر التقريب (صفحة ٥٣٩) أما عبدالله بن كعب بن مالك الأنصاري المدني ثقة، يقال له رؤية وهو عند البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي وابن ماجة - انظر التقريب (صفحة ٣١٩) أما كعب بن مالك فهو الصحابي المشهور الذي تاب وتاب الله عليه رضي الله عنه. وبناءً على ذلك فالسند صحيح ومافي تيسير المنان مروي بنحوه عند ابن إسحاق.

(٢) قال ابن عطية في تفسيره: «والعهد في هذه الآية: التقدم في الشيء والوصاة به» (١/٢٠٩) والكوكباني رحمه الله تعالى قصد: العهد الموثق باليمين والله أعلم.

(٣) ليست هذه الكلمة موجودة في ب والصواب إثباتها.

(٤) ليست هذه الكلمة موجودة في ب والصواب إثباتها.

معرفتهم بحقيقته وإنكارهم ذلك، وكتمانهم علم ذلك عن الناس بعد أن أعطاهم الله تعالى الميثاق ليبينه للناس ولا يكتمونه، فأخبر تعالى أنهم نبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً، وهذا اختيار ابن جرير[١] وقال آخرون: بل عنى سبحانه وتعالى بهذه الآية جميع أهل الكفر والشرك والنفاق وعهده إلى جميعهم [في][٢] توحيده تعالى ما وضع إليهم من الأدلة على ربوبيته، وعهده إليهم في أمره ونهيه ما احتج به لرسله من المعجزات التي لا يقدر أحد من الناس غيرهم أن يأتي بمثلها الشاهدة لهم على صدقه قالوا: ونقضهم ذلك تركهم الإقرار بما قد تبينت لهم صحته بالأدلة وتكذيبهم الرسل والكتب مع علمهم [إنما][٣] أوتوا [به][٤] حق وقيل العهد الذي ذكره الله تعالى هو العهد الذي أخذه عليهم حين أخرجهم من صلب آدم الذي وصف في قوله تعالى: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا)[٥] الآيتين. ونقضهم ذلك تركهم الوفاء به[٦] والله أعلم. وقال السدي في تفسيره: هو ماعهد إليهم في القرآن فأقروا به ثم كفروا فنقضوه[٧] ﴿من بعد ميثاقه﴾ الضمير للعهد، ويجوز أن يكون عائداً على الله تعالى قال أبو البقاء: إن أعيد إلى اسم الله كان المصدر مضافاً إلى الفاعل، وإن أعيد إلى العهد كان مضافاً إلى المفعول[٨] والميثاق اسم في موضع المصدر قاله ابن عطية كقوله:

وبعد عطائك المائة الرتاعا

البيت[٩] فعطاء اسم مصدر وظاهر ←

---

(١) تفسير الطبري (١/٤١١-٤١٢).

(٢) في النسخة ب واو عوضاً عن [في].

(٣) في النسخة ب [بما].

(٤) في النسخة ب [أنه].

(٥) الآية ١٧٢ من سورة الأعراف.

(٦) الأقوال الأربعة هذه ذكرها ابن جرير في تفسيره رحمه الله ثم رجح القول الذي أشار إليه الكوكباني.

(٧) تفسير ابن كثير (١/٦٧) جاء فيه وقال السدي في تفسيره بإسناده وذكر القول نفسه.

(٨) انظر إملاء ما من به الرحمن (صفحة ٣٤).

(٩) قال ابن عطية رحمه الله تعالى: «وميثاق مفعال من الوثاقة وهي الشد في العقد والربط ونحوه وهو في هذه الآية اسم في موضع المصدر كما قال عمرو بن شبيم: =

كلام جار الله وأبي البقاء أن الميثاق مصدر قال جار الله المعنى الوثاقة[1] وقال أبو البقاء: بمعنى الإيثاق[2]، والمراد به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب أو ما وثقوه به من الالتزام والقبول ومن في من بعد متعلقة ينقضون، وهي لابتداء الغاية، فإن ابتداء النقض بعد الميثاق ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾ قيل المراد به قطع الأحارم والقرابات،[3] وقيل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع مولاة المؤمنين والإتحاد والاجتماع على الحق والتفرقه بين الأنبياء عليهم السلام لأنهم قالوا نؤمن ببعض ونكفر ببعض، وقال المؤمنون (لا نفرق بين أحد من رسله)[4] والقطع الفصل بين الشيئين، والوصل الجمع بينهما، وأن يوصل في محل جريدل من الضمير في به أي بوصله. وأجاز المهدوي

---

= أكفراً بعد رد الموت عني وبعد عطائك المائة الرتاعا

أراد بعد إعطائك - أهـ تفسير ابن عطية (٢١٠/١) قال ابن منظور رحمه الله تعالى: «رتع» الرتع الأكل والشرب رغداً في الريف رتع يرتع رتعاً ورتوعاً ورتاعاً يقال خرجنا نرتع ونلعب أي ننعم ونلهو وفي حديث أم زرع: في شبَعٍ وريٍّ ورتعٍ أي تنعم وقيل معنى يرتع يأكل واحتج بقوله:

وحبيب لي إذا لاقيته وإذا يخلو له لحمي رتع

- أهـ لسان العرب باختصار مادة رتع ط بولاق (٤٧٠/٩).

(١) قال الزمخشري رحمه الله: «والضمير في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله وإلزامه أنفسهم ويجوز أن يكون بمعنى توثقته كما أن الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة» أهـ (٣٦٨/١).

(٢) انظر إملاء مامن به الرحمن (صفحة٣٤).

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٦٧/١) ط دار الفكر.

(٤) انظر تفسير البيضاوي (٢٢٨/١) أشار ابن جرير الى القولين ومال إلى الاول ثم قال أخيراً رحمه الله تعالى مشيراً للقول الثاني: «وهذا مذهب من تأويل الآية غير بعيد من الصواب، ولكن الله جل ثناؤه قد ذكر المنافقين في غير آية من كتابه، فوصفهم بقطع الأرحام فهذه نظير تلك، غير أنها - وإن كانت كذلك - فهي دالة على ذم الله كل قاطع قطع ما أمر الله بوصله، رحماً كان أو غيرها» أهـ تفسير الطبري (٤١٦/١) والآية رقم ٢٨٥ من سورة البقرة.

وابن عطية وأبو البقاء أن يكون في محل نصب بدلاً من ما، قال أبو البقاء: بدل الإشتمال أي ويقطعون وصل ما أمر الله به[1] وأجاز المهدوي[2] وابن عطية[3] أن يكون في محل نصب مفعول من اجله[4] وقدره المهدوي كراهة أن يوصل ﴿ويفسدون في الأرض﴾ بالمعاصي والمنع عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ في الآخرة فاتتهم الجنة واستوجبوا النار فكانوا خاسرين. قال ابن جرير هم الخاسرون الناقصون حظوظهم بمعصيتهم الله[5] من رحمته كما يخسر الرجل في تجارته بأن يوضع من رأس ماله في بيعه، وكذلك الكافر والمنافق خسر بحرمان الله إياه رحمته التي خلقها لعباده في القيامة[6] وقال الضحاك عن ابن عباس:كل شيء نسبه الله تعالى إلى غير أهل الاسلام من اسم مثل «خاسر» فإنما يعتريه الكفر ومانسبه الى أهل الإسلام فإنما يعني به الذنب[7] هامش [وروى ابن جرير[8] وابن أبي حاتم[9] عن ابن عباس قال: كل شيء نسبه الله إلى غير أهل الإسلام مثل خاسر

---

(١) لكن أبا البقاء ذكر أكثر من ذلك فقال: «أن يوصل» في موضع جر بدلاً من الهاء، أي يوصله ويجوز أن يكون بدلاً من مابدل الإشتمال تقديره: ويقطعون وصل ما أمر الله به، ويجوز أن يكون في موضع رفع: أي هو أن يوصل - أهـ إملاء ما من به الرحمن (صفحة ٣٤).

(٢) مرت فيما سبق ترجمته.

(٣) انظر البحر المحيط (١٢٨/١) للقول بالإعراب.

(٤) هذا ما نقله البحر المحيط عن ابن عطية لكن ابن عطية رحمه الله ذكر ثلاثة أقوال في الإعراب فقال: «وأن في موضع نصب بدل من ما أو مفعول من أجله، وقيل: أن في موضع خفض بدل الضمير في به وهذا متجه» - أهـ تفسير ابن عطية (٢١٠/١)-.

(٥) لفظ ابن جرير «الناقصون انفسهم حظوظها - بمعصيتهم الله» تفسير الطبري (٤١٧/١).

(٦) تفسير الطبري (٤١٧/١).

(٧) تفسير الطبري (٤١٧/١) وقد مر معنا أن طريق الضحاك إلى ابن عباس منقطعة. أنظر تعليق رقم (١) على الصفحة (١٢٤).

(٨) لم أجده في تفسير ابن جرير الطبري عند تفسير هذه الآية.

(٩) بنحوه في الدر المنثور (١٠٥/١).

ومسرف وظالم ومحروم وفاسق فإنما يعني به الكفر، وما نسبه إلى أهل الإسلام فإنما يعني به الذنب» صح أصل] انتهى هامش. ثم ذكر تعالى بعد نصب الدلائل ووضوح البرهان احتجاجاً آخر على وجوده وقدرته، وأنه الخالق المتصرف في العباد والقادر على المعاد فقال عزمن قائل مخاطباً على طريقة الالتفات.

(٢٨) ﴿كيف تكفرون بالله﴾ أي كيف تجحدون وجوده، أو تعبدون معه غيره. هامش [وكيف مبنية على الفتح لخفته وهي في موضع نصب بتكفرون، ويسأل بها عن الحال وضمنها هذا معنى التقرير والتوبيخ فخرجت عن حقيقة الاستفهام، وقيل صحبها معنى الإنكار والتعجب [١] الخ ﴿وكنتم أمواتاً﴾ أجساماً لا حياة لها، أو نطفاً في أصلاب آبائكم[٢] والواو في (وكنتم) للحال ولابد من إضمار قد لوقوع الماضي حالاً وهو مذهب الجمهور[٣] كقوله تعالى (أو جاؤوكم حصرت صدورهم)[٤] أي قد حصرت. وقال جار الله: لم تدخل الواو على كنتم أمواتاً وحده، ولكن على جملة قوله كنتم أمواتاً إلى ترجعون كأنه قيل: كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم أنكم كنتم أمواتاً إلى قوله ترجعون، فجعلها في تأويل الإسمية ثم رد الحال إلى العلم بها أي وأنتم عالمون بهذه القصة لأن بعض القصة حال وبعضها مستقبل وكلاهما لايصح أن يقع حالاً[٥] ﴿فأحياكم﴾ أي فجعلكم أحياء بخلق الأزواج فيكم، وإنما عطفه بالفاء لأنه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي ﴿ثم يميتكم﴾ بعد هذه الحياة عند انقضاء آجالكم ﴿ثم يحييكم﴾ بعد

---

(١) أي أن من كان بهذه المثابة من القدرة الباهرة والتصرف التام والمرجع إليه آخراً فيثيب ويعاقب لا يليق أن يكفر به - أهـ البحر المحيط (١٢٩/١) إذ الأمر على سبيل التعجب من لغة العرب لا أن الله تعجب في قول أبي حيان رحمه الله تعالى.

(٢) ستأتي الأقوال في المأثور الراجح.

(٣) والى هذا ذهب أبو البقاء في إملاء مامن به الرحمن (صفحة ٢٤) والقرطبي (٢٤٩/١) وابن كثير في التفسير (٦٨/١).

(٤) الآية ٩٠ من سورة النساء.

(٥) انظر المعنى في الكشاف (٢٦٩/١).

الموت بالنشور يوم النفخ في الصور، أو للسؤال في القبور ﴿ثم إليه ترجعون﴾ بعد الحشر فيجازيكم بأعمالكم أو تنشرون إليه من قبوركم للحساب، فما أعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فإن قيل إن علموا أنهم كانوا أمواتاً فأحياهم ثم يميتهم لم يعلموا أنه يحييهم ثم إليه ترجعون؟ قلت: لما كانوا متمكنين من العلم بهما بما نصب لهم من الأدلة الموصلة إليه نزل منزلة علمهم[1]، لا سيما وفي الآية تنبيه على مايدل على صحتهما وهو أنه تعالى لما قدر على أن أحياهم أولاً قدر أن يحييهم ثانياً فإن بدأ الخلق ليس بأهون عليه من إعادته. فإن قلت كيف تعد الإماتة من النعم المقتضية للشكر؟ قلت: لما كانت وصلة إلى الحياة الثانية وهي الحياة الحقيقية كما قال عز وعلا ﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوا لوكانوا يعلمون﴾ [2] كانت من النعم الحقيقية مع أن المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القضية بأسرها، كما أن الواقع حالاً هو العلم بها لا كل وواحد من الجمل، فإن بعضها ماض وبعضها مستقبل كما تقدم والموت ضد الحياة قال تعالى (الذي خلق الموت والحياة)[3] فإن قيل كيف قيل لهم أمواتاً في حال كونهم جماداً وإنما يقال ميت فيما يصح فيه الحياة؟ قلت: بل يقال ذلك لعادم الحياة كقوله تعالى:(اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها)[4] وقال في الأصنام (أموات غير أحياء)[5] وقال تعالى:(أو من كان ميتاً فأحييناه)[6] تنبيه: قال سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين)[7] قال هي في البقرة (كنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم)[8] وقال ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس

---

(١) الكشاف بتصرف (٢٦٩/١).

(٢) الآية ٦٤ من سورة العنكبوت.

(٣) الآية ٢ من سورة الملك.

(٤) الآية ١٧ من سورة الحديد.

(٥) الآية ٢١ من سورة النحل.

(٦) الآية ١٢٢ من سورة الأنعام.

(٧) الآية ١١ من سورة غافر.

(٨) في السند لين الحديث وهو أبو إسحاق: قال الذهبي رحمه الله تعالى «أبو إسحاق البحري عن أبي الاحوص عن عبدالله مرفوعاً: من أحسن الصلاة حيث يراه الناس. هو إبراهيم بن مسلم ضعف» - أهـ - ميزان الاعتدال (٤٨٩/٤/رقم٩٩٤٦) وقال عنه ابن حجر رحمه الله تعالى: «لين الحديث رفع موقوفات، وهو عند ابن ماجة» التقريب (صفحة ٩٤).

رضي الله عنهما (كنتم أمواتاً فأحياكم) أمواتاً في أصلاب آبائكم لم تكونوا شيئاً حتى خلقكم، ثم يميتكم موتة الحق، ثم يحييكم حين يبعثكم قال: وهي مثل قوله تعالى (أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين)[1] [2] [3] قال: كنتم تراباً قبل أن يخلقكم فهذه ميتة أخرى، ثم يبعثكم يوم القيامة فهذه حياة، فهذه حياتان وميتتان، فهو كقوله تعالى: (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً) الآية وقال ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم قال: خلقهم من ظهر آدم فأخذعليهم الميثاق، ثم أماتهم، ثم خلقهم في الأرحام، ثم أماتهم، ثم أحياهم يوم القيامة وذلك قول الله تعالى: (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) وهذا غريب[4]، والصحيح ما تقدم عن ابن مسعود وابن عباس[5] وقرأ يعقوب

---

(١) الآية ١١ من سورة غافر.

(٢) الخبر بهذا السند في تفسير ابن كثير (٦٨/١) ط دار الفكر أما ابن جريج قال عنه في التقريب «ثقة فقيه فاضل وكان يدلس ويرسل وهو عند أصحاب الكتب الستة» (صفحة ٣٦٣) وأما عطاء قال عنه في التقريب «ثقة فقيه فاضل لكنه كثير الإرسال) (صفحة ٣٩١).

(٣) جاء بعض الخبر بسند آخر عن ابن عباس كما في تفسير ابن كثير نفسه الذي ذكر القول السابق بسنده عن ابن عباس وأما بعض هذا الخبر فقد جاء بهذا السند: «وقال الضحاك عن ابن عباس «ربنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين» قال كنتم تراباً قبل أن يخلقكم فهذه ميتة ثم أحياكم فخلقكم فهذه حياة ثم يميتكم فترجعون الى القبور فهذه ميتة أخرى ثم يبعثكم يوم القيامة فهذه حياة أخرى: فهذه ميتتان وحياتان فهو كقوله (كيف تكفرون بالله وكنتم امواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم) - أهـ تفسير ابن كثير وقد أشرنا سابقاً إلى أن طريق الضحّاك إلى ابن عباس منقطعة.

(٤) قد تكلمنا سابقاً في عبدالرحمن بن زيد في أنه ضعيف وهذا الكلام لامجال للرأي فيه إلا بخبر مرفوع لذلك لايعتبر كلامه حجة في ذلك كما لا يقبل نقله.

(٥) قد أشرنا قبل قليل إلى ضعف سند الخبر المنقول عن ابن مسعود وحسن الإسناد في الخبر المروي عن ابن عباس في ذلك عن طريق نقد رجال السند لكن خبر ابن مسعود يقويه خبر ابن عباس والذي أختاره في هذه المسألة «كنتم أمواتاً فأحياكم» كنتم عدماً فأخرجكم إلى الوجود أحياء قال تعالى: (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) الآية ١ من سورة =

(ترجعون) في التاء والياء بفتحها[1] على أن الفعل لهم في جميع القرآن. وقرأ الباقون بضم التاء[2] والياء وفتح الجيم على مالم يسم فاعله إلا في أحرف اختلفوا فيها. ثم ذكرتعالى حجة بالغة، وعد عليهم نعماً سابقة مرتبة على الأولى فقال عز من قائل :

(٢٩) ﴿هو الذي خلق لكم مافي الأرض جميعاً﴾ لكم أي لأجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح أبدانكم وقوام معايشكم ودينكم بالاستدلال والاعتبار لما فيه من عجائب الصنع الدال على الصانع الحكيم، ومافيه من التذكرة بالآخرة وثوابها وعقابها لاشتماله على أسباب الأنس واللذة من أنواع المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية وغير ذلك، وعلى أسباب الوحشة والمشقة من أنواع المكاره كالنيران والصواعق والسباع والحيات والسموم والغموم، وغير ذلك، وجميعاً نصب على الحال من الموصول وهو ما أي مجتمعاً وعدها بدر الدين بن مالك[3] من ألفاظ التوكيد قال: وأغفلها النحويون[1]

---

= الإنسان. فالعدم هو أبلغ حالات الموت والله أعلم ويؤيده قول ابن عباس الثابت عنه: «لم تكونوا شيئاً حتى خلقكم».

(١) قال الحافظ أبو بكر النيسابوري رحمه الله تعالى: «تَرْجِعون» بفتح التاء والياء» – أهـ الغاية في القراءات العشر صفحة ٩٩ وقال غياث جنباز علي ذلك: «قرأ يعقوب بفتح التاء وكسر الجيم من «رجع» اللازم في جميع القرآن سواء كان غيباً أو خطاباً إذا كان من رجوع الآخرة» – المهذب (٥١/١) والنشر (٢٠٨/٢) وغير ذلك.

(٢) قرأ الباقون هذه الآية (تُرْجَعُونَ) انظر القراءات العشر المتواترة (صفحة ٥) وانظر البدور الزاهرة (صفحة ٢٧) وانظر البحر المحيط (١٣٢/١).

(٣) هو محمد بدرالدين بن محمد بن عبدالله بن مالك المتوفى في دمشق في يوم الأحد ٨/محرم/٦٨٦هـ وهو ابن ناظم الألفيه شرح الألفية – أهـ المقدمة الطبعة الأولى لشرح ابن عقيل على الألفية (٦/١) مطبعة السعادة – مصر– سنة ١٣٨٤هـ.

وأغفلها النحويون[1] وقد نبه سيبويه على أنها بمنزلة كل معنى واستعمالا[2]، ولم يذكر له شاهداً من كلام العرب وقد ذكر العيني[3] في الفرائد شرح الشواهد شاهداً له وهو قول امرأة من العرب ترقص ابنها :

فداك حي خولان... وكل آل قحطان والأكرمون عدنان[4]

قلت: فعلى رأيه يعرب هنا جميعاً توكيداً للمفعول وهو ما ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ أي قصد إليها بإرادته ومشيئته، أو أقبل إليها بعد خلق الأرض، فالاستواء هنا مضمن معنى القصد أو الإقبال لأنه عدي بإلى[5] والاستواء الاعتدال والاستقامة يقال: استوى العود وغيره إذا قام واعتدل، وهو الأصل، واستوى إليه أي قصد، واستوى أي استولى وملك، قال الشاعر :[6]

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق[7]

---

(١) لم أعثر على شرحه للألفية.

(٢) انظر كتاب سيبويه (٣٧٦/١-٣٧٧) – ط الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

(٣) هو بدر الدين العيني (٧٦٢ – ٨٥٥هـ ١٣٦١ – ١٤٥١م) محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العيني الحنفي: مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين أصله من حلب ومولده في عينتاب وإليها نسبته) أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس. وولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية عكف أخيراً على التدريس والتصنيف من كتبه «عمدة القاري في شرح البخاري –ط» أحد عشر مجلداً و «المقاصد النحوية – ط» في شرح شواهد شروح الألفية، يعرف بالشواهد الكبرى و«فرائد القلائد–ط» مختصر شرح شواهد الألفية، ويعرف بالشواهد الصغرى و «شرح سنن أبي داود–خ» مجلدان منه–أهـ من الأعلام (١٦٣/٧).

(٤) لم أقف على هذا القول.

(٥) انظر تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى – (٦٨/١) ط دار الفكر–.

(٦) لم أقف على قائله لكن عزاه بعضهم للأخطل ولم أجده في ديوانه. والجوهري ذكره في الصحاح (٢٣٨٥/٦) مادة كلمة «سوا».

(٧) نقله صاحب لسان العرب عن الجوهري (٤١٤/١٤) مادة كلمة «سوا» ط دار صادر والبيت في

تفسير القرطبي (١/٢٢٥) وفي البحر المحيط (١/١٣٤) وفي تفسير ابن عطية (١/٢١٤) ولم يذكر قائلة في كل هذه المراجع، وفي قوله سبحانه وتعالى: (ثم استوى إلى السماء فسواهن) قال: ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى علا عليهن وارتفع فدبرهن بقدرته وخلقهن سبع سماوات ثم قال بعد كلام ناصحاً: «فقل علا عليها علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال».

والذي أرجحه في هذه المسألة والله تعالى أعلم هو ما قاله البيهقي أبو بكر أحمد بن علي بن حسين في تفسير القرطبي (١/٢٥٤-٢٥٥): قوله «استوى» بمعنى أقبل صحيح، لان الإقبال هو القصد إلى خلق السماء والقصد هو الإرادة وذلك جائز في صفات الله سبحانه وتعالى، وقال سفيان بن عيينه وابن كيسان في قوله تعالى (ثم استوى إلى السماء) قصد إليها أي بخلقه واختراعه ويؤيد هذا الخبر بالسند الصحيح الذي جاء عن أشهر المفسرين في الأمة الاسلامية عبدالله ابن عباس وعبدالله بن مسعود، قال السدي في تفسيره عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة (هو الذي خلق لكم مافي الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم) قال إن الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء فسمى عليه فسماه سماءً..» الى آخر الرواية أو ليس هذا يكفي في دعم قولنا بقوله «فلما أراد».

أما الخبر فقد جاء بسندين الأول عن السدي عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس قد أشرنا قديماً إلى قبول رواية السدي لكن التفسير الذي جمعه رواه أسباط بن نصر وأسباط لم يتفقوا عليه كما قال السيوطي عنه - انظر الاتقان للسيوطي (١/٢٤١).

وأما طريق السدي الكبير عن مرة الهمداني عن ابن مسعود فهي طريق صحيحة كما أشرنا ومن خلال ذلك فقد وضح الرأي الراجح في هذا الأمر وإذا كنا نقول بهذا القول في هذه الآية لتعدية كلمة «استوى» بالى فإن الأمر يختلف عند قولنا بتفسير الآية :

(الرحمن على العرش استوى) الآية ٥ من سورة طه فقد استوى استواء يليق بذاته سبحانه وتعالى. والكلام عن هذه في مكانه مستقبلاً إن شاء الله تعالى.

(١) هذه في غير حقه تعالى كما يقصد الإمام رحمه الله تعالى.

(٢) في النسخة ب [إلا] والصواب ما جاء في أ.

واستوى على سريره أي علا كأنه استقام عليه[1] و «ثم» لعله لتفاوت مابين الخلقين، وفضل به خلق السماء على خلق الأرض كقوله تعالى: (ثم كان من الذين آمنوا) [لا][2] للتراخي في الوقت فإنه يخالف ظاهر قوله تعالى (والأرض بعد ذلك دحاها)[3] وسيأتي إن شاء الله تعالى بعد هذا[4] ﴿فسواهن﴾ أي عدلهن، وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير مفعول عائد إلى السماء على أنها جمع واحدها سماو أو سماة، أبدلت الواو في سماوه همزة لوقوعها طرفاً بعد ألف زائدة، أو على أنها اسم جنس يصدق على المفرد والجمع كقولك: أهلك الناس الدينار والدرهم. وقال: فخرجوا رزم وهن ضمير مبهم وتفسيره سبع سماوات، واعترض والاعتراض عليه مردود. ثم قال رحمه الله تعالى: وهو الوجه العربي وكأنه والله أعلم إنما كان أرجح عنده لما فيه من التفسير بعد الإبهام وهو أوضع في النفس ﴿سبع سماوات﴾ بدل من ضمير فسوّاهن المنصوب على المفعولية أو تفسير ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ فيه تعليل كأنه قال ولكونه عالماً بكنه الاشياء كلها خلق ما

---

(٣) الارض خلقت قبل السماء وهذا ما لا أعلم فيه نزاعاً بين العلماء إلا مانقله ابن جرير عن قتادة أنه زعم أن السماء خلقت قبل الارض، وقد توقف في ذلك القرطبي في تفسيره لقوله تعالى (أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها. رفع سمكها فسواها. وأغطش ليلها وأخرج ضحاها. والأرض بعد ذلك دحاها. أخرج منها ماءها ومرعاها. والجبال أرساها) قالوا فذكر خلق السماء قبل الأرض وفي صحيح البخاري أن ابن عباس سأل عن هذا بعينه فأجاب بأن الارض خلقت قبل السماء وأن الأرض إنما دحيت بعد خلق السماء، وكذلك أجاب غير واحد من علماء التفسير قديماً وحديثاً وقد حررنا ذلك في سورة النازعات، وحاصل ذلك أن الدحي مفسر بقوله تعالى: (والأرض بعد ذلك دحاها، أخرج منها ماءها ومرعاها. والجبال أرساها) ففسر الدحي - أهـ من تفسير ابن كثير (٦٩/١).

(٤) في النسخة ب [بهذا].

خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع، وفيه استدلال بأن من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليماً، فإن إتقان الافعال وإحكام تخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور إلا من عالم حكيم. وقرأ الاكثرون هو بضم الهاء[1] وهو الاصل وقرأ أبو عمرو والكسائي ونافع برواية قالون بسكونها[2] تخفيفاً «وعليم» فعيل من علم، ومعناه عالم غير أن في عليم مبالغة ليست في عالم. وتفصيل هذه الآية في سورة حم السجدة وهو قوله تعالى: (قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم)[3] ففي هذا دلالة على أنه تعالى ابتدأ بخلق الارض أولاً ثم خلق السماوات سبعاً، وهذا شأن البناء أن يبدأ بعمارة أسافله ثم أعاليه، وقد صرح المفسرون بذلك كما سنذكره إن شاء الله تعالى فأما قوله تعالى :(أأنتم اشد خلقاً أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها)[4] فقد قيل إن ثم للتفاوت بين الخلقين كما تقدم، وقيل ان الدحو كان [قبل][5] خلق السماوات رواه ابن ابي طلحة عن ابن عباس وقد قال مجاهد في قوله تعالى: (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً» قال خلق الله الارض قبل السماء فلما خلق الارض ثار

---

(١) وهم نافع برواية ورش وابن كثير وابن عامر الشامي وعاصم الكوفي وحمزة الكوفي ويعقوب البصري وخلف – انظر كتاب القراءات العشر (صفحة ٥).

(٢) أنظر القراءات العشر (صفحة ٥) وأضاف في هذه القراءة أبا جعفر.

(٣) الآيات ٩-١٢ من سورة فصلت.

(٤) الآيات ٢٧-٣٠ من سورة النازعات .

(٥) في النسخة ب [بعد] وهو الموافق رواية ابن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير ابن كثير (٧١/١)-ط دار المعرفة -.

منها دخان فذلك حين يقول (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) (فسواهن سبع سموات) قال بعضهن فوق بعض وسبع أرضين، يعني بعضها تحت بعض ذكره ابن كثير في تفسيره[1] فإن قيل كيف انتظام قوله تعالى:

(٢٠) ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ [مع][2] ماقبله؟ قلت: لما عد تعالى النعم والحجج فبدأ تعالى بذكر خلق الإنسان وحياته، ثم بخلق جميع مافي الارض، ثم بخلق السموات، ثم عد نعمة تعم الناس كلهم، فإن خلق آدم وإكرامه والنبوءة بذكره في الملأ الأعلى وأمر الملائكة بالسجود إنعام يعم ذريته، فكأنه قال: كيف تكفرون بالله وقد خلقكم، وخلق الأشياء لكم، وأنعم على أبيكم آدم بما ذكر في تمام القصة. وإذ ظرف زمان للماضي مبني لشبهه بالحرف وضعاً وافتقاراً، وتقع بعده الجملة الاسمية نحو قام زيد إذ عمرو قائم، والفعلية كالآية،وإذا للمستقبل وقد يوضع أحدهما موضع الآخر فتكون إذا للماضي كإذ كما في قوله تعالى (حتى إذا بلغ بين السدين)[3] (حتى إذا ساوى بين الصدفين)[4] كما أن إذ يكون للمستقبل كإذا كما في قوله تعالى: (وإذ لم يهتدوا به فسيقولون)[1] وكما في قوله تعالى: (فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم)[2] ويمكن أن

---

(١) تفسير ابن كثير (٦٩/١) لكن الملاحظ أن القول من مجاهد رحمه الله بسبع أرضين بعضهن فوق بعض استنبطها استنباطاً من القول بسبع سماوات بعضهن فوق بعض، وهو استنباط في غير مكانه، وأي شيء يمنع أن تكون الأرضين السبع تحت السماء الدنيا أو غير ذلك، ومن المعلوم في علم التفسير أن قول التابعي في التفسير غير ملزم لغيره ومجاهد تابعي وابن كثير نفسه رحمه الله يقول في مقدمة تفسيره: «قال شعبة بن الحجاج وغيره: أقوال التابعي في الفروع ليست حجة فكيف تكون حجة في التفسير؟ يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم وهذا صحيح أما إذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلايكون قول بعضهم حجة على قول بعض ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن والسنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة في ذلك» - أهـ تفسير ابن كثير (٦/١) من المقدمة.

(٢) في النسخة ب [ما].

(٣) الآية ٩٣ من سورة الكهف.

(٤) الآية ٩٦ من سورة الكهف.

تكون من باب (ونادى أصحاب الجنة)[٣] واختلف في إعراب إذ في الآية فقيل إنها زائدة وهو ضعيف[٤] وقيل بمعنى «قد» وليس بشيء[٥] وقال جار الله[٦] والمحسن بن كرامة[٧] وأبو البقاء[٨] إنها في محل نصب على المفعول به بفعل مقدر أي اذكر يامحمد إذ قال ربك، وضعف بأنها لازمة النصب على الظرفية لأنها من الظروف الغير المتصرفة، وأما قوله تعالى: (واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه)[٩] ونحوه فعلى اذكر الحادث إذ كان كذا فحذف الحادث، وأقيم الظرف مقامه. وقيل إنها ظرف في محل رفع خبر مبتدأ محذوف أي ابتداء خلقكم إذ قال ربك، وقيل إنها في محل نصب يقال بعدها وليس بشيء لأنها مضاف اليه والمضاف إليه لا يعمل في المضاف. وقيل إنه منصوب بخلقكم أي الذي خلقكم إذ قال، ورد بأن فيه زيادة الواو والفصل الكثير بالجمل المستقبلية، والأصح أنه ظرف والعامل فيه قالوا من قوله تعالى: (قالوا أتجعل فيها) كما تقول: إذ جئتني أكرمتك، وإذ قلت لي كذا قلت لك كذا والله أعلم والملائكة جمع ملك، مألك من الألوكة، وهي الرسالة، لأنهم وسائط بين الله

---

(١) الآية ١١ من سورة الأحقاف.

(٢) الآية ٧٠-٧١ من سورة غافر.

(٣) الآية ٤٤ من سورة الأعراف.

(٤) وهو آخر الأقوال التي ذكرها أبو البقاء في إملاء ما من به الرحمن (صفحة ٣٤).
قال الزجاج: «قال أبو عبيدة (إذ) ههنا زائدة وهذا إقدام من أبي عبيدة لأن القرآن لا ينبغي أن يتكلم فيه إلا بغاية تجري إلى الحق و (إذ) معناها الوقت وهي اسم فكيف يكون لغواً، ومعناها الوقت - أهـ معاني القرآن للزجاج (١٠٨/١) قال ابن عطية «وكذلك رد عليه - أي على أبي عبيدة - جميع المفسرين» تفسير ابن عطية (٢١٦/١).

(٥) لان قد قبل الفعل الماضي حرف تحقيق بخلاف إذ فليست للتحقيق بل ظرف.

(٦) الكشاف (٢٧١/١).

(٧) سبقت ترجمته.

(٨) إملاء ما من به الرحمن (صفحة ٣٤).

(٩) الآية ٢١ من سورة الاحقاف.

تعالى وبين الناس فهم رسل الله، أو كرسل إليهم، وأنشد ابن عطية على الأصل قول عدي ابن زيد:[1]

أبلغ النعمان عني مألكاً  أنه قد طال حبسي وانتظاري[2]

وانشد أبو البقاء[3] وغلام أرسله أمه  بألوكٍ فبذلنا ما سأل[4]

فقلبت مألك فقيل ملأك ثم حذفت الهمزة طلباً للخفة لكثرة الاستعمال ونقلت حركتها إلى اللام فقيل ملك، والتاء في الملائكة تأكيد لتأنيث الجمع وقيل للمبالغة. هامش [واختلف العقلاء في حقيقة الملائكة بعد اتفاقهم على أنهم ذوات موصوفة قائمة بأنفسها وذهب أكثر المسلمين إلى أنها أجسام لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة مستدلين بأن الرسل كانوا يرونهم كذلك[1] [وقالت][2] طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة

---

(١) عدي بن زيد توفي سنة ٣٥ق هـ نحو ٥٩٠م وهو عدي بن زيد بن حماد بن زيد العبادي التميمي: شاعر من دهاة الجاهليين. كان قروياً، من أهل الحيرة، فصيحاً، يحسن العربية والفارسية والرمي بالنشاب، وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، اتخذه في خاصته وجعله ترجماناً بينه وبين العرب فسكن المدائن ولما مات كسرى أنو شروان وولي ابنه «هرمز» أقر عدياً ورفع منزلته تزوج هنداً بنت النعمان بن المنذر ووشى به أعداء له إلى النعمان بما أوغر صدره فسجنه وقتله في سجنه بالحيرة وقال ابن قتيبة: كان يسكن الحيرة ويدخل الأرياف فثقل لسانه وعلماء العربية لايرون شعره حجة - أهـ في الاعلام (٤/ ٢٢٠).

(٢) البيت موجود في لسان العرب مادة كلمة ألك (١٢، ٢٧٢) - ط بولاق. ولكن بعد قول الزركلي السابق بعدم الاحتجاج بشعره وقول ابن قتيبة: كان يسكن بالحيرة ويدخل الأرياف فثقل لسانه واحتمل عنه شيء كثير جداً، وعلماؤنا لايرون شعره حجة» انظر الشعر والشعراء (صفحة ١٣٥) بعد هذا كله لانرى الاحتجاج ببيته هذا مناسباً.

(٣) انظر املاء ما من به الرحمن (صفحة ٣٤).

(٤) ذكر صاحب اللسان أن البيت للبيد - انظر مادة ألك (١٢/٢٧٢) -ط بولاق والبيت في الديوان برقم (١٦) من قصيدة رقم (٢٥) (ص ١٧٨) والألوك: بفتح الهمزة الرسالة قدمته، لكنها السلام إلى فلان أي أبلغ عني السلام- أهـ من شرح ديوان لبيد بن ربيعة للطوسي (ص ١٧٨) تحقيق الدكتور إحسان عباس -الكويت ١٩٦٢م.

للأبدان[٣] وزعم [الحكماء][٤] انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة إلى قسمين قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الله والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله فقال: (يسبحون الليل والنهار لايفترون)[٥] وهم العليون والملائكة المقربون وقسم يدبر الأمر من السماء إلى الأرض على ما يسبق به القضاء وجرى به القلم الإلهي (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)[٦] وهم المدبرات أمراً، فمنهم سماوية، ومنهم أرضية على تفصيل أثبته في كتاب الطوالع[٧] والله سبحانه وتعالى أعلم].

والمقول لهم قيل الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص، وقيل ملائكة الارض، وقيل إبليس ومن كان معه[٨] وقال البغوي: وذلك أن الله تعالى خلق السماء والارض، وخلق الملائكة والجن، فأسكن الملائكة السماء، وأسكن الجن الارض، فعبدوا دهراً طويلاً في الأرض، ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فأفسدوا واقتتلوا، فبعث الله لهم جنداً من الملائكة

---

(١) تفسير البيضاوي (١/٢٤٠).

(٢) في النسخة ب [وقال].

(٣) كان عليه ألا يدرج هذين الاسمين تحت اسم العقلاء ولا أظنه يريد ذلك، فالنصارى كفرهم واضح.

(٤) في النسخة أ [الحكماء] وفي ب [الجهمية] والصواب ماكان في أ، وأما الجهمية فهم أتباع جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بترمذ، وقتله مسلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية. وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية، وزاد عليهم بأشياء منها قوله: لايجوز أن يوصف الباري تعالى بصفه يوصف بها خلقه، لأن ذلك يقتضي تشبيهاً فنفى كونه حياً عالماً وأثبت كونه: قادراً، فاعلاً، خالقاً ومنها إثباته علوماً حادثة للباري تعالى لا في محل ومنها قوله في القدرة الحادثة وأن الإنسان مجبور في أفعاله والتكليف جبر له ومنها قوله بفناء الجنة والنار، وكان السلف كلهم من أشد الرادين عليه، ونسبته إلى التعطيل المحضي - اهـ من الملل والنحل للشهرستاني (١/٨٦-٨٨).

(٥) الآية ٢٠ من سورة الانبياء.

(٦) الآية ٦ من سورة التحريم.

(٧) على ما يظهر أن له تعليق على كتاب الطوالع ولم أجد الكتاب ولا حاشيته.

(٨) كل هذه الاقوال في تفسير البيضاوي (١/٢٤٠).

يقال لهم الجن وهم خزان الجنان، اشتق لهم اسم من الجنة رئيسهم إبليس، وكان من أشدهم وأكثرهم علماً فهبطوا إلى الارض فطردوا الجن إلى شعاب الجبال، وجزائر البحور، وسكنوا الارض، وخفف الله عنه العبادة، وأعطى الله إبليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة، فكان يعبد الله تارة في الارض وتارة في السماء وتارة في الجنة، فدخله العجب وقال في نفسه ما أعطاني الله تعالى هذا الملك إلا أني أكرم الملائكة عليه فقال له ولجنده إني جاعل في الارض خليفة[1] ورافعكم إليّ، فكرهوا ذلك لانهم كانوا أهون الملائكة عبادة. وعن الضحاك عن ابن عباس[2] رضي الله عنهما قال: «أول من سكن الارض الجن فأفسدوا فيها وسفكوا فيها الدماء، وقتل بعضهم بعضاً قال: فبعث الله إليهم إبليس[3] ومن معه حتى ألحقوهم[4] بجزائر البحور وأطراف الجبال[5] » رواه ابن جرير عن الضحاك عن ابن عباس[6] وروى ابن أبي حاتم عن مجاهد عن عبدالله بن عمر قال: كان الجن بنو الجان في الارض قبل أن يخلق آدم بألفي سنة، فأفسدوا في الارض وسفكوا الدماء فبعث الله جنداً من الملائكة فضربوهم حتى ألحقوهم[7] بجزائر البحور، فقال الله للملائكة (إني جاعل في الارض خليفة)[8] وجاعل اسم فاعل من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدأ والخبر وهما قوله تعال: (في الارض خليفة) فكانا مفعوليه ومعناه مُصَيِّر

---

(١) انظر تفسير البغوي (١/ ٢٤٠) والباقي الذي بعد لم أره في تفسير البغوي.

(٢) تكلمنا قديماً أن الضحاك لم يلق ابن عباس، أنظر تعليق رقم ١ على الصفحة ١٢٤.

(٣) في الطبري تتمة «في جند من الملائكة فقتلهم إبليس ومن معه» (١/ ٤٥٠).

(٤) في تفسير الطبري «ألحقهم» (١/ ٤٥٠).

(٥) والتتمة «ثم خلق آدم فأسكنه إياها، فلذلك قال: «إني جاعل في الارض خليفة».

(٦) وقد أشرنا إلى ضعف سند الخبر لكن رواه الحاكم في مستدركه (٢/ ٣٦١) بنحوه وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي في تعليقه عليه (صحيح) وهذا على القول بأن الضحاك لقي ابن عباس.

(٧) في تفسير ابن كثير (ألحقوا) (١/ ٧١).

(٨) تفسير ابن كثير لكنه أتم الآية (١/ ٧١).

في الأرض خليفة، والخليفة من يخلف غيره، والمعنى بدلاً منكم لأنهم كانوا سكاناً في الأرض فخلفهم فيها آدم وذريته، وليس المراد هنا بالخليفة آدم عليه السلام فقط كما تقول طائفة من المفسرين[1]، وعزاه القرطبي إلى ابن مسعود وابن عباس[2] وجميع أهل التأويل[3] وفي ذلك نظر، بل الخلاف في ذلك كثير حكاه فخر الدين الرازي في تفسيره[4] وغيره[5]، والظاهر أنه لم يرد آدم عيناً إذ لو كان كذلك لما حسن قول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء. قال السدي في تفسيره عن ابن مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة أن الله قال للملائكة: إني جاعل في الأرض خليفة قال ربنا ومايكون ذلك[6] الخليفة؟ قال يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا[7] قال ابن جرير فكأن[8] تأويل الآية عن هذا إني جاعل في الأرض خليفة مني يخلفني في الحكم بين خلقي وإن ذلك الخليفة هوآدم، ومن قام مقامه في طاعة الله تعالى والحكم بالعدل بين خلقه وأما الإفساد [وسفك][9] الدماء بغير حق فمن غير خلفائه [10][11] ﴿**قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء**﴾ أي يفسد فيها بالمعاصي، ويسفك الدماء بغير حق. والهمزة للاستفهام وصحبه معنى التعجب، كأنهم

---

(١) تفسير ابن كثير (١/٧٠).

(٢) (٣) تفسير القرطبي (١/٢٦٣).

(٤) تفسير الرازي (١/١٦٥-١٦٦).

(٥) انظر تفسير ابن كثير (١/٧٠).

(٦) في تفسير ابن كثير «ذاك» (١/٧١).

(٧) تفسير ابن كثير (١/٧١) وقد أشرنا إلى صحة رواية السدي عن مرة عن ابن مسعود كما مرّ.

(٨) في تفسير الطبري «فكان» (١/٤٥٢).

(٩) في ب [فيسفك] والصحيح الموافق لقول الطبري ماجاء في أ.

(١٠) انظر تفسير الطبري (١/٤٥٢).

(١١) والذي أرجحه «خليفة» يخلف الله في تنفيذ أحكامه في الارض لقوله تعالى «يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فأحكم بين الناس بالحق» الآية ٢٦ من سورة ص وقوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم) الآية ٥٥ من

تعجبوا من استخلاف الله تعالى من يعصيه. أو من عصيان من سيخلفه، وقيل صحبه [معنى][1] الاستعظام للاستخلاف والعصيان، وقيل صحبه التقرير كقول جرير:

أَلَستم خيرَ من ركب المطايا وأندى العالمين بُطونَ راحِ[2]

فإن قلت: من أين عرفوا ذلك حتى يتعجبوا منه ويستعظموه وإنما هو غيب؟ قلت: فيه وجوه منها أن الله تعالى أعلمهم أن في ذرية آدم من يفسد ويسفك الدماء، فقالوا ذلك كما تقدم عن السدي وقيل عرفوه من جهة اللوح[3]، وقيل ثبت عندهم أن الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون وكل خلق سواهم ليس على صفتهم[4] وقيل قاسوا أحد الثقلين على الاخر حيث سكنوا الارض فأفسدوا فيها قبل سكنى الملائكة[5] وقيل في الكلام حذف واختصار وتقديره أتجعل فيها من يفسد فيها أم من يصلح فيها؟ ومن يسفك الدماء جرأة أمن يسفح الدموع خشية؟ فحذف أحد الشيئين لدلالة المعنى عليه كما قال تعالى: (سرابيل

---

سورة النور وهذا من تفسير القرآن بالقرآن ولإجماع أهل السنة والجماعة على تسمية (الخلفاء الراشدين) للأربعة أبوبكر وعمرو وعثمان وعلي رضوان الله عليهم أجمعين بهذا. ولسياق النص بقوله تعالى (اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) فالخليفة يفصل بين الناس في المنازعات والخصومات ويقيم الحدود ويأمر بالجهاد في سبيل الله لإزالة الظلم من الارض في اعتداء الناس بعضهم على بعض لتحكيم شريعة الله تعالى. وهذا كله واجب وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب كما هو معروف في أصول الفقه الإسلامي.

(١) في النسخة ب [معين].

(٢) ذكر هذا البيت لجرير في تفسير الزجاج (١/ ١١٠) قال الدكتور عبدالجليل عبده شلبي في تعليقه على هذا البيت: «البيت لجرير من مدحه لعبدالملك أول مرة دخل عليه - يصفهم بالفروسية والجود والبيت شائع في كتب البلاغة وغيرها» - أهـ بتصرف من شرح ديوان جرير للصاوي البيت (١٥) ط مكتبة محمد حسين النوري دمشق، - الشركة اللبنانية للكتاب بيروت.

(٣) (٤) (٥) تفسير البيضاوي (١/ ٢٤٣).

تقيكم الحر)[1] أرادو البرد لان ما وقى الحر معلوم أنه يقي البرد[2]، وليس ذلك اعتراض من الملائكة على الله تعالى، ولا طعن في بني آدم على وجه الغيبة، فإنهم أعلى من أن يظن بهم ذلك لقوله تعالى: (بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون)[3] وهمزة الدماء منقلبة عن ياء قاله أبو البقاء لان الاصل دمي لانهم قالوا دميان[4] وانشدني شيخنا السيد الاجل صارم الدين بن إبراهيم بن محمد زبيبه رحمه الله تعالى:

ولو أنا على حَجَرٍ ذُبحْنا  جَرَى الدَّمَيان بالخبر اليقينِ[5]

---

(١) الآية ٨١ من سورة النحل.

(٢) انظر تفسير القرطبي ففيه قول قريب (٢٧٥/١) وقد أشرت قديماً إلا أن سياق النص يوضح معنى كلمة خليفة وأقول الآن أيضاً أن كلمة خليفة توضح السؤال ودوافعه من قبل الملائكة قال القرطبي رحمه الله تعالى: «قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها» قد علمنا قطعاً أن الملائكة لا تعلم الا ما أعلمت ولا تسبق بالقول: وذلك عام في جميع الملائكة لان قوله لايسبقونه بالقول خرج على جهة المدح لهم فكيف قالوا: (أتجعل فيها من يفسد فيها)؟ فقيل: المعنى أنهم لما سمعوا لفظ خليفة فهموا أن في بني آدم من يفسد؛ إذ الخليفة المقصود منه الإصلاح وترك الفساد، لكن عمموا الحكم على الجميع بالمعصية؛ فبين الرب تعالى أن فيهم من يفسد ومن لا يفسد فقال تطييباً لقلوبهم (إني أعلم) وحقق ذلك بأن علم آدم الاسماء، وكشف لهم عن مكنون علمه - أهـ تفسير القرطبي (٢٧٤/١)-.

(٣) الآية ٢٦-٢٧ من سورة الانبياء.

(٤) إملاء ما من به الرحمن (صفحة ٣٥) وذلك بالمثنى «دميان».

(٥) البيت وإن أنشده صارم الدين (المتأخر) إلا أنه ثالث أبيات ذكرها ابن منظور في لسان العرب من غير ذكر القائل والبيتان السابقان هما:

لعمرك إنني وأبـا ربـاحٍ  على طول التجاور منذ حين

ليبغضني وأبغضه وأيضاً  يرانـي دونـه وأراه دونـي

انظر لسان العرب مادة «دمي» (٣٦٨/١٤) طبقةً إحياء التراث وجاء البيت في تاج العروس (٤١٤/١٩) مادة (دمي) وكذلك في صحاح اللغة (٢٣٤٠/٦) مادة دمي ولم ينسب البيت في المعاجم الثلاثة. يخلف العلماء كثيراً في نسبة هذا البيت فنسبه بعضهم للمثقب العبدي، وينسبه قوم إلى الفرزدق، وقوم إلى الاخطل، وقوم إلى المرداس بن عمرو، واستصوب البغدادي أنه لعلي بن بدال بن سليم، وأسند ذلك إلى ابن دريد في كتاب المجتبى عن عبدالرحمن عن عمه الاصمعي - أهـ من الانتصاف من الانصاف (٣٥٧/١).

﴿ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾ الواو في (ونحن) للحال، كما تقول: أتحسن إلى فلان وأنا أحق منه بالإحسان؟ والمعنى اتستخلف عصاة ونحن معصومون أحق بذلك؟ والمقصود منه الاستفسار عن ترجيحهم مع ماهو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر، (وبحمدك) في موضع الحال أي نسبح حامدين لك ومتلبسين بحمدك لأنه لولا إنعامك علينا بالتوفيق واللطف لم نتمكن من عبادتك فالباء للحال، وقيل إنها للسبب ، وقال ابن مالك بمعنى مع، وزعم بعضهم أن في الكلام تقديماً وتأخيراً أي نسبح ونقدس لك بحمدك فاعترض بحمدك بين المعطوف والمعطوف عليه، ورد بأن التقديم والتأخير مما يختص بالضرورة، وإنما جاء بحمد بعد نسبح لاختلاط التسبيح بالحمد، وجاء قوله بعد (ونقدس) كالتوكيد لتقاربهما معنى إذ التقديس هو التطهير والتسبيح التنزيه، قال السدي عن ابن عباس وعن ابن مسعود ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال: يقولون نصلي لك[1] وعن قتادة التسبيح: التسبيح والتقديس الصلاة[2] وقال مجاهد «ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال: نعظمك ونكبرك»[3] وقال الضحاك: التقديس التطهير[4] وقال محمد ابن إسحاق «ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك» قال : [لانعصي][5] ولا نأتي شيئاً تكرهه[6]، وقال ابن جرير: التقديس هو التعظيم والتطهير، ،منه قولهم: سبوح قدوس يعني بقولهم«سبوح» تنزيه لله وبقولهم«قدوس» طهارة وتعظيم له ولذلك قيل للأرض أرض مقدسة أي مطهرة، فمعنى قول الملائكة«ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك» أي ننزهك [نبرّئك][7] ممايضيفه أهل الشرك وقولهم «ونقدس لك»ننسبك إلى ماهو صفاتك من الطهارة

---

(١) تفسير ابن كثير (٧٢/١). جاءت بالسند الذي بينا صحته عن مرة عن ابن مسعود في التعليق رقم (٧) على الصفحة (١٢٢).

(٢) (٣) (٤) تفسير ابن كثير (٧٢/١).

(٥) في النسخة ب [لا نعطي] والصواب كان في أ لموافقته قول ابن إسحاق في تفسير ابن كثير (٧٢/١).

(٦) تفسير ابن كثير(٧٢/١).

(٧) في النسخة ب [نكبرك] والصواب ما كان في أ لسياق الكلام.

من الأناس، وما أضاف إليك أهل الكفر بك[1] والله أعلم: ﴿قال إني أعلم ما لاتعلمون﴾ أي إني أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على المفاسد التي ذكرتموها مالا تعلمون انتم [فإني سأجعل][2] من تلك الخليقة من يطيعني، ويعبدني من الأنبياء والأولياء والصديقين والشهداء والصالحين والعلماء العاملين[3] وقيل إني أعلم فيكم من يعصيني وهو إبليس لعنه الله[4]، وقد استدل القرطبي وغيره بهذه الآية على وجوب نصب الخليفة ليحكم [بين][5] الناس فيما يختلفون فيه ويقطع تنازعهم وينتصر لمظلومهم من ظالمهم، ويقيم الحدود، ويزجر عن تعاطي الفواحش إلى غير ذلك من الامور المهمة التي لايمكن إقامتها إلا بالإمام[6] وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ويجب أن يكون الإمام ذكراً بالغاً حراً هامش [عدلاً عالماً ويستحب أن يكون علوياً[7] فاطمياً[8] سليم الحواس والأطراف (سخيا)[9] بوضع الحقوق -صح أصل-] انتهى هامش.

---

(١) انظر تفسير الطبري (١/٤٧٥).

(٢) في النسخة ب [فإن شاء جعل].

(٣) هذا ما يشبه قول قتادة في تفسير ابن كثير (١/٧٣).

(٤) انظر تفسير القرطبي (١/٢٧٨).

(٥) في النسخة ب [من].

(٦) انظر تفسير القرطبي (١/٢٦٤).

(٧) أي من ذرية علي رضي عنه وكرم الله وجهه.

(٨) أي من ذرية فاطمة الزهراء رضي الله عنها.

ولقد بني هذا الاستحباب والله أعلم على قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم «الأئمة من قريش» وفي هذا خروج من خلاف العلماء في اشتراط أن يكون الخليفة من قريش. قال القرطبي في شرائط الإمام أن يكون من صميم قريش لقوله صلى الله عليه وآله وسلم «الأئمة من قريش» وقد اختلف في هذا - أهـ تفسير القرطبي وقد حفظ نسب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من فاطمة رضي الله عنها في قريش على حين ضاعت أنساباً كثيرة لقريش ولما علم نسب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم إلى قريش كانوا هم الأئمة على أني لا أجد مبرراً مع هذا الاستحباب الفاطمي عن سائر القرشيين عند الكفاءة للإمامه في القرشي وعدمها عند الفاطمي والله أعلم. قال القرطبي «وأجمعت الصحابة على تقديم الصديق» تفسير القرطبي (١/٢٦٤).

(٩) هذه الكلمة في النسخة ب ولم تتضح لي في النسخة أ.

علوياً فاطمياً سليم الحواس والاطراف عدلاً مجتهداً سخياً بوضع الحقوق في مواضعها مدبراً أكثر رأيه الإصابة مقداماً حيث تجوز السلامة لم يتقدمه في الدعوة داع [مجاب][1] ولايصح أن يقوم بها إمامان فأكثر في زمان واحد قال في شرح الإبانة[2] عند عامة العترة[3] والمعتزلة والفقهاء وقال المؤيد بالله قديماً[4] يجوز ذلك[5]، وعن الناصر الاطروش[6] عليه السلام يجوز إذا تباعدت الديار، فإن اتفقا سلم المفضول للأفضل[7].

---

(١) ليس هذه الكلمة في ب.

(٢) شرح الإبانة مخطوط قديم لم أعثر عليه وإنما قال في الازهار قال في شرح الإبانة بعد قوله ولا يصح إمامان في زمن واحد: «عند عامة العترة والمعتزلة والفقهاء وقال المؤيد بالله أخيراً أنه لايجوز أن يكون إمامان في وقت واحد». شرح الازهار (٥٢٢/٤).

(٣) العترة: ولد الرجل وذريته وعقبه من صلبه والمشهور المعروف أن عترته صلى الله عليه وآله وسلم أهل بيته، وهم الذين من حرمت عليهم الزكاة والصدقة المفروضة، وهم ذوو القربى الذين لهم الخمس المذكور في سورة الانفال - أهـ لسان العرب باختصار مادة كلمة.(عتر) (٥٣٨/٤) ط دار صادر.

(٤) لم أقف على قوله.

(٥) وبهذا يتبين قوله فإنما يجوز خطأ والصواب لايجوز وذلك من التعليق قبل السابق.

(٦) الناصر الاطروش هو الحسن بن علي بن حسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الاطروشي لطرش في أذنيه ولد سنة ٢٣٠هـ توفي سنة ٣٠٤هـ جامع لعلم القرآن والفقه والحديث والادب والاخبار واللغة جيد الشعر مليح النوادر - أهـ من تراجم رجال شرح الازهار - تأليف أحمد بن عبدالله الجنداري مطبوع في أول شرح الازهار (١١/١).

(٧) قال القرطبي رحمه الله تعالى: «إذا بويع لخليفتين فالخليفة الاول، وقتل الآخر، واختلف في قتله هل هو محسوس أو معنى فيكون عزله قتله وموته، والاول أظهر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما «رواه أبو سعيد الخدري وأخرجه مسلم، لكن إذا تباعدت الاقطار وتباينت كالاندلس وخراسان جاز ذلك فأما إقامة إمامين أو ثلاثة في عصر واحد وبلد واحد فلا يجوز إجماعاً - أهـ تفسير القرطبي بإختصار (٢٧٢/١-٢٧٣).

(٢١) ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ آدم اسم أعجمي كآزر واشتقاقه من الادمة أو من أديم الارض كاشتقاق يعقوب من العقب وإدريس من الدرس هامش [وروى ابن جرير[١] وابن أبي حاتم[٢] والحاكم وصححه[٣] عن ابن عباس قال: «إنما سمي آدم لأنه خلق من أديم الارض». صح أصل وبعده] انتهى هامش والأسماء جمع اسم، قال جار الله: أي أسماء المسميات، فحذف المضاف إليه لدلالة الأسماء عليه، إذ الاسم لابدله من المسمى وعوض منه اللام كقوله تعالى: (واشتعل الرأس شيباً)[٤] قال السدي: عمن حدثه عن ابن عباس (وعلم آدم الأسماء كلها) قال «عرض عليه»[٥] أسماء ولده إنساناً إنساناً والدواب فقيل هذا [الحمار][٦] وهذا الجمل وهذا الفرس[٧]، وقال الضحاك عن ابن عباس «وعلم آدم الأسماء كلها» قال: هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس إنسان ودابة وأرض وسماء وبحر وخيل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيره[٨] وقال مجاهد وقتادة وهو مروي عن ابن عباس:

---

(١) هذا جزء من رواية ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن السدي تفسير القرطبي (١/٤٨٠).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١/١٢٤/رقم٣٧٤).

(٣) رواه الحاكم عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «خلق الله آدم من أديم الارض كلها فخرجت ذريته على حسب ذلك» منهم الأبيض والأسود والأسمر والأحمر ومنهم بين بين ذلك ومنهم السهل والخبيث والطيب» وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وعلق عليه الذهبي فقال عنه بنحوه: صحيح - أهـ مستدرك الحاكم (٢/٢٦١-٢٦٢).

(٤) الآية ٤ من سورة مريم.

(٥) هذا في أوب وفي تفسير ابن كثير «علمه» (١/٧٤).

(٦) في ب [الجمال] والصحيح ماجاء في أ لموافقته ابن كثير.

(٧) تفسير ابن كثير (١/٧٤).

(٨) تفسير ابن كثير بنحوه (١/٧٤).

علمه اسم كل شيء حتى القصعة والقصيعة[1] وقيل اسم ماكان ومايكون إلىٰ يوم القيامة[2] وقال الربيع بن أنس: أسماء الملائكة[3]، وقيل إن الله تعالى علم آدم جميع اللغات، ثم تكلم كل واحد من أولاده بلغة فتفرقوا في البلاد واختص كل فرقة منهم بلغة[4] ﴿ثم عرضهم على الملائكة﴾ الضمير في عرضهم عائد على المسميات المدلول عليه ضمناً وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء، وقرأ عبدالله بن مسعود (ثم عرضهن)[5] وقرأ أبي بن كعب (ثم عرضها) أي المسميات[6]، وقد اختار ابن جرير أنه علمه أسماء الملائكة وأسماء الذرية لانه قال (ثم عرضهم) قال: وهذا عبارة عما يعقل وهذا الذي رجح به ليس بلازم، فإنه لا ينبغي [أن][7] يدخل معهم غيرهم ويعبر عن الجميع بصيغة من يعقل للتغليب كما عرفت[8].

هامش [وروى الديلمي عن أبي رافع قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مثلت لي أمتي في الماء والطين وعلمتُ الأسماء كلها كما علم آدم الأسماء

---

(١) تفسير البغوي (٦٣/١).

(٢) تفسير البغوي (٦٣/١).

(٣) تفسير ابن كثير (٧٤/١).

(٤) تفسير البغوي (٦٣/١) وعزاه إلى أهل التأويل.

(٥) تفسير ابن كثير (٧٤/١).

(٦) تفسير ابن كثير (٧٤/١).

(٧) في النسخة ب [بأن].

(٨) تفسير الطبري (٤٨٥/١-٤٨٦).

أقول: لكن الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى رجح أنه علمه أسماء الأشياء كلها ذواتها وصفاتها وأفعالها وهذا ما ينسجم مع قول ابن عباس حتى الفسوة والفسيّة ولهذا قال البخاري في تفسير هذا الآية في كتاب التفسير من صحيحه في حديث الشفاعة العظمى في طلب الناس من آدم: «فيقولون أنت أبو الناس خلقك الله بيده وأسجدلك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء فاشفع لنا إلى ربك..» وقد رواه مسلم والنسائي - أهـ تفسير ابن كثير باختصار وتصرف (٧٤/١).

كلها»[1] تمت] انتهى هامش ﴿فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء﴾ تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن أمر الخلافة ﴿إن كنتم صادقين﴾ في زعمكم أنكم أحق بالخلافة لعصمتكم، وهو وإن لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم باعتبار منطوقه، وإن كنتم صادقين أني لا أخلق خلقاً إلا كنتم أفضل منه وأعلم فأخبروني بأسماء هؤلاء وقرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو ويعقوب هؤلاي بمدة واحدة[2]، والباقون يمدون مدتين سواء في القرآن[3] وإن شرط جوابه محذوف يدل عليه أنبئوني السابق إن كنتم صادقين فأنبئوني فلايكون السابق هو الجواب، هذا مذهب سيبويه[4] وجمهور البصريين[5] وزعم الكوفيون[6] والمبرد[7] أن السابق هو الجواب.

(٣٢) ﴿قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ماعلمتنا﴾ اعتراف بالعجز والقصور وإشعار بأن سؤالهم كان استفساراً ولم يكن اعتراضاً وأنه قد بان لهم ماخفي عليهم من فضل الإنسان والحكمة في خلقه [وإظهار][8] لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اغتفل عنهم ومراعاة للأدب بتفويض العلم كله إليه تعالى، وسبحان اسم وضع موضع المصدر منصوب باضمار فعل من معناه، ولا يجوز إظهاره وهو من الأسماء التي التزم فيها النصب على

---

(١) الدر المنثور (١٢١/١) وكنز العمال (١٨٥/١٢/رقم ٣٤٥٨٨) -ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٣هـ-١٩٩٣م وطالما سكت عنه صاحب الكنز فهو ضعيف كما أشار في المقدمة إلى مسند الديلمي ومسند الديلمي غير مطبوع فلم أحقق الحديث.

(٢) لأنهم قالوا بإبدال الهمزة الأولى انظر القراءات العشر المتواترة (صفحة ٦) إلا أنه قال برواية رويس عن يعقوب ولم يذكر رواي يعقوب الاخر وهو روح.

(٣) لأنهم لم يقولوا بإبدال الهمزة الأولى ياء - انظر القراءات العشر المتواترة (صفحة ٦)وانظر البحر المحيط (١٤٧/١).

(٤) (٥) (٦) (٧) البحر المحيط (١٤٦/١).

(٨) في النسخ ب [وإخبار].

المصدر[1]، وذهب الكسائي إلى أنه منادى مضاف[2]، ورد بأنه لم يسمع دخول حرف النداء عليه ولايكاد يستعمل إلا مضافاً كما في الآية[3]، وقد يستعمل مفرداً منوناً كقول الشاعر[4]:

سبحانه ثم سبحاناً[5] نعوذ به  وقبلنا سبح الجودي[6] والجُمُدُ[7]

فقيل صرفه ضرورة[8]، وقيل بجعله نكرة ومفرداً غير منون كقول الاعشى:

أقــول لمــا جـاءني فخرُهُ  سبـحـانَ مِـنْ علقمةَ الفاخِرِ[9]

---

(١) انظر املاء ما من به الرحمن (صفحة ٣٦).

(٢) (٣) البحر المحيط (١٤٧/١).

(٤) الشاعر هو أمية بن أبي الصلت - انظر لسان العرب مادة سبح (٤٧١/٢) -ط دار صادر- وهو كذلك لامية بن أبي الصلت في كتابه سيبويه انظر شرح أبيات سيبويه -لابي جعفر أحمد بن محمد النحاس صفحة ١٤٩ ط مطابع المكتبة العربية في حلب - سورية ١٩٧٤- ونسب البيت في مجاز القرآن لعمرو بن نفيل العدوي وذكر الشطر الثاني منه فقط - مجاز القرآن (٢٩٠/١).

والصواب نسبته الى ورقة بن نوفل - انظر تعليق الدكتور محمد فؤاد سزكين على مجاز القرآن (٢٩٠/١).

(٥) في النسخة ب [سبحان] والصحيح الموافق للسان العرب هو ما كان في أ.

(٦) الجودي جبل رست عليه سفينة نوح عليه السلام قال تعالى: (واستوت على الجودي) الآية ٣٣ من سورة هود.

(٧) يشير إلى تسبيح الجمادات كالحصى في يده صلى الله عليه وسلم أو لقوله تعالى: (سبح لله مافي السماوات ومافي الارض وهو العزيز الحكيم) الآية ١ من سورة الصف.

(٨) لانه اسم علم ومنته بالالف والنون جاء في لسان العرب قال ابن بري إنما امتنع صرفه للتعريف وزيادة الالف والنون، وتعريفه كونه اسماً علماً للبراءة، كما أن نزال اسم علم للنزول وشتان اسم علم للتفرق - أهـ لسان العرب مادة سبح (٤٧١/٢) -ط دار صادر-.

(٩) جاء البيت في لسان العرب للأعشى في مادة سبح (٤٧١/٢) -ط دار صادر - وفي حاشية الشيخ زاده (٢٥٢/١) وقال: العرب تقول سبحان من كذا إذا تعجب منه فقوله سبحان من علقمة أي أتعجب منه إذا فخر وكيف يفخر والحال أن كل مابه من النعم والفضائل فهو من عند الله تعالى فحقه أن يستغرق أوقاته في شكر المنعم - أهـ- وقد جاء في ديوانه بلفظ:

... فجره... الفاجر، انظر ديوان الاعشى ص ٩٤ ط المؤسسه العربيه للطباعة والنشر، بيروت.

فمنعه من الصرف للعلمية[1] وزيادة الالف والنون، وزعم بعضهم أنه إذ أفرد كان مقطوعاً عن الإضافة فيجيء منوناً وغير منون كقبل وبعد[2] قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج ثنا حفص بن غياث عن حجاج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال: سبحان الله تنزيه الله نفسه عن السوء[3]، قال ثم قال عمر لعلي كرم الله وجهه[4] لا إله إلا الله قد عرفناه[5] فما سبحان الله فقال له علي كلمه أحبها الله لنفسة ورضيها وأحب أن تقال[6] وسأل رجل ميمون بن مهران عن سبحان الله فقال اسم يعظم الله به ويحاشى به من السوء[7] وما في قوله {إلا علمتنا} موصولة في محل نصب على الاستثناء، أو رفع على البدل من محل { لا علم لنا } وهو حسن[8] ﴿**إنك أنت العليم**﴾ الذي لايخفى عليه خافية ﴿**الحكيم**﴾ المحكم لمبدعاته الذي لايفعل إلا مافيه حكمة بالغة[9]، و(أنت) يحتمل أن تكون توكيداً لاسم إن فمحله نصب، ويحتمل أن تكون مبتدأ فمحله رفع وخبره (العليم)، ويحتمل أن تكون فصلاً فلا محل له من الإعراب على رأي البصريين[10] وله محل عند الكوفيين[11] فعند الفراء محله على حسب الاسم قبله[12]، وعند الكساثي على حسب الاسم بعده[13]، والحكيم خبر ثان او صفة لعليم[14].

---

(١) وقد أبنّا وجه العلمية في الملاحظة السابقة رقم (٩).

(٢) وذلك كما في الشاهدين الماضيين.

(٣) تفسير ابن كثير (١/٧٥).

(٤) في تفسير ابن كثير زيادة «وأصحابه عنده» (١/٧٥).

(٥) في تفسير ابن كثير «عرفناها».

(٦) (٧) تفسير ابن كثير (١/٧٥).

(٨) انظر القولين في إملاء ما من به الرحمن (صفحة ٣٦).

(٩) لكن قال ابن كثير في تفسيره: «الحكيم في خلقك وأمرك وفي تعليمك ماتشاء ومنعك ما تشاء، لك الحكمة في ذلك والعدل التام» - أهـ (١/٧٥).

(١٠) الاقوال الثلاثة في البحر المحيط (١/١٤٨).

(١١) (١٢) (١٣) البحر المحيط (١/١٤٨).

(١٤) على قول من أجاز صفة الصفة وهو صحيح - انظر إملاء مامن به الرحمن (صفحة ٣٦).

(٣٣) ﴿قال يا آدم﴾ الجمل المفتتحة بالقول إذا ترتب بعضها على بعض في المعنى فالأفصح أن لايؤتى فيها بحرف ترتيب اكتفاء بالترتيب المعنوي، وقد جاء في الشعراء[١] من ذلك عشرون موضعاً في قصة موسى عليه السلام بغير عطف إلا ثلاثة جاء منها اثنان جواباً وواحد كالجواب ومثله في القرآن كثير ﴿أنبئهم بأسمائهم﴾ أي أخبرهم وقرأ الجمهور بالهمزة وضم الهاء[٢] وذكر أبو البقاء أنه قرأ بالياء مبدلة من همزة[٣] وبغير ياء ولا همزة مع كسرها كأعطهم[٤] ﴿فلما أنبأهم بأسمائهم﴾ قال الله تعالى: ﴿قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض﴾ وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو «إنيَ» بفتح الياء[٥] لأن ياء المتكلم المتحرك ماقبلها إذا لقيت همزة القطع المفتوحة جاز تحريكها وإسكانها[٦] والهمزة للإنكار دخلت على لم فأفادت الإثبات والتقرير﴿وأعلم ماتبدون وماكنتم تكتمون﴾[فقوله][٧] تعالى:(ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات.. إلى تكتمون) استحضار لقوله (إني أعلم مالا تعلمون) لأنه جاء به على وجه أبسط من ذلك وأشرح قال الضحاك عن ابن عباس «وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون» قال:يقول أعلم السر كما أعلم العلانية[٨]، وقيل ماتبدون قولهم لن يخلق ربنا خلقاً إلا كنا أعلم منه وأكرم عليه منه[٩]، أوما أظهروه

---

(١) أي في سورة الشعراء.

(٢) وعليه القراءات العشر المتواترة – انظر القراءات العشر المتواترة (صفحة ٦).

(٣) بل قال أبو البقاء على.. تليين الهمزة ولم تقلبها قلباً قياسياً، لأنه لو كان كذلك لحذفت الياء كما تحذف من قولك أبقهم من بقيت – أهـ إملاء مامن به الرحمن (صفحة ٣٦).

(٤) ماقاله أبو البقاء وقد قرئ «أنبهم» بكسر الباء من غير همزة ولاياء على أن يكون إبدال الهمزة ياء إبدالاً قياسياً» أهـ إملاء مامن به الرحمن (صفحة ٣٦).

(٥) (٦) لكن قال صاحب البدور الزاهرة: «وقد قرأ بفتحها وصلاً نافع والمكي –أي ابن كثير– والبصري– أي يعقوب– وأبو جعفر وإذا وقفوا أسكنوها – أهـ (صفحة ٢٨) وعلى نصبها وصلاً عند هؤلاء القراء – صاحب القراءات العشر المتواترة (صفحة ٦)–.

(٧) في النسخة ب [وقوله].

(٨) تفسير ابن كثير (٧٥/١). وفي رواية الضحاك عن ابن عباس انقطاع كما أشرنا في التعليق رقم (١) على الصفحة ١٢٤.

(٩) هذا قول قتادة في تفسير ابن كثير (٧٥/١).

من الطاعة وأمر إبليس من المعصية[1] وأعلم أن هذه الآيات تدل على شرف الإنسان ومزية العلم وفضله على العبادة، وأنه شرط في الخلافة، بل العمدة فيها، وأن التعليم[2] يصح إسناده إلى الله تعالى وإن لم يصح إطلاق المعلم عليه، وأن اللغات توقيفية فإن الأسماء تدل على الألفاظ بخصوص أو عموم تعليمها ظاهر في ألقابها على المتعلم مبيناً له معانيها ولذلك يستدعي سابقة وضع، والاصل ينفي أن يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم عليه السلام فيكون من الله سبحانه وتعالى[3] وأنه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها.

**(٣٤)﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾** لما أنبأهم وعلمهم مالم يعلموا أمرهم بالسجود له اعترافاً بفضله وأداء لحقه، وقيل أمرهم به قبل أن سوى خلقه لقوله تعالى: (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)[4] امتحاناً لهم وإظهاراً لفضله[5]، (وإذ) في محل نصب عطف الظرف على الظرف السابق وإلا عطفه بما يقدر عاملاً فيه على الجملة المتقدمة بل القصة بأسرها على القصة الأخرى. والسجود في الأصل التذلل والخضوع، وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمور به إما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيماً لشأنه[6] أو سبباً لوجوبه[7] ومعنى هذا مروى عن قتادة[8] وجماعة من المفسرين فاللام في لآدم بمعنى إلى كقول حسان رضي الله عنه وقيل العباس بن عبدالمطلب يمدح أمير المؤمنين علياً كرم الله وجهه:

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (١/٧٥).

(٢) أي تعليم الله لغيره استنتج هذا من قوله سبحانه «وعلم آدم».

(٣) ليست اللغات توقيفية بل متغيرة وقلّ تغيير العربية لحفظ القرآن وإذا كان الله يعلم كل شيء أزلاً فلا يلزم من ذلك كونها توقيفية والله أعلم.

(٤) الآية ٢٩ من سورة الحجر.

(٥) تفسير البيضاوي (١/٢٥٦).

(٦) (٧) تفسير البيضاوي (١/٢٥٧).

(٨) قال قتادة في قوله تعالى: («وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم» فكانت الطاعة لله والسجدة لآدم أكرم الله آدم أن أسجد له ملائكته) - أهـ تفسير ابن كثير (١/٧٨).

أليس [أولُ][1] من صلى لقبلتكم وأعرف الناس بالقرآن والسنن[2]

وقبله: ما كنت أحسب هذا الامر منصرفاً عن هاشم ثم منها عن أبي حسن

من فيه مافيهم من كل صالحة وليس في كلهم مافيه من حسن[3]

وبعده البيت وبعد البيت:

وأقرب الناس عهداً بالنبي ومن جبريلُ عون له في الغسلِ والكَفَنِ

ماذا يردكم عنه فيعرفه ها إن بيعتكم من أول الفتن[4]

أراد إلى قبلتكم، وإما المعنى اللغوي وهو التواضع لآدم تحية وتعظيماً له كسجود إخوة يوسف له[5] وقرأ الجمهور بكسر تاء الملائكة[6]، وأبو جعفر يزيد بن القعقاع بضمها اتباعاً لحركة الجيم[7]، قال في الكشاف ولا يجوز استهلاك الحركة الإعرابية بحركة الاتباع إلا في لغة ضعيفة كقولهم الحمد لله[8] وأجيب بأن أبا جعفر أحد القراء المشاهير الذين أخذوا القرآن عن ابن عباس وغيره من الصحابة[9] وهو شيخ أحد القراء

---

(١) هذه الكلمة ليست موجودة في النسخة [ب].

(٢) تفسير البيضاوي (٢٥٧/١) والبيت ليس في ديوان حسان في النسختين اللتين اعتمدتا في المراجع.

(٣) (٤) لم أقف على هذه الأبيات ولا حتى في ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه.

(٥) تفسير البيضاوي (٢٥٧/١-٢٥٨).

(٦) وهم القراء العشرة إلا أبا جعفر - انظر القراءات العشر المتواترة (صفحة ٦) وانظر البدور الزاهرة (صفحة ٣٠).

(٧) انظر المرجعين السابقين.

(٨) الكشاف (٢٧٣/١).

(٩) أبو جعفر يزيد بن القعقاع القارئ، مولى عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي عُتاقة، ويعرف أبو جعفر المذكور بالمدني، أخذ القراءة عرضاً عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، وعن مولاه عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة، وعن أبي هريرة رضي الله عنه وسمع عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ومروان بن الحكم، ويقال قرأ على زيد بن ثابت رضي الله عنه، وروى

السبعة[1] ونقل أنها لغة أزد شنوءة[2] والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾ امتنع عما أمر به استكباراً من أن يتخذ آدم وصلةً في عبادة ربه أو [يعظمه][3] وبقاء بالتحية، والإباء امتناع باختيار. والتكبر أن يرى الرجل نفسه أكبر من غيره[4] واستكبر في الآية يعني تكبر وهو أحد معاني استفعل قوله تعالى: ﴿وكان من الكافرين﴾ أي في علم الله أو صار منه باستقباحه أمر الله تعالى إياه بالسجود لآدم اعتقاداً بأنه أفضل منه والافضل لا يحسن أن يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما أشعر به قوله (أنا خير منه)[5] جواباً لقوله تعالى: (ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين)[6] فإن قلت ما الاستثناء في قوله (إلا إبليس) قلت: استثناء متصل إن كان من الملائكة، وإن لم يكن من الملائكة فمنقطع. قال محمد بن

---

القراءة عنه عرضاً نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم وسليمان بن مسلم بن جماز وعيسى بن وردان الحذاء وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم وله قراءة. قال أبو عبدالرحمن النسائي: يزيد بن القعقاع ثقة، وكان يقرئ الناس بالمدينة قبل وقعة الحرة. توفي رحمه الله تعالى سنة ١٣٢هـ بالمدينة – أهـ وفيات الاعيان باختصار (٦/٢٧٤-٢٧٥).

(١) وهذا معترف به في كل كتب القراءات المتواترة فهو صاحب قراءة متواترة فالتواتر بها أكبر من كل دليل ولا ضرورة للإبانة عن أنها لغة أحد القبائل العربية.

(٢) البحر المحيط (١/١٥٢).

(٣) في النسخة ب [تعظيمه].

(٤) لكن الكبر هو بطر الحق وغمط الناس أي انكار الحق ورده على قائله تحقراً وتكبراً مع احتقار الناس عن عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: يارسول الله إن الرجل يحب ان يكون ثوبه حسناً؟ قال: إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس». رواه مسلم والترمذي انتهى من التاج الجامع للأصول في احاديث الرسول. جمعه الشيخ منصور علي ناصف (٥/٣٠) ط دار إحياء الكتب العربية القاهرة.

(٥) الآية ٧٦ من سورة ص.

(٦) الآية ٧٥ من سورة ص.

إسحاق عن خلاد بن عطاء عن طاووس عن ابن عباس قال: كان إبليس قبل أن يرتكب المعصية من الملائكة اسمه عزازيل، وكان من سكان الأرض، وكان من أشد الملائكة اجتهاداً وأكثرهم علماً فلذلك دعاه إلى الكبر، وكان من حي يسمون جناً[1] وعن ابن عباس إن من الملائكة قبيلاً يقال لهم الجن، فكان إبليس منهم وكان إبليس يسوس مابين السماء والأرض، فعصى فمسخه الله شيطاناً رجيماً» رواه ابن جرير[2] وقال: حدثنا محمد بن يسار قال: حدثنا ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن قال: ماكان إبليس من الملائكة طرفة عين، وإنه لأصل الجن، كما أن آدم أصل الإنس. وهذا إسناد صحيح عن الحسن[3] وهكذا قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم سواء وقال شهر بن حوشب: كان إبليس من الجن الذين طردتهم الملائكة، فأسره بعض الملائكة فذهب به إلى السماء. رواه ابن جرير[4] وقال: سعيد بن داود حدثنا هشيم قال: أخبرنا عبدالرحمن بن يحيى عن موسى بن نمير وعثمان بن سعيد بن كامل عن [سعيد][5] بن مسعود قال: كانت الملائكة تقاتل الجن فسبي إبليس وكان صغيراً فكان من الملائكة فتعبد معها فلما أمروا بالسجود لآدم سجدوا فأبى إبليس فلذلك قال تعالى: (إلا إبليس كان من الجن) رواه ابن كثير في تفسيره[6] والله سبحانه وتعالى أعلم وفي الآية دليل على أن الامر للوجوب من حيث ذمه بترك السجود على مايقوله

---

(١) تفسير ابن كثير (٧٨/١).

في السند خلاّد بن عطاء وهو مولى قريش عن عطاء قال البخاري: منكر الحديث - أهـ في ميزان الاعتدال (٢٥٢٤/٦٥٦/١).

(٢) تفسير الطبري (٥٠٧/١) قال ابن كثير قال صالح مولى التوأمة عن ابن عباس وذكر الخبر قال في التقريب:

«صالح بن نبهان مولى التوأمة صدوق اختلط قال ابن عدي لا بأس بروايه القدماء عنه كابن أبي ذؤيب وابن جريج روى له أبو داود والترمذي وابن ماجة» - أهـ (صفحة ٢٧٤).

(٣) تفسير ابن كثير (٧٨/١) وقد أشار إلى صحة السند، وتفسير الطبري (٥٠٦/١) بنحوه.

(٤) تفسير ابن كثير (٧٨/١) وتفسير الطبري (٥٠٧/١).

(٥) لكن الذي في تفسير ابن كثير [سعد] وقد نقل منه كما ذكر بعد.

(٦) في تفسير ابن كثير (٧٨/١) والآية ٥٠ من سورة الكهف.

الفقهاء[1] وأكثر المتكلمين، خلافاً لمن يقول إن الأمر يدل على الندب، وهو قول أبي علي[2] وأبي هاشم[3] [4] وفيها دليل على استقباح الاستكبار وأنه قد يفضي بصاحبه إلى الكفر، وقد ثبت في الصحيح «لايدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من كبر»[5] وقد كان في قلب إبليس من الكبر والكفر ما اقتضى طرده وإبعاده عن رحمه الله تعالى.

(٣٥) ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ إخبار من الله تعالى عما أكرم به آدم عليه السلام بعد أن أمر ملائكته بالسجود له فسجدوا إلا إبليس، والسكون استقرار ولبث. و(أنت) توكيد للضمير المستكن، وهو أحد المواضع التي يستكن فيها الضمير وجوباً (وزوجك) معطوف على الضمير المستكن، وسوغ عطفه عليه تأكيده بأنت، إذ لا يجوز العطف على الضمير المتصل المرفوع عند البصريين إلا بتوكيد أو فعل يقوم مقامه، أو

---

(١) هذا قول جمهور الفقهاء - انظر إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول تأليف الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (صفحة ١٦٩-١٧٠) -ط مؤسسة الكتب الثقافية - وانظر أصول الفقه للإمام محمد أبو زهرة (صفحة ١٧٦) -ط دار الفكر العربي-.

(٢) أبو علي محمد بن عبدالوهاب بن سلام المعروف بالجبّائي احد أئمة المعتزلة، له مناظرة مشهورة مع أبي الحسن الاشعري تغلب فيها الأخير على أبي علي ولد سنة ٢٣٥هـ وتوفي سنة ٣٠٣هـ رحمه الله تعالى - أهـ في وفيات الأعيان (٤/٢٦٧-٢٦٩).

(٣) أبو هاشم عبدالسلام بن أبي علي الجبائي كان هو وأبوه السابق الذكر من كبار المعتزلة. ولهما مقالات على مذهب الاعتزال، ولد أبو هاشم سنة ٢٤٧هـ وتوفي سنة ٣٢١هـ ببغداد. والجبائي نسبة إلى قرية من قرى البصرة خرج منها جماعة من العلماء وقال ياقوت الحموي: إنها كورة وبلدة من نواحي خوزستان- أهـ في وفيات الأعيان (٣/١٨٣-١٨٤).

(٤) انظر إرشاد الفحول (صفحة ١٦٩).

(٥) رواه مسلم بنحوه (١/٩٣) عن عبدالله بن مسعود رفعه ورواه الترمذي في سننه بنحوه مطولاً (٣/٢٤٣) ورواه أبو داود بنحوه مطولاً (٤/٥١/٤٠٩١)، ورواه ابن ماجة بنحوه مطولاً (٢/١٣٩٧/٤١٧٣).

فصل بلا بين حرف العطف والمعطوف كقوله تعالى: (ما أشركنا ولا آباؤنا)[1]، وما سوى ذلك ضرورة أو شاذ[2] خلافاً للكوفيين في [جوازه][3] من غير شرط[4] والأكثر على أن عطف وزوجك عليه من باب عطف المفردات، وزعم بعضهم أنه من عطف الجمل لا من عطف المفردات تقديره ولتسكن زوجك[5] ونحوه قوله عز من قائل: (لا نخلفه نحن ولا أنت)[6] أي ولا تخلفه أنت. هامش [وقوله زوجك يعني حواء وهذه هي اللغة الصحيحة زوج بغير هاء وقد جاء بها قليلاً كما في مسلم من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان مع إحدى نسائه فمر به رجل فدعاه وقال: «يا فلان هذه زوجتي فلانة»[7] الحديث ومنه قول الشاعر[8] :

---

(١) الآية ١٤٨ من سورة الأنعام.

(٢) البحر المحيط (١/١٥٦).

(٣) في ب [وجوازه].

(٤) (٥) البحر المحيط (١/١٥٦).

(٦) الآية ٥٨ من سورة طه.

(٧) في الحديث الذي رواه مسلم (٤/١٧١٢) مطولاً فقد قال: عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مع إحدى نسائه فمر به رجل فدعاه فجاء. فقال: «يافلان هذه زوجتي فلانه» فقال: يارسول الله! من كنت أظن به، فلم أكن أظن بك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم» - أهـ قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: «قوله صلى الله عليه وسلم يافلان هذه زوجتي فلانه هكذا في جميع النسخ بالتاء قبل الياء وهي لغة صحيحة وإن كان الاشهر حذفها وبالحذف جاءت آيات القرآن والإثبات كثير أيضاً - أهـ شرح النووي (١٤/١٥٧).

(٨) هو الفرزدق «وبنو تميم يقولون هي زوجته» انظر لسان العرب مادة «زوج» (٢/٢٩٢) -ط دار صادر-.

وإن الذي يسعى ليفسد زوجتي  كساع إلى أسدِ الشرى يستمليها[1]]

انتهى هامش، والجنة دار الثواب لأن اللام للعهد ولامعهود غيرها وقيل جنة من جنان السماء غير جنة الخلد[2] لأن جنة الخلد أكلها دائم ولا تكليف فيها وقيل من جنان الدنيا[3] وحمل الإهباط على الانتقال منها إلى أرض الهند[4] كما في قوله تعالى (اهبطوا مصراً)[5] [6] وسياق الآية يقتضي أن حواء خلقت قبل دخول آدم إلى الجنة وقد صرح بذلك محمد بن إسحاق[7]، وقيل إن خلق حواء كان بعد دخوله الجنة كما قال السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس أنه أخرج إبليس من الجنة، وسكن[8] آدم الجنة، فكان يمشي فيها [وحيشاً][9] ليس له زوج يسكن إليها فنام نومة، فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله تعالى من ضلعه، فسألها ما أنت؟ قالت: امرأة قال: ولم

---

(١) البيت اختلف عن الاصل في ديوان الفرزدق إن جاء كما يلي:

فإن امرأ يسعى يخبب زوجتي - كساع إلى أسد الشرى يستبيلها - أهـ من ديوان الفرزدق (١٧٧/٢).

والخب هو الإفساد بين الناس مع الخداع انظر قاموس المحيط (صفحة ٩٩) مع تعليق عليه. يستبيلها أي يأخذ بولها.

(٢) البحر المحيط (١٥٧/١).

(٣) روح المعاني (٢٣٣/١) واعتبر الآلوسي هذا قولاً مردوداً - انظر ط دار إحياء التراث بيروت-.

(٤) الدر المنثور (١٣٥/١).

(٥) الآية ٦١ من سورة البقرة.

وقد رجح القرطبي رحمه الله القول بأنها جنة الخلد فقد لقي موسى آدم عليهما السلام فقال له موسى «أنت أشقيت ذريتك وأخرجتهم من الجنة» فأدخل الالف واللام ليدل على أنها جنة الخلد المعروفة، فلم ينكر ذلك ولو كانت غيرها لرد على موسى - أهـ من تفسير القرطبي (٣٠٢/١-٣٠٣). قال أبو حيان عن الحديث ثبت في الصحيح - انظر البحر المحيط (١٥٧/١).

(٦) تفسير البيضاوي (٢٦٢/١).

(٧) انظر تفسير ابن كثير (٨٠/١).

(٨) تفسير ابن كثير (٨٠/١) وقد رواه في تفسير ابن كثير السدي عن مرة عن ابن مسعود وأشرنا قديماً لصحة السند.

(٩) : في النسخة ب [وحشاً]

خلقت؟ قالت: تسكن[1] إلي قالت له الملائكة ينظرون ما بلغ من علمه: ما اسمها يا آدم؟ قال: حواء قيل: ولم حواء؟ قال: إنها خلقت من شيء حي[2] هامش [وروى ابن جرير[3] وابن أبي حاتم[4] والبيهقي[5] وابن عساكر[6] عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: لما سكن آدم الجنة كان يمشي فيها وحشاً ليس له زوج يسكن إليها، فنام نومة، فاستيقظ وإذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله تعالى من ضلعه» وروى البخاري[7] ومسلم[8] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «استوصوا بالنساء خيراً فإن المرأة خلقت من ضلع، وأن أعوج شيء من الضلع رأسه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته تركته وفيه عوج» وروى أبو الشيخ وابن عساكر عن ابن عباس قال: إنما سميت حواء لأنها أم كل حي[9] وروى ابن عدي وابن عساكر عن النخعي قال: لما خلق الله آدم وخلق له زوجاً[10] بعث إليه ملكاً وأمره بالجماع، ففعل، فلما

---

(١) في تفسير ابن كثير «ليسكن».

(٢) في تفسير ابن كثير (١/٨٠).

(٣) تفسير الطبري بنحوه (١/٥١٣) وهذا جزء من الخبر.

(٤) رواه ابن حاتم عن السدي مطولاً بنحوه (١/١٢٥/رقم٣٧٦).

(٥) (٦) الدر المنثور (١/١٢٧) وهذا جزء من الخبر. وقد تكلمنا عن صحة هذا السند عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٧) رواه البخاري بنحوه في فتح الباري (١/١٦١) وهذا جزء من الحديث.

(٨) ورواه مسلم في صحيحه بلفظ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإذا شهد أمراً فليتكلم بخير أو ليسكت واستوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه. إن ذهبت تقيمه كسرته. وإن تركته لم يزل أعوج استوصوا بالنساء خيراً» (٢/١٠٩١).

(٩) الدر المنثور (١/١٢٨) وهذا جزء من الخبر.

(١٠) في الدر المنثور (زوجته).

فرغ قالت له حواء: يا آدم هذا طيب زدنا منه[1] صح أصل وبعده]. قوله (وكلا منها رغدا) وروى ابن جرير[2] وابن عساكر[3] عن ابن مسعود وناس من الصحابة قال: الرغد الهناء وروى ابن جرير[4] وابن أبي حاتم[5] عن ابن عباس قال: الرغد سعة المعيشة وروى ابن جرير[6] وابن أبي حاتم[7] عنه في قوله ﴿ وكلا منها رغداً حيث شئتما ﴾ قال: لا حساب عليكما صح الاصل ﴿ وكلا منها رغداً ﴾ هنيئاً واسعاً طيباً صفة مصدر محذوف أي أكلاً رغداً ﴿ حيث شئتما ﴾ أي مكان من الجنة شئتما ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ فيه مبالغات تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التأويل مبالغة في تحريمه، ووجوب الاجتناب عنه،وتنبيهاً على أن القرب من الشيء يورث داعية وميلاً يأخذ بمجامع القلب، كما روي (حبك الشيء يعمي ويصم) فينبغي ألا تحوما حول ما حرم الله تعالى مخافة أن تقعا فيه، وجعله سبباً لان يكونا من الظالمين الذي ظلموا أنفسهم بإرتكاب المعاصي أو بنقص حظهما بالإتيان بما يخل بالكرامة والنعيم، فإن الفاء تفيد السببية سواء جعلته في محل

---

(١) انظر الدر المنثور (١/١٢٩).

(٢) هذه مروي عن ابن عباس وحده لا عن ابن مسعود في (١/٥١٦) وأما الرواية عن السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم «وكلا منها رغدا» قال: الرغد الهني- أهـ تفسير الطبري (١/٥١٥)-.

(٣) جاء في الدر المنثور اخرج ابن جرير وابن عساكر عن ابن مسعود وناس من الصحابة قال: «الرغد» الهني (١/١٢٩).

(٤) تفسير الطبري (١/٣٣٠) - ط دار الفكر بيروت ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (١/١٢٥/رقم ٣٧٧).

(٦) رواه بمعناه في ثلاثة طرق عن مجاهد بلفظ «لا حساب عليهم» تفسير الطبري (١/٥١٥).

(٧) وكذلك رواه ابن أبي حاتم عن مجاهد بلفظ «لاحساب عليكم» تفسير ابن أبي حاتم (١/١٢٥/رقم٣٧٨).

نصب بالعطف جواباً للنهي وهو لاتقربا أو في محل جزم وقد اختلفوا في الشجرة ماهي فقال السدي عمن حدثه عن ابن عباس: الشجرة التي نهى عنها آدم عليه السلام هي الكرم[١] وكذلك قال سعيد بن جبير والشعبي[٢] وعن عكرمة عن ابن عباس قال: الشجرة التي نهي عنها آدم هي السنبلة[٣] وعن مجاهد عن ابن عباس قال: هي البر[٤] وقال سفيان الثوري عن حصين عن أبي مالك «ولاتقربا هذه الشجرة» قال:النخلة[٥]، وقال ابن جريج عن مجاهد «ولا تقربا هذه الشجرة» قال: تينة[٦]، وبه قال قتادة[٧]، وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية كانت شجرة من أكل منها أحدث، ولاينبغي أن يكون في الجنة حدث[٨] قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله تعالى: والصواب في ذلك أن يقال إن الله جل ثناؤه نهى آدم عليه السلام وزوجته عن أكل الشجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها، فأكلا منها ولاعلم عندنا أي شجرة على التعيين، لأن الله لم يضع لعباده دليلاً على ذلك في القرآن، ولامن السنة الصحيحة، وقد قيل كانت شجرة البر وقيل العنب وقيل التين وجائز أن يكون واحد منها وذلك علمٌ إذا عُلِم لم ينفع العالم العلم به وإن جهله جاهل لم يضره جهله به[٩] والله سبحانه وتعالى أعلم.

**(٣٦) ﴿فأزلهما الشيطان عنها﴾** قرأ السبعة إلا حمزة فأزلّهما بالتشديد بلا ألف[١٠] وهو مأخوذ من الزلل، والهمزة للتعدية والمعنى جعلهما زلاً بإغوائه لهما، أو حملهما على أن زلا، أو صدر زلتهما عن الشجرة، وقرأ حمزة فأزالهما بالتخفيف وزيادة الألف[١١] والهمزة فيه أيضاً للتعدية، وهو من الزوال. ونسب الفعل إلى الشيطان لأن زوالهما عنها إنما كان بتزيينه وتسويله، فلما كان السبب منه أسند الفعل إليه كقوله (هل أدلك على شجرة الخلد

---

(١) – (٥) تفسير ابن كثير (١/٨٠).

(٦) تفسير الطبري (١/٥٢٠).

(٧) (٨) تفسير ابن كثير (١/٨٠).

(٩) تفسير الطبري بنحوه (١/٥٢٠-٥٢١).

(١٠) (١١) انظر كتاب الإرشادات الجلية في القرءات السبع (صفحة ٢٤).

وملك لايبلى»[١] وقوله (ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين)[٢] ومقاسمته إياهما بقوله (إني لكما لمن الناصحين)[٣] والضمير في عنها عائد الى الشجرة[٤] ويرجح بكونه أقرب، وقيل عائد إلى الجنة[٥] ويؤيده قراءة حمزة (فأزالهما)[٦] وقيل عائد إلى الطاعة المفهومة من قوله (ولا تقربا) إذ معناه فأطيعوا[٧] وقيل عائد إلى الحالة التي كانوا عليها من التفكه والرفاهية المفهومة من قوله تعالى: (وكلا منها رغدا)[٨] هامش [وروى ابن جرير[٩] وابن المنذر[١٠] وابن أبي حاتم[١١] عن ابن عباس في قوله (فأزلهما) قال فأغواهما وروى ابن أبي حاتم عن عاصم بن بهدلة قال: فأزلهما فنحاهما[١٢] صح أصل] انتهى هامش. فإن قلت: كيف وصل إبليس إليهما حتى وسوس إليهما وكلّمهما بعد ما قيل له (فاخرج منها فإنك رجيم)[١٣]؟ قلنا: اختلفوا فيه فقيل: إنه منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ، ولم يمنع أن يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم عليه السلام وحواء[١٤] وقيل كان يدنو من السماء فيكلمهما[١٥] وقيل قام عند الباب فناداهما[١٦] وقيل أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لهما فمنعه الخزنة فأتى

(١) الآية ١٢٠ من سورة طه.

(٢) الآية ٢٠ من سورة الأعراف.

(٣) الآية ٢١ من سورة الأعراف.

(٤) (٥) تفسير ابن كثير (٨١/١).

(٦) قال ابن عطية فأما من قرأ (أزالهما) فإنه يعود على الجنة فقط - أي دونما احتمال لتفسير آخر-تفسير ابن عطية (٢٤١/١).

(٧) (٨) انظر البحر المحيط (١٦٢/١) الطبعة الثانية دار الفكر بيروت ١٩٧٨.

(٩) تفسير الطبري (٥٢٥/١).

(١٠) الدر المنثور (١٣٠/١)

(١١) تفسير ابن أبي حاتم (١٢٩/١/رقم ٣٩٠).

(١٢) جاء بلفظ (فأزالهما) قال فنحاهما - أهـ تفسير ابن أبي حاتم (١٢٨/١/رقم ٣٨٧).

(١٣) الآية ٣٤ من سورة الحجر.

(١٤) تفسير البيضاوي (٣٦٥/١) والكشاف (٢٧٤/١).

(١٥) الكشاف (٢٧٤/١).

(١٦) : تفسير البيضاوي (٣٦٥/١) والكشاف (٢٧٤/١).

الحية، وكانت صديقاً له، وكانت من خزان الجنة فسألها إبليس لعلمه بصداقتها له أن تدخله في فيها فأدخلته ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون[1] به والله أعلم. قال الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي رحمه الله تعالى: وقد كان آدم حين دخل الجنة، ورأى مافيها من النعيم، أتاه شيطان من قبل الخلد، فلما دخل إبليس الجنة وقف بين يدي آدم وحواء، وهما لا يعلمان أنه إبليس فبكى وناح نياحة أحزنتهما، وهو أول من ناح فقالا له: ما يبكيك قال: أبكي عليكما لأنكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة، فوقع ذلك في أنفسهما واغتما ومضى إبليس عنهما، ثم أتاهما بعد ذلك، فقال: يا آدم هل أدلك على شجر الخلد، فأبى أن يقبل منه، فقاسمهما بالله إنه لمن الناصحين لهما، فاغترا، وماظنا أن أحداً يحلف بالله كذباً، فبادرت حواء إلى أكل الشجرة، ثم ناولت آدم حتى أكل منها، وكان سعيد بن المسيب يحلف بالله ما أكل آدم من الشجرة، وهو يعقل، ولكن حواء سقته الخمر حتى إذا سكر قادته إليها فأكل منها[2] والله سبحانه وتعالى أعلم، [وروى ابن منيع وابن المنذر [وابو][3] الشيخ والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس قال: قال الله لآدم ما حملك على أن أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها؟ قال: يارب زينته لي

---

(١) انظر الكشاف باختصار منه (٢٧٤/١).

(٢) اهـ من تفسير البغوي بتصرف قليل (٦٨/١) ط دار الفكر.

وقال أبو حيان في نسبة هذا القول لسعيد بن المسيب ما يلي:

«وما أظنه يصح عنه لأن خمر الجنة كما ذكر الله تعالى لافيها غول ولاهم عنها ينزفون إلا أن كانت في الأرض على ما فسره بعضهم فيمكن ان يكون خمرها بسكر» أقول وقد أشرنا إلى أن الجنة هي جنة الخلد بالدليل على ذلك. لكن هذا القول ذكره البغوي عن الحسن -أي البصري- دون سند وهذا السند لابد منه من البغوي ليحكم بالصحة أو عدمها خاصة وبه تهمتان لأمنا حواء عليها السلام.

(٣) في النسخة ب [ابن ] والصواب ماكان في النسخة أ.

حواء قال عاقبتها بأن لاتحمل إلا كرهاً، ولا تضع إلا كرهاً، وأدميتها في كل شهر مرتين[1] وروى البخاري[2] والحاكم[3] عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها» وروى ابن سعد، وأحمد في الزهد، وعبد بن حميد وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن آدم كان رجلاً طوالاً كأنه نخلة سحوق طوله ستون ذراعاً كثير شعر الرأس فلما ركب الخطيئة بدت له عورته[4]» [الحديث][5] صح أصل وبعده قوله تعالى (فأخرجهما مما كانا)] انتهى هامش.

﴿ **فأخرجهما مما كانا فيه** ﴾ من الكرامة والنعيم ﴿ **وقلنا اهبطوا** ﴾ خطاب لآدم وحواء كقوله تعالى: (قال اهبطا منها جميعاً)[6] وجمع الضمير لأنهما أصل الإنس، فكأنهما الجنس كلهم، أو هما وإبليس قيل والحية ﴿ **بعضكم لبعض عدو** ﴾ جملة حالية استغنى فيها

---

(١) في الدر المنثور (١/١٣٢) بنحوه مطولاً.

(٢) صحيح البخاري في فتح الباري (٦/٤٩٥/رقم ٣٣٩٩) زيادة كلمة «الدهر أخيراً» - ط دار الريان القاهرة.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك قال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال الذهبي عنه في التلخيص صحيح - أهـ من المستدرك مع التخليص (٤/١٧٥) -ط دار الكتاب العربي-.

ورواه مسلم في صحيحه (٢/١٠٩٢) مع زيادة.

(٤) جاء في الدر المنثور مطولاً (١/١٣٢).

لكن جاء في مستدرك الحاكم (٢/٢٦٢) أقل طولاً مما ذكر صاحب الدر المنثور فقد جاء في المستدرك: عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن آدم كان رجلاً طوالاً كأنه نخلة سحوق كثير شعر الرأس فلما ركب الخطيئة بدت له عورته وكان لايراها قبل ذلك فانطلق هارباً في الجنة فتعلقت به شجرة فقال لها: أرسليني قالت لست بمرسلتك قال وناداه ربه يا آدم أمني تفر قال: يارب إني استحييتك» هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.. النخلة السحوق: الطويلة التي بعد ثمرها على المجتني.

(٥) هذه الكلمة غير واضحة في ب.

(٦) الآية ١٢٣ من سورة طه.

عن الواو بالضمير، والمعنى متعادين، يبغي بعضكم على بعض بتضليله، وأجاز مكي[1] أن تكون الجملة مستأنفة[2] ومعناها إخبار الله تعالى بأن بعضهم لبعض عدو، وكأنه فر من تقييد الامر بالحال كما يقول قم ضاحكاً فالحال مأمور بها أو كالمأمور[3]، والله تعالى لا يأمر بالعداوة وفيه نظر[4] ﴿ولكم في الارض مستقر﴾ موضع استقرار أو استقرار ﴿ومتاع إلى حين﴾ أي وضع بالعيش إلى حين يريد به وقت الموت أو القيامة، وقوله (إلى حين) يجوز أن تكون صفة لمتاع، فيتعلق بمحذوف أي كائن إلى حين، ويجوز ان يتعلق بمتاع لانه في معنى تمتع واستمتاع وتكون من باب التنازع لطلب مستقر له ومتاع، ولاتكون معمولاً للأول إلا على رأي الكوفيين[5]، ولانه لا يحذف ضميره على الافصح والله أعلم. هامش [وروى عبدبن حميد[6] وابن جرير[7] وابن المنذر[8] وابن أبي حاتم[9] عن ابن عباس في قوله (وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو) قال: آدم وحواء وإبليس والحية «ولكم في الارض مستقر) قال القبور (ومتاع الى حين) قال: الحياة.. وروى أبو الشيخ عن ابن

(١) أما مكي هذا فهو مكي بن حموش (٣٥٥-٤٣٧ =٩٦٦-١٠٤٥م) مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الاندلسي القيسي أبو محمد: مقرئ عالم بالتفسير والعربية. من أهل القيروان له كتب كثيرة منها «مشكل إعراب القرآن» جزآن و «الكشف عن وجوه القراءات وعللها» - أهـ في الاعلام (٢٨٦/٧).

(٢) (٣) البحر المحيط (١٦٣/١).

(٤) قال الشيخ زادة: «قال الراغب: المعاداة فقدان الملائمة والموافقة فقوله تعالى «بعضكم لبعض عدو» ليس يريد به المهاوشة فقط وإنما يعني فقدان الالتئام إما بين الانسان والشيطان فظاهر، وبين الرجل والمرأة فكثير في الخَلْق، والخُلُق حتى أن عامة مايحمد من أخلاق في الرجل يذم من المرأة ثم بين قوى الإنسان في نفسه تفاوت فحمدنا الله تعالى الذي خلقنا لنتنبه للاحتراز مما ينافي بلوغ السعادة ونسوس منها ما يمكن سياسته وندفع ما تجب مدافعته الى هنا كلامه» حاشية الشيخ زادة (٢٦٧/١).

(٥) انظر البحر المحيط (١٦٤/١).

(٦) الدر المنثور (١٣٤/١).

(٧) رواها ابن جرير في ثلاثة أجزاء عن ابن عباس الاول (٥٣٦/١) الثاني (٥٣٩/١) والثالث (٥٤٠/١) والآثار الثلاثة مروية عن السدي عمن حدثه.

(٨) الدر المنثور (١٣٤/١).

(٩) جاء في ثلاثة مواضع في تفسير ابن أبي حاتم (١٣٣/١/رقم٤٠٢) و (١٣٣/١/رقم٤٠٣) و (١٣٤/١/رقم٤٠٧).

مسعود في قوله (ولكم في الارض مستقر) قال: القبور (ومتاع إلى حين) قال: إلى يوم القيامة[١] وروى ابن أبي حاتم عن ابن عمر قال: هبط آدم بالصفا وحواء بالمروة[٢] وروى ابن جرير والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: «اول ما أهبط الله آدم الى أرض الهند، وروى ابن جرير والحاكم وصححه والبيهقي عنه قال: قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه «أطيب ريح الارض الهند[٣] هبط بها آدم فعلق شجرها من ريح الجنة»[٤] وروى ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس قال «أهبط آدم بالهند وحواء بجده فجاء في طلبها حتى أتى جمعاً فأزدلفت إليه حواء فلذلك سميت المزدلفة واجتمعا بجمع»[٥] وروى الطبراني وأبو نعيم في الحلية عن ابي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنزل[٦] آدم بالهند فاستوحش، فنزل جبريل عليه السلام، فناداه بالاذان، فلما سمع ذكر محمد قال له: ومن محمد هذا؟ قال: هذا آخر ولدك من الانبياء»[٧] وقد روى عن جماعة من الصحابة أن

---

(١) في الدر المنثور بنحوه (١/١٣٥) إذ قال أخرج أبو الشيخ عن ابن مسعود في قوله «ولكم في الارض مستقر» فوق الارض ومستقر تحت الارض. قال «ومتاع إلى حين» حتى يصير إلى الجنة، أو إلى النار - أهـ.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١/١٣١/رقم٣٩٦) بنحوه.

(٣) في الدر المنثور «أهبط» (١/١٣٥).

(٤) وهو مروي عن ابن عباس قال: قال علي بن أبي طالب وذكر الخبر الدر المنثور (١/١٣٥).

(٥) فلذلك سميت جمعاً - هذا الخبر مع تتمته في الدر المنثور (١/١٣٥).

(٦) في الدر المنثور «نزل» (١/١٣٥).

(٧) في الدر المنثور مطولاً (١/١٣٥) لم أجده بهذا اللفظ في الطبراني الكبير والاوسط والصغير ولا في حلية أبي نعيم ولا مجمع البحرين في زوائد المعجمين لكن جاء في كنز العمال موقوفاً بنحوه على أبي هريرة وقال رواه ابن عساكر (٤/٤٥٥) وحسب مقدمته فهو خبر ضعيف. كما جاء في حلية أبي نعيم عن أبي هريرة مرفوعا بنحوه وقال فيه غريب من حديث عمرو عن عطاء لم نكتبه إلا من هذا الوجه.